

حرف الحاء

١٢٣ - الحسن السلطان أبو على بن السلطان سيدي محمد بن السلطان
مولاي عبد الرحمن بن السلطان مولاي هشام بن السلطان سيدي
محمد بن السلطان مولاي عبد الله بن فخر السلاطين وجد عظام الملوك
مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى الينبوعى السجلماسى.
دفين مكناسة الزيتون.

حاله: نشأ نشأة حسنة في حجر جده السلطان أبي زيد عبد الرحمن بن
هشام وكان له بتأديبه وتهذيبه وتدريبه اهتمام واعتناء زائد، وكان يحبه محبة
شديدة، ويختار لتعليمه جلة الأساتذة وفضلاء الأعلام، ولما شب وظهرت منه
لجده مخايل النجابة والفلاح وجهه للقراءة ببلاد أحمر الشهيرة بأحواز مراكش،
إبعادا له عن الاشتغال بالمألوفات عن تحصيل العلوم حسبما يستفاد من ظهور أصدره
المولى عبد الرحمن جد المترجم لولده سيدي محمد ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، عبد
الرحمن بن هشام الله وليه، ولدنا الأبر الأرضى، سيدي محمد أصلحك الله
ورضى عنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن الطالب محمد
ابن عبد الواحد بن سودة طلب التوجه لصلة رحمه فأذنا له في ذلك فادفع له
خمسین مثقالا من زكاة أهل فاس، وذكر أنه يقيم بداره هذه الأشهر الثلاثة حتى
يصوم رمضان ويعيد بها، فإذا مضت أيام العيد فوجهه والسلام في ٢٤ جمادى
الأخيرة عام ١٢٧٢.

ومنه فإن سيدي حسن أصلحه الله أراد القراءة ولم نجد له فقيها فقد عرضنا
ذلك على كل من هنا من طلبة مراكش فلم يرد أحد الذهب لأحمر، وكتبنا لك

بذلك فلعلك لم تجد من يقبل ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه ظهرت فيه قريحة ومولع بقراءة الأمهات المختصر وغيره، فلا بد انظر وابحث عسى أن تجد من يصلح لذلك مادام الغصن رطبا فإن تعلم الصغر كالنقش في الحجر صح».

وذلك بعد مكثه مدة بدار خاله الوزير الصدر السيد العربي الجامعي ليكتسب اطلاعا على ما لم يطلع عليه غيره من أفراد العائلة الملوكية المقصورين على المكث بالدار العلية.

ومن اعتنائه به أن ضم إليه جماعة من كبراء السن من الخدام المطلعين على سير الملوك الذين أدرکوا عصرهم وأمرهم بأن يكونوا يحدثونه بما شاهدوه وحفظوه من ذلك، فكانوا يجدون منه الرغبة الحارة في الاطلاع على ما عندهم من الأنباء زيادة على ما كانت تتوق إليه همته من تحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية والاجتهاد في لقاء من له مهارة في العلوم وخصوصا أرباب العلوم الرياضية.

وجمع شتات المؤلفات من سائر الفنون حتى خصص جماعة وافرة من مهرة النساخين المتقنين، ولما جلس على أريكة الملك ازداد شغفه وولوعه بذلك، ولم يزل عمله مسترسلا على ذلك في عواصم المغرب مدة حياته فرفع بهذا العمل المفيد للعلم راية وأفاد المعارف خدمة جليلة.

ثم لما توفي جده المذكور وبويع لوالده ازدادت عنايته به ومثابرتة على تعليمه ما يستحق به أن يكون أولى بنيه بولاية عهده، إلى أن ظهرت عليه ملامح النجابة والقيام بالمأمورية فاصطفى له من أعيان نبهاء الدولة وساستها ومهرة العلماء وقاداتها وعقد له على راية من صنائيد الجيش الذين حنكتهم التجارب وتدربوا على الكر والفر ووجهه لقبائل الجبال من بربر نتيقة ومن جاروهم وكان على شاكلتهم من الانحراف عن الجادة، ولعرب السهل والسراغنة وبنى مسكين لما كان حصل في نظامهم من الثلم والخلل، وذلك عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف.

فقام بمأموريته أتم قيام وبرهن على نجده وحسن إرادته وصدق فراسة والده فيه وأصلح ما كان اختل من النظام وبث روح الطاعة والخضوع لسطوة المخزن في قلوب تلك القبائل الشاردة، ورجع منصور الراية وهو إذ ذاك يسحب ذيول مطارف الشباب في سن يقضى عادة باستحالة ولوج ذلك الباب .

ولما قرت عين والده بأوبته ظافرا مصحوبا بسوابغ الآلاء والنعم واتضح له صدق فراسته فيه أخذ يدبر في عقد راية أخرى له أوفر من الأولى تنشيطا له وإظهاراً لترقيه، واعترفا بكفاءته، فعقد له عام ثمانين ومائتين وألف على جيش بقصد تمهيد قبائل قطر سوس الأقصى، وسياسة من دنا من تلك القبائل ومن استقصى، واختار له من صالحى العمال ومخلصيهم من يصلح لرفقته ويليق بديوانه، ومن العلماء صادق اللهجة والمقال العلامة أبا الحسن على المسفيوى، والنحوى البارع لطيف المذاكرة والمنادمة والمسامرة السيد محمد بن عزوز الرباطى، واستوزر معه الفقيه الكاتب الهين اللين المهذب السيد محمد بن داني، ووجهه للقطر المذكور فتوجه والعناية تقدمه، والسعادة تخدمه إلى أن بلغ أقصى سوس ودوخ قبائله التى مضى عليها زمن طويل وهى معطلة من حلى طاعة الأمراء والسلاطين وأظهر من السياسة والدهاء واللياقة ما سد عنه أبواب العتاب، ووجد وجهه والده إلى ايثاره بولاية عهده رغما على كل وسيلة كان يتوسل بها غيره إلى نيل تلك الولاية .

وكان فى حركته تلك بلغ وادى ماسة بل جاوزه ثم ثنى عنان عزمه لباقي بلاد سوس مثل هشتوكة وهوارة وراس الوادى فدوخها ومهدها، واستخلص واجب بيت المال المرتب فى ذمهم .

ثم ولى وجهه إلى الحضرة المراكشية ومر فى طريقه على عمه المولى عبد القادر الذى كان مخيما بوادى القيهرة لاستخلاص ما توفر بدمم مزوضة ودويران وسكساوة ونيظة ومتوكة وأولاد أبى السباع .

ولما وصل أرجاء الحضرة المراكشية أمر والده الجيوش والأعيان للخروج لملاقاته، وكان يوم دخوله من الأيام المشهودة، وكانت مدة غيبته في هذه الحركة عشرة أشهر.

وبعد مقدمه بأيام قلائل نهض والده من مراكش ووجهته الديار الغربية لتفقد أحوال الرعية بها، فاستخلف المترجم بالعاصمة المراكشية فكان في ذلك إعطاء القوس باريها، وأبان صاحب الترجمة في ولايته عن كفاءته وحسن تدييره وقيامه بالإدارة فيما أسند إليه النظر فيه من أمور النواحي الحوزية، وربما كان يقابله بالشدة في موضع اللين والإعراض في محل الإقبال، إيقاظا له وإنهاضا لهتمته وعروجا به عن الوقوف دون ما يراد به، وربما كان يعاتبه أشد عتاب ولسان حاله يقول:

أدعو عليك وقلبي يقول يا رب لا لا

وكان عامل حاجة ولد أبهى ظهر له من السلطان سيدي محمد قبول وإقبال حمله على التصريح بأنه المعتمد في تلك الجهات الحوزية، وأنه لا دخول له تحت ولاية وخلافة المترجم، فكان من قدر الله أن قامت عليه إيالته، ومدت يد النهب والتخريب إلى داره حتى اضطر إلى الاستنجاد بصاحب الترجمة فأنجده حتى أفلت، وقدم على السلطان سيدي محمد لفاس وجعل يلوح إلى أن ما حل به هو بتدبير المترجم، فلم يلق السلطان إليه بالا لتمكن مكانة ولده لديه، بل وجه العامل المذكور مستخدما في حنطة أصحاب الفراش المعينين لصاحب الترجمة.

وكان باشا مراكش القائد أحمد بن داود يستشعر من الأثرة والثقة لدى السلطان ما أداه إلى عدم المبالاة بالخليفة المترجم، فقضى الله عليه، أن خرج عنه أهل مراكش وهمّوا بقتله ونهب داره، ونصبوا أحد أولاد ابن عامر بمحلّه فقام المترجم بنصرته والذب عن نفسه وداره.

فكتب ابن داود إلى السلطان بما يقتضى إغراء صاحب الترجمة لأهل مراکش على ما فعلوه فقبائل وشايته بالرد وفند زعمه وبرأ ساحة ولده المترجم من تلك الوصمة، ونهض من فاس إلى مراکش مصمماً على تأديب أهل مراکش وأخذ ثار العامل منهم، ولما حل بمراكش عزم على تنفيذ ما هم به لهم فوقعت الشفاعة فيهم فقبلها على استثناء أفراد ممن قاموا بتلك الثورة.

وبعد مدة يسيرة أنهض ولده المترجم للحركة إلى البلاد السوسية ليستوفى ما وظف على أهلها من الأموال، واستوزر له الفقيه أبا عبد الله محمد المفضل غريط الذى صار صدرًا أعظم في الدولة العزيرية.

ثم فى السادس والعشرين من ذى الحجة عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف عقد له راية متسعة الأكناف ووجهه لبلاد تادلة وجوارها من قبيلة الشاوية، ووالده إذ ذاك مقيم بالديار الغربية.

ولما دوخ المترجم تلك النواحي وساسها وأسس نظامها وحسن أحوالها، أوقع القبض على القائد أحمد الفكاك أحد قواد الشاوية وخليفته أخيه زويويل لسوء سيرته واضطراب أمره واختلاطه، وولى مكانه القائد محمد بن العربى المعروفى، ولم يزل مقيما بدار الفكاك المذكور حتى لحق به والده السلطان بها، ثم نهضا معا وكل بمحلته إلى أن وصلا للحضرة المراكشية وذلك بعد استقامة كل معوج من الرعية فى تلك الطريق، وصلحت الأحوال واستخلص الواجب المعين كما يجب.

ولما جاوز الركاب السلطانى بلاد تادلا بدا له أن يولى عمالة مراکش خديمه الطالب أحمد بن داود فوجه له عقد ولايته قبل وصوله لتلك الحضرة، وذلك بإشارة من حاجبه الناصح الضابط أبى عمران موسى بن أحمد، ورفيقه أبى محمد عبد السلام البقالى.

ولما حل السلطان بعاصمة مراكش وفرغ من مقابلة وفود التهئة بسلامة القدوم، وانسلخ شهر رمضان، وانتهت حفلة إقامة سنة عيد الفطر، أمر جميع الواردين على عليّ جنابه من العمال والقبائل وأعيان الرعية بالإقامة لحضور وليمة عرس فلذة كبده وقرّة عينه وخليفته ولده المترجم، ثم أقام لذلك أفراحاً وولائم أفيضت فيها أنواع الإكرام الضافية على سائر الطبقات، ووسع فيها على الأراامل والأيتام والضعفاء.

وكان ابتداء الشروع في تلك الأفراح في واحد وعشرين من شوال عام أربعة وثمانين ومائتين وألف، وتفيماً بظلالها الظليلة جمع غفير من الأشراف والموالي، واندمجت أعراسهم في سلك متسع أكتافها، وزينت لاتخاذ تلك الولائم حدائق أجدال، وزينت بساتينه وفرشت بالزرابى المبوثة، والنمارق المصفوفة، وأبيحت للدخول، فأتى الناس إليها أفواجا، ورتبت المراتب في الجلوس، وانضاف كل جنس إلى جنسه وامتدت أفراح تلك الوليمة سبعة أيام بلياليها.

ثم في الخامس عشر من ربيع النبوى سنة تسع وثمانين ومائتين وألف عقد له والده على راية أخرى، وأمره بالتوجه لناحية قبائل تادلا والشاوية فنهض في اليوم المذكور وسار إلى أن خيم بالمحل المشهور بصخرة الدجاجة وأقام ثم نحو من ستة أشهر.

وبعد استيفاء الغرض المقصود من تلك المأمورية وتوطيد الأمن وحسم مادة البغى والعدوان بتلك الجهات، أمره والده بالنهوض واللحوق به بالمحل المعروف بطالع كرماط، ولما لحقت جنوده بجنود والده وقص عليه جميع ما راج في رحلته المذكورة سرّاً واستبشر، ودعا له بمزيد التوفيق والتسديد، وأمره بالتوجه للحضره المراكشية فسمع وأطاع، ونهض والسعادة تقدمه.

واقفنى أثره والده فصار كلما رحل المترجم من محل نزل به والده إلى أن

نزل الجيشان على رأس الغابة بين قبائل زعير وأولاد محمد من الشاوية، ثم نهضا إلى المحل المعروف بالكيسان، ثم إلى محل تخييم المترجم أولا، وذلك ما قدمنا من تقدم المترجم في جنوده أمام والده.

وفى يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية من العام ثارت فتنة بين أهل مراكش وعاملهم أبى العباس بن داود المذكور، بسبب مد أصحابه يد العداء فى بعض الخرازين، فقام الدباغون فى وجه الشرطيين وكثر الهرج والمرج، واتقدت نيران الفتنة بينهما واجتمع الغوغاء ومن فى قلبه مرض من طاعة المخزن وانضم إلى صعاليك الدباغين، واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة فى كيفية التوصل لتسكين الهيعة وتطمين البلاد، وتخيروا وجه الخلاص ثم توجهوا بأجمعهم لأبواب القصور السلطانية لاستشارة من بالمشية من العمال والخلائف لغيبة السلطان وخليفته المترجم، فاتفق رأيهم بعد أخذٍ وردٍّ على أن تلك الفتنة لا تنحسم مادتها إلا بإلزام العامل المكث بقعر بيته وعدم العود للمداخلة فى شىء من الأشياء إلى أن يقدم السلطان.

ولما اتصل هذا الخبر بالأمير ساءه وأسرته فى نفسه وتمادى على ما هو بصده من رتق ما انفتق من أمور الرعية وتأديب من يستحق التأديب ممن عتا وسعى فى الأرض الفساد مثل بنى محمد وبنى زمور.

ولما مهد البلاد، وكسر شوكة أهل العناد، نهضت المحلتان لدار ولد الراضى ثم للوادى المعروف بالزم ثم لعين القصب بأبى جعد وخيمتا هنالك نحو من خمسة عشر يوما، ثم رحلتا لقصبة تادلة بآيت الربع ثم للزيدانية ثم لبنى موسى ثم لوادى داي ثم دار بوزكرى العميرى فدار القائد الغزوانى ببنى موسى ثم لوادى العبيد فالدشرة فتاستاوت فالقاطر قرب أولاد محمد الصغير بالسراغنة فتملالت فزواية ابن ساسى بشاطئى وادى تنسيفت، وذلك يوم السبت متم شعبان العام

وهناك خرج أهل مراكش بأشرافهم وأهل زواياهم وطوائفهم وصبيانهم بالواحد متشفعين، وفي العفو عما أجرموه راغبين وتفرق الباقون من أهل مراكش في الحدائق والجنات المكتنفة بنهج مرور السلطان للمطارحة على وجه الصعيد أمامه طلبا لعفوه ورضاه.

ثم إن بعض الأوباش ومن لا خلاق له تعرض للعامل المذكور وشهروا السلاح في وجهه ومنعوه من الخروج للقي السلطان، فاتصل بالسلطان ذلك الخبر فثار غضبه وتحفز للوثبة عليهم وأمر بالاستعداد لذلك، فلجأ القوم بأخية العلامة مولاى العباس ليتدارك الأمر قبل إنتاجه، فانشال عن صهوة فرسه وقبل الأرض أمامه ولم يزل يستعطفه إلى أن سكن غضبه وعفا وصفح وسامح.

ثم فى ثامن عشر ربيع النبوى عام تسعين ومائتين وألف عقد لصاحب الترجمة على جيش عرمرم أكبر من الجيوش والرايات التى قبله، ووجهه لقبائل حاحة لرتق ما فتقوا وجمع ما فرقوا لهجومهم على عاملهم وهمهم بالإيقاع به حتى خلص ناجيا بنفسه وعياله، وهو إذ ذاك القائد محمد ولد الحاج عبد الله أبهى، وبقيت القبيلة المذكورة فوضى لا رئيس لها، ولم يزل المترجم يعالج أمرهم طبق ما تقتضيه الظروف من شدة ولين إلى أن انقادوا كلهم ودخلوا فى سلك الطاعة أفواجا، كذا فى البستان الجامع لكل نوع حسن.

ثم إن السلطان عراه انحراف فى مزاجه إلا أنه لم يمنعه من التحرك ومباشرة الأشغال، ثم إنه تناول أكل شىء من التين الرطب ولبن النوق فألم به بسبب ذلك ألم حاد، أُلجأه إلى استعمال المسهل فلم ينجع، فكرره فأصابه خفقان مترادف وكان ذلك يوم الاثنين خامس عشر رجب عام تسعين، وبقي الألم بحاله ولكنه لم يمنعه عن الخروج ومباشرة الأشغال بنفسه، ولما كان زوال يوم الخميس دخل للغرفة المعدة للألات التوقيتية فختمت بها أنفاسه.

ولما أنذر بذلك حاجبه موسى بن أحمد دخل عليه، ولما تيقن موته خرج كئيباً حزينا واستحضر أخاه العلاف الكبير السيد عبد الله بن أحمد، وخليفته السيد محمد الجامعي، والوزير الصدر إدريس بو عشرين، والسيد عبد السلام البقالي وأخبرهم بوفاة السلطان.

فوقع اتفاقهم على جمع الكبراء والأعيان من الشرفاء والقواد للمذاكرة في مبايعة من يقوم بأمر المسلمين.

ولما اجتمعت جموعهم بادر عامل الرحامنة المكين المكانة لدى السلطان المتوفى والمسمى عنده بشيخ العمال والمستشار لديه في مهمات الأمور، فصرح بمبايعة المترجم، وقال مسمعا لما استروح الخلاف: أنا أنصره على سكينى، ثم قام بعده عم المترجم وصهره العلامة مولانا العباس بن عبد الرحمن، وأبو عبد الله الجامعي المذكور مصرحين بما صرح به العامل المذكور، فلم يبق محل للنزاع وانعقدت البيعة لصاحب الترجمة وكان الذى تولى كتابتها أولا بخطه مولانا العباس المذكور ثم وضع من حضر من العلماء شهادتهم بذلك وشهد العدول على غيرهم وأدوا شهادتهم بذلك لدى القاضى.

ثم كتب للمترجم عمه مولانا العباس المذكور وكذا المذكورون معه بوفاة والده، وانعقاد البيعة له، كما كتب له بذلك بقية الرؤساء معزين ومهنئين ومستقدمين له، وقفت على جواب صاحب الترجمة لعنه المولى العباس عما ذكر ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، عمنا الأعز الأجل الأفضل مولانا العباس حفظ الله مجادة عمنا وسلام عليه ورحمة الله.

وبعد: وافانا كتاب عمنا معزيا لنا فى سيدنا الوالد رحمه الله، ومنبثا بما حل بعمنا من فراقه وفقده فوالله لقد عظم علينا المصاب وجرعنا الرزء أمر من العلقم

الحمد لله

وخط الله على سيرة قاتل آل الله

هذا الخبر الأول...
 ورحمة الله وبركاته...
 ومن بعد ما جعل...
 امر من الله...
 علينا الرب...
 ولا خيرا...
 وعلم زيد...
 تعصم...
 وانعز...
 هذا...
 انقطع...
 انما...
 في...
 والكل...
 ولا...
 لا...
 في...
 كانت...
 شلت...
 في...
 والله...

سورة

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين
 أجمعين

كتاب السلطان مولاي الحسن لعمه مولاي العباس

والصاب، حتى بكينا ناراً ودماً، وتمنينا مكان وجودنا عدماً وأظلمت علينا الدنيا، فصرنا حيارى لا نميز العدو القصى من الدنيا، وفي سبيل الله، وإنا لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأل الله العظيم، البر الكريم أن يحفظنا في عمنا ويجازيه عنا وعن المسلمين عن وقوفه وذبه وحمايته، وحسن قيامه ومدافعتة، وعدم تقصيره قولاً وفعلاً ومداهنته ومصانعتة فوق ما كنا نظن بعمنا بدرجات، ولقد والله كنا نعرف هذا قبل في عمنا وتلمحه، لكن ليس كاليوم، وما راء كمن سمع، فمن حق اليقين إلى عين اليقين.

ومن أعظم نعم الله علينا ومنه لدينا وجودك في ذلك المقام وهو والله من عجيب صنع الله، ومن أسباب السعادة بفضل الله، وهذا كله إنما ذكرناه لكى يعلم مولانا العم بلوغه إلينا، وإلا فلا منة، لأننا ذات واحدة، ونفس متحدة من ولاه الله منا يغطى الجميع بكنفه ولا يفوت سواه إلا بحمل الكلفة والكل، وسيدنا العم والحمد لله صنو لا يخفى على من تأمل.

والحاصل أن الفقيه السيد موسى وأخاه الحاج عبد الله قد شرحوا لنا ذلك وبينوه بيانا لا مزيد عليه، بحيث لو تصدينا لاستيعابه لما وسعه هذا الكتاب ولا مثله معه، وحيث تجتمع بحول الله نطالعك به وليدع عمنا معنا في كل لحظة ولا يقصر في كل شيء مما يعرض أو يعن أو يقتضيه المقام، فأنت بصيرتنا، شد الله بك أزرنا، وشيد بك أمرنا، وأبقاك لنا وحفظنا فيك، فأى رجل مثلك لنا هيهات هيهات، ونسلم على أعمامنا كلهم مولاي عمر، ومولاي على حفظهم الله، ونُبُّ عنا في تعزيتهم وتصبيرهم عوضاً منا، ففيك حفظك الله تمام الكفاية وعلى الأخوة والسلام في ٢٤ رجب عام ١٢٩٠ حسن أمير المؤمنين».

وأدبا مع عمه المجاب وتنازلا لمقام عمومته لم يضع علامته بأعلى الكتاب،
وإنما وضعها أسفل، وزاد فى مواضع من الكتاب بخطه لفظ مولاي ومولانا.

وقد جزع المترجم جزعا شديدا لما بلغه نعى والده، ولما اتصلت به المكاتب
الحاملة لذلك النبأ المحزن أحضر وزيره إذ ذاك أبا عبد الله غريط، وأطلععه على
تلك المكاتب، ثم أحضر قائد مشوره إدريس بن العلام، وأمره بجمع كبراء المحلة
وقوادها، وأمر الوزير بقراءتها عليهم، ولما قرئت عليهم أسفوا لموت السلطان
الفقيد، وابتهجوا بنصر المترجم وأعلنوا بيعته وأطلقت بالمحلة الطلقات المدفعية.

ونهض المبايع له إلى مراكش، ولما شارفها وجد الوزراء والرؤساء والقواد
والأعيان والجيشوش المخزنية مستقبلين جنبابه الشريف بالآلة الملوكية والخصائص
السلطانية والشارة الحسنة، فدخل مراكش صبيحة يوم السبت سابع عشرى رجب
واستقر على عرش ملكه، ووردت عليه الوفود والبيعات من كل ناحية.

وفى ثانى شعبان بويع المترجم بطنجة ونواحيها ووجهت المكاتب لتطوان
معلمين لهم بوقوع البيعة والأمر بالدخول فى زمرة إخوانهم المسلمين حسبما وقفت
على التصريح بذلك فى كتاب من الحاج محمد بركاش، لموسى بن أحمد الحاجب
السلطاني.

وفى يوم الأحد ثامن عشرى رجب تحقق بفاس خبر وفاة السلطان سيدى
محمد والبيعة لنجله وخليفته صاحب الترجمة، فاجتمع العلماء والأشراف
والوجهاء والأعيان وعامل البلد السيد إدريس بن عبد القادر السراج، بين العشاءين
بدار عديل الشهيرة بحومة الأمعادي، واعلنوا بنصر المترجم.

ونودى بذلك بالأسواق والطرقات والحومات وبالاجتماع ضحوة غده الذى
هو يوم الاثنين بمسجد أبى الجنود لكتب البيعة به وفق العادة المقررة فى ذلك، ولما

أصبح الصباح هرع الناس للمسجد المذكور فرادى وأزواجا، ولم يتخلف أحد من أهل الحل والعقد وأولى العصابة، وأتى الخليفة السلطاني صنو المترجم مولاي إسماعيل للمسجد المذكور وفي معيته أعيان الجند وذوو الوجاهة ممن بفاس الجديد على اختلاف الطبقات.

ثم فتحت مقصورة المسجد للخليفة والقاضي وأعيان العلماء والعدول وصاروا يدعون طوائف الناس لوضع خطوطهم بالموافقة على البيعة للمترجم طائفة بعد طائفة، الأشراف أولا، ثم العلماء، ثم الأعيان، ثم القواد والرؤساء، ووقع الإشهاد على الجميع بالبيعة للمترجم على المنشط والمكره والسمع والطاعة.

وكان أول من وقع الإشهاد عليه بذلك الخليفة المذكور، ثم الفقيه العلامة مولاي إدريس بن عبد الهادي، ثم عم المترجم مولانا عبد القادر.

وفي يوم الأربعاء مهل شعبان وردت جميع القبائل المجاورة لفاس التابعة له وأدوا بيعتهم كما يجب، ووقع الإشهاد عليهم وطير الإعلام لصاحب الترجمة، ووجهت له المكاتب بذلك.

وبويع له بمكناس ونواحيه ووجهت لحضرته السلطانية كتب البيعات وقصائد التهاني. فمن ذلك قصيدة تهنئة وتعزية للفقير الأديب السيد العربي بن علي المشرفي الفاسي وهي:

ضحكنا سرورا بعد ما عمنا الحزن	وخفنا وعن قرب تداركنا أمن
سرور وحزن دفعة قد تواردا	كصيحة رعد بعدها قد هما مزن
نرد هجوم الروح والقلب فارح	كمن يتدلى بالثمار له غصن
مزجنا بماء الأنس خمرة حزننا	وأتلفها الساقى فليس لها عين
لئن فل سيف الحق قد سل بعده	حسام رقاب الجاحدين له جفن

وإن غاب نجم لاح في الأفق بعده
 وإن حل تحت الترب عنتر حربنا
 لقد كاد ليل الحزن ينشر جناحه
 بكينا ولكن ما استتم بكاؤنا
 فما هو إلا أن عبسنا وجاءنا
 أنخشى وفينا من نؤم خليفة
 إذا خر ركن الملك فهو يعيده
 تعز أموالنا الإمام كذا القضا
 وأنت بحمد الله مالك ملكنا
 ولازلت في نصر وعز عناية
 وخذ من نفيس الدر عقدا منضدا

وقول العدل الرضى العلامة السيد الطاهر بوحدو المكناسى ودونك لفظها:

سعد الزمان وساعدت
 والجيد منه قد تح
 ظهرت بواهر من حسا
 وتبسمت منه الثنا
 وأريض روض قام فى
 فالعجب من ورق صغت
 فتمايلت طربا لوع
 أيامه فلك البشائر
 لى بالعقود من المفاخر
 ن بالعقود من الجواهر
 يا فأذهبت كرب الخواطر
 أغصانه ميمون طائر
 لخطيب ورق فى المنابر
 د صح نقلا فى الدفاتر

أفق السعود إلى النواظر	بطلوع شمس المجد فى
ء سنائها من كان حائر	يهدى سناها فى سما
المحسن السير المآثر	حسنينا (الحسن) الحلا
رة باسمه (الحسن) المظاهر	فإلى مسماه الإشا
ته الممالك والحرائر	ملك تملك من سياس
ه بالبوطن والظواهر	وعنت له منها وجو
ب الخلق وهى له صواغر	لجلاله دانت رقبا
منها مضامر الضمائر	وعلى محبته انطوت
ن أزمة المجد الأكاير	نجل الملوك المالكي
إلا أتى ملك يفاخر	ما منهم ملك مضى
آثاره كحل البصائر	بحر الندى والعلم ها
ملك عزيز النفس ظاهر	طود منيف سيد
وبكفه نور الأزاهر	فى وجهه نور الهدى
من كل سوء بل وضائر	سامى الذرى حامى الورى
د الغاب بالبيض البواتر	تخشى لسطوته أسو
من فى الوغى نصر العساكر	للوائه نشر تضـ
هب وأكف مثل المواطر	من كفه هامى الموا
ما ليس يخطر بالخطاظر	وهاب طلاب الحبا
إسداء نائله بقادر	ما حاتم جودا على

من رام طاعة ربه	فركن طاعته ييادر
فهو للإله خليفة	فى أرضه قطب الدوائر
والطرق منه أمنت	من طارق فيها وثائر
ومجدد للدين يب	دو فى البوادي والخواضر
ابن الرسول المجتبي	خير الأوائل والأواخر
فبجاهه صلى عليه	ه الله والآل الطواهر
خلد له نصرا عزيز	زا ظاهرا يا خير ناصر
وأدم عسلاه لأمل	فيئول بالمأمول ظافر

وقول أبي عبد الله محمد بن المعطى المزطارى المكناسى

خبرت بنصركم النجوم الطلع	وعنت لمجدكم الجهات الأربع
واستبشرت هذى الديار بنصركم	وجرت بعرف جمالكم تتضوع
وأمدكم رب العلا بفضيلة	ملاً البسيطة نورها المتشعشع
وعليكم فتح مبين ناشر	رايات عز ما حواها تبع
إن كنت فى الهيجا فأنت غضنفر	أسد تذل له الملوك وتخضع
تروى رماحك من نحور عداكم	فترى القناة مع الأسنه تلمع
وترى الخيول كما اشتهاه فى الوغى	هذا يعجىء بذا وهذا يصرع
فالعز فى نصب الخيام عليهم	والنصر يأتى وجهه لك يسطع
يا أيها البطل الذى لبس التقى	درعا يدوم لباسها لا يخلع
يا نبعة الشرف الذى بهر الورى	عدلا وذاك غريزة لا تصنع

يا درة الحسب الذى هو أرفع
وسلالة المجد الذى لا يدفع
وسع الأنام فبذله لا يقطع
فإليك يا حسن تشير الإصبع
يهنيك نصر بالسعادة يشفع
وحلا لبانهما بشدى يرضع
نحر الصدور وحقكم لا تنزع
يقرى نوالا عاجلا لا يمنع
من حسن نور محمد يتضلع
ونشأت فى أمر المهيمن تسرع
بعزيمة ما مثلها يتوقع
علم الحديث من جنابك يسمع
علم القريض زمامه لك أطوع
أحد يساويكم بذا أو يطمع
وإليكم أمر الخليفة يرجع
تختال فى حلل الجمال وترتع
كالروض يسقيه السحاب فيربع
خبرت بنصركم النجوم الطلع

يا ابن الأعزة يا خلاصة هاشم
يا ابن الملوك الطاهرين وحرزهم
يا ابن الرسول وموضع الكرم الذى
إن قيل من ساد الملوك برفعة
أخليفة الله المتوج بالرضا
ألفت سجايك المروءة والندى
نظمت جواهر عقد فخركم على
يا مالكا متبسما لسؤاله
يغشاكم نور النبى فجبينكم
لم لا وقد ظهرت مخايل فضلكم
وأخذت فى كل العلوم مجاهدا
حتى وصلت وكنت فيها مقدا
وحويت من غر اللغات أجلها
هيهات فضل الله عمكم فلا
لكم المزايا والمواهب جملة
خذها أمير المؤمنين خريدة
وإليها يا خير من حاز العلا
أمسيت مسرورا وهأنا ناشر

إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجا فى مجلد.

ثم لما تم أمر البيعة واطمأنت النفوس بطلعته، تاقت همته الأبية إلى التجول في أقطار البلاد والنظر في أحوال الرعية وتوطيد الأمن وقطع جرثومة البغي والتمرد، نهض من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان وكانت مدة مقامه بها شهراً واحداً وستة أيام، ووالى الأسفار لهذا المقصد الحميد بنجدة وجدة وحزم وعزم، ولم يزل يوالى الحركات والتجول بتوالى السنين والأعوام منذ جلس على أريكة ملك أبيه وأجداده إلى أن قبضه الله إليه .

وكان إذا أراد الشروع في التأهب للنهوض للحركة يصدر أمره أولاً للأمين بالشروع في صنع الخزائن والراويات والبرادع ثم لأميني مستفاد آزمور الدار البيضاء بتوجيه العدد اللازم من قروش المجال وقدره ألف وخمسة قرش، ومثل ذلك من الشواريات، ثم لعمال الديارة بتوجيه ألف تليس، وأخذ ما لجانب المخزن تحت يد القبائل من الخيل والبغال والإبل وبيان ما يقع عليه توقف من الأنواع الثلاثة للتفريق فيقسط على أولئك العمال، ويؤمر كل منهم بتوجيه ما قسط عليه في التاريخ الذى يعين لهم بعد تعويض الضائع، وإبدال الراك ثم للعمال كافة بالتأهب للحركة والكون على بال من النهوض مهما أمروا به .

ثم يخرج أفراك وتضرب به الأخبية السلطانية، ثم يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط بالمحل الذى يعين لهم، وبعد ذلك يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط مع أفراك، حيث يقرب نهوض الجناح السلطانى ثم يؤمر كبراء الأحناطى بالإتيان بتقاييد ما يخصهم من ضروريات عملهم وشغلهم فتدفع تلك التقاييد لأمين الصائر، ويؤمر بقضاء جميع ما فيها، ودفع ما لكل حنطة لكبيرها، ثم تكتب المكاتب بتيسير المثونة للمحلة فى الطريق التى يكون المرور عليها، ثم يؤمر أمناء مرسى العدوتين باشتراء عدد من التبن والشعير ووضعهما تحت يدهم بقصد دواب المحلة .

ويؤمر محتسب الرباط بالشروع فى طحن عدد من القمح وادخاره تحت يده، فإن احتيج إليه وجد ميسراً، وإن كان للجناب السلطانى غرض فى قبيلة من القبائل التى يكون المرور عليها أو معهم كلام فى واجب ونحوه، فتتقدم إليها سرية من الجند والعسكر وبعض القبائل صحبة أحد من أصناء المترجم فى محلة للشروع فى مباشرة الغرض المولوى معهم، وإن كان الكلام بموضعين فتتقدم إليهما محلّتان وحيث يصل إليهم صاحب الترجمة بجنوده الجرارة فتكون تلك المحلة تتقدم أمامه بمرحلة أو مرحلتين كالطالعة للجنود المولوية المنصورة، وغالبا يرشح أبو عبد الله محمد الأمانى للغرب، بقصد تفقد أحوال البرابر أولاً، ثم تجتمع عليه قبائل الغرب بحركتهم وينهض معهم للتخيم بالرباط إلى أن يؤمروا بما يقتضيه النظر السلطانى السديد من تقدم لملاقاته، أو مكث بمحلهم حتى يصل إليهم ركابه الشريف.

هكذا كان نظام سائر حركاته ودونكها على الترتيب حسبما بكناشتى ميقاتيه الشهيرين المهندس الميقاتى الكبير أبى العباس أحمد بن الشادلى البخارى المكناسى، وأبى عبد الله محمد بن بو سلهم الخلطى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار اللذين كانا يرافقانه فى أسفاره كلها، ويتقدمان أمامه لضبط المراحل وتقدير مدة السير فى كل مرحلة بغاية التحقيق والتدقيق بالسوائى والدقائق، ومن خطيهما نقلت جل ما أثبتته فى هذا الموضوع، لأنهما أضبط من غيرهما وأتقن لمباشرتهما ذلك بأنفسهما ومشاهدتهما له بأعينهما، وما راء كمن سمع، ولذلك ترانى ربما خالفت ما جاء فى الاستقصا.

الحركة الأولى من مراكش إلى فاس عام ١٢٩٠:

كان نهوضه من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان عام ١٢٩٠، ولما عزم على النهوض استخلف أخاه الأئجد المولى عثمان وعضده بياشا قصبية المنشية من الحضرة المراكشية أحمد بن مالك السوسى وباشا المدينة محمد بن داود المراكشى.

ولما أوقع الرحيل كتب لعامل فاس أبى العلاء إدريس السراج معلما له
بمبارحة الأسمى الحضرة المراكشية، ومبيناً مراحل الطريق التى رام المرور عليها،
ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب إدريس السراج، أعانك الله وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته، وبعد:

فإننا قد كنا قفلنا من حركتنا السعيدة بحاحا وحللنا هذه الحضرة المراكشية
المحروسة بالله حلول يمن وظفر وسعادة، كان المراد إذ ذاك أن نهض فى محلتنا
المنصورة وجيوشنا الموفورة لناحية الغرب من غير مهلة، ثم اقتضت المصلحة المكث
فى هذه الحضرة أياما لترتيب أمورها، وإصلاح شئونها، وتسكين قبائلها،
واستقرار كل أمر فى مركزه حتى يبقى جميع ذلك على أحسن ما يراد وينبغى
بحول الله، وقد يسر الله جميع ما نوبناه ورتبنا جميع ما ذكر بحمد الله، وعلى
قواعد الجد والحزم بحمد الله بنينا، ووجهنا حينئذ بعون الله الوجهة لناحية
الغرب، ونهضنا بحول الله ومنتته. وطوله وقوته. يوم تاريخه معتمدين على ما
دعونا الله من تيسيره وتأيينه. ونصره وتسديده. وخيمنا بمحلتنا السعيدة بزواية ابن
ساسى والأحوال بحمد الله صالحة. ونعم الله غادية ورائحة.

ونيتنا إن شاء الله المرور على الطريق التى ورد عليها سيدنا الوالد قدسه الله
هذه المرة الأخيرة على طريق تادلا، ومنها لورديغة، ثم بنى زمور، ثم السماعلة،
ومنها لزعر ومنها بحول الله لزمور، ومنها لمكناس إن شاء الله بحوله وقوته،
وأعلمناكم لتشكروا نعمة المولى. وتشاركوا فى حمده جل وعلا. على ما أسدى
وأولى. وهو المسئول بنبيه ﷺ ومجد وعظم. أن يسر جميع الأمور. فى الورود
والصدور. آمين والسلام فى رابع رمضان المعظم عام تسعين ومائتين وألف».

ثم بدا له لما بارح مراكش المرور على غير الطريق التي عين في هذا المسطور الفخيم لأمر، منها: أن الزمان كان زمن برد وشتاء يصعب بسبب ذلك سلوك ذلك السبيل مع قلة التبن والشعير لعلف الدواب في ذلك الإبان^(١) بتلك القبائل. ومنها تطارح عمال الشاوية وأعيانهم على أعتابه الطاهرة، راغبين في مرور جنابه الشريف ببلادهم لأمر سياسية ومصالح عامة النفع.

ومنها: طلب القائد الغزواني الموسوى عدم مرور الركاب العالى ببلادهم لكونه رجا إصلاح إخوانه الذين خرجوا عليه بحسن السياسة ومرور المحلة ببلادهم تروعهم وتشردهم وتنفرهم، فتبطل طريق السياسة التي سلك معهم ويحتاج الأمر إلى إرغامهم للرجوع للجادة وذلك يؤدي إلى ضياع أموال ونفوس، فرأى أن المصلحة في إسعاف رغبة الجميع وجبر خواطهم، حسبما وقفت على ذلك كله في ظهير مولوى أصدره المترجم للسراج المذكور بتاريخ ١٤ رمضان المذكور، فسار من مراكش لقبيلة السراغنة، ثم البروج، ثم كيسر من بلاد تامسنا، وهناك اتصل به خبر ثورة الغوغاء من أجلاف رعا أهل فاس الدباغين على أمين المستفاد بها أبي عبد الله محمد بن المدنى بنيس ونهبهم لداره وأمتعتهم وهمهم بقتله لولا أن الله عصمه منهم بالاختفاء عنهم في الحمام.

وذلك أنه لما تقررت بيعة المترجم بعاصمة فاس أزيلت المكوس التي كانت موظفة على الأبواب والأسواق، ومن جملة ما كان يؤدي إلى بيع الجلد، وكان الأمين المفوض في ذلك هو أبو عبد الله بنيس المذكور، وكانت له عند السلطان والد المترجم يد ومكانة مكيئة لما اتصف به من رجحان العقل والإصابة في الرأي وعدم التداخل فيما لا يعنيه.

(١) إِيَّانُ الشَّيْءِ: أَوَانُهُ.

ثم فى يوم الجمعة ثالث شعبان اجتمع بنيس الأمين ببعض من كان مرشحا لقبض الوجيبة المتحصلة من فندق بيع الجلد، وكان من أهل النسبة الطاهرة، فأظهر له الضعف وشدة الفاقة، واقترح عليه ترجيع المكس على سوق الجلد ليستعين بما كان يستفيدة من الأجرة على ذلك، وأكثر الإلحاح وشدة الاضطراب، فرق له بنيس وواعده بالرجوع لذلك المحل فى العاجل القريب.

ثم بعد مفارقة الشريف له استشار بنيس بعض أصدقائه وهو الشريف المفضل سيدى الفاطمى الإدريسى، وكان ذا إصابة فى رأى فحذره وأذره وأشار عليه بإرجاء الطالب الملح إلى مقدم صاحب الترجمة، ولا تحدث نفسك بالإقدام على شىء ولو قل، فإن عاقبته محققة الضرر.

فتحقق صدق مقال المستشار وصمم على أن لا يفعل هذا، والطالب لم يزل مُجداً فى الطلب مكثراً فى الإلحاح والترداد إلى أن واعده وعداً غير مخلف، ونبذ التحذير والإنذار وراءه ظهرياً ﴿... لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا...﴾ [الأنفال].

ولما سمع بذلك الدباغون توجهوا لعامل البلد السيد إدريس السراج، وقصوا عليه القصص، فأشار عليهم بالتوجه للقاضى الشريف العلامة مولاي محمد - فتحا - بن عبد الرحمن العلوى، فتوجهوا إليه وطلبوا منه أن يعين لهم من يقيد لهم بيع الجلد بالفندق فأمرهم بأن يختاروا لأنفسهم من يصلح لهم وهو ينفذه لهم، فاختاروا ستة بعد أن فاوض بعضهم البعض فيمن يصلح لذلك.

ولما علم بذلك بنيس توجه إلى القاضى المذكور، وسأله عن السبب فى تعيين الطلبة للسوق المعدة لبيع الجلد، فأجابته بما ذكر، فقال له بنيس: إنى أريد أن أجعل نصف موزونة للمثقال تكون تؤدى عن البيع، فحذره وأذره وذلك يوم الجمعة عاشر شعبان، فانصح الأمين، والتزم أن لا يعود للكلام فى هذا الأمر.

ثم إن الطالب الملح توجه للفندق من عنديّة نفسه وجلس ليقبض المكس فثار الغوغاء وسفلة الأخلاط من الدباغين وتجمهروا، وذهبوا لدار الأمين المذكور لعرض ما ذكر عليه وذلك يوم الأحد ثانی عشر شعبان من السنة، ولما وصلوا لباب داره وجدوا أحد عبيده جالسا هنالك فسألوه عن سيده بلهجة قوية وحالة مرعدة فسبهم وشتّمهم وسد الباب في وجوههم ودخل الدار وأخرج مكحلة وأطلق عمارتها في الهواء ظنا منه أنهم ينزجرون بذلك وتفرق جموعهم الفاسدة، فوجد النهاب السبيل لما أرادوا وتلاحق اللاحق بالسابق وتسلح القوم، واجتمع الغوغاء من كل حدب وصوب، وصمموا على الهجوم على الدار.

ولما كثر الهرج والمرج أتى بعض الجوار بسلايم ونصبها وراء الدرب، وطلب من نساء بنيس أن يخرجن لداره خوفا عليهن من الفضيحة، وأوعز إليهن أن يصبحن معهن ما لهن من الحلوى والمجوهرات والذخائر النفيسة الخفيفة الحمل الغالية الثمن، فأبّينَ ذلك وامتنعن من الخروج، فما شعرن إلا وباب الدرب انفتح، وأبواب الدار تكسرت والضجيج بالغ حده ويران الفتى تنقد فطلع النساء إذ ذاك للسطوح وألقين بأنفسهن لدور الجوار، ودخل النهاب الدار واستولوا على ما بها من النفائس والذخائر والأموال، واستأسدت الذئاب وفقد القوم الشعور، حتى صار المضروب لا يبالي بمن ضربه، ولا يلتفت المجروح لمن جرحه، وهاجت الفتنة بالمدينة وماج الناس بعضهم في بعض وخصوصاً بالقطانين والعقبة الزرقاء.

ولما اتصل الخبر بقاضى الحضرة الفاسية المذكور ركب بغلته وقصد دار بنيس ظنا منه أن أولئك الغوغاء الأخساء يقيمون له وزنا وينصتون لمقاله، ولما وصل الدار لم يلتفت إليه أحد، ولا وقع بصره على من يعرفه وهو بوسط الدار يطوف على جموع تلك الطوائف الضالة الفاقدة للحياء والسمع والبصر، حتى كادت نفسه أن تتلف وهو يعظ ويذكر ويحذر وينذر، فلم يجد ذا أذن واعية، ولا من له قلب يعقل به حتى غشى عليه من شدة الازدحام، وكاد أن يسقط على الأرض وتدوسه

الأجلاف بأقدامها، فحمله بعض من عرفه وأخرجه من الباب الضيقة المقابلة للحوانيت خوفا عليه، وذهب به إليه، إلى أن أوصله لحومة جرنيز، ولم يزل معه إلى أن أفاق من إغمائه، وتيقن أن هذا الخرق لا سبيل لترتقه، هذا كله وبنيس المذكور مختف بحمام ابن عباد بحومة القطنين حيث صادفه الحال يغتسل هنالك .

ولما اتصل بالخليفة السلطاني بفاس مولانا إسماعيل وهو بفاس الجديد، خبر هذه الفتنة المدلهمة، أرسل الباشا الحاج سعيد لإطفاء تلك النيران الموقدة، ويأتيه بالخبر اليقين، والسبب الداعي لإيقاد نيران هذه الفتن ليطير الإعلام بحقيقة الواقع لصاحب الترجمة، وعززه بلفيف من الجند المخزني، فتوجه ودخل الدار بمن معه من أهل النجدة فلم يعبا به أحد، ولم يرفع إليه رأس، ولما رأى أنه لا طاقة له بكف أذاهم رجع من حيث أتى ناجيا بنفسه .

ولما وقع الإتيان على ما كان بالدار من الأثاث والأمتعة بل حتى أواني الخليع والسمن والزيت والدقيق وما أشبه ذلك، أتى عامل البلد الباشا إدريس السراج المذكور راكبا على بغلته، ولما وصل الدار ورام كف أولئك المتمردين باللين في القول لم يبال أحد بمقاله، وأعرضوا عنه إعراضا كليا، وتمادوا على فعلهم الذميم، ورجع الباشا وأعلم الخليفة بما شاهد .

ثم إن أولئك الأوباش لم يكتفوا بنهب الدار التي بالقطنين، بل عمدوا حتى للعرضة التي له بالدوح ونهبوا جميع ما بها، بل أزالوا حتى الأبواب والسراجب وجوائز السقف وخربوها وتركوها بلاقع في أقرب الأوقات وأقصرها .

ولما تم نهب الدارين، وهدأت الأصوات وتفرق معظم تلك الجموع، اجتمع بين العشاءين الشرفاء الأدراسة وغيرهم من الأعيان، وأتوا بنيس وأخرجوه من الحمام وجعلوه وسطهم كأنه واحد منهم وتوجهوا به للحرم الإدريسي، ولما حل به أدخله الشريف أبو حامد العربي الإدريسي لعلو له بزنفة الوادي، ولما اطمأن صار

الناس يفدون عليه يهئونه بسلامة النفس من العطب، ويسلونه عما ضاع من مال ونشب.

وسمع بعض الحاضرين يتحدثون بأن سبب هذا الحادث هو عزمه على رد المكس بفندق الجلد، فحلف يمينا جمع فيها كل الأيمان الراجعة للبتات وغيره، إنه ما أذن في ذلك ولا عزم عليه بمحضر جمع من الأعيان والعلماء، منهم أبو العباس أحمد بن الحاج السلمى صاحب الدر المنتخب المستحسن، الملخصة هذه الواقعة منه وبقي بنيس بالعلو المذكور أياما ثم انتقل لمنار ضريح أبي العلاء مولانا إدريس الأزهر.

ولما رفع للمترجم خبر هذا الحادث الجلل، عقد للقائد إدريس بن العلام على عشرين من الخيل ووجههم بكتاب شريف لكافة أهل فاس، وذلك يوم الخميس ثالث عشرى شعبان العام ووصل لفاس يوم الأربعاء سابع رمضان ومن الغد الذى هو يوم الخميس قرئ الكتاب الكريم على منبر القرويين وفق المقرر المؤلف فى المكاتب السلطانية، ودونك نص ذلك الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«خدامنا الأنجاد، كافة أهل فاس نخص منهم الشرفاء، والعلماء والأعيان والعرفاء، وابن عمنا الفقيه القاضى مولاى محمد بن عبد الرحمن، والعامل الطالب السيد إدريس السراج، وفقكم الله وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنكم منا وإلينا، والمعروفون بالخير والصلاح لدينا، ولكم القدم الثابت فى محبة جانبنا العالى بالله وخدمته والنصيحة له مما لم يكن مثله لجميع الناس، ولم يزل لكم الذكر الجميل فى كل منزل، والأثر الجليل فى كل معضل،

وقد جريتم على سننكم المعهود في جمع الكلمة، وأظهرتم من أثر المحبة والنصيحة والخدمة، ما استوجبتم به علينا غاية الاعتبار والحرمة، وجددتم قديم تلك العهود، وأكدتم صالح تلك العقود، كما ظهر منكم عند وفاة سيدنا الوالد المقدس بالله رحمه الله أصلحكم الله ورضى عنكم.

ثم بلغنا بعد ذلك أن بعض السفهاء ظهر منه طيش وبغى، واستهواهم الشيطان فاتبعوا سبيل الغى، فتمالئوا على خديمنا الأمين الحاج محمد بن المدنى بنيس ونهبوا داره ولم يراعوا ماله بسبب خدمتنا الشريفة من الحقوق، ولا خافوا سطوة الخالق، ولا استحيوا من المخلوق، وذلك لا يجمل الإغضاء عنه ولا السكوت عليه، ونحن على بصيرة فيكم، ونعلم أن أهل الخير والصلاح منكم لا يحبون ذلك ولا يرتضونه ولا يوافقون عليه فى سر ولا علانية لكونه صدر بغته، ولكن السفیه إذا لم يه فيه فهو مأمور.

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم تداركوا هذا الواقع، وقوموا على قدم الجد فى رفاء هذا الخرق قبل أن يتسع على الراقع، واعملوا ما تحبون أن نسمعه عنكم ويجلب لكم رضا الله ورضانا. واسعوا فى مداواة هذا القرع إسراراً وإعلاناً. واعلموا أنكم قدوة لغيركم وإنما ينتظر الناس ما يسمعون عنكم وفى الحديث الشريف: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وها نحن فى الأثر قادمون عليكم بحول الله وقوته، فنحب أن نصل إليكم وصدورنا كما كانت سالمة عليكم ولم يبق من جهتكم سوء ولا مكروه، ونطلب الله لجمعكم الهداية والتوفيق. إلى أقوم طريق فى ٢٢ شعبان عام ١٢٩٠.

ولما تلى هذا الكتاب على مسامع الخاصة والعامة فهم السفهاء منهم غير المقصود، وتوهموا أنه إيعاد لهم وتهديد، وأمر جازم برد ما نهب من دار بنيس، فتجمعوا واجتمعوا وسط مسجد القرويين وخافت الناس الفتنة ثانيا، ومد اليد فى الأسواق ودكاكين التجار، وكثر اللغظ وارتفعت الأصوات، واكتظ المسجد المذكور وما اتصل به من الطرقات بالأخلاق والأوباش، واتخذ المثلون العسس على أبواب دورهم ودكاكينهم، ووقع الناس فى حيص بيص، ودخل المولى محمد القاضى والعامل السراج وبعض الأعيان من العلماء لمقصورة القرويين للمفاوضة فى كيفية مقاومة تيار الغوغاء الذين لا يتدبرون العواقب، وبعد المفاوضة وإمعان النظر فى وجه الخلاص، اتفق رأيهم على أن يوجهوا لبنيس للحرم الإدريسى من يطلب مسامحته فيما نهب من داريه، ويخرج من الحرم آمنا، وعينوا للذهاب إليه الشريف أبا عبد الله محمد بن أحمد الصقلى، وأبا العباس أحمد بن محمد بن الحاج السلمى المذكور آنفا، وبيتا على التوجه إليه صبيحة الغد الذى هو يوم الجمعة، فتوجهوا إليه فى عاشره النهار ووجدوا معه جماعة من الأعيان وطلبوا منه الخلوه معهم ليفضوا إليه بكلام حملاه إليه، فأمرهم بالإفضاء إليه أمام جلسائه بما شاءوا، فسلوه ووعظوه وبالغوا فى استعطافه فى المسامحة، فأبى كل الإباية وصرح لهم بأنه ضاع له أضعاف ما بيت المال.

ولما لم يسعف بنيس رغبة الراغبين، توجه القاضى مولاى محمد صبيحة يوم السبت للخليفة السلطانى مولاى إسماعيل وأخبره بما راج، واقترح عليه أن يوجه للشرفاء وأعيان البلد وعاملها ويعرفهم بأن مراد السلطان فى كتابه لهم إنما هو الإغراء على الانكفاف والزجر عن العود خوفا من أن يقع للغير ما وقع لبنيس، وليس المقصود من الكتاب السلطانى رد ما نهب الناهبون.

فأرسل الخليفة المذكور بالأمر بالحضور لمن ذكر فحضر القاضى والشرفاء والأعيان، ولم يحضر العامل لتوهمه أن ذلك الاستدعاء شبكة نصبت للقبض عليهم وجعلهم فى الأغلال والسلاسل والتوجيه بهم للحضرة السلطانية على أقبح الحالات.

فتحزب وجمع عليه ما يزيد على ثلاثمائة من الرماة وطلع لقصبة أبى الجلود يريد الدار العالية وهو راكب بغلته والرماة محدقة به وباقى الأخلاط الزائدة عن العد منتشرة بالأزقة والطرق الموصلة للقصور السلطانية حيث الخليفة السلطانى، ولما سمع الخليفة المولى إسماعيل بذلك وجه للسراج وأمنه وشرح القصد من جمعهم، فلم يثق هو ولا من معه بأمان الخليفة ولا مقاله، فراجع الخليفة وأقسم له بالأيمان اللازمة وأعطاه عهدا وموآثيق على أنه لا يرى ولا يسمع ما يكدر باله، وإنما مراده بهذا الجمع الإصلاح وتسكين الروعة وتفهم من لم يفهم، فلم ينفع فى السراج وأحزابه من ذلك شىء، وتمادوا على الامتناع والإبابة، وازداد اللغظ والهرج والمرج والضجيج ووقع التشاجر والتخالف حتى كاد أن يقع الضرب بالبارود، ورعب السراج وخاف لحوق الأذى عاجلا والمسئولية آجلا ورجع لداره بعد عناء شديد.

ثم وجه للخليفة مولاي إسماعيل وقال له: إن كنت فى قصدك صادقا فانزل لمسجد أبى الجنود وبه يكون اجتماعنا والمفاوضة فيما تريد، فحذر القاضى والعلماء مولاي إسماعيل من التوجه للمسجد المذكور لاختلاط الحابل بالنابل واشتداد شوكة السفهاء سخفة العقول الذين اعتقدوا أن الحل والربط صار بأيديهم، ورأوا أن يكتب الخليفة للسراج كتابا يشرح له فيه مراد السلطان من الكتاب الذى قرئ على منبر القرويين وفهمه العامة على غير وجهه، فاستحسن الخليفة رأيهم وكتب الكتاب بما ذكر، ووجه به للسراج مع العلماء والأعيان الذين كانوا بأبواب القصور

السلطانية ظنا منهم أن المألا لا زالوا بأبي الجنود، ولما توجهوا بالكتاب وجدوا الجموع تفرقت بعضها ذهب مع السراج لحراسته بداره، والبعض الآخر للحرم الإدريسي بقصد قتل بنيس، فرجعوا بكتابهم إلى الخليفة وقصوا عليه القصص، فأشار القاضى بتوجيه الكتاب المذكور للسراج بداره وأن يؤمر بقراءته على منبر القرويين، فاستحسن رأيه .

ووجه بالكتاب للسراج لداره فقام مظهرا بالامثال لتنفيذ ما أمر به، فبلغه فى أثناء الطريق أن البارود وقع بمولانا إدريس، فرجع لداره قائلا: لا أذهب لثلا يشتد الأمر ويقول الناس أنا المتسبب فى ذلك والمغرى عليه .

وأما الأوباش الذين توجهوا لقتل بنيس بمولانا إدريس فإن عاصف ربح التخالف نفخ فيهم أثناء الطريق، وفرقهم أى تفريق، ولم يصل منهم للحرم الإدريسي إلا النزر القليل، ولما رأى ذلك الشرفاء الأدراسة وأنصارهم، سدوا جميع أبواب الحرم وتقلدوا أسلحتهم وارتقوا لسطح الحرم والسطوح المجاورة له، وأخرج الشرفاء المذكورون بنيس من المحل الذى كان به وأنزلوه بشماسة وطاقة من شماسات قبة الضريح، وجعلوا عليه حراسة كافية وأطلقوا البارود من السطوح، فأصاب بعض الضعفاء .

وضح من لا خلاق له من السفهاء وطلعوا للسطوح العالية المشرفة على سطح الحرم الإدريسي لقتل جميع من راج به، ففر جميع من كان بها، وتعذر على الناس المرور فى الأزقة حتى إن رجلا درقاويا كان من الرماة يبيع شاربات، قال: اتركونى أصعد لبرج القرويين وأقابل سطح مولانا إدريس وكل من ظهر به أرميه بالرصاص وأقتله، فأجابه العقلاء بأن حرم مولانا إدريس هو حرم للمغرب بأسره. لا لخصوص الأدراسة القائمين بأمره، فوالله لا نترك أحدا يؤذى به من المحتمين بحماه .

ثم وقف القاضى ومعه جماعة عشية ذلك اليوم وقوف الأبطال، وكفوا السفهاء عما أرادوا، وتوجهوا للحرم الإدريسى من جهة الحمام، ونهى القاضى الأدراسة عن العود لإخراج البارود وسكنت الروعة فى ذلك الحين، وبقي الحرم الإدريسى مغلق الأبواب والعسة على بنيس قائمة على ساق، وهذا كله فى يوم السبت .

ولما أصبح يوم الأحد رام الأخلاط ومن لا خلاق له مدَّ يدِ النهب فى الأسواق والدكاكين، وحمل جل التجار سلعهم لدورهم، وجعلوا على أبوابهم وسطوحهم العسس الكافية، وازداد الأمر شدة والطين بلة، والقاضى والعلماء وجلة الناس ووجهائهم يُدبرون فى كيفية إطفاء هذه النار الموقدة المتطايرة الشرر .

فجاءوا الأدراسة بحرم جدتهم مولانا إدريس وأمروهم بفتح الحرم فأذعنوا لذلك، ورجع القاضى ومن معه للقرويين واجتمعوا بعامة الناس وخاصتهم، وتصدر القاضى لشرح الحقيقة والواقع فى كتاب السلطان ومراد خليفته ووعظ وذكر . وحذر وأنذر . وخَوْفَ بَأْسِ السلطان وسطوته، وضمن لهم أن لا يروا من السلطان إن هم أذعنوا وأطاعوا ما يكرهون، ولا يعنف أحداً منهم، فرضوا بذلك والتزموه .

وحيثُذ رجع القاضى بمن فى معيته للحرم الإدريسى، وأخبروا الأدراسة بالواقع، ففتحوا الأبواب وانكشف كثيف ما كان من سحب الأهوال، ووضعت الفتن أوزارها، ويزغت شمس الأمن بأرجاء القلوب . انتهى . ملخصاً من الدر المنتخب وجله بالمعنى .

وفى صبيحة يوم الخميس تاسع عشرى رمضان حل برباط الفتح وأقام به سنة عيد الفطر وغمر الجند والأيتام والأرامل والأشراف والعلماء وذوى الحثيات

والأعيان وسائر الموظفين الدينيين وغيرهم، وختم صحيح الإمام البخارى، وكان شيخ مجلسه الحديثى السيد المهدي بن الطالب بن سودة المرى قاضى الحضرة المكناسية، وحضر ذلك الختم جم غفير من القضاة والعلماء والأعيان ووفود القبائل المغربية كالواردين بالبيعة الكريمة من فاس، وقيل فى ختمه ذلك من الأماديج نيف وخمسون قصيدة، أجاز عليها أصحابها كل بما يستحق.

من تلك القصائد قصيدة الفقيه الكاتب الأديب البليغ الأبرع أبى العلاء إدريس بن محمد بن إدريس العمراوى ونصها:

وندا التعرف بالمواهب هام	أرج القبول من المهيمن نام
من مجلس قد جل فى الإعظام	وشذا الرضا هبت لنا نفحاته
من طيبهم كالزهر فى الأكمام	حفت به أعلامهم فتراهم
أعظم به من مجلس ومقام	بمقام مولانا الإمام تالأأت
وفت مواعده بحسن ختام	فبه البخارى الجليل جنابه
برواته وقدراته الأعلام	فأمدُّ أكَفِّكَ سائلا متوسلا
تنل المؤمل من حبا العلام	واضرع بباب الله عند ختامه
وإجابة ومنال كل مرام	واعلم بأنك فى مواطن رفعة
فى السابقين إليه باستسلام	باب الإجابة منه يقرع فلتكن
إلا وعاد بنائل متسام	ما أمه ذو حاجة فى معضل
ذهبت مخافته مع الآتام	أو خائف نال الأمان بسرده
هم فى سما العليا بدور تمام	فالهج به ورواته عدد تجد
يمحو عن الأوهام كل ظلام	فهم الأئمة والسراة ونورهم

أمن الورى من سائر الأتقام
تتلى محاسنهم على الأيام
إذ أوضحو معناه للأفهام
حبر ابن إسماعيل خير إمام
حاز التقدّم فى ذرى الإسلام
وحمى من الأضلال والأوهام
صوب الحيا من هاطل أو هام
حسن الخصال بأحسن الإنعام
وأقر عين العلم فى ذا العام
مذ قام بالتيسير خير قيام
من خلفها ويمينها وأمام
وسطا به كالماجد الضرغام
والكفر فى ذل وفى إرغام
وبه الأمان بذى المغارب نام
فالهند يتلو فخره بالشام
سنية مهديّة أعلام
غر الوجوه مطهرو الأجسام
يزدان فى الجدران والآطام
لم يلوه للمنع قول ملام

وهم ذوو القرب الذين بذكرهم
أهل الحديث الفائزون بحفظه
ودعا الرسول منضر لوجوههم
وأميرهم فى المعلومات إمامنا ال
جمع الصحيح الجامع الحق الذى
ومحا عن الدين الحنيفى القذى
وبنى معاهده المنيعة ديمة
وجزى الإله أميرنا العدل الرضا ال
نهج السبيل المستقيم بسرده
أحيا مآثر صالحى آبائه
حاط الشريعة بالسياسة فائزا
وأباد جاحدها بعزم نافذ
مولى به الإسلام أصبح ظاهرا
مولى به ابتهج الزمان وأهله
مولى بطيب حديثه افتخر العلا
من عصابة نبوية علوية
نور النبوة واضح من بشرهم
لألاء غرته الكريمة ساطع
ويمينه السخاء ضامنة الغنى

ليث العدا غيث الندى رحب المَدَى
 من لى بحصر مديحه فى مهيع
 أم كيف أسبح فى خليج صفاته
 لكننى آتى بمقدور على
 فلتهن مولانا الإمام مآثر
 وليهنه ما نال من أجر ومن
 وليهنه شهر الصيام وما بدا
 وليهنه العيد السعيد فإنه
 أبقاه مولانا لجبر عبده
 وأطال فى سعد ويمن عمره
 وبجاه مولانا الرسول سألته
 وبنيه والأصهار والأزواج وال
 أن يجعل الفتح المبين ملازما
 وعليه من ربي السلام تحية
 والآل والأصحاب أهل وداده
 علم الهدى ومواصل الأرحام
 كلا ولو كان الفضا أقلام
 حاشا ولو عد النجوم نظام
 وسعى وأرهف فى الثناء حسام
 قد حازها من وافر الأقسام
 ذخر ومن فضل ومن إكرام
 فيه له من قربة وقيام
 عيد يعود بكل خير نام
 وأناله نصرا مدى الأعوام
 سامى اللواء مثبت الأقدام
 وحديثه العالى وخير عصام
 أتباع والأنصار والأعمام
 لركابه فى مظعن ومقام
 فاقت شذا مسك وريح خزام
 ما جال فى الأسماع صفو كلام

واحتفل بهذا الختم احتفالاً لم ير الرءون مثله حتى كان الطيب كالسحاب
 المتكاثف وعدد أصناف الأطعمة الفاخرة.

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من شوال خرج من الرباط قاصدا مكناسة
 الزيتون، حيث اتصل به خبر قيام المولى سليمان المدعو الكبير بن عبد الرحمن بن

السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، الذي جاء من سجلماسة يطلب الملك اقتداء بأبيه من قبله الذي كان ثار أوائل دولة والد المترجم فلم تنجح مساعيه. وبقي يجوب البلاد البربرية وأطماعه الأشعبية تعده وتمنيه. إلى أن كانت عاقبة أمره سجننا طويلا، إذ لما حل المترجم بالصفافة من قبيلة بنى حسن بلغه خبر القبض على القائم المذكور بقبيلة بنى سادن أو آيت يوسى والتوجيه به سجيننا للخليفة السلطاني بفاس، وهو إذ ذاك أخو المترجم المولى إسماعيل وكتب بشرح ذلك لسائر إيالته ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة والافتتاح:

«وبعد: فإن عبد الكبير بن عبد الرحمن الذى سولت له نفسه ما سولت من الرأى المنكوس. والحظ المعكوس. كان تحزب بشياطين وأوباش من برابرة بنى مجيلد، وأتوا به لآيت عياش قرب فاس، فلما سمع بذلك خدامنا أهل فاس وأخواننا شراكة وغيرهم من الجيش السوسى وقبائل الصلاح، قاموا على ساق فى طرده وإبعاده. ونفيه من ساحتهم وتشتيت رماده. وقابلوه بالنكاية والوبال. ورأى منهم ما لم يخطر له ببال. ورجع بِخُفَى حَيْنٍ^(١)، ثم بعد الطرد والإبعاد لم يبال. بما هو عليه من سوء الحال، ولا أقلع عما طمع فيه من المحال، ولا انتبه من نومته، ولا أفاق من سكرته، وبقي على دورانه عند البربر إلى أن ختم مطافه بالوصول لآيت يوسى فحكّم الله فيه هنالك وأتى به مقبوضا عليه وذهب ريحه وسقط فى أيدي^(٢) من كان آواه من البربر وحصلوا كلهم على الخسران. والخزى والخذلان.

وها الفتان مثقف تحت يد أختينا مولاي إسماعيل حفظه الله فالحمد لله حق

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «رجع بخف حنين» وهو مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخفية.

(٢) فى المطبوع: «فى أيد من كان» . .

حمده . ولا نعمة إلا من عنده . وهو المسئول بنبينا ﷺ ومجد وعظم . أن يؤدي عنا وعن المسلمين شكر نعمته . وأن يجرينا على ما عودنا من جزيل فضله ومنته .

هذا وقد كتبنا لكم هذا بعد ما خيمنا بحول الله ببلاد الصفاقة من بنى حسن ومحلتنا المظفرة بالله محفوفة بالنصر والعز بحمد الله ، وأعلامنا المنصورة بالله رياح السعادة واليمن تسوقها ، والأرياح تكفل بها سوقها ، وقد أعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح بما خول مولانا جل وعلا من عظيم نعمه ، فله الحمد وله المنة والسلام في ٢٣ من شوال عام ١٢٩٠» .

قلت: ثم بعد مكث الثائر في السجن يرفل في قيود الهوان والصغار أمداً بعيداً عفا عنه المترجم وسرحه وأكرم مثواه، وأجرى عليه جناية تليق بأمثاله من أفراد العائلة .

وقد عقد صاحب الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية وهو العلامة الحسن بن عبد الرحمن السملالي فصلا خاصا بثورة مولاى الكبير، وخالصة ما ذكره أن اسمه سليمان، وأنه لقب بالكبير لأنه أكبر إخوته، وأنه اقتدى في ثورته على مولاى الحسن بأبيه مولاى عبد الرحمن بن سليمان حين ثار على سيدى محمد بن عبد الرحمن والد مولاى عبد الرحمن لاستصغاره إياه سنا وعقلا، فإنه خرج من تافيلالت ولما وصل «القصابى» بعث بريداً لإعلام أهل فاس بأمره فأجابوه بالموافقة واستحثوه في السير قبل مجيء السلطان من مراکش، وواعدوه باللقاء في صفرو، متى نزل بها، فلما نزلها أخلفوا وعدهم معه وأبوا أن يخرجوا إليه حتى يصل إليهم، ولكنه لما وصل ظهر المهراز مع أتباعه البرابر وجد أمامه الباشا فرجى قد خرج للقائهم لما تواترت^(١) أخبارهم، وكان ذا رأى وحرب وتديبر، فمزق جيشه أصحاب مولاى عبد الرحمن، واستلبوا خيلهم وبغالهم وأسلحتهم، وكاد المولى عبد الرحمن يقبض .

(١) تحرف في المطبوع إلى: «تواترت» بالثاء المثلثة .

فلما تبدد أتباع المولى عبد الرحمن ذهب ولده مولاي الكبير هذا في اثني عشر فارسا لاستصراخ بعض الفرنسيين النازلين وقتلوا على بنى يزناسن لأمر بينهم، فوافقوه على الانتصار له، أى بعد أن تظلم إليهم ووعدهم المغانم، وأكرموا نزوله عند المسمى عبد القادر بن داود، وأوصوا هذا بمرافقته لوهرا، ثم ارتحلوا عن بنى يزناسن إلى وجدة متهمين أهلها بمالأة بنى بزناسن، ووظفوا عليهم ذعيرة يدفعونها في أجل ثلاثة أيام فدفعوها.

وارتحل الفرنسيون عنهم لتلمسان، فكان أول عمل لهم بها أن ضربوا السلك لملكهم يخبرونه بأمرهم مع مولاي الكبير، وأنهم قبلوا ما عرضه عليهم من النجدة والانتصار، فأجابهم بإنكار عملهم هذا وعاتبهم عليه فندموا على ما فعلوا إلا واحداً منهم يقال له «القبطان عك» حاكم عرب وهران، كان هو المشير بقبول الانتصار، فإنه أكد على عبد القادر بن داود فى إكرام ضيفه، فبقى مولاي الكبير عندهم أربعة أشهر إلى أن كانت نتيجة مساعى عك وغيره أن أعين بأربعة آلاف ريال له وألف لأصحابه يدفعها لهم بعض الأغوات إن مروا به ويرجعوا لوطنهم.

فخرج مولاي الكبير من وهران، وأخذ ما ذكر ورجع لوطنه فبقى به ونفسه متعلقة بالملك، إلى أن سمع بموت السلطان سيدى محمد فأراد انتهاز الفرصة فسافر من أهله بعد أن سمع ببيعة مولاي الحسن، واجتمعت عليه البرابر وغيرهم، وسار إلى أن نزل بأيت عياش فتهافت عليه البربر والعرب - وكان مولاي الحسن يومئذ برباط الفتح - وبقى بها مدة ووفود البربر تذهب وتجيء وتبشر من وراءها بخبره، فاجتمع عنده خلق كثير من بنى مكيلد، وبنى مطير، والغرابة، زيادة على من كان عنده، فاستكثر الغرابة عدد أتباعه وراودوه هو وإياهم على أن يعينوهم على قائدهم «محمد اسعيد ابربر»، فاعتذروا ووعدهم بالانتصار لهم بعد تمام الأمر، ولكنهم لم ييأسوا بل ألحوا عليه وعلى البربر وهم يجيبونهم بأن زمامهم بيد الشريف.

وسمع المولى إسماعيل بنزول المولى الكبير بذلك الموضع بتنبئه كان عنده على ذلك، فأرسل إليه الشريف سيدى محمد بن محمد الأمرانى آتى الترجمة لمعرفة بلغة البربر واطلاعه فى جل الأمور على مقاصدهم ليعظه ويذكره بفشل قضية أبيه، وأنه كان منتهى أمره أن خرج من أرض السلف إلى (صفطل) وهو محل بنى مكيلد، ففعل ذلك ووعده بصلة يأتیه بها من مولای إسماعيل، فاتعظ وتذكر ورجع الأمرانى بعد أن شرط عليه أن يمكث بمحله حتى يعود إليه، فلما بعد عن ذلك المحل وجد رجالا من الغرابة فأخبروه بامتناع مولای الكبير من نصرتهم وطلبوا منه التوسط بينهم وبين مولای إسماعيل ليطلب من مولای الحسن إنقاذهم مما هم فيه مع (محمد اسعيد ابربر) لأنه أطلق عليهم إخوانه آيت حلى فنهبوا أموالهم ومزقوا أعراضهم، وتكفلوا للسلطان بأمر مولای الكبير حتى يسلموه إياه حيا أو ميتا.

فسار بهم الأمرانى معه لفاس، فلما التقى بالخليفة أخبره بما كان منه مع مولای الكبير وما كان من الغرابة فاستصوب عمله مع هؤلاء وقبل طلبهم والتزم الوفاء به كما التزم الغرابة الوفاء بقولهم، ولكنهم لما رجعوا وجدوا قومهم قد عرقبوا على مولای الكبير وأصحابه ساعة غيبتهم، فسار معهم وانتقل من الدار التى كان بها إلى دار قريبة من آيت حلى، أما الأمرانى فإنه رجع بغير صلة لما كان من أمره مع الغرابة فوجد مولای الكبير قد خالف شرط عدم الارتحال، فاتخذة عذراً لعدم الإتيان بما وعد، فلما التقيا لامة على الارتحال فأجابه مولای الكبير بما يخالف ما كان بينهما: إن هذا ملك أبى وجدى فلا أسلم فيه، فسكت الأمرانى فرحا بظهور النكت من جانب الآخر معتمدا على ما أبرمه مع الغرابة، ورجع وتركه وكان محمد اسعيد، قد استعد مع إخوانه آيت حلى لمقابلة الضاربيين على حللهم، وتواصلوا على مكيدة دبروها.

فلما دنت الغرابة ومن معها من حلى آيت حلى حملوا عليها فانهزم محمد اسعيد واشتغل الغرابة بالنهب وتشتتوا فى الحلى، فلما رأى منهم ذلك كر عليهم بقومه ثم هزموهم وغنموا منهم وحزوا.

وكان مولاي الكبير قد بقى فى الدار لم يركب هو وشردمة من آيت مرغاد، وآيت حديدو، وأهل الخنك ينتظر أنباء سريته ودخولها صفر، وجلب المساجين.

فلما رأى ما رأى خاف وأمر بقلع الخزينة وركب هو ومن تبعه وقصدوا دار الشريف سيدى أحمد بن عبد الجليل الوزانى فنجاه الله من الغرابة؛ لأنهم لما انهزموا ساروا إليه يريدون أن ينفذوا فيه ما اتفقوا عليه مع الأمرانى فى شأنه ليتمكنوا بعد ذلك من محمد اسعيد، فاقتفوا أثره جهة سبو فوجدوه قد عبره ونزل هو عند الشريف إلى انتصاف الليل، فطرقهم أعراب الحياينة وبنو سدن وبنو وراين وآيت شغروشن وأحدقوا بالدار، فلما خرج لهم ربها قالوا إنا قد جئنا لنبايع سلطاننا الذى دخل دارك فاطلب منه أن يخرج حتى نبايعه ثم يعود إليها، فلما خرج إليهم أخذوا بيده وعاهدوه وأمروا رب الدار أن لا يخرج حتى يراهم، فلما ذهبوا ورجع لمحله ندم على ما صدر منه وتيقن القبض لا محالة، فكتب للأمرانى يستحضره هو ومولاي عبد السلام العدوى لإتمام ما تحدثوا به فى آيت عياش، فلما وصل الكتاب أخرجهما مولاي إسماعيل حالا مع فضول الرامى مقدم مولاي إدريس إليه، فلما وصلوا امتنع من الذهاب معهم لفاس إلا إذا حضرت لوحة مولاي إدريس أو الدليل أو السبحة، فأرسلوا فى ذلك فوجه لهم به وباتوا ليلتهم تلك، فلما أصبحوا توجهوا لفاس.

وكتب الشريف رب الدار وعمه السيد إدريس بن زين العابدين للسلطان وهو حيثئذ بالرباط يطلبون أن لا تخفر لهم ذمة بمولاي الكبير، فأجابهما السلطان لذلك، فلما وصل لفاس البيضاء أمر الخليفة بإنزاله بدار بودلاحة أمارة على

سجنه؛ لأنه أول قفص من أقفاص الامتحان، ثم قال السلمالى ما نصه: وكان سفهاء الأحلام حين سمعوا بتوجهه تشوفوا إليه وتلقوه خارج المدينة، وقصدوا مشافهته بما توسوست به نفوسهم من الأمانى الكاذبة، فأتوا إليه فى محله أفواجا ظنا منهم أن النزول نزول إكرام واستراحة ولم يعلموا أنه نزول نكال وعقوبة، فمنعهم الرقيب من الدخول فردهم خاسئين، والرقيب هو الباشا الحاج سعيد بن فرجى .

فسمع هو بذلك فتيقن أنه مسجون، وأن رأيه خاب وخسر، ثم بقى بدار بودلاحة إلى أن قامت قضية ابن المدنى بنيس فنقل لسجن الدكاكين ونزل بها بنيس .

قلت: ثم نهض من الصفافة إلى دار ابن العامرى وأوقع بأولاد يحيى فريق من بنى حسن وقعة شنيعة كادت أن تخص منهم كل شىء، وألزمهم غرامة طائلة عقوبة لهم على ما أجرموه من الافتيات على عاملهم عبد القادر بن أحمد وهد داره ونهب أمتعته، وسعيهم فى الأرض الفساد، ثم ظعن ووجهته مكناسة ومر فى طريقه على الزاوية الإدريسية الزهونية .

وكان حلوله بدار الملك عاصمة سلفه الأكرمين مكناسة الزيتون سابع ذى القعدة، وأقام بها سنة عيد الأضحى ووصل أشرافها وأعلامها وسائر ذوى الحثيات بها بصلات وعوائد، وبالغ فى الإحسان للضعفاء والأيتام .

ثم وجه جيشه لقمع متمردة بنى مطير ومن انضم إليهم وانخرط فى سلوكهم من العصاة كمجاط، وبنى مجيلد، وآيت يوسى، فنالت منهم بعد أن كانت الحرب سجالا .

ولما لم يكتف بذلك فى تأديبهم خرج إليهم بنفسه فى جيوش جرارة لاستئصال شأفة بغيهم وعيشتهم وعيشتهم وإيذائهم بالمارة، فسقاهم كأسا دهاقا من

القهر والغلبة، وأحاط بهم جيوشه إحاطة السوار بالمعصم، واقتحم عليهم معاقلمهم ومحال منعتهم، إلى أن دخل فم الخنيق أول بلاد بنى مجيلد وقبض منهم على عدد وافر من المساجين، بعد أن ترك قتلاهم صرعى للذئب والنسور مرعى، ولما بارت منهم الحيل وعجزوا عن المقاومة والدفاع وحق بهم سوء ما عملوا، ورأوا أنه لا منجى ولا ملجأ لهم، قدموا طاعتهم صاغرين وأتوا بصبيتهم ونسائهم متشفعين، وعمما اقترفوه بالتوبة النصوح معلنين، فقبل توبتهم وعفا عفو قادر عنهم، وذلك منتصف محرم فاتح عام واحد وتسعين ومائتين وألف.

ثم رجع للعاصمة المكناسية وأقام بها، وفي يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى منها ظعن لفاس، ولما خيم بصفة وادى النجا خرج لاستقباله لفيف من الأشراف والموظفين والأعيان والكبراء، فأكرم وفادتهم ومثواهم وهش وبش فسروا واستبشروا، وفي صبيحة يوم الخميس سادس ربيع المذكور حل بها وكان ذلك اليوم يوما مشهوداً وفدت عليه فيه للتحية وتقديم مراسم التهئة المؤذنة بإخلاص الطاعة الأشراف والعلماء والأعيان ومن بها من الجنود على اختلاف الطبقات، وأقام بها حفلة عيد المولد النبوى ووفدت عليه فيها وفود أعيان القبائل مع قوادها بالهدايا ذات البال وفق العادة المألوفة والعرف الجارى.

وفي يوم الخميس - على ما فى بستان السباعى والذى فى الاستقصا يوم الثلاثاء - رابع ربيع الثانى من السنة أمر المترجم أمينه أبا العباس أحمد بن شقرون المراكشى بترتيب الوظيف المرتب على أبواب فاس وأسواقها وفق ما كان فى حياة والده، وذلك أواخر شوال العام، فثقل ذلك على الدباغين ومرضوا فيه وأعلنوا بالتمرد والعصيان، وخلع ربة الطاعة من أعناقهم، إذ أعجبتهم كثرتهم، وامتنعوا من أداء الوجبة الواجبة عن بيع الجلد، وآل الأمر إلى إشهار السلاح والمبارزة والكفاح والصعود إلى المنارات المطلة على المدينة البيضاء فاس الجديد، ورمى المارة بالسبل الموصلة إليه، وصار الرصاص يتساقط ببطحاء أبى الجلود.

فعند ذلك أمر السلطان بمقابلتهم على قدر جريمتهم، فطافت بهم العساكر ورموهم بالكور من كل ناحية، ثم اقتحمت طائفة من العسكر سور فاس من جهة الطالعة وأخذوا فى النهب والقتل وعظم الخطب واشتد الكرب، وفى أثناء ذلك بعث السلطان وزيره أبا عبد الله الصفار يعظهم ويعرض عليهم الأمان بشرط التوبة والرجوع إلى الطاعة، فأذعنوا وامتلوا وانطفأت نار الفتنة الملعون موقدها.

هذا ولم تكد نيران الفتن تسكن برحاب فاس حتى استفحل داء الثائر الفتان بوعزى بن عبد القادر العامرى الشركاوى المدعو الهبرى نسبة إلى بلدته هبرى - بالقصر بين أم العساكر ومستغانم - وكان ظهور هذا الفتان فى أيام سيدى محمد سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف فى أنكاد ثم شتت جموعه.

فلما بويع مولاي الحسن ظهر ثانية فى غياثة واجتمعت عليه التسول والبرانس والحيانة وبنو وراين وكزناية وأولاد بريمة وآيت شغروشن وبنو سدن فنهض المترجم ثانيا فى عام واحد وتسعين ومائتين وألف لقطع جرثومة الفساد خوف الانتشار والاستفحال والضرب على أيدي الساعين فى إيقاد نيران الفتن، فاستأصل شأفة متمردي بنى سادن وآيت شغروشن.

وبعد أن طهر البقاع من سماسرة الفتن توجه لبلاد الحياينة ثم مدينة تازا فدخلها وكان عاملها إذ ذاك الباشا عبد الرحمن بن الشليح الشراى الزرارى، وبعد استراحة الجنود المظفرة هجمت على المارق الهبرى المذكور وألقت القبض عليه، وأتى به للمترجم حقيراً ذليلاً فشهر وطيف به على جمل، ثم وجه به سجيناً لفاس وبقي فيه إلى أن نقل لمراكش فمات فى الطريق.

ونهض صاحب الترجمة من تازا ووجهته القبائل الريفية وجعل طريقه على عين زورة، ولما وصل لقصبة سلوان أدركه عيد الفطر فأقام بها سنة عيد الفطر، ووجه على عامل وجدة القائد قدور حيطوط الجامعى وأمره بتأمين الحاج محمد

ولد البشير ومسعود الزيناسنى وأصحابه معه فوردوا عليه بالقصبة المذكورة، ولما مثلاً بين يديه عزل حيطوط المذكور عن عمالة وجدة، وولى مكانه ولد البشير امسعود حيث رأى أن إطفاء نيران تلك النواحي لا يتم إلا بذلك، فانقلب المترجم لفاس على طريقه بعد أن وجه لوجدة عاملها الجديد، وأمر العامل المنزوع بمصاحبة ركابه الشريف ونهض بجنوده الحرارة قاصداً فاساً، ولما وصل عقبه موكة المحل الشهير بمكناسة تراكمت الأمطار وتكاثف الوحل وحصل لتلك المحال بسبب ذلك مشاق عظيمة، وأصيبت بخسائر جسيمة.

ولما حل المترجم بفاس وفدت عليه وفود التهاني لقصوره العامرة، ولما استقر به النوى أوقع القبض على الحاج محمد أومنو السوسى قائد الطابور السوسى ووجه به سجيناً لتطوان، وولى مكانه على العسكر المذكور الحاج على السوسى الباعمرانى، ثم رشح لعمالة طنجة القائد الجيلانى بن حم، ولعمالة فاس السيد عبد الله بن أحمد.

وبأثر ذلك عقد لأخيه المولى علىّ علىّ محلة لا يستهان بها، ووجه لاستخلاص المترتب على القبائل الريفية والقبائل القاطنة بنواحي تازا، ووجدة، وأسند قيادة تلك المحلة لباشا تازا القائد عبد الرحمن الزرارى، فاستاء جل القبائل وبالأخص المجاورة لوجدة وأنف عاملها ابن البشير من الرضوخ لأوامره، فكانت المحلة كلما أشرفت على قبيلة اشترط أهلها عدم دخول الرئيس المذكور لترايبهم والتزامهم بالقيام بواجب المحلة ومقابلة أخى السلطان المولى على المذكور بما يليق به من الحفاوة والإجلال والخضوع والطاعة لأوامره.

وقد كان ابن البشير تجمهر مع عدة قبائل وصمم على العصيان وشق عصا الطاعة أنفة من رئاسة عامل تازا المذكور على المحلة دونه، إذ قد كانت بينهما

المنافسة والعداوة والبغضاء بالغة منتهاها، يطمع كل واحد منهما في ضم حكومة الآخر لحكومته، ويرى كل أنه الأحق والأولى بالتفرد بالرياسة.

ولما سارت المحلة على طريق أنكاد قاصدة وجدة، قام في وجهها ابن البشير المذكور في جموعه ذات العدة والعدد، وناوشها القتال فرعبت ورأت أنها لا طاقة لها بمقاومة تلك الأحزاب، وأنه لا أنجح لها من الرجوع إلى فاس فرجعت وأخر شعبان، والسلطان المترجم في نزهة شعبانة بدار دبيغ، وقص عليه القصص إخوة المولى على، فأسرهما في نفسه، وكانت مدة مقامه بفاس ثمانية أشهر.

ثم بعد مدة من رجوع المحلة نهض صاحب الترجمة من فاس لتفقد أحوال رعيته، وذلك منتصف رمضان من السنة فحل بالعاصمة المكناسية، وعزل محتسبها الحاج الطيب غريط المدعو كسكاس وولى مكانه الطالب المختار بادو.

ثم بارحها إلى رباط الفتح، ولما خيم بضواحيه بالمحل المعروف بقرميم بلغه أن هلال عيد الفطر قد ثبت فارتحل ليلا ونزل خارج البلد وأقام سنة العيد قبل دخوله لقصره الفاخر العامر، وبعد ذلك دخل في موكبه عشية اليوم ترقب الهلال بنفسه وأمر العدول والأعيان من حاشيته برصده وكان الجو صافيا صقيلا فلم يظهر الهلال، فأمر باستئناف الصيام وسجن الشهود الذين زعموا رؤيته، وكان القاضى إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن إبراهيم.

ثم نهض المترجم إلى زاوية ابن ساسى وخيم بها ستة عشر يوما، ووظف على الرحامنة أمولا طائلة، وفرض عليهم الخيل وألزمهم إعطاء العسكر تأديبا لهم على جرم أجرموه، ولم يبارح الزاوية المذكورة حتى أدوا جميع ما وطف عليهم وألزموا به.

وبعد ذلك نهض للحضرة المراكشية، فدخلها آخر ذى القعدة الحرام، وكان يوم دخوله لها من أزهر الأعياد وأبهر المواسم.

وفى ربيع ذى الحجة أوقع القبض على مائتين وثمانين نفرا من رؤساء أولاد
أبى السباع الذين كانوا خرجوا على عاملهم عبد الله بن بلعيد، وعاثوا على القائد
العربى الرحمانى فى شردمة من الخيل، فنزل بها عليهم وألزمهم أداء ستين ألف
ريال ذعيرة لهم على التمرد وإيقاد نيران الفتن، فلم يسعهم إلا بيع ماشيتهم
بأبخس الأثمان وأداء الموظف عليهم عن يد وهم صاغرون، ورد عليهم عاملهم
ابن بلعيد المذكور وهم له كارهون، فلم يكن لهم بد من الخضوع والرضوخ
للطاعة، ولم يزل المترجم مجدا فى الاستعداد لكسر شوكة كل من بغى وتمرد
وجمع العساكر من القبائل إلى أواخر صفر من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف.

وفى هذا التاريخ وفد عليه أبو عبد الله محمد الكندافى^(١) فى صاحب جبل
تممل، أحد أشياخ تلك القبيلة الذى كان وشى به للمترجم عامله أحمد بن
مالك، وأشاع عنه أنه خلع ربة طاعة السلطان من عنقه، وأنه يحاول الدعاء
لنفسه، وطلب ملك سلفه من قبله.

ولم يزل يوسوس للسلطان المترجم حتى أوغر عليه صدره وأمره بالقبض
عليه، فاعتقد ابن مالك أنه حصل على ضالته المشودة، ووجه له فئة من الجند
فأوقع بها الكندافى، شرّ وقعة، إلا ما كان من الجيش السلطانى فإنه لم يمسه
بسوء.

فوجد ابن مالك متسعا لترويح أرجافه، وكتب للمترجم بما يزيد حنقا على
الكتنافى، وبعد الواقعة وجه الكندافى ولده للحضرة السلطانية بفاس وشرح له
حقيقة الواقع وعرفه بأنه من المطيعين المخلصين، وبما يكتنه له ابن مالك من العداوة
والبغضاء، وينصبه له من شبك المهالك، فشفعه المترجم فيه وولاه على إخوانه،
ولم يزل صاحب الترجمة مقيما بالحضرة السلطانية إلى أن أقام بها حفلة العيد
النبوى الكريم، وغمر وأفاض العطاء فى الشرفاء والعلماء والجيوش.

(١) فى المطبوع: «الكتنافى» والمثبت من موسوعة أعلام المغرب ٢٧٦٢/٨.

وفى مهل ربيع الثانى نهض من مراكش يؤم الديار الغربية، فمرَّ على ثغر الجديدة وتفقد أبراجها وسقائلها، وأقام بها أياما كانت كلها أعياداً ومواسم، ثم نهض لآزمور ووقف على أسوارها وأبراجها وصقائلها وأمر بإصلاح ما يفتقر للإصلاح من ذلك وصيانتته، وبالأخص البرج المقابل للمرسى هنالك.

ثم نهض من آزمور ودخل ثغر الدار البيضاء فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى، وأعفى عاملها محمد بن إدريس الجرارى فى اليوم نفسه من ولايته عليها، وولاه عمالة ثغر الجديدة، وولى مكانه بالدار البيضاء الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوى، وأقام بها يومين ووقف على أبراجها وسقائلها، وواعد بإصلاح ما هو مفتقر للإصلاح وخصوصاً مرفأ المرسى.

ثم نهض من الدار البيضاء وأوقع بعرب الزيادة لانحرافهم عن الجادة، ثم صار إلى أن دخل رباط الفتح، وذلك غرة جمادى الأولى من السنة، وأقام بها تسعة أيام، ثم نهض وسار على طريق زمور الشلح إلى أن دخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتون ثامن عشر الشهر، فأقام بها خمسة أيام.

ثم نهض لفاس، وتهيأ للسفر لحسم مادة الفساد من القبائل المتمردة قبل سريان دائها، واستعجال عدوانها، والقبض على رؤساء الفساد، وتقويض أركانه، فخرج فى جيوش عظيمة جرارة تنتظم من أبطال من انتظم فى سلك إخلاص الطاعة، وقبائل الغرب الأيمن والأيسر سهله والجبل، وذلك منتصف جمادى الثانية.

وكان فى نظره أن يجعل طريقه على الوادى الأخضر ثم مكناسة تازا لبعث طريق غياثة، فلاذ بعض كبراء المحلة ورؤسائها بأبى محمد عبد السلام البقالى وقد كان محبوباً لصاحب الترجمة مسموع الكلمة عنده، بأن يشير عليه بالمرور على مدينة تازا ويحسنه إليه لقضاء مآربهم بها والاستعداد بالتموين منها، ففعل

وصادفت إشارته من المترجم قبولاً حسناً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، وجعل طريقه وفق ما أرادوا، فقامت غياثة بواجبات تموين المحال وفق المعتاد والمألوف أتم قيامه وأكمّله، وذلك في المرحلة الأولى والثانية، ولما كانت المرحلة الثالثة من إيالة باشا تازا وهو إذ ذاك محمد بن الطاهر الدليمي المتولى بعد عاملها المعزول عبد الرحمن الزراري، تأخر الإتيان بالتموين ولوازمه عن وقته المعتاد لظنهم أن المترجم لا يمر بهم، وحملوا أعلام العامل الصادر لهم قبل بذلك على الكذب، وأنه إنما أراد جلب ذلك لنفسه. وضمه لكيسه.

فتهاونوا حتى رأوا الجنود المولوية تضرب أخبيتها وتحط أثقالها بالمحل المعروف بذراع اللوز، فعند ذلك قاموا على ساق في أداء اللازم فلم يتيسر لهم الإتيان بذلك في إبانِه.

وكان بينهم وبين العامل انحراف باطنى، فاغتنم فيهم هذه الفرصة وبلغ للمترجم عنهم ما أوغر صدره عليهم وأوجب همه بزجرهم، وتسنى للعامل المذكور إلقاء القبض على كل من يأتى منهم بمثونته، فكثرت الضجيج فيهم، وصار من انفلت منهم يخبر الجائى بتأسد العامل عليهم، ويهول لهم بحالة المقبوضين، فيرجع بما أتى به، ولم يجئ أحد بعد، فثار غضب المترجم وأيد العامل بدعواه، واعتقد أنه بلغ فيهم مقصوده، فوجه لهم لفيفا من الجيش باغتهم به وذلك يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر المذكور.

فاقتحم ذلك الليف عليهم حصونهم المنيعة، وسقوهم كأس المنون، وهدموا ما لهم من الدور، وأطلقوا النيران فى الزرع والخيام وقطعوا الرؤوس، وتركوهم يختالون فى أردية الهوان والبؤس، ورجع الجيش ظافراً غانماً.

ولما رأى الشريف المعتقد أبو العلاء إدريس الوزانى المعروف بزین العابدين زيادة، اشتداد غيظ السلطان عليهم حاول إرضاء عنهم بإظهار الحقيقة له، وكان

نافذ الكلمة مطاع الأمر عند غياثة، فلم ينجح فى مسعاه، وصمم المترجم على إعادة شن الغارة عليهم واجتثاث عصيانهم من أصله.

فنهض لقتالهم بنفسه صبيحة الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرين من الشهر فى شقة بين جبال وعرة المسالك، لا يأمن من لم يكن من أهلها من المعاطب والمهالك، وقدم أمام جيوشه الجرارة المدافع والمهاريص واقتحم الشقة وكانت القبيلة قد تأهبت للقتال، واحتاطت الاحتياط اللازم للأهل والأولاد والأموال، وتناوش الفريقان القتال ودامت المناوشة بينهما إلى أن توسطت المحلة الجبال قاصدة قصبة القلعة لظنها أن جموعهم بها مجموعة، والحال أنهم وضعوا الكمائن ورصدوا الرواصد وشحنوا الكهوف والأنقب بالرماة، ولم يتركوا غير منفذ واحد يفضى إلى مهواة متلفة، فلم تشعر الجنود المخزنية، إلا ونيران أفواه المكاحل تلتهب، والرصاص كهاطل الأمطار من سائر الجهات وبالأخص من خلفها.

فاشدد الخطب وامتألت القلوب رعبا، وكثر القتل وعظم المصاب، وأجأ العدو المحلة إلى شعبة بوقربة وهى المعروفة بالشقة فتعذر الرجوع، وعلا الغبار وتكاثف، حتى أظلم الجو وصار الإنسان ربما لا يميز من بإزائه، وأصاب الناس هول عظيم، وتساقط القوم رجالا وركبانا فى تلك الشقة، وكلما سقط واحد ظن الذى وراءه أنه قد وجد مسلكا فيتبعه وهكذا إلى أن امتألت الشعبة بجثث الأموات من الآدمى والدواب.

وظل الناس يومهم يمرون عليهم بالخييل والأرجل وهم لا يعلمون، ولما كان العشى سكنت الفتنة وقام من بقى يبحث عن السلطان، فألقى فى الشعبة مع حاجبه أبى عمران موسى بن أحمد من غير أن يعرف واحد منهما صاحبه، فأخرجوهما بعد عناء، وكان ممن تولى إخراجهما قواد مسخرى الجيش البخارى

ابن الحفيان قائد المائة والطالب الجيلانى الجبورى المدعو البحر، ولما أطلعوهما من تلك الشقة أركب المترجم القائد إبراهيم الشركى خليفة قائد المسخرين وهو إذ ذاك القائد محمد بن قاسم ونادى القوم بسلامة السلطان وأمر الطبالون وأصحاب الموسيقى بالصدح إعلاما للأبعاد بسلامة روح العالم، كى يلتئم صدع من بقى من الجيش وتطمئن النفوس، فصاروا يتلاحقون بالأمير فرادى وأزواجا إلى أن التفت عليه تلك البقية الباقية وهان المصاب بسلامة المترجم.

ومن الغد أمر صاحب الترجمة آغا العسكر البخارى القائد العربى بن حم، والطالب الميقاتى السيد الجيلانى بن أبى الخير بدفن جثت قتلى هذه المعركة التعساء، ولكثرتهم تعذر عليهم دفن كل على حدته فواراهم فى التراب جموعا ووحدانا.

ثم وجه المترجم جيشا ثانيا بقصد أخذ الثأر من هؤلاء الظلمة العتاة فخذل، وكان كلما وجه لهم جيشا رجع عوداً على بدء والسلطان يزداد غيظا ووجداناً إلى أن قام أنصح القواد القائد الشافعى المسكينى وطلب من الجلالة السلطانية أن يذهب لأخذ الثأر منهم أى المتمردة فى خصوص أبطال إخوانه، فساعده وتوجه إليهم وأوقع بهم وقعة شنعاء ورجع سالما منصورا حاملا لرءوس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعه وأثنى على شهامته وصرامته.

ثم بعد ذلك ورد الطغاة على شريف أعتابه تائبين وبنسائهم وصبيانهم متشفعين، ولجأوا لمدافع المحلة واحترموا بهم وفق العرف الجارى فى أمثال ذلك، فقبل توبتهم وقابلهم بالعفو والإغضاء، وعزل عنهم العامل ابن الطاهر الذى كان السبب الوحيد فى إيقاد نيران هذه الفتنة، وولى عليهم القائد منصور حيطوط، وكان إذ ذاك بحنطة أصحاب السكين.

ثم نهض المترجم قاصداً الظفر بابن البشير أصل البلاء كله، ومر في طريقه على عين زورة من قبيلة المطالسة، ولما خيم بقصبة سلوان ودع صدر الوزراء أبا العلاء إدريس بن الطيب بو عشرين، وتصدر في محله أبو عمران موسى بن أحمد، ثم واصل السير إلى أن بلغ وادي ملوية فأقام هناك للاستراحة والاستطلاع على أحوال وأخبار تلك الأنحاء.

ومن هنالك وجه بعض الساسة نسخة من دلائل الخيرات وسبحته للشريف السيد عبد الجليل الوزاني موهما له أنهما للسلطان، وأنه هو الذي أمر بتوجيههما إليه ليوجه بهما لابن البشير تأميناً له، ويأمره بالقدوم عليه والتوجه في معيته للحضرة السلطانية، فوجه الشريف المذكور بهما لابن البشير، وأكد عليه في القدوم لديه والتوجه في خفارته لصاحب الترجمة، فورد عليه وفي معيته جملة صالحة من الأشراف العلماء وسراة القوم من بينهم صهره ولد رمضان الذي كان اتخذه أمينا كبيرا بوجدة في جيش لا يحصى كثرة.

ولما وصلوا إلى المحلة السلطانية بوادي ملوية رحب بهم السلطان وأظهر لهم مزيد الاعتناء والاعتبار وبالغ في إكرامهم وأنزل ابن البشير وصهره عند رئيس مشوره القائد محمد بن يعيش، وبعد أن اطمأنوا ألقى القبض عليهما وصدفهما بالأغلال، ووجههما لسجن فاس صحبة القائد الشافعي المسكينى وإخوانه وصاحب مكحلته القائد الجيلانى بن بو عزة البخارى، والقائد إبراهيم الشركسى وأكد عليهم بالأخذ بالأحوط فى سفرهم بهما، ولمزيد الحزم أمر القائد الشافعي أن ينظم كلا من القائد المحجوب، والقائد إبراهيم مع المقبوضين فى السلسلة كل لية إلى أن يحلوا بفاس، وأوصاهم إذا طرأ عليهم مشوش يبادر كل واحد منهما بقتل صاحبه الذى يليه من المصفيدين.

ولم يزالوا يواصلون سير ليلهم بالنهار إلى أن بلغوا للحضرة الفاسية وقضوا
مأمورياتهم طبق ما أمروا، ولما اتصل بالمرجم وصول السجينين بمحروسة فاس
نهض من مسون ووجهته وجدة لتسكين بقية الروعة، وذلك بعد أن عين لكل قبيلة
من القبائل التي جاءت مع ولد البشير المذكور عاملا .

ولما بلغ وجدة ولي عليها القائد بوشتى بن البغدادى الجامعى والد عامل
فاس الحالى وتاقت نفسه إلى رؤية المعدن الذى بجبل روبان، فوجه إلى الفرنسى
المباشر لخدمته يعرفه بمراده فأظهر عدم الانشراح لطلبه، وأرجأه إلى أن يأتيه جواب
رئيسه .

ولما بلغ الخبر الرئيس تسارع للقدوم على المترجم فى ليف من العسكر
والموسيقى فرحا بطلبه، ثم ذهب يستعد لزيارة جلالة السلطان للمعدن، وبعد ذلك
توجه المترجم فى موكب حفيل منتظم من قاره فرسان القبائل وولاتها وحاشيته
الكريمة، وبعد الاستطلاع على المعدن واستيعاب أقسامه والإحاطة علما بجميع
تعلقاته انقلب راجعا .

ولما وصل إلى عيون سيدى ملوك بآنكاد، أمر ببناء قصبه بها وأقام هنالك
حتى اختط بها مسجداً لإقامة الجمعة ودور السكنى وفرناً ودكاكين للبيع والابتاع
وسوقاً ومحالا لسكنى ليف من العسكر، وأنزل بها آغا بعسكره، ثم بعد ذلك
نهض بجنوده الوافرة ووجهته تازا، وقد كان أصدر أوامره لعاملها حيوط المذكور
بالقاء القبض على كل من يدخل سوقها من غيائة واستقبال جلالته بهم يوم حلوله
بضواحي تازا وعين لهم يوم إناخة ركابه العالى بها، فبادر العامل لامثال ما أمر
به .

ولما بلغت الجنود المولوية لذراع اللوز خرج العامل للقعدة الحمراء وصحبته
المساجين الصادر له الأمر بالقبض عليهم، وبات بها، ولما كان الغد وصلت المحال
إليها واطمأنت وجه شردمة من الخيل تحت رياسة القائد مبارك الشرادى الدليمى

المدعو ولد الشاوية، للإتيان ببعض الخطايا من تازا، كان تركهن بها، فلما توسطوا بهن الطريق قام في وجههم إخوان المقبوضين بسوق تازا أخذوا بثأر إخوانهم ووقع بين الفريقين قتال شديد.

ولما اتصل الخبر بالترجم أمر جميع ما بالمحال من الخيول بشن الغارة على فساد غيثة، ولما لحقت بالشرذمة المتقدمة الذكر وأتى العتاة ما لا قبل لهم به، فروا منهزمين، ولحق الحريم ومن يخفره بالترجم منتصرين، ومن الغد نهض قاصداً العاصمة الفاسية، ومنها توجه لعاصمة آباءه وأجداده مكناسة الزيتون وأقام بها مدة وفيها انتهت الخامسة بسلام.

ومما قيل فى قضية غيثة وإخوانها قول الفقيه الأديب الكاتب السيد محمد غريط وأجاد:

ومهد ومهد ومؤيد	سيف اعتصامك بالإله مجرد
ونجاهه بضمنان نصرك يعقد	سيف الحقيقة بالشرعية يزدهى
مع ما سواه من السيوف معد	قلده للفتح إرثا خالصا
المصطفى المختار جدك أحمد	متخلف النور المبين وحسبكم
جاه عظيم بالشفاعة مفرد	جاه له دون الوجود بأسره
فى بغيه أو ظالم متبلد	ما إن يبارى بأسها متورط
أو رسمه بسوى الظبى يتجدد	أو يستقيم الدين إلا بالظبى
عضب بحكمك جازم ومحدد	وافتك إسعافا ومن أسمائها
وله الجماجم خاضعات سجد	يفرى الظبى بجماجم فله الظبى
فتكات شدة ضربه المتمرد	شقى الشقى بحده وأييد من

مأثور أنباء الفخار مبدد
عن أمرك العالى به يتقدد
ورسوب يرسب فى الوريد ويغمد
حامى الذمار مفصل ومجسد
منه الفرائس فى المواقف ترعد
إسماحها أهل السماحة أعبد
فالخير مطرد الندى لا ينفد
صدر الجحافل ثابت لا يفأد
سلطان مغربنا الشريف الأيد
واخضرت الغبرا وأينع جلمد
بهما المخوف عن المغارب يطرد
إن ضمن بالسبق الكمى الأبلد
حيث البواتر والأسنة تشهد
بشهادة عزت فليست توجد
وتنوفة فيها المنايا تورد
متلألئى بادی السنا متوقد
كأبى قراب ذا الكئود الأقدود
فيها مجال يتتحيه السلقد^(١)

حتف بسطوتك القوية قاصف
أدهى السيوف كذى الفقار فمن يزغ
وكذاك مخدم فى الشوى مستخدم
ومشوق الأملاك ساط حاسم
وهو القضيب ودونه القلعى الذى
بتار أعمار الطغاة براحة
فكأنها بحر خضم مزبد
يمنى الإمام أبى على من به
[حسن] ملاذ المسلمين وغوثهم
إن سار فى المحل استحال نضارة
فاليمن والبركات فى حركاته
أسد الكتاب سابق ومقدم
حيث المعازل بالدواهى عقلت
وهو المقدم كل ليث يبهس
لله موقفه بكل ثنية
وجبينه فيها بأنوار الهدى
كالحاجب السامى الذرى ونظيره
أطواد طاولت السما لم ينفسح

(١) فى هامش المطبوع: «الفرس المضمير كزبرج».

سلها فعند جهينة من حزمه
 حيث استغاث غياثة واستنجدوا
 وتطارحوا وتملقوا واستسلموا
 فاستوثقوا بدمامه عن طاعة
 فعفا وأصلح والوفا من شأنه
 أكرم بمولانا إذا ما أمه
 بشرى كما تتلى البشائر عنده
 إن البششير إذا أتى أبوابه
 خبر بمعلوم ولكن متنه
 بشرى بصنع الله والظفر الذى
 دوخت مولانا البلاد جبالها
 ونصرت حزب المرملين فما ونى
 وكسرت شوكة كل عاث ناكث
 حتى وصلت إلى صحاريها التى
 فشددت أزر الدين فى أقطارها
 هذا وحقكم الصلاح وأجره

وقول الفقيه الأديب السيد العربى المشرفى:

أتت بشائر بالتهانى كالعيد
 واستحكمت من سماء الملك ثابتة
 والسعد لباك زال كل تنكيد
 طوال السعد فى أبراج تسديد

فأصبح الغرب فردا لا يعادله
يغار منه عراق وهو ذو مدد
لذاك أرخى ذيول الفخر يسحبها
هو الإمام الذى من حسن طلعتة
إمامنا (الحسن) المسدى فواضله
بالبيض والسمر دان كل منحرف
لما بدت لعصاة الشم رايتة
أنت قبائل ذاك الجو مكرهة
وأذعنوا رغم أنفهم وأعينهم
بفتح مغلق أبواب لثبقتهم
حصون قلعتهم كانت لمتعتهم
مآل سبيهم وكل ما اكتسبوا
شدوا رحالهم من خوفه رهبا
هيهات ظنوا تكن لهم أخى وزرا
من أهل طاهر لم تطهر شريعتنا
وكل جان لهم وجان نسبته
بنو بوأحمد لم تحمد عواقبهم
بنوا قلاعا فى أعلى الشم يمنعهم
غش الفساد وكر البغى حل به

شرق بما جاز من تقديم تقليد
والشام يغبطه من حسن تمهيد
عزا بملك أبى الموالى والسود
وحسن صورته مستتبع الجود
وبالفضائل ساد كل موجود
وزائع عن سبيل الرشد مصفود
بواد غياث جال الجيش فى البيد
لما أحيط بهم كالغل فى الجيد
وشاهدوا الفتح لم يكن بمشهود
دعوا ثورا فسحقا للمناكيد
قد عاينوا فتحها من دون تفنيد
لمن ولاه إلهنا بتمجيد
لم تنجهم غابة من شر تشريد
فخيب الله ظنهم بتفريد
من رجس بغيهم وظلم تعنيد
والخبث فى نسلهم من جد محدود
وأرضهم للجوار دون تحديد
من سطوة الله عزها فى محمود
من النكال وبال غير محدود

سحقا لهم طالما منتهم كذبا
أعظم بدهاية دهماء قد نزلت
ظنوا شواهقهم للكل منجية
أمست ديارهم مأوى لبومهم
وكل صاعقة صماء محرقة
عساكر الحرب للأعداء طالبة
يتلوها جيش من الأبطال عارفة
قد ذاقوا طعم وبال الزيف عن سفه
قد غرهم عفو جده ووالده
ناداهم الضيغم السلطان إنكم
مذ عدتم عدنا وكان الله منتقما
تبارك الله هذا الفتح جل على
بشراك فأت عنان الحزم محتسبا
ودر على كل باغ سل مديته
وادخل قصورا طيور السعد تشدكم
قد طال ما غبت عنها وهى شيقة
لك الهناء يقلك كل معضلة
ما قال منشده فى رسم دالية

نفوسهم بأضاليل وتمريد
بساحة القرب منهم والأبعيد
فأين من أسد منجاء للسيد
وشتت الله شملهم بتشيريد
لم ينجهم هرب فى كل تصعيد
لم تغن عنهم جبالهم بتعديد
ركض الجياد عليها كل صنيد
فاستمطروا العفو إظهاراً لترشيد
والشأن أخذ مولد ومولود
لستم بأهل لعفونا وترديد
منكم وربنا للأعدا بترصيد
عن أن يزان بإنشاد الأناشيد
لله فعليك واصحبه بتحميد
واذبحه بالعضب قهرا دون تهديد
أهلا وسهلا بألحان وتغريد
لطلعة من سناك دون تفنيد
وفتح مغلقها بإذن مودود
أت بشائر بالتهانى كالعيد

وقول الأديب الكاتب السيد محمد الصنهاجى من قصيدة:

بنو وراين حكمت سيوفه فى رقابهم فانتنت بالسعد والهمل
أغاث غياثة بالحلم شنشنة بعد التمكن من أرض ومن قذل
زناة بسيوف العدل قد قصموا إذ شن غارته جيش الوغى الثمل
سعادة قنصت فتانهم فزعا من سطوة بهرت أبطال ذى السحل
حتى غدا كل فتان على وجل من ذى السيوف سيوف الله فى الأزل
يا رب مكن له فى الأرض واقطع به حماية الكفر فى الأوطان والنزل

ولما كانت سنة أربع وتسعين ومائتين وألف نهض المترجم من مكناش
ووجهته مراكش فخيم بسبع عيون، ومنها إلى عين عرمة، ومنها إلى أمحصى،
ومن ثم إلى اربعاء بهت، ومنها إلى الحميسات، ومن ثم إلى ضاية رومى، ومنها
لعبابو، ومنه على الطويجن ثم لتيداس من بنى حكم.

وأقام هنالك وألقى القبض على عدد من المتمردين، ومن هناك نهض
للمعازيز ومن ثم لأغبال، ومنه لظهر الشمس، ومنه للكراريط ومن ثم لأعويد
الماء، ومنه إلى الدار البيضاء، ومنها إلى عين السبت، ومنها إلى طالع عك، ومنه
إلى تاورتيست، ومنها إلى البيوت، ومنها إلى صبارة فطالع كرماط فأم زردة
فمازى فونجيين فالكريع فالكمكام فقيشر فبين السواقي فدار بوزكرى العميرى.

وهنالك ألقى القبض على طائفة من بنى عمير كانوا حاولوا الاستيلاء على
الادالة التى كان وجهها السلطان سيدى محمد والد المترجم عسة بقصبة آيت
الربع، وهناك تعاهدوا وتظافروا على الإيقاع بها وتمزيقها كل ممزق لما بلغهم نعى
السلطان المذكور، ولولا قيام أهل أبى الجعد آل الشيخ أبى عبد الله محمد - فتحا -
الشرقى فى وجوههم ومبالغتهم فى التحذير والإنذار لفعلوا.

ثم نهض إلى السراغنة وألقى القبض على من تعدى حده وخرج عن طوره
من آل الشيخ رحال، ثم لم يزل يواصل سيره ساعيا في حسم مادة ذوى الزبيغ
والطيش والشطط حيثما حل وارتحل إلى أن حل بحانوت البقال ثم مراکش .

وقد نظم الشعراء المرافقين لهذه الحركة مراحلها ووصف وقائعها ومشاهدها

فقال :

مراحلنا للحوز أندية زهر	ورائدها فى الفتح يصحبه النصر
هو الطالع الميمون لاحت سعوده	بأفلاك عز دونها الشمس والبدر
منازل من سبع العيون تعدها	حماة لدين الله والبيض والسمر
وجيش لهم حيث زمور أذعنوا	إلى سيدى من أمره الجبر والكسر
وأعطوا يد الطاعات فى عين عرمة	وما لهم فى ذلك نقض ولا غدر
وأقدمنا عون الإله وحوله	لأمحص من جرعائه المورد الغمر
أقمنا به يوما مقام كرامة	فعاج بنا للأربعا الزمن النضر
منازل مولانا اللواتى تشوقت	إليه كما يشاقه النيل والقصر
هو القصر منصور بطلعة سيدى	فما إن له عنها يقربه صبر
يباكره فوح العبير ونشره	ويهدى له أنفاس آراجه الزهر
منازل مولانا بفسطاطه الذى	سرادقه أمن وأطنا به خير
معرج بهت من تسلسل ماؤه	رضابا كأن قد شابه الذهب التبر
فأزمع منها السير مالك رقنا	وعسكره الساطى وجحفله المجر
يصك به الأعداء صكا وبأسه	مهنده زرق مطاعنها حمر

فخيم فى الخميسات فأصبحت
وما لج فى تلك التنائف صائل
أباد وعفى بغيهم وعنادهم
فأنهضه التأييد حتى استوى على
لضاية رومى والسلامة ردؤه
فطورا بترغيب يسوس وتارة
وحاول فى أعباب تتميم رشدهم
ولما أجزنا بالطويخى هياأوا
فنفذ حكما عادلا فى فريقهم
ثمال اليتامى عصمة لأرامل
فجاءوا حفاة صاغيرين أذلة
وأدوا حقوق المسلمين فما ونى
مراحل للأملاك أسلافه الألى
هم نسخوا عز المعازيز بالظبا
فأحيا أمير المؤمنين سبيلهم
إمام على الدين الحنيفى قابض
إمام له فى كل شىء فراسة
إمام فحدث عن شمائله التى
هو الحسن المنصور لذ بركابه

وما لمجال المجرمين بها ذكر
ولا ذعر إلا وحقاق به المكر
وأرهبهم من بطشه الخوف والذعر
أعز بلاد عندهم وهم كثر
وحاجاته حمت وقد قضى الأمر
بترهيب فتاك يدين له الدهر
فتم بتداس له ونما الأجر
هداياهم فيها المحجلة الغر
بنى حكم من حلمه عنهم ستر
براحته طى المحارب والنشر
ولم يأوهم طود ولم يحمهم وعر
غشومهم عنها ولا الصالح البر
لهم بأبى السبطين قد ثبت الفخر
وما آدهم نجد بعيد ولا غور
كما كان بل قد فاقهم ذلك الصقر
فإرضاءه ربح وإسخطه خسر
هى الحق والعلم اللدننى والسر
بها انفسحت فى الغرب دولته البكر
وإن غال من أعدائك الهتر والمتر

إذا ازورت عنك المعاييب والوزر
بأغبال فى الآثام أوثقته الجور
فليس له مأوى وليس له وكر
وهل فى دنى يثبت العرف والبر
من الغاب إذا أخفاه عن علمنا الطمر
وهم وزغ غدر وفعلهم نكر
عجائز والصبيان والأشيب القحر^(١)
نجائب أدمها التطارح والنحر
به عرفت أخلاقه البدو والحضر
ولم يغن فيه الحلم والصفح والوصر^(٢)
به لأعداك الفتح والنائل الغمر
فواتحه يتلو أواخرها اليسر
وهيهات لا تجدى الصبابة والذكر
ودلنا عويد الماء فانشرح الصدر
أقيمت صلاة العيد واتصل الفطر
مصلاه والدين المؤيد والعصر
وتسبيحه فيها ومكة والحجر

هو ابن رسول الله أكرم راحم
مواكبه أخنت على كل خائن
وعاجله صرف الردى وأجاحه
فهل للسهول المارقين إنابة
أقمنا بظهر الشمس نخرج زرعمهم
فعدادوا ولاذوا بالمدافع رهبة
ومنهم لدى مولاي قدم نسوة
وساقوا لأعتاب المؤيد إبلهم
فأبقى عليهم والبقاء سجية
وعاقب منهم من تولى ضلالة
فهذا هو الفتح المبين فحدثن
بمنتصف الشهر المعظم أقبلت
مراحل لا أنفك أصبو لذكرها
دخلنا على دار الكراريط عنوة
وسرنا إلى الدار التى فى بياضها
وأقبل مولانا الإمام فأشرقت
تمنى مصلى كل أرض صلاته

(١) فى هامش المطبوع: «القحر: الشيخ الهرم»..

(٢) فى هامش المطبوع: «الوصر - بالكسر - العهد والصك الذى يكتب فيه السجلات».

كما تأمل الأفلاك لو بسطت له
لتدرك من أقدامه لثم أحمص
ودون من بحر البلاغة مصقع
فبورك من عيد سعيد مقره
وعنه انفصلنا واتصلنا بكل ما
لدار أبى عياد ذات مزارع
وشمنا على قرب الديار زبيدة
تحن إليها النفس وهى بعيده
وطالع عنها شوقنا كل تلعة
بلاد بمولانا أذيل أسودها
فقاموا بحق الله والملك رهبة
ورحنا لتا ورتيست حول زبيدة
وراض بنا يمن البيوت سوابقا
بدعوة مولانا تفجر سيبه
فآن بأسرار الأناة نزولنا

بذا اليوم فى محرابه الأنجم الزهر
مواقفه أقدامها الفتك والدر (١)
له خطبة قد زانها الوعظ والنتر (٢)
بأرض زعير ما استفيد به دمر
يسنى لنا البشرى وإن قصر السير
وعين سبيت من تسلى بها الفكر
أماطت خمار البين إذا حسن الفسر (٣)
فكيف وقد أدنى مقلدها اليسر
وطالع عك والشوق لاعجه جمر
وكسر ناب البغى واقتطع الظفر
وسرهم بالنصر أعلن والجهر
وشائنا أودى به الدحر (٤) والتبر
إليها ولكن ماء جيرانها نزر
وفى صبرا عنه انفاى الترب والصخر
بطالع كرماط وأسنادنا جزر

(١) فى هامش المطبوع: «الدر: الطعن والدفع».

(٢) فى هامش المطبوع: «النتر - بالثناة - تغليظ الكلام وتشديده».

(٣) فى هامش المطبوع: «الفسر: الإبانة وكشف المعطى».

(٤) فى هامش المطبوع: «الدحر: الطرد والإبعاد والدفع». والتبر - بالفتح - الكسر

والإهلاك.

ولوحظ في تلقاء زرض مخيم
هنالك ولجين به كل شيطانهم
وقلب آجاما ودكدك ذروة
على الفور أدوا واجب الملك في مزا
وحيث أنخنا بالكريع جددوا
ونافسهم فيه سماعلة فما
مرايع غزلان بقمقام نفز
بتادلة أبقى الإله رجالهها
وموئل تدير الصلاح لصالح
من بين السواقى حذرتة طلائع
وفى دار بوزكرى أقامت براهنا
فصحبه سيف الإمام فلم يقم
مغيض فساد خيب الله سعيهم
وفى حلق الاغلال أدرج منهم
منازله فى أثنائها كل عارف
كمولاي من يكنى أبا الهادى من له

بأرض بنى خيران من شرهم قفر
من العسكر الجرار أوحشه الزأر^(١)
وكسر هامات تخامرها الكبر
هو الطارف الموجود والدخر والوفر
قراهم كثيرا لم يلم به حصر
تأخر منهم عن أدا واجب شفر^(٢)
وفى قيشر قد زانها النفز والنفر^(٣)
ملاذا لعان مسه الكرب والعسر
وتدمير جان فيه لم ينفع الزجر
لسيدنا من شأنها الرفق والصبر
على أنه أعمى وفى أذنه وقر
له فى ابن عمير حديث ولا خبر
مشالم فيهم يعرف الظلم والختر
عديد وأصمته العقوبة والأسر
كبير علينا فاض من عطفه بحر
مناقب شتى ليس يجمعها سفر

(١) فى هامش المطبوع: «الشيطان - كحيدر - الطويل الجسم الفتى من الإبل والحيل والجمع شياظمة، والزأر: كالزئير - صوت الأسد».

(٢) فى هامش المطبوع: «يقال ما بالدار شفرة وشفر وشفر أى أحد».

(٣) فى هامش المطبوع: «نفز الظبى ونفر: شرد».

له الجاه عند الله أكبر والقدر
سليمان من يدعوه مثر ومعتز
رماح إلى الغوغاء سددها الجبر
ببرهانهم قد شد للملك الأزر
بها لعصم خضعان أكنهم وجر^(١)
بدار ابن زيدوح يقودهم القسر
سؤال منيب قد أحاط به البور
وأقربه من مجرم إثمه عذر
فبالحفظ فيها ينهض الشفع والوتر
به يحمد الترحال والظعن السفر
بتاستاوت يلقاك من بشره نشر
حذاء أبي يعزى وذا السيد الغر
لتاملت والقلب جذلان والفكر
زيادة أرباب التقى للعلی جسر
يشير لمولانا وأعلامه الخضر
وآب بغيث الله إذ أحجم القطر
ومعه رذاذ عنه تندفع البغر^(٢)

تلالا بالأنوار وجهه ضريحه
ومولاي قطب الواصلين وسيدى
إغائته عند الشطبي كأنها
مفاتيح مولانا الإمام حماته
تبارك من أولاه منهم عناية
رأينا بنى موسى حيارى أذلة
نواكس للأذقان تسأل حلمه
فله ما أعلى وأغلى سماحه
منازل أحيا الله أمن سبيلها
أبو عقبة منها قراه مهياً
وفى الدثرة الحسننا بشير حلولنا
يخبر أن الفوز يوم مبيتنا
كريم كريم منه كان انتقالنا
فقال إلى المنصور حال اعتباره
وذا السيد الإبدال رحال سره
فزار عماد الدين فى الحين قبره
وبتنا برأس العين والدجن مطبق

(١) فى هامش المطبوع: «الأعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه بياض وسائره أسود وأحمر. والوجر: كالكهف فى الجبل».

(٢) فى هامش المطبوع: «الرذاذ: المطر الضعيف، والبغر - ويحرك - الدفعة الشديدة من المطر».

بذا الغيث من ينمو به الضرع والبذر
يسح علينا من جوانبها نهر
جفا نومه قرآنه الملك الحبر
له صار مفتوحا ومفتاحه الذكر
وعن ملكه قد عنون الكشف والجفر
ولاح عليها من سنا نوره فجر
ومما سواه راح آمالنا صفر
رجال بهم نال المفاخر ذا القطر
تبين من أعدائنا الصقر والبقر
به تأمن الدنيا به سعد الدهر
فبشرى لنا والحمد لله والشكر

ونظم تلك المراحل ناظم آخر نذكر نظمه لما فيه من الفائدة التاريخية قال:

بقوة وصولة وشوكة
ثنى عنانه عن العجائز
يعدها في ذا السجل المختصر
وهو حسبي في مقام وانتقال
أكرم أبناء حسين وحسن
بسيفه المشهور بالفتح المبين
على مواهب الإمام الحسن

ورحنا لكرمان رواح مسرة
تخال فويق الأرض كل سحابة
إمام إذا ما الليل أرخى جفونه
إلى الله يدعو والإجابة بابها
على ملكه أهل العناية أطبقوا
فبان لنا مراکش وربوعها
وبتنا على جناتها بقرارة
ولما بدا وجه الصباح بدت لنا
بدور سماء الأصفياء بجاههم
فسحقا لهم سحقا أتى الملك الذي
وحل محل العز في دار ملكه

حمدا لمن هيانا للحركة
نشكره شكر ضعيف عاجز
فسنحت له مراحل السفر
فقال والله يسدد المقال
مراحل السلطان مولانا الحسن
وسائل إلى صلاح المسلمين
أرخت بدأها بشكر بين

لبهجة الحواضر الحمراء
وعين عرم وهى للحفظ عيون
منازل السعد بهذا الوقت
وأعباب والكل لليمن نمي
إلى المعازيز وأغبال تستفد
ولعويد الما بحزم ضابط
لعين سبت منهل الصواد
لصبرا بالرفق لا بالجبروت
وأم زرض ومزا وونجيين
لقيشر ظفرت بالمرام
كلاءة الله ولطفه الخفى
هادى الولى الصالح المقرب
إلى الشطيبى يا وزير السلطان
يا عمدة الملك أبا عمران
فهذه أعلام دار ابن زيدوح
صحبة مولانا لدار الدشرة
الهادى مفيدى باعز مطلبى
وبمديح البلغاء حاليها
لحانوت البقال خير نزلة

من دار مكناسة الغراء
أولها المبيت فى سبع العيون
وامحصى وأربعاء بهت
ثم الحميسات وضاية رومى
كذا الطويجن وتداس وزد
ثم لظهر الشمس والكراريط
إلى الدار البيضا أبى عياد
لطلعك لتسورتشت لبيوت
لطالع الكرماط فالله معين
إلى الكريع وللقمة مقام
ثم إلى بين السواقى دمت فى
لدار بوزكرى لسيدى أبى ال
إلى الولى سيدى سليمان
يا ملجأ الأعيان والإخوان
بشراك بشراك بتحصيل الفتوح
ومنها نهض إلى بوعقبة
لوادى تاستاوت لسيدى أبى
إلى تاملت بقيت عاليها
لرأس العين ثم للنخيلية

ومنها سل عطف الرجال السبعة ذوى الكمال والسنار والرفعة
فمن هنا بـبرهم نرتحل وتحت راية الإمام ندخل
بحفظ ربنا لمراكشة فى ذمة الأمان والسلامة
فنسأل الله دوام النصر لملك الأمر إمام العصر
ثم الإياب معه لفاس بكرم الشيخ أبى العباس

وبمراكش أقام حفلة عيد المولد وفق المعتاد من سلفه ذوى المفاخر العلية
والمواهب السنية واقتداء بمن سن ذلك من أئمة الإسلام وحملة الشريعة فى المشارق
والمغرب .

وذلك وإن لم يكن فى القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، فلا ريب أنه من
أحسن ما ابتدع وأجمله، إذ كان مصونا مما حذر الشارع منه .

قال الحافظ أبو الخير السخاوى فى فتاويه: عمل المولد الشريف لم ينقل عن
أحد من السلف الصالح فى القرون الثلاثة الماضية، وإنما حدث بعد، ثم لا زال
أهل الإسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون فى شهر مولده عليه الصلاة
السلام بعمل اللوائم النفيسة ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون
السرور ويعتنون بإقامة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم .
انتهى .

وقال الشامى: وأول من أحدث ذلك من الملوك صاحب إربل من أرض
العراق الملك المظفر أبو سعيد كو كبورى، كان يحتفل به احتفالا هائلا ويصرف
عليه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وقد عد العلماء له من المآثر العظيمة ذلك
وغيره، وأثنى عليه جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو شامة شيخ النووى .

قال السيوطى فى حسن المقصد فى عمل المولد: وقد ألف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية تأليفاً مجلداً لهذا السلطان فى المولد النبوى سماه التنوير فى مولد البشير النذير، فأجازه بألف دينار وقد طالت مدته فى المملكة إلى أن مات وهو محاصر للإفرنج سنة ثلاثين وستمائة.

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر يعنى صاحب إربل المذكور فى مولد النبى ﷺ أنه عد فى ذلك خمسة آلاف رأس من الغنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء، وكان يحضر عنده فى المجلس أعيان العلماء والصوفية هـ. وقد ترجم للمظفر ابن خلكان فانظره.

وقد قدمت لحضرة المترجم فى هذا الاحتفال عدة قصائد مولوية من سائر الأقطار المغربية، ومما أنشد منها بين يديه قصيدة العلامة الأديب أبى العلاء إدريس ابن محمد بن إدريس بن الحاج العمراوى ودونك لفظها:

علامة إضممار المحبة لا تخفى	ونار هوى المحبوب فى القلب لا تطفى
وجيش الصبايات المروع للحشى	يكر على صبرى فيهزمه زحفا
وكيف أوارى الحب أم أكتم الجوى	ودمع مآقى العين قد ساجل الوطفا
عريب النقا ماذا لقينا من الضنا	فهل نرتجى مما عرى بكم كشفا
إذا باكرت من بطن نعمان نسمة	تجدد للصب المصاب بكم لهفا
وإن لمع البرق اليمانى موهنا	أثار بأحشائى لذكراكم لهفا
بحق هواكم بالفؤاد ترفقوا	ورقوا لتيهامى فقد جاوز الوصفا
إذا لم يكن وصل فوعد بزورة	وإن أنتم لم تسمحوا فابعثوا الطيفا

على أنكم مذ غبتم هجر الكرى
أحبة قلبي هل تعود عهدنا
وهل أردن ماء العذيب وبارقا
وهل بحمي الجرعاء والجزع أحتمي
معاهد أحبابي وملء محاجري
أردد ذكراها وأهتف باسمها
وهيهات لا يشفى المحب من الأسي
علام أصد النفس معتسفا بها
فهلا امتطيت العزم مطرحا سوى
وإن شفائي لو وجدت مساعدا
إلى طيبة تطوى المفاوز لا تنى
إلى روضة المختار أحمد من به
نبي الهدى المبعوث للناس رحمة
ومن لعباد الله أصبح هاديا
وبلغ للخلق الرسالة ناصحا
وأعلى منار المسلمين بهديه
وأوضح دين الحق فاتصلت به
وخص من المولى بكل كرامة
به ختم الله النبيين منة

فما نام طرفي بعدكم لا ولا أغفا
وهل تنظرن عيني المحصب والخيفا
وتمنحني بالمنحني أسرتي عطفًا
وأنشق بالبطحاء من عالج عرفا
سقاها الحيا الوسمى بالديممة الوظفا
لعلى بذكراها من الوجد أن أشفا
سوى أن يرى عند الحمى ذلك الإلفا
ومالى أرجيها بعلى أو سوفًا
مراقى تدنيني إلى المورد الأصفى
سماع حداة العيس ترمى بها عسفا
تبادر لا تخشى شتاء ولا صيفا
تمهد دين الحق واتخذ الأكفا
ومن جعل المجد الصميم له وقفا
فنالوا به الزلفى وقد أمنوا الخوفا
فلله ما أبدا ولله ما أخفى
وأعمل فيمن ضل عن سبله السيفا
موارد من يسلك بها يأمن الحتفا
تجاوزت الأعداد والشبه والكيفا
وفضله من بينهم وله استصفا

وقدم فى الإسراء فهو إمامهم
وفى الحشر يأتى الرسل تحت لوائه
به أظهر الله الجمال جميعه
وأخدمه جبريل فى حضرة بها
غداة ترقى قاب قوسين أو أدنى
فنال مناه باجتماع ورفعة
وفى المولد الأسمى بدت معجزاته
كإيوان كسرى إذ تداعى بناؤه
وتنكيس أصنام ورجم مخاتل
وغارت عيون الفرس عند خمود ما
ومن قبل مبداه أتتنا بشائر
إلى أن بدا النور الذى ملاً الفضا
كما انجاب عن شمس الهداية ليلها
وكم من علامات وكم من كرامة
فقل للذى يرتاد حصر صفاته
لو اجتمع الأملاك والجن دفعة
إذا الله حاله ونوه باسمه
نبي الهدى المبرور دعوة خائف
غريب بأرض الغرب أعيت أموره

وقد جعلوا من خلفه كلهم صفا
وقد عمهم من فضله الكنف الأوفى
وأعطى لفرد الحسن يوسف النصف
سقاه شرابا من مبرته صرفا
وفى الموقف الأعلى له المجد قد زفا
وعاد قرير العين بالقرب والزلفى
خوارق عادات شفتنا بها الشفا
وما كان يخشى من وثاقته صرفا
يروم استراق السمع من جهله خطفا
لهم من وقود لم يكن أبدا يظفا
من الجن فى الآذان تقذفها قذفا
فلا شرق يخفى ما استنار ولا جوف
فلما تزل تبدو ولما يزل يخفى
له مع تزداد العصور به تلفى
أردت محالا يا عديم الحجا كفا
كذا الإنس ما استوفوا من أوصافه حرفا
فكيف يجيل الخلق فى وصفه طرفا
يمد على بعد لعروفك الكفا
وضاقت مساعيه فناداك واستكفى

يناديك والأوجال تضعف صوته
يروم نهوضا ثم يعجزه الونا
قلب رسول الله صوت مؤمل
وأول ابنك المنصور بالله عطفة
ووال له سعدا وفتحاً مؤبدا
فقد يا رسول الله أعمل جهده
وقام بنصر الدين محتسبا به
وأسهر فى نيل المكارم طرفه
فساس وواسى ثم آسى بعدله
وشاد بناء ثابت الأسّ بالتقى
وجرد للأعداء ماضى عزمه
هو الحسن السامى لأعلى مثابة
أنله رضى يكسوه حلة مفخر
إلى أن يراه العالمون مجددا
حنانك للبر العطوف الذى به
حنانك للفرع الكريم الذى زكى
حنانك للحبر الهمام فلم يزل
أعنه أعنه يا سلاله هاشم
وكن ناصرا حزب الإله بسيفه

وحمل اكتساب الوزر قد أثقل الردفا
ويغلب لا يستطيع عن نفسه صرفا
وأسدل على عوراته كرما سجفا
يحل بها فوق السماء ولا خوفا
يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا
وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا
يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفا
وأعطى على الإصلاح مهجته وقفا
ولان لمن والى وقد جانب العسفا
وساد وبالمعروف قد بسط الكفا
وأسرج مرتادا لنيل العلا طرفا
له الحسن والإحسان حازهما وصفا
وعزا منيفا شامخا يغلب الكيفا
لستك الغراء ماح بها الظلفا
تبدى جبين العدل من بعد ما استخفا
وطابت مزاياه وبالعهد قد وفا
لخرق عداة الحق من جده يرفا
ويا خير من والى ومن أكرم الضيفا
وأنزل على أعدائه الخزى والخسفا

ومثلك من حامى وواسى وإننا
سلام على ذلك المقام مضمخ
وأزكى صلاة من حمى القدس يزدهى
وللال والأصحاب أوفى تحية
على ثقة أن يحرز الحب والعطفا
بأطيب طيب عرفه يملأ السدفا
لها العرش والأملاك تستوعب الصحفا
ننال بها من ربنا العطف واللففا

ولما دخلت سنة خمس وتسعين بقى مقيما بمراكش شفقة على رعيته لما
دهمها فى تلك السنة من حبس المطر وارتفعت بسببه الأسعار، وبلغ ثمن المد من
القمح بمكناس أربعة عشر مثقالا، فضج الناس وافتتنوا وكاد أن يأكل بعضهم
بعضا، وصار المرء يفر من أخيه وأمه أبيه، ويبيع الوالد ولده، ولا زال إلى الحين
الحالى يضرب المثل بتلك السنة لا أعاد الله مثلها على الأنام، ولم تزل الأسعار فى
ارتفاع والوباء بالأقطار المغربية فى انتشار والناس فى شدة واضطرار مدة، ثم تجلى
الله سبحانه لعباده بالعفو والإفضال، فاهتزت الأرض وربت وأخذت زخرفها
وازينت .

وفى هذه السنة كانت وفاة باشا طنجة القائد الجلانى بن حم وولى مكانه
القائد عبد الصادق الريفى .

وفيه وقع الإذن لصنو المترجم وخليفته بتاڤيلالت مولاي رشيد وعميه المولى
سليمان والمولى الحسين بالإتيان من مقرهم تاڤيلالت للديار الغربية بقصد صلة
الرحم مع المترجم وبقيه ذوى رحمهم بطلب منهم، ولما وصلوا الدمناات صادف
الحال إصابة المترجم بانحراف فى مزاجه، فأصدر أوامره المطاعة لعامل دمناات
بإكرام وفادتهم ونزلهم، والقيام بشئونهم كما يجب إلى أن تصدر لهم الأوامر
بالإتيان للحضرة المولوية، ولما تحسنت حالة صاحب الترجمة الصحية أمرهم
بالقدوم لحضرتهم بمراكش، ولما مثلوا بين يديه أظهر لهم من السرور بمقدمهم
والارتياح لرؤيتهم ما أوجب غبطة غيرهم لهم .

ولما شفى صاحب الترجمة مما ألم به تبارى الشعراء فى التهئة والقول، فكان من ذلك قول الفقيه الكاتب الأوحى السيد الحاج إدرىس بن إدرىس العمراوى:

نهار كما شاء السرور سعيد	ويمن على مر الدهور جديد
وبشرى به الإسلام أثبت طوده	وقد كادت الأرجاء منه تميد
وفتح به ازدان الزمان وأهله	وموسم عز قد تبدى وعيد
وفخر وإسعاد وفضل ونعمة	تبأشر أحرار بها وعبد
به رقصت مراکش وتبخترت	روى البشر فيها خالد ويزيد
بل الشرق والغرب ازدهى لسرورها	وهشت لها شاماتها وهنود
فقم وانشرح واطرب وطب فجبورنا	بإبلال مولانا الإمام يزيد
توارى ولا بأس فطاشت عقولنا	وكادت نفوس العالمين تبید
ولازمنا داء السهاد تأسفا	وحارت مهى فى خدرها وأسود
فلما رأينا غرة المجد أشرفت	وروى أحاديث الشفاء حميد
تراجع أرواح الورى لمقرها	تبارك مبدى العالمين معيد
وجالت بنا الجرد الجياد وولولت	كأن تفاصيل الصهيل نشيد
وقهقه أصوات المدافع فانبرت	بروق تهنى بالمنى ورعود
وأرسلت الخيل العتاق فساجلت	مواهب بر ذكرهن عديد
ولائم سعد عظم المجد قدرها	براحة مولانا الهمام تعود
أحاديث من حل الهنا بشفائه	بها فاز منسوب وخاب حسود
لدى الحسن المولى المؤيد والذى	له الفخر ينمى طارف وتليد

كريم على كل الكرام يسود
يفرجها رأى لديه سديد
يسيح بيمنه الندى ويجود
تداركها عزم له وسعود
لقصم رقاب المارقين عتيد
أقر له مأمونهم ورشيد
وباع إذا ضاق النطاق مديد
ولولاه دامت فتنة وحقود
رعاياه منها فى الأمان رقود
بها الدين والدينا لهن ركود
وجرد مداك ضمير وجنود
بها رسمت فوق القصور بنود
فأنت لها كاف كفيل رشيد
وزيرك برا لا يزال يفسد
لديه قريب فى الرضا وبعيد
رضا الله فانثالت لديه جدود
وليس له فى الصالحات نديد
بأسلاك در ضمته قصيد
عقيلة فكر عيطموس خريد

إلى ابن هشام يتمى كل سودد
إمام إذ ما المدلهمة أعضلت
وإن شحت السحب الغزار بوبلها
وإن ثلثة فى الملك أعوز خرقها
وإن ركب القوم السفاه فسيفه
وإن ذكر الأملاك فى السبق للعلا
ثبات إذا ما الشامخات تضعضت
به رفاً الله الخروق بغربنا
وأسهر طرفا صالحا فى مصالح
أمولاي تهينا سلامتك التى
نها بها والمشرفية والقنا
كذاك سرير الملك والتاج هنئا
فدم واغتنم واسلم لأمة أحمد
وأول أبا عمران موسى بن أحمد
فقد بذل المقدور فى النصح واستوى
وأعمل فى مرضاتك الجهد قاصدا
فمن رأيك الميمون بالله رأيه
وقابل عبيداً بالقبول فقد أتى
ودونك مولانا الأمير نفيسة

ترى مهرها عين الرضا وزفافها
 ولا زلت يا كهف الأنام مهنتاً
 إلى حضرة العلياء منك تريد
 وألبسك الرحمن حلة صحة
 بعافية طول الزمان تزيد
 وقول الفقيه الأديب الكاتب سيدى
 مطارف لا تبلى لهن برود
 موسى بن أحمد بشفاء صاحب الترجمة:

بشرى بشرح سلامة المنصور
 قرت عيون المسلمين بها كما
 وسروره بالملك فى المنصور
 تردده بلسان كل مفوه
 قرت بطول حديثه المشهور
 ويئانه بخطاب أهل وداده
 أشهى إلى أسمع كل شكور
 أهلاً به أهلاً فما أحلاه من
 أنكى لكل معاند وغيور
 لم يدر أَلطاف الإله بعبده
 نبأ به التوحيد أصبح يزدهى
 فى مظهر المحتوم والمقدور
 والكفر أبلس والغواية عذابهم
 عن فهمه المذموم والمحظور
 نبأ جميل الذكر متصل الهنا
 فى العز يرفل فى برود حبور
 عن أحفظ الحجاب يروى متته
 لمآتم ومنائح وثبــــــــــــــــــــــــور
 ذاكم أبو عمران أكرم شافع
 يمامنا بحر الهدى والنور
 ركن السياسة والرياسة والحيا
 بنفائس المنظوم والمنثور
 ثبت الفؤاد إذا تعاضم حادث
 وأجل ساع فى ادخار أجور
 عن حملة قد كل كل صبور
 طود الأناة وجابر المكسور

موسى بن أحمد لا عدنا وجهه
 علامة الوزراء ومأوى المعتفى
 بشرى له بشرى له بشرى له
 بحصول عافية الإمام المجتبي
 سيف الإله يبيد كل ممخرق
 فخر السلاطين الذين فخارهم
 لا زال فى مرقى السعود مهنتا
 يتلو الزمان بقاءه وشفاءه

كالبدر فى شرف السنن المنظور
 ومحل أمن الخائف المدعور
 يحظى بظل رداؤها المنشور
 حسن الشريف الطاهر المبرور
 عاث ويكسر هام كل جسور
 فى الغرب فوق فخار كل فخور
 بكمال برء فى قباب قصور
 فى بابه العالى على الجمهور

وقول الفقيه الأديب الحسيب مولاي أحمد الرباطى مهنتا باشا الحضرة
 الإدريسية عبد الله بن أحمد من قصيدة:

فجر اليقين بأفق العقل قد طلعا
 والبدر حل حلول السعد فى شرف
 منه الدرارى استنارت فهى فى فلك الـ
 وشق جيب الدجى عن الصباح كما
 والشمس من غيبه بالحمد قد طلعت
 فالملك عوفى والهناء يومئذ
 بشرى بعافية الوجود من خطر
 لولا الأمير لعمر الله ما بزغت
 لولا الأمير وراء الخلق ما خمدت

لولاه غيم سحاب الشك ما انقشعا
 ببرج طالعة الجوزاء إذ سطعا
 إجلال تسبح والضياء قد نصعا
 غنى الهزار بصوت للصبوح دعا
 وأشرفت فى سماء المجد فالتمعا
 وصارم العز هام الطيش قد قطعنا
 إذ داؤه بالشفاء عزمنا قد ارتفعنا
 شمس التهاني ويوم السعد ما تلعا
 نيران خيف ولولا الذعر ما ارتدعا

فى الأمن شخص على بساطه اضطجعا
ظل الرعية من حر الوغى منعا
بين الورى حده برا من امتنعا
من الأنام أليس الخطب قد دفعا
طول الزمان بمن فى خلقه شفعا
لولا القنا بيمين الملك ما انقمعا
عضب يمانى وكم من مهجة لسعا
موتوا بغيزكم فالصبح قد طلعا
يدرى العواقب من فى المؤمنين وعاء
ما اهتز قط للغوكم ولا استمعا
يدهى الذئاب سماعه وإن شسعا
إلا انزوت والتوت فى وكرها فزعا
تحصى لها حكم سبحان من بدعا
جاء البشير وإن الحق قد صدعا
يختال زهوا ونال الأمن واتسعا... إلخ

لولا الأمير لما عاش الضعيف ولا
للمال حفظ وللأعراض مع سبل
تعطى الحقوق به قد حال صارمه
مستوجب صالح الدعاء حق له
فاله يحفظه من كل مؤلمة
فر الفساد من الصلاح منهزما
فأهل شقشقة اللسان دونهم
قل للذين بإرجاف الورى اشتغلوا
عار على المسلمين الخوض فى كذب
فالطود أرسخ شىء فى تمكنه
والليث أظفاره تغنيه فى ظفر
ما صرصر الباز حول الطير فى وطن
إن الخلافة تنظيم العباد فلا
حق الهناء فبشرى الغرب من فرح
سر الزمان وكاد القطر من فرح

وقول الفقيه الكاتب السيد محمد الصنهاجى من قصيدة:

وأخ بمربع راحة وتهان
تجد المسرة فى رياض غوان
والسعد يرقص فى بساط أمان

حى الرفاق وسائق الأظعان
واجنح إلى سلمى ويمم حياها
واليمن يشدو والسرور متوج

والمجد يرفل فى برود بشائر
والكون يطرب والهناء معانق
حول الحمى تجد الأنام مطيلة
فأزال مولانا هواجس فكرة
عن بارع ببراءة سكنت بها
يا مصغيا أذن السماع إلى الهدى
أضحى الشفاء معانقا لأميرنا
يمنية مكلوءة بمشان
والعز ينصع فى سماء معان
أعناقها لتفوز بالعيان
بتواتر ماثور عن أبان
لب العوالم عن أبى عمران
أبشر بعافية العلى الشان
والبسط والأفراح فى الإيوان

وقول الفقيه الأديب مولاي أحمد بن الفقيه العلامة مولاي العربى البلغيشى
يهنئ الباشا عبد الله المذكور ويذكر ولده محمداً خليفته :

طاب الصبوح بأطيب اللذات
وأصخ لما ييدى السماع مجاوبا
باكر وصل وعد الغوانى مصافيا
دارت كئوس الشرب بين أفاضل
أنسية حضرية فتانة
فكأنها ظبى الفلاة تجفلت
جارت دلالا والدلال يزينها
نفرت فأرخت للبعاد عنانها
سمحت بنظرة وردة فى سوسن
والخال حارسها بلون حالك
اشرب زلالا فالحبیب موات
بترنم الألحان والنغمات
ودع المزاح مواتيا لسقاة
من راحة الهيفاء بالحضرات
بعذوبة الألفاظ والنفثات
والروع يشرفها من الهضبات
لسعت بمثل أساود الحيات
وكوت فؤاد الصب بالجمرات
بتوسط الطاسات والكاسات
متيقظ الأجفان والنظرات

جاءت جنود البشر بالرايات
نبأ السرور يطوف بالجمعات
عادت به الأشياء للغايات
ومرابع الآمال والحاجات
ومعالم الإحسان والحسنات
فهم الكرام وعطرة السادات
عبد الإله ومظهر الآيات
ظهر الخيول تصول فى الغارات
وهو الكمى الثبت فى الوثبات
ييدى العلوم بسرعة وثبات
مع فكرة أصفى من المرآت
حفت به الأقمار كالهالات
بسلامة المولى من الآفات
سعد البرى وغيره فى شتات
والناصحون فى أفضل الجنات
ساد الملوك فيما مضى أو ياتى
قصرت عليه بواضح البيئات
رمت نفاذ البحر بالآلات
اهناً بعزى يا سليل ثقات

قرب الوصال وأشرقت شمس العلا
ملأت مسرتها القلوب وأرسلت
هذى عوائد سيدى من لطفه
يا قاصدا نلت التهانى والمنى
يمم وهنىء بيت مجد شامخ
وعرين غابات الأسود من أحمد
واخصص ذرى الشمس المنيرة فى العلا
فىء البنود مقبيله ووظاؤه
أسد عزائمه النصال وكيف لا
إنسان عين العلم إن ذكاه
أقنى لباب العقل حكمة قاصد
من خصه المولى ونور سره
فلتهن يا سيدا ربى فى سودد
سلم الوجود ببرئه وشفائه
ملك لمبغضه الجحيم وراثه
ملك حوى فضل الملوك جميعها
أوصاف مدح فى الثناء كثيرة
إن رمت حصر صفاته مستقصيا
يا نجد كهف الوقت حبر رياسته

أنت العريق مجادة ومكانة
حسنت سجايك سمى محمد
دمتم فى حفظ الله ناصر مالك
حق الأمير على الرعايا دعاؤها
تبغى له نصرا وعزا مؤزرا
إن الدعاء له علينا لواجب
فأدم صلاتك للنبي محمد
والآل والصحب الكرام جميعهم
نلت السمو لأرفع الدرجات
ورضعت ثدى العلم فى الحالات
قد خصكم بمواهب الخيرات
فى سائر الركعات والسجدات
فى كل آونة من الأوقات
فى غاية الإخلاص والنيات
مصحوبة بنوامى التحيات
محفوفة باليمن والبركات

وبعد مقدم الأشراف المذكورين من تافيلالت بأيام قلائل توفى أبو عمران موسى بن أحمد وجيه رجال الدولة وحاجبها وممثل رجال صدارتها، فأسف السلطان لفراقه وحضر جنازته بنفسه، وذهب راجلا فى وسط المشيعين من داره إلى محل مدفنه، بضريح جد الأشراف مولانا على الشريف بباب آيلان، ولما كان المترجم قائما على شفير قبر الفقيد طلب منه عمه المولى سليمان المذكور ترشيح ولد المتوفى أحمد المار الترجمة لوظيف والده رعا لمكانته المكينة، وألح عليه فى ذلك، فقبل اقتراحه بالتلبية، وفى عشية اليوم نفسه أمر بعمارة المشور ولما أخذ كل مكانه أمر قائد مشوره بإجلاس أبى عبد الله محمد بن العربى الجامعى بمجلس الصدارة وأخيه أبى عبد الله محمد الصغير بمحل وزارة الحربية وأبى العباس أحمد ابن موسى المتوفى بمحل الحجابة الذى هو محل والده الحقيقى .

فلما بلغ ذلك المولى سليمان المذكور تأثر غاية وأعاد الاقتراح على المترجم فأجابته بأنه عينه فى محل والده طبق ما اقترح عليه، وأجابته إليه، وأنه ما رشح قط

الهالك المذكور للصدارة، وإنما كان تصرفه فيها على وجه الافتيات منه ورعيا
لسابقة خدمته مع والده استحيا منه ولم يؤنبه وإلا فرتبة الوالد هي التي رشح لها
الولد فزال لمولاي سليمان الإشكال وتحقق صدق المقال .

كما قلد المترجم أيضا أمانة الأمانة المالية للأمين الأكبر أبي عبد الله السيد
محمد بن الحاج محمد التازي الرباطي الشهير .

قال صاحب الاستقصا: وفي هذه الأيام استدعى السلطان أيده الله خديمه
الأرضي، السيد محمد ابن الحاج محمد التازي الرباطي إلى حضرته العالية بالله
بمراكش، فقدم عليه الأمين المذكور وأجل السلطان مقدمه وأسند إليه أمر خراج
المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك من صوائرها، وفوض إليه في ذلك
تفويضا تاما لعلمه بنصحته وأمانته وضبطه، قال: وهذا الرجل من أمثال أهل
المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدهم غيرة على الدين والوطن، حتى
لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن أن يكون لها بذلك
النجاح التام، نسأل الله تعالى أن يصلح أمرها، ويشيد بمنه عزها وفخرها . انتهى .

وبقى قائما بأعباء وظيفه بغاية الاجتهاد والسداد مصاحبا للركاب السلطاني
حلا وارتحالاً إلى أن اخترمته المنية بفاس في رمضان عام ١٣٠٧ ودفن بضريح
مولاي أحمد الصقلي منها بقرب قبر الأمين السيد محمد بن المدني بنيس الذي
كان قبله، فقلد المترجم بدله أخاه الأصغر الناصح الغيور التزيه الطيب الذكر السيد
الحاج عبد السلام بن محمد التازي الرباطي المتقدم الذكر في ترجمة الوزير الأكبر
السيد أحمد بن موسى فسار على سيرة أخيه، مع اقتفاء نهج الجد وتوخييه،
والقصد والسداد، والجد والاجتهاد، وشدة الاهتمام بمصالح الإسلام، وفيه يقول
الأديب الكبير العلامة الشهير أبو العباس السيد أحمد بن قاسم جسوس:

إن عدت الأمثال كان أجلها بل نورها وسواه كان الشيحا

ذاك العقول إذا كبت آراؤهم أضحى العويص برأيه مفتوحا

أس الوقار ومنبع المجد الذي تلقى مكان الحمد فيه فسيحا



لله الشكر مولانا الشيخ اعلم الرحمة بيدنا فمهم المحفظة
وخلقه على جبهه الحق من موسى والافواه قولاً وعملاً واتصالاً وسيراً
محمد الامين انيسله

وهي قصيدة من غرر قصائده، ودرر خرائده، هنا بها خليله الأديب الحيسوبى الميقاتى المؤرخ الشريف مولاي الغازى بن الحسنى الرباطى دفين الإسكندرية مقفله من الحج ١٦ صفر عام ١٣٠٧، وهو والد صديقنا الحميم سيدى المدنى بن الحسنى، وصدورها بقوله بعد الحمدلة والصلاة.

«وبعد: فيقول أحمد بن قاسم جسوس مهنتا الشريف الغطريف الأديب الأريب الفقيه الأوحدى الدراكة اللوذعى أبا القاسم مولانا محمد الغازى بن سيدنا الحسنى الإدريسى اليملى أعزه الله وأعلى كعبه بزفاهه بينت رأس الأكابر الأفاضل، وجامع أشتات المناقب والفواضل، الأمين الأفخم السيد عبد السلام التازى أبياه الله وكلاه وذلك بتاريخ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٣:

أبدین من تحت البراقع یوحا	فملکن شوقا عقلنا والروحا
ورمین عن قوس الحواجب أسهما	غادرن کل غضنفر مطروحا
وخطون فى جنح الظلام تسترا	فوشى بهن المسك یفضح ریحا
یسمن عن حب الغمام یشمن عن	عین الغزال وقد طوین كشوحا
ویملن تیهها عن قدود مید	غصن الریاض غدا بها مفضوحا
متلفعات بالشباب یدرن من	خمر التصابى كأسها المصبوحا
لهفى على ذاك الجمال فإنه	مذ لاح خلی فى الحشا تبریجا
ویحى على شرح الشباب أضعته	إن لم أفز یوما به ممنوحا
فلکم قطعت لأجله أجم اللیو	ث وکم ذرعت من الفجاج الفیجا
ومعى أغر محجل ضمرتة	فتخاله عند السباب ریحا
متأبطا عضبا على صفحاته	تبدى المنون دمائها المسفوحا

لا نلتقى إلا قتيل محبة
لولا اصطباحي كأس حب محمد
ابن الألى قد أحرزوا النور الذي
الراشدين المرشدين الكاملين الـ
ما انفك باب الفضل حيث ديارهم
سكنوا من الشرف الرفيع حصونه
يا خير ممدوح وخير محبب
أقسمت بالمجد الذي أوتيته
ما جال فكرى فى شمائلك العلا
يا سيدا فاق الكواكب رفعة
ورث السيادة كابر عن كابر
مذ كان طفلا والمعارف دأبه
حتى حواها واستقل بعبئها
مولاي تبقى فى السرور منعم
هاك القريض يمانيا أحكمته
وزففته بكرا عربوا قدها
طرقتك فى حلى البديع كأنها
إلى أن قال :

واهنا بصهر قد سمت آراؤه

أو مدنف الأحشاء أو مجروحا
غازى لخلفنى الغرام طريحا
أضحى به صدر الهدى مشروحا
طيبين الطاهرين السوحا
للقاصدين فتوحهم مفتوحا
وتبوءوا العز المنيع صروحا
حليت شعرا صار فيك مديحا
وغدا لهيكله سناؤك روحا
إلا شممت الورد ينفخ ريحا
والبدر نورا والبحار سموحا
عن كابر عن كابر تصريحها
هل فى سواها شمت منه جنوحا
فغدا بها وبحبها مريحا
ويدوم طيرك بالهناء صدوحا
بردا موشى من حلال وجيحا
يهتز غصنا فى الرياض مروحا
تلك التى وافتك تبهر يوحا
وحكى البدر مكانة ووضوحا

إن عدت الأمثال إلخ الأبيات الثلاثة السابقة:

يا ابن الرسول بقيت مخدوم الدنا مغبوق كأس بالمنى مصبوحا
وتدوم سباقا لغايات العلا لا كان طرفك فى السباق جموحا

وقد عارض بها قصيدة حائية أخرى فى موضوعها لصديقيهما الأديب الشهير قاضى الدار البيضاء أبى العباس السيد أحمد الزعيمى الرباطى وهى مذكورة بتمامها فى الاغتباط بأعلام الرباط فى حرف الغين منه، فلا حاجة للإطالة.

وبمراكش أقام المترجم حفلة العيد النبوى الأزهر ووردت على سدته الكريمة عدة قصائد من سائر أدباء دولته، وألقى على مسامعه الكريمة منها بمحضر من ساعده السعد من العلماء والوزراء والكتاب والأعيان بحضور الليلة الغراء التى يحتفل لها الجناب المولوى كل سنة أى احتفال، من تلك القصائد موشح العلامة الأديب إدريس بن محمد بن إدريس ودونك لفظه:

يا حاديا يقطع السباب ينشد طبعاً من النسب
استدم السير فى الغياهب لا تخش من حادث مهيب
سق المطايا تلو المزايا واطو فيافى البعاد طى
حتى ترى النوق كالحنايا وارب بها نحو أرض طى
نعم وحاذر وقع المنايا إن جزت حول الحمى بحى
وارع هناك الغر الغرائب الصائندات القرم الأريب
بوتر الغنج والحواجب تستعبد الأروع النجيب
عرب بتلك البطاح حلوا دم المعنى لهم حلال
عن الخنا والخلاف جلوا للسعد فى ربعمهم مجال
وهجر مضناهم استحلوا ولم يخن عهدهم بحال

حازوا منى الصب والرغائب
 وانتشر حلا الوجد والغرائب
 وحى عنى ربي المصلى
 ونور سلع إذا تجلى
 هناك بين الربى تما
 معاهد ذكرهن واجب
 إن بان طرف لها وحاجب
 وإن رأيت المقام الأسعد
 مقام خير الورى محمد
 من بمزايا العلا تفرد
 لما تجلى بدت عجائب
 نال بها منتهى الرغائب
 فكان ثم الفرد المنادى
 خلف جبريل ثم زادا
 واستكمل القصد والمرادا
 وهو فى الحشر خير عاقب
 تلوذ فيه به عصائب
 إذ يبلغ القلب للحناجير
 أول ذا الخلق والأواخر
 مذ جاوروا منزل الحبيب
 وأنشد فؤاد الحب الغريب
 والشعب والوادى الظليل
 والبرق فى ضوءه كليل
 تستشق الشامى البليل
 على المعنى الفتى اللبيب
 يعتاد قلبى بها وجيب
 حزت الرضا من منى وسول
 المصطفى الهاشمى الرسول
 وغيره ما له وصول
 فى حضرة السامع المجيب
 وشاهد الحق من قريب
 وجبرئيل له خديم
 لمقعد المجتبى الكريم
 بفخره الطارف القديم
 إذا ادلهم اليوم العصيب
 عند اشتداد الحر المذيب
 إلى علاه يلجا ويصمد
 كل ينادى الغياث أحمد

ثم يقوم المقام الأحمـد	تنصب للأنبيـا منابر
يعجز عن عدها الخطيب	وكم تبدت لنا مناقب
بمولد ما لها مغيب	حين تدلت له الكواكب
بالسن الجن والبشر	أت بميلاده البشائر
كل له عنده خبر	قس سطيح سعدى تماضر
حيث حوت فخره مضر	ينقله البدو للحواضر
من كل فحل نام حسيب	نشأ في أشرف المناسـب
فكل فخر له جنـيب	يجاذب المجد كل جانب
نجم الهدى فيه قد طلع	مطلعـه أبرك المطالع
لتربه العرش قد خضع	وقبره أشرف المواضع
واتل المزايا التي جمع	شرف بأمداحه المسامع
إن تكن الحاذق الأديب	ودم على ذكره وواظب
يغنى شذاه عن كل طيب	بلفظه طيب المآدب
من بعد جيل بها هلك	أنقذنا من هوى المهالك
طوبى لعبد بها سلك	وأوضح السبل والمسالك
كلا ولا استجمع الفلك	لولاه ما انجابت الحوالمك
إذا التحت عودنا الصليب	وله نلجأ من النوائب
وقل بلفظ الجاني الكـثيب	فالجأ لمغناه غير هائب
يا ذا المقام السامي التزيه	يا سيد الأنبياء طه

وما له فى العلاء شبيهه	فخرك فى الخلق لا يضاهى
أنت الشفيح الرضا الوجيه	يا من سما مفخرا وجاها
وانخذلت دولة الصليب	يا من به ضاءت المراكب
يا صاحب التاج والقضيب	يا خير ماش وخير راكب
لنيلك الزاخر المديد	عبدك بالغرب مد كفا
يرجو الذى يأمل العبيد	ودمعه يستهل وكفا
ييث شكواه بالوصيد	لو ساعد البخت جاء زحفا
ما بين ليث عدا وذيب	فكن لعبد حشاه ذائب
والعفو من فضلكم قريب	وذنبه أوهن المناكب
بالأهل والمال والبنيين	واعطف على نجلك المفدى
فى المنهج الواضح المبين	بدر الصلاح الذى تبدى
بهديه المشرق الجبين	سار وللقصد ما تعدى
ولعلاء أمركم منيب	وقام فى الدين خير نائب
ورأيه فى العدا مصيب	وحاز فى الفضل سهم صائب
وبالهدى والتقى ارتفع	بسيفه شيد المعالى
فمجده فى السما لمع	صنو الندى صادق المقال
باليمن وإلا من قد صدع	جيد رعاياه منه حال
ولا مقالى بذأ غريب	أحلف بالله غير كاذب
لقخره أو له نصيب	ما فى ملوك الزمان كاسب

الحسن الهاشمى شهم
يم ندا كفه خضم
وإن بدا للشقاق نجم
كم من مسيء أتاه تائب
وبئس ناوش المصائب
فالقرب بالعدل منه رائق
أدواح خيراته بواسق
والعلم من راحتيه نافق
مذهبه أحسن المذاهب
به لدينا انهلت مواهب
أوقاته كلها سعود
ولقماماته صعود
بروق نصر لها رعود
يقود عند الوغى كتائب
من كل قرم حام مضارب
ليوث حرب تحت المغافر
من صادق الطعن وهو سافر
وساحب السيف فوق نافر
مشارق الأرض والمغارب

ينميه للمصطفى هشام
قد فاز حام به وسام
محاه من بأسه الحسام
فوجد الصافح المثيب
بمه اکتال والجرب
والسعد فى أفقه رقا
سقاها منه الذى سقا
يدعو له الدهر بالبقا
ودهره الناعم الخصيب
عند ذراه السهل الرحيب
يحوطها اليمن والسعادة
تتلى بها الفاتحات عادة
على العدا ترة معادة
ينهدمن وقعها الكثيب
يستعذب الحتف كالضرب
عودها فى العدا الظفر
تشبهه الأسد إن سفر
يقول للقرن لا مفر
عادت لصولاته تنيب

والمارق الخارج المحارب
 أعمل فى الصالحات جهده
 ألهم فى المكرمات رشده
 فأظهر الله ثم جنده
 فكُن له الحافظ المراقب
 مهْد له أرفع المراتب
 عطف عليه القلوب جمعا
 وحام عنه دفعا ونفعا
 واكس المعادى ذلا ووضعاً
 واحرس علاه بكل جانب
 أم نداكم راج وراغب
 مولاي يهنيك ما تسنى
 وأبشر بنيل الذى تمنى
 واسعد بعيْد بكم يهنى
 روق من وصفكم مشارب
 عارض فى النظم وهو راهب
 يا أهل بيت النبى أتم
 أفلح كعبى إن قبلتم
 طاب شذا مدحكُم رطبتم
 بدم عتونه خضيب
 وكسبت الزائغ المريد
 وسار سير الرضى الرشيد
 ومنك يستوهب المزيد
 وقلدنه العضب الخشب
 واحفظه فى القرب والمغيب
 وكن له الناصر الحميم
 وافتح له فتحك العميم
 وأوردنه الردى المليم
 وأره صنعك العجيب
 حاشا لعلياك أن يخيب
 لسعدك الفائز المتين
 من فضل مولاك كل حين
 وانعم بذا الجوهر الثمين
 فازدان منشوره الذهب
 ما لابن سهل وابن الخطيب
 لمدحتى البدء والختام
 وما على من غلامام
 عليكم منكم السلام

سلام ربي عليه دائب ما اشتاق مضمي إلى الحبيب
وماله من آل وصاحب ما صاح في الروض عندليب

وفي غرة جمادى الأولى من عام ستة وتسعين نهض المترجم من مراکش
ومر في طريقه على قبيلتي الرحامنة والسراغنة، ولما كان بآيت عتاب أوقع بهم
وأكل زروعهم وقطع منهم واحداً وعشرين رأساً جزاء لهم على ما اجترموا من
الزبغ والعيث، ثم نهض وسار إلى تادلا فزعير فرباط الفتح وأقام به أياماً، ثم
ظعن منه مصمماً على الزحف لبني مطير إذ كانوا سعوا في الأرض الفساد وعاثوا
في الطرقات بسلب ونهب المارة وأوقعوا بعرب دخيسة وأولاد نصير الذين كان
أنزلهم المترجم بسايس بدلا من مجاط شر وقعة، ولما شردوهم عن سايس رجعوا
إليه مجاط الذين رحلهم السلطان منه، فسار من الرباط على بني حسن وزمور
الشلح وجروان، ثم نزل ببحبوحة بني مطير آكرای والحاجب وأمر بني مكيلد أن
يزحفوا إليهم من ناحية آكرای، فزحفوا وربطوا عليهم آيت يوسى، وآيت
شغروشن، وآيت عياش، وآيت ولان من جهة الشمال.

كما ربط بإزاء المذكورين القائد العربي بن محمد الشركى - والد الباشا عبد
الكريم عامل شراكة وأولاد جامع سابقا القاطن حينه بفاس - وبقية من جاء مع
المحال السلطانية من القبائل الغربية والحوزية، وأحدق الجميع بعصاة بني مطير
فضاق بهم الفضاء المتسع، ولم يجدوا خلاصا ولات حين مناص.

ولما أيقنوا بالثبور والبوار، وأكلت زرعهم الرطب واليابس، وهلكت
ضروعهم وجاست الجنود المخزنية التي لا قبل لهم بها ولا طاقة لهم عليها ربوعهم
وبارت منهم الحيل لجأوا إلى المترجم، وتطارحوا على أبواب رحابه، وأعلنوا
بالإبانة وإخلاص الطاعة والتوبة النصوح، وتشفعوا واستجاروا بالصالحين،
وتمسكوا بأذيال الحلم والحنان، والعفو المولوى، فرق لهم المترجم لما وصلوا لهذه

الحالة وعفا عنهم عفو قادر، ووظف عليهم غرامة مالية قدرها مائة وخمسون ألف ريال وخمسمائة مرهون من أعيانهم، وأدوا جميع ذلك والتزموا برد الحقوق والمظالم وإخراج قبيلة مجاط من بين أظهرهم وجعل النزائل لحراسة المارة بين فاس ومكناس، وفي هذه الوقائع يقول الفقيه الأديب مولاي أحمد الرباطي من قصيدة:

صلحت بعزك في الخروج قبائل	فالحب عادت بينهن طوائل
لما حللت بأرضهم حلت بها الـ	بشرى وفكت للحقود حبايل
كانت منازلهم قبيل خروجكم	قفرا وبعده هن منه أواهل
حقت دماء الفرقتين بعيد ما	كانت رماحا بينهن وسائل
لعت دماءهم السيوف ودحرجت	هاما وكرت في النزال قبائل
شابت بمعتك الوغى شبانهم	لولا الحروب لما صرخن ثواكل
دوخت أرضهم بقصد هنائهم	فتهنأوا حتى المحل الهائل
بعد الشتات جمعت شمل فراقهم	أطفالهم أمنت كذاك أرامل
فالحيف مهزوم حسمت ذراعاه	بنصال عدل إذ سطوت تناضل
ما خاب ساع في المصالح إنه	مشكور سعى بالسعادة آئل
تنبى البداية عن جميل نهاية	وعلى الأواخر قد تدل أوائل
فبسائس نيل المراد بسايس	والحق بان به وغاب الباطل
حصل الأمان على الطريق لفئات	نزلت من النزال فيه نزائل
يا معشر القفال بشرى بالهنا	قد عمرت بالراحلين مراحل
ابن السبيل أهم شيء عنده	في ظل سيفه قد تنام قوافل

قبيل الملوك إمامنا بيت العلا ال
بطل الحلال والهزير الباسل
كنه العلاء أبو على حبذا
من مثله ذاك الإمام العادل
ساد الملوك بسودد من أصله
أصل السيادة هو الرباب الهاطل
بدر السعادة حل فى الجوزاء قد
سعدت ببرجه فى السماء منازل

إلخ إلخ.

وعقب ذلك أصاب المحلة وباء عظيم أوجب تعجيل نهوض المترجم عنهم،
ودخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتون أواخر رجب من السنة سالما معافا، وبعد أن
أقام بها شهراً عزل باشاها القائد إدريس بن المدعو خنيشش، وولى مكانه الباشا
حم بن الجيلانى، ثم بعد ذلك نهض لفاس وبها بلغه موت رئيس مشوره القائد
محمد بن بعيش ودفنه بضريح أبى حفص عمرو الحصينى طبق ما طلب من جلالته
عند وداع جنباه بمكناس، وولى مكانه رياسة المشور خليفة المتوفى إدريس بن العلام
وعين له خليفة ولد المتوفى القائد إدريس بن يعيش، الذى كان عاملا قبل بمدينة
وجدة، ثم ثغر تطوان، ثم ولى رياسة المشور أيام السلطان السابق مولانا عبد
العزیز.

وفى عام سبعة وتسعين ومائتين وألف وجه عمه مولای الأمين بن عبد
الرحمن بن هشام فى كتيبة عظيمة من الجند لاستخلاص المرتب وتسكين الفتن
المتقدة بقبيلة قلعية، ورأس على تلك المحلة القائد حم بن القائد محمد بن الحسين
البخارى، وعين الطالب المنجم السيد محمد بن أبى سلهام الخلطى ميقاتيا بها،
ووجه حركة أخرى لقبيلة مستارة لتسكين الروعة التى قامت بها والضرب على
أيدى الناهيين وقطاع الطريق على المارة لوزان ونواحيه والمضيقين بأهلها وانتشرت
بعوثة وسراياه فى الجبال البربرية لأخذ الجباية المخزنية والأعشار المترتبة فى الذمم،

إلى أن بلغت إلى آيت يزدك من برابرة الصحراء، فسمع الكل وأطاع وأدى ما لزمه إلا ما كان من آيت حلى فريق من آيت يوسى، فإنهم رفضوا طاعة عاملهم وامتنعوا من أداء الموظف عليهم، فأوقعت بهم الجيوش المخزنية وقعة شنعاء وقطعوا منهم رءوساً عديدة علقت على أسواق فاس، إرهاباً للعصاة أمثالهم، وزجرا لهم عن العود لخلع رداء الطاعة.

وقبضوا على عديد من المساجين وأتوا بهم للجلالة السلطانية بفاس، وأودعوا ببطون سجونها ولم يسعهم غير الإذعان والرضوخ للطاعة، فقبل المترجم توبتهم وأمن روعتهم، وألزمهم ولاية عاملهم الذى سلخوا ربة طاعته من أعناقهم، وذلك أواخر صفر من السنة.

وفى هذا التاريخ أوقع القبض على عامل الغرب أبى عبد الله محمد بن عودة وولى مكانه ابن عمه القائد بوسلهام بن المصطفى المدعو الرموش، وأقام حفلة عيد المولد النبوى بفاس.

وفى أوائل محرم فاتح سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف بارح المترجم فاسا وأقام بمكناسة الزيتون ستة أشهر كملا، عزل فى خلالها محتسبها السيد المختار بادو، وولى مكانه الحاج محمد أجانا، واحتفل لعيد المولد النبوى وليته احتفالات عظيمة، ومد منوعات موائد الإنعام الشاملة للخاص والعام، وقدمت لجلالته عدة قصائد مولوية من سائر أدباء رعيته الشريفة، وسرد منها أمامه بمحفل غاص بالعلماء والأشراف والأعيان ووجهاء الوفود الغربية والحوزية.

فمما شنت به الأسماع قصيدة الفقيه الأديب الكاتب أبى محمد عبد الواحد بن المواز ودونك لفظها.

فأحيت شجا وجدى وأفنت تجلدى
وأكدتني من شجوك المتردد
ونحت على ورد فجرعت مورد
فعودى فلم ينكر شجاك وغرد
أنوح اشتياقا للحبيب محمد
وجبته مكارم الحشا جوب متئد
سبيل هوى الفرد النبى الممجد
فهل عطفة تشفى بها قلب مكمد
إلى أن ثوى قلبى غرام محمد
عشيق بأغلال الغرام مقيد
ويصبو إليكم صبوة المتفقد
يبيت بجفن من هواك مسهد
فجدلى بفضل من نداك مؤبد
وحسبى به زادا وخير تزود
تعالت فلن تعطى لرسل وهجد
على الأرض فى بيد وغور وأنجد
فلولاه لن يهدى من الغى مهتد
ودر له ثدى فلم يتخذ
وفاح شذا فيها شجا كل أمجد

شدت سحرا ورقاء شدو تغرد
فبالله يا ورقاء مالك رعتنى
بكيت بلا دمع فأبكيت دامعا
لئن كان ما بى فى الهوى بك مثله
وإن نحت شوقا للمغافى فإننى
سلكت الهوى براً وخضته لجة
فألفيت أن المحرز النجح من قفا
إليك رسول الله ثارت صبابتى
فما كنت أدرى ما الغرام وما الهوى
ففك حبيب الله أسر عبيدكم
يحن إليكم كى يفوز بمطلب
شجيا غدا مضنى الفؤاد بحبكم
إليك صفى الله سقت وسائلى
لقد صار لى طبعاً هواك وشيعة
وإنى وقد أرقاك ربك رتبة
فأنت رسول الله أكرم من مشى
نبى هدى للعالمين ورحمة
بهيبته إيوان كسرى تصدعت
وأشـرقت الأقطار ليل ولاده

وهز له العرش ازدهاء بمولد
وبات بها باب السما غير موصد
بها شهرها بين الشهور كعسجد
صلاة بها ننجو من الهول فى غد
كمحو الدياتى بالسنا المتوقد
فلولاه لم تدرأ جميعا وتوجد
ومنه تجلى كل نور ممد
على شرف محض طريف ومتلد
تناهى حلاه عن فصيح ومنشد
على معجزات أعجزت كل ملحد
وشق له البدر المنير بمشهد
فكان الصبا يصبو على وفق أحمد
وأذناه والمحبوب غير مبعد
جلالا وتقديسا على رغم حسد
فكان يرى فحل العداة كخفد(١)
فويل العدا ياويلهم أن يجرد
كروض بهيجات أزاهره ند
متى ظفرت عين برؤياه تجمد

وسرت بها فيها الملائكة العلا
ولاحت له فيها براهن فضله
بها فخرت كل الليالى وقد غدا
على طه خير الأنبياء محمد
بدا فمحا رسم الضلالة بالهدى
هو الأصل فى خلق العوالم كلها
فمن نوره قد كان كل مكون
تخصص بالمجد الأثيل وبالعلا
وكيف من المولى ارتضاه حبيبه
له حجج ما نالها قبل مرسل
حياه إله العرش حوضا وكوثر
وأيده من محض فضله بالصبا
وأسرى به فوق البراق أمينه
فنال مقاما لا يطاول شأوه
وأعطاه نصرا باهرا وشجاعة
بعضب معد للكفاح مصمم
وأتخفه دون الورى بشمائل
وآتاه خلقا يخجل الشمس نوره

(١) فى هامش المطبوع: «على وزن هدهد الخفاش كخفدود على وزن بهلول».

وأعطاه فى يوم المعاد شفاة
وأنزل قرآنا عليه مفصلا
وأعجز منه الإنس والجن آية
وحن إليه الجذع واستأنست به
ووافت له الأشجار تسعى كما جرى
وقد هز عرما حيث لاقى عكاشة
وقد منح البئر الأجاج عذوبة
وقد ظللته من ذكاء غمامة
ورد بفضل الله عين قتادة
وباعجبا فى كفه سبح الحصا
وأتمته قد أخرجت خير أمة
وأخبره عن سمه عند أكله
عليه صلاة الله ما هام مغرم
ومنه الرضا عن آله الغر من سمت
ومن زهرت فى المكرمات مناقب
ومن حبهم فرض على كل مؤمن

تعم ذوى الإسلام جمعا لمفرد
أصار جميع الملحدین كجلمد
فيا حسرة العاصى وبشرى لمرشد
ضباب الموامى^(١) والوحوش بقدفد
بكفه ماء قد روى اللجب الصد
فعاد لديه كالصقيل المهند
بتفلته حتى حلا كالمقند^(٢)
وفك بغيراً منه رام ليفتدى
وعافى عليا من قذى به مرمد
كذاك طعام منه سبح فى اليد
ويلزم فضل المقتدى فضل مقتد
ذراع فلم تستقص آى محمد
بحبه من غير اصطبار موطن
لهم قدم فى كل فضل منضد
لهم مثل روض بالأزاهر أملد
وبغضهم يفضى لجمر موقد

(١) فى هامش المطبوع: «المومة: المفازة الواسعة والجمع موام».

(٢) فى هامش المطبوع: «القند والقندة - بالفتح فيهما - والقنديد: بالكسر، غسل قصب

السكر إذا جمد جمودا، معرب. ويقال: سويق مقند كمعظم ومقنود ومقندى، إذا كان

معمولا بالقنديد، هـ. تاج بخ، ومن تواريخ المشرق: كتاب القند فى علماء سمرقند».

هم نسل زهراء ليوم قيامه
بهم تنجلي العاهات عن متوسل
بجاههم تجرى الامانى لآمل
ولا يتهم فى الأرض أمن لأهلها
مفاخر آل البيت بحر تراخرت
ولكنها زينت بفخر إمامنا
حبانا إياه الله فضلا ونعمة
سما حيث لم يدرك فلولا سعوته
بدا نيرا فى الأرض كالنوء شأنه
به شرفت مرقى المعالى كأنه
لئن كان من قبل الملوك تقدمت
فاقرر به جفينك طلعة كامل
لسيدنا حلم لوانه للصببا
ومجد وملك أحرز عن وراثه
وجود كما صوب الحيا وأناة
وبأس فلم تظفر به شهب السما
وخلق كما نشر الكبا وشجاعة

مآثرهم إن رمتها لم تعدد
بهم وبهم يدنو المنى إن يبعد
بهم ينفرى حبل العويص المصفد
وهم فى الورى جبر لكل مخصد
به لجج أن تغترف منه يزدد
فنال كمالا فى كمال مسرمد
فتنهنا به فى ظل أمن ممد
حسبته كيوانا إذا يترصد
هدى وندى فاستمطرن منه واهتدى
لجسم المعالى مهجة لم تبدد
فلم يقس العضب السليل بمغمد
بأردية البأواء والفخر مرتد
لماهر أوراقا لاقنان غرقد
على نسب صرد^(١) ورأى مسدد
وهيبة ضرغام وتنجيز موعد
وعلم كبحر بالمعارف مزبد
بحومة حرب لم تكن عند فرهد

(١) فى هامش المطبوع: «الصرد: الخالص من كل شىء»، يقال: أحبك حبا صردا، أى خالصا. وشراب صرد، وسقاه الخمر صردا، أى: صرفا».

وخلق لو ان البدر قابل نوره
 هو القطب لولا أنه كان مفردا
 فالتم بمولانا الرضى الحسن الحلا
 لكم زان قدر الليل ميلاد جده
 بإنشاد أمداح ووفر ولائم
 وإسراج أنوار وتطيب محفل
 فلا زال مزدانا به فضل مولد
 أسيدنا مالى بمدحك مغرم
 متى راش ذهنى مطردا لمدائح
 وفيكم ترى الأمداح فخرا لمادح
 أسيدنا هذى عقود نظمتها
 ولو لم تفق فى ذاتها فلقد زهت
 وفى نظم آيات الرسول تواصل
 به نسأل الله النجاة ونرتجى
 وحفظا وتيسيرا وتفريج كربة
 وتأيد نصر الله والفتح والاعلا
 وبالمصطفى كم ساكنات من المنا
 فيا خير خلق الله عطفنا لناظم
 ومدحى لم أحسبه غير زبرجد

كساه شجون من شجى وتحقد
 بلا شبه ما خلته غير فرق
 تنل خير مأمول وتحظ وتسعد
 بإظهار تعظيم له متعود
 وبذل عطيات وحسن تهجد
 وجمع حماظ فضلهم لم يندد
 وزال محفوفنا بنصر مؤيد
 فصار أنسى إذ أروح وأغتدى
 أرى هدفا ذلك الجناب لمطرد
 وفى غيركم كالغنج فى عين أرمد
 ونضدتها كالدر فى سلك عسجد
 بمضمونها زهو النديم بصرخد
 لخير وتنفيس وسلوى لأنكد
 بجاهه فتحا للوصيد المشدد
 وسترا عميما لم يزل يتجدد
 لسيدنا الشهم الإمام المصمد
 تحركن لولا جاهه لم تنود
 فرائد آيات لكم متودد
 معاد ومردود لبحر الزبرجد

ولكنما الممدوح نظمي بأحمد
إليه ركابا في فلاة وأوهد
لدى يوم هول رائع وتهدد
شدت سحراً ورقاء شذ وتغرد
كما لم أخل نظمي مديحا لأحمد
عليه صلاة الله ما ساق سائق
صلاة بلا حصر نؤمل فضلها
صلاة تعم الصحب ما قال منشد

وقصيدة العلامة الأديب الشريف سيدي الفاطمي بن الحسين الصقلي

ولفظها:

ضحك الربيع بمبسم النوار
وأتى النسيم مجرراً أذياته
ويجيبه مسك النوافج عله
والنهر يجري كالمدام بمفصل الـ
والورق تشدو والهزار بعوده
والعندليب مجود ألقانه
والدوح ترقص في غلائل أطلس
والغور قد بثت زرابي نبتة
وأنت ندامى كالنجوم وجوههم
من غض ورد كالحدود ملاحه
وشقيقه من في صفيحة خده
وقرية النسرين ذى العرف الذى
أو نرجس كضعيف جفن فاتر
إذ هنأته بوارق الأنوار
تيها يدوس عمائم الأشجار
قد ضاع بين كمائم الأزهار
أغصان فهى تيمس من إسكار
يشجى بما يلهيك عن أوتار
غنى فأغنانا عن المزممار
طربا بلحن مصوت الأطيوار
والنجد أسدل سندس الأستار
تبدى السبيل إذا خفى عن سار
والمسك فى تفتيقه المعطار
حسنات حسن قد بدت للقارى
تسرى به النسيمات فى الأغوار
يرنو بمقلة فاتن سحرار

مثل القسي في رقة الأوتار
را باقلا عن مخجل الأقمار
عن لمع برق خاطف الأبصار
متمايد بتدلل ووقار
ء زبرجد كالشهب للأنظار
زهر بمولد أحمد المختار
لولاه كان الكون في إضمار
سر الحقيقة معدن الأسرار
نامى أبو الأرواح والأنوار
فخرا على الأيام والأعصار
والفطر والأضحى بلا إنكار
في سعدها والصبح في الأسفار
جاءت بقطب دوائر الأدوار
جن وجلمود ومن أحبار
عن ساكن النيران حر النار
وعيونهم تشكى لهيب أوار
ع ضلالة الجهال والكفار
ر الشام قبل تبلج الأسحار
متدفق الأنوار كالأنهار

وطرى ريحان يريك حواجبا
وبنفسج ياقوتى يحكى عذا
أو أقحوان مثل ثغر باسم
وقضيب بان مثل قد أهيف
أو ياسمين قد تدلت من سما
يحكى تديها تدلى أنجم
خير الوجود وعلة الإيجاد من
أصل الخليفة أسها ولبابها
قوت القلوب وريها ونعيمها ال
لله ما قد حاز يوم ولاده
يزرى بليلة قدرها وعروبة
صبح به قد أصبحت شمس الهدى
أعظم بتلك صبيحة الاثنين قد
يوم تتابعت البشارة فيه من
يوم بليته يخفف ربنا
يوم به نيران فارس أطفئت
يوم به الإيوان منصدع كصد
يوم بدا نور أضاء له قصو
يوم به روض الجنان مزخرف

من بالجنان من الدمى الأبيكار
من كل حسن جل عن مقدار
كالخزن من أهل العمى الفجار
والكفر عاد على شفا منهار
يسرى فيكسو جملة الأقطار
بدرا بحالك أزمنا الأغيار
عن وجه أحمد صفوة الأبرار
تحت الدياتي للمليك الباري
ولسـامع ولناظر نظار
نثر وكيف العبد للأقطار
إلا وقد عدت لرب الغار
لمحمد في الذكر والآثار
وكذا الحديث بناقدي الأخبار
غضبان ما سئما على التكرار
د كأهله الشرفا ذوى الأقدار
من ضل فى محلوك الأغمار
للمبتغى والمجتدى والجار
من هم ذكا الإعصار والأمصار
ن علوا من العليا على الأكوار

يوم به ابتهجت سرورا وازدهت
وتمايدت وتمايلت وتزينت
يوم به طرب العوالم زائد
يوم به الإسلام أسس بالتقى
يوم به نور الرسالة مشرق
يوم وما أدراك ما يوم غدا
كشف الزمان غياها من حجه
خير الورى على الدرى من سرى
ذو المعجزات الباهرات لحافظ
ما إن يحيط بعدها نظم ولا
ما من خوارق عادة للأنبيا
لكنها ذهبت سريعا غير ما
أما القديم فحفظه من ربه
فهما على مر الزمان ومدته
وهما أمان للعباد وللبلا
من هم نجوم يهتدى بسناهم
هم مطلب وذخائر وتعزز
لا سيما بيت الملوك ذوى العلا
السادة الأسد البهاليل الذي

وخصوصا المخصوص بالتبجيل من
 فخر الملوك وتاجهم وسراجهم
 ذو الجاه والقدر العليّ أبو على
 حسن كأخلاق تناهت وازدهت
 ملك به تاج الخلافة مشرق
 ملك له كل الملوك رعيّة
 ملك تلفع بالمجادة واحتبى
 ملك له همم سمت فصغيرها
 ملك تهاب يمينه أسد الشرا
 ملك له فضل وإفضال على
 ملك له حلم وعدل واسع
 ملك له علم وفهم ثاقب
 ملك لرفع الدين منتصب كما
 أحيا رسوما للحنيفة بعد ما
 وأقام منها قاصدا سبل الرضا
 فى كل حين للشعائر مظهر
 فله بأزمته احتفال واحتفا
 وقراءة لحديث مولد أحمد
 وحباء مادح جده ولقارنى
 بين الملوك سلالة الأطهار
 شمس القصور فريدة التقصار
 حامى حمى الإسلام من غدار
 بحاسن الإيراد والإصدار
 فى المشرقين ككوكب سيار
 كسرى وقيصر من عبيد الدار
 فى برد عز معلم بفخار
 يستنزل النسرين باستصغار
 ويساره يسر من الإعسار
 ذى الملك والدينا وذى الإقتار
 وسياسة تغنى عن الأنصار
 فى المدلهم غدا كزند وارى
 خفض الضلال بجراح بتار
 أقوت فعادت بعد فى إكبار
 ما أنقضت بغيا يد الأشرار
 كالمولد النبوى ذى الأخطار
 من سرد سيرة سيد الأطهار
 وسماع ما فيه من الأشعار
 ولمن يحل بذلك المضمار

بغمام تبر وابل مدرار
أولى بهذا القرب والإيثار
خير البرايا سيد الأخيار
ومساعدنا من سابق الأقدار
ترعى بعين عناية الستار
بالنصر باب النجح والإيسار
ل يمكننا من مغنم الأعمال
بسلامة فى السهل والأوعار
متمنع بالهند والأنبار
إلا افتتاحا نعم عقبى الدار
وعديدكم فى الجهر والإسرار
عيدا يعود بكل خير طار
مع محركا لسواكن التذكار
والصحب أرباب الندى الأحرار
لربيعه بالهامع الثرثار
بولادة الفلك العلى الدوار
تهنى السيادة فى يدى بشار
فى كامل فى كامل الأطوار
متكامل الأفراح والأوطار

بل للرعية كفه مبسوطة
هذا ولا عجب فإن بنى النبى
يا سيدا يهنىك مولد جدكم
دم صاعدا بسعيد برجك أمنا
واسلم ولج بحصين حصن حماية
ولتبق فى عز ويمن فاتحا
ولترق فى أوج السعادة بالقبو
ولتمش فى طول البلاد وعرضها
وافتح بعزمك كل حصن شاسع
واجلب برجلك والجياد فما ترى
فالله حافظكم وناصر عدكم
بأبيكم من صرار يوم ولاده
صلى عليه الله ما جاء الربيع
وعلى الكرم ذوى العلا أهل العبا
ما جاء قمرى الرياض مهثا
أو ما استفاضت فى الأنام بشارة
أو ما أتت هيفاء فى حلل البها
أو ما أتى نشر المدائح كاملا
أو ما غدا المولود مولد جده

ثم نهض منها ووجهته مراكش، فمر في طريقه على قبيلة زمور الشلح، فرباط الفتح، فزغير، وأدرکه عيد الفطر بالمحل المعروف بصخرة الدجاجة من بلاد تادلا، وهنالك أقام سنة عيد الفطر طبق العوائد الملكية، ومن ثم سار لبلاد السراغنة، ثم الرحامنة، ثم مراكش.

وفي هذه الحركة وهي السابعة لبي داعي مولاه الفقيه أبو عبد الله محمد الصفار التطواني وزير الشكاية، وولى مكانه العلامة أبو الحسن على المسفيوى، وبعد أن استراح المترجم بالحضرة المراكشية وجه من ألقى القبض على القائد انفلوس الحيحي وانفلوس لقبه - ومعناه بالسوسية الرئيس - وهو القائد أحمد النكنافي الحيحي الشهير الذكر، وبمراكش أقام سنة عيد الأضحى.

وفي رمضان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف نهض من مراكش ووجهته قطر سوس الأقصى، حيث إن الإصبان تشوف لتملك بعض المراسى السوسية منذ انعقاد الهدنة الواقعة عقب حادثة تطوان الآتى شرحها بحول الله، وزعموا أن تلك الناحية لا تنفذ فيها الأوامر المخزنية ولا تعترف بأنها من الإيالة^(١) السلطانية، وأشاع ذلك وأذاعه، ثم بعد ذلك طلب من المترجم الإذن له فى البناء ببعض تلك الشواطئ نظراً لما ذكرنا من إشاعاته، ولما لم يجب لذلك هم بالخروج لتلك الناحية، فعند ذلك عزم المترجم على التوجه لذلك القطر وحسم مادة أطماع الطامعين بفتح مرسى بوادى نول بالمحل المسمى آساكا، بأرض قبيلتى تكنة وآيت باعمران.

ولا سيما عندما بلغه أن ذلك الجنس فتح مع أولئك البسطاء أبواب البيع والابتياح، وصارت مراكبه الحربية والتجارية تكثر التردد لتلك النواحي وتستهوى أصحابها بالتجارة والأرباح الزائدة وتستفزههم ذلك.

ولما طرق سمع القواد ورؤساء الأجناد والقبائل ما هم به المترجم من الحركة للقطر السوسى، طلبوا لقيه والمثول بين يديه، فلبى طلبهم ولما مثلوا بين يديه قرروا له ما يعانيه أهل ذلك القطر من الشدة والاضطرار والفاقة وتفاحش الغلاء والقحط

(١) الإيالة: الوادى. وقطعة من أرض الدولة يحكمها وال من قبل السلطان.

الواقع بتلك النواحي، وشرحوا له الأضرار التي تلحق الجيوش، والأخطار التي ترتكبه في هذا السفر، والتزموا بأداء ما يستفيده بيت المال في هذه الحركة من أموالهم الخاصة بهم والخالصة لهم.

ولما استوعب كلامهم شرح لهم الباعث المهم الداعي لهذه الحركة، فعلموا أن لات حين مناص، وأجابوه لما أراد، وقاموا على ساق في الأخذ بالأحوط والاستعداد، وأصدر المترجم أوامره لقبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتبن إلى مرسى الجديدة، ومرسى الدار البيضاء، ليحمل منهما في المراكب إلى ساحل السوس الأقصى بقصد إرفاق الجيش وإعانتته.

وبعد ذلك نهض من مراكش في جيوش جرارة تتلاطم أمواج أبطالها، وخلف وراءه صدر الوزارة أبا عبد الله بن العربي الجامعي لما ألم به من المرض الشديد، وعين في محله العلامة السيد محمد الصنهاجي إلى أن أبل، ولحق به لوادي نون.

وكانت مبارحة المترجم للحضرة المراكشية فى يوم الاثنين الحادى عشر من رجب من السنة موافق سابع عشر ماى وخيم بعدوة وادى نفيس بمشعر العناية، وكان زمن السير أربع ساعات، ثم نهض من علوة وادى نفيس وخيم بنزلة المزوضى - نسبة إلى مزوضة قبيلة بينها وبين مراكش مرحلتان - وكان زمن السير خمس سوائع ونصف، ومن نزلة المزوضى إلى وادى شيشاوة ومدة السير ثلاث ساعات، وأقام هنالك يوم الخميس ونهض يوم الجمعة من ششاوة، وخيم بسيدى المختار، وكانت مدة السير أربع سوائع وخمس عشرة دقيقة، ثم منه لعين اماست، ومدة السير ثلاث سوائع، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف، ومنها إلى وادى بوريقى بقبائل حاحة حيث بويغ السلطان المترجم يوم وفاة والده، ومدة السير أربع سوائع وأقام هنالك يوما.

ومن الغد وهو يوم الأربعاء عشرين رجب نهض من بوريقى وخيم بدار انفلس بظهر اذاوخلف، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف ومنها إلى اذاوكلون

باركن - وهى قبيلة عظيمة بحاحة - ومدة السير ست ساعات وخمس عشرة دقيقة .

وخيم هنالك ثلاثة أيام، وفى يوم الاثنين خامس عشرى رجب المذكور، نهض من اذاوكلون إلى وادى بنى تامر ومدة السير تسع ساعات، ومنه إلى تمرغت، ومدة السير سبع ساعات، وأقام هنالك ثلاثة أيام، ومن تمرغت إلى آجدير ببيير ارمى، ومدة السير ساعتان ونصف، ومن مرسى آكديرالى أربعاً مسكينة، ومدة السير ساعتان ونصف، ومنها إلى اثنين أولاد تيمة بهوارة، ومدة السير أربع ساعات، وهوارة عرب مجاورون لمدينة تارودانت، ولهم اثنا عشر قبيلة، ومنه إلى البعيرى فالغش ومدة السير ثلاث ساعات، ومنه إلى الأحذب بالاقلاشة، ومدة السير ثلاث سوائع، ومنه إلى مدينة رودانة بمحل صلاة العيد، ومدة السير ساعة ونصف وأقام هنالك ثمانية أيام، ومنها إلى البراكيك وآيت عبد الله ومدة السير ساعتان وخمس عشرة دقيقة، ومن ثم إلى أم الجريد وبها منازل اذاومنو .

ثم التجأ بجناب المترجم إخوان الحاج منو السجين وقدموا الذبائح وفق عوائدهم الجارية عندهم فى الاستشفاع إذا عن لهم أمر مهم، وطلبوا المن على أخيهم بالفكاك من العقال فواعدهم بتسريحه بمجرد إيابه ووفى بوعدده، وكانت مدة السير ثلاث سوائع ونصف، واذاومنو قبيلة بهوارة إلى تمام هوارة مجاورة لقبائل هشتوكة، وبها مدرسة للقراءات السبع، ومنها إلى بيكرن باذاو محمد ومدة السير أربع ساعات وخمس عشرة دقيقة وأبى كرا هذا - وهو بالسوسية جماعة الضفادع وواحداهم اكرى - موضع قبيلة ذوى محمد بهشتوكة، وبإزائه مدرسة للعلم، وهى بمنزلة فاس عند أهل سوس فى المنقول والمعقول، وبها بئر عذب ماؤها بخلاف آبار القبائل الهشتوكية فإن ماءها ملح أجاج .

ومن المعلوم عندهم أن كل من شرب من مائها أى هذه البئر تنور قلبه وحقق ذهنه وصار حافظا للعلوم، وبهذه المدرسة كان يدرس علامة زمانه المشهور الشيخ محمد بن عبو الهشتوكى المتوفى عام ١٣٣٢، ومن ابى اكرا ارتحل المترجم إلى وادى ماسة، ومدة السير ست ساعات وأقام ثم ثلاثة أيام.

وماسة هذه على شاطئ البحر بها رباط وبه جامع مدفون فى الرمال، قيل: إنه من بناء عقبة بن نافع الفهري، وأكثر العلماء يزعمون أن الإمام المهدي يظهر من ماسة بهذا الرباط، وتكلم فيه فى مشارق الأنوار.

وبماسة عيون جارية، وقرى متصلة أنيقة، وأعظم قراها تسلا واغبلو وتكون بين أهلها عداوة وفتن وحروب، وموضع الرياضة الآن تسلا.

ومن وادى ماسة لدوار سيدى على ومدة السير ساعتان، ومنه إلى تيزنيت ومدة السير أربع ساعات، ومنها إلى اكل بساحل البحر ومدة السير ساعتان ونصف، وأقام هنالك يوما، ومنه ظعن إلى امزور بزواية سيدى عبد الرحمن ومدة السير ساعة ونصف، وأقام هنالك سبعة أيام وهذا نهاية سفره، فجميع أيام السفر فى هذه الحركة ذهابا خمسة وعشرون يوما، وجميع سوائع السير ست وتسعون ساعة وثلاثمائة دقيقة وستون دقيقة، وجميع أيام المقام سبع وعشرون يوما.

وهنالك وفدت عليه أشرف آيت باعمران وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادهم، وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان، ووليت عليهم عدة من العمال، ووقع الكلام معهم فى شأن المرسى التى أريد فتحها بالمحل المذكور آنفا، فأجابوا بالامثال والسمع والطاعة، ووجه معهم المهندسين والفقهاء ولقيفا من أعيان الجيش لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق والنهج الهندسى الرائق.

وقبائل آيت باعمران هذه كثيرة تفوت الحصر يتكلمون بالعربية وأعشارهم يأكلها طلبة العلم، ولآيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضيم أهل شمم ونخوة يحبون الغريب النازل بهم ويكرمون الضيف لا سيما رؤسائهم فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية، ولا يتكلمون فى مجالسهم حفظا حرمتهم وتأدبا معهم، وكذلك تلك القبائل بحيث يذهل الداخل لبلادهم ما يرى من أنواع الأدب.

ولما استقر به الثوى أوفد وفداً لوادى نول عمه مولاي الأمين ووزيره على سماع المظالم العلامة السيد على المسفيوى والقائد مبارك بن الشليح الشرادى الدليمى والقائد حمان بودلاحة الودى والقائد عبد الحميد الرحمانى فى لفيف من الأتباع، حيث بلغه أى المترجم، أن مركبا إنجليزيا ورد لتلك الناحية القاحلة حاملا للأرز وغيره من المقتاتات بقصد الاتجار مع تلك القبائل المصابة بالفحط وأليم الجوع، وخاف سوء العقبى ليحققوا له الأمر ويطلعوا على الأحوال بتلك الجهة التى أكثر المرجفون القيل والقال فيها وامتدت أعناق الأجانب إليها وكثرت أطماعهم فيها ليتدارك الخرق بالرتق قبل اتساعه.

ثم أمر بإصلاح دار المخزن بتيزنيت ونصب قائداً من قواد جيشه المظفر، وأقامه بقصبة تيزنيت بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال ذلك القطر السوسى من وادى ولغاس - وهو واد عظيم بين هشتوكة وتيزنيت لم ير أعظم منه بسوس وأودية تلك الجبال تنصب منه وهو ينصب فى البحر - إلى منتهى وادى نول وكليمم يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات ولا سيما إذا كان المخزن بعيداً وصرح لهم بأنه أقامه مشرفاً للتفاوض معه وبصيرة على ما قصده من فتح تلك المرسى ففرحوا بذلك واطمأنوا ووقع الإشهاد عليهم بذلك، ودونك نص عقد الإشهاد الواقع عليهم بما ذكر:

«الحمد لله الذى ابتدأ عباده بالإفضال والإحسان. وجعل نظام أمورهم بقسطاس وميزان. وجعل السلطان ظلا ظليلا يأوى إليه كل مظلوم. ومن اعتصم به فهو لاشك بحول الله وقوته معصوم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث هاديا للأنام. والموضح للشرائع والأحكام وعلى آله وصحابه الكرام.

وبعد: فلما حل مولانا المنصور بالله بحبوحة القطر السوسى حلول يمن وأمان. وجاس خلاله فى المهامه والعمران. وصارت قبائله تتوارد من كل فجج الكبراء والأعيان. ورود طاعة وانقياد وإذعان. واصل الله سمو مولانا وعزه وارتقاءه. وصرف للإقامة المصالح اهتمامه واعتناؤه. وولى على قبيلة عمالاً يضبطون أمرها بكلمته. ويدافعون عنها بسطوته. اقتضى نظره السديد. ورأيه الموفق الرشيد أن يعين كبراً من جيشه السعيد يكون بركة وسط عمال قبائل جزولة وواسطة لهم فيما عسى أن يعرض لهم، وإعانة لسائرهم وتقوية لأزهرهم وشادا لعضدهم ومرشدا لهم ومبصرا ليستشيروا معه فيما يكون من الأقوال والأفعال. فى الحال والمآل. مما تدعو الضرورة إليه. وتتوقف الأوامر المخزنية عليه. ويبعد عليهم تناوله مع جانب مولانا المؤيد حين يكون نائبا عن البلد لدراية المعين وخبرته. ونجدته وفطنته.

ومقره يكون بتيزنيت محل قرار المخزن فى القديم. ليجرى على النهج القويم.

وأما ما يرجع للعمال مما لا بد لهم فيه من أمورهم أو مصالح قبائلهم فلا واسطة بينهم وبين مولانا أيده الله فى ذلك، لكونهم مستقلين بأمر تكليفهم ومتحملين بدرك إياهم كتحملهم بشد عضد بعضهم بعضا على خدمة مولانا الشريفة. وتنفيذ أوامره المنيفة. وبالتعاون على البر والتقوى، فحيث حضر لدى شهيديه أمنهما الله بمنه بمجلس الفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة، الحجة

الأكمل . البليغ الأجل . التحرير المحقق المدقق إمام حرم مولانا إدريس نفعنا الله به شيخ الجماعة القدوة المحدث الخطيب البليغ بالحضرتين ، قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها وبالمحلة المنصورة بالله تعالى ، وهو أحمد بن الطالب بن سودة أعزه الله تعالى وحرسها عامل كل قبيلة ومن معه إخوانه ، وبعدهما عرض عليهم ذلك وعرفوا المقصود منهم أشهدوا أنهم ارتبطوا ذلك والتزموه . وصمموا عليه وأبرموه . وعقدوا على ذلك عقدا صحيحا إلى غير غاية . ولا أمد ولا نهاية . اشتمل على الغائب والشاهد . وانتسج حكمه على الصادر والوارد . بحيث لا تعقب فيه لأحد بوجه من الوجوه . ومن رام نقض ما ذكر من أهل الزيغ والفساد . وسعى فى الفتنة والشنآن بين العباد . أو تعرض لأحد فى سبيل من السبل ، أو تعدى فى موطن من مواطن البلاد . فيعاقب العقوبة الشديدة لزيغه عن طريق السداد والرشاد . ويجعل عليهم النصاب الثقيل زيادة على الردع والتنكيل . ويغرم ما أتلف وأفسد . سواء تعدد الفاعل أو اتحد . فإن اعدم من فعل فأولياؤه وقبيلته يؤاخذون بجريته .

ثم وضع العمال خواتم عمالتهم إثر تاريخه على ترتيبهم لفا ونشرا عنهم وعن حضر معهم من إخوانهم المرسومين بالطرة يمتته بعد عقد الإشهاد تأسيا للقصود ، وإبراما للمراد عرفوا قدره شهد به عليهم بأكملهم ، وعرف أعيانهم وعرف بأسمائهم وعلى من ذكر دامت سعادته وكرامته بما فيه عنه وهو بحيث يجب له ذلك فى الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف ، فلان بشكله وفلان بشكله وبعده بخط من يجب الحمد لله أديا فقبلا واعلم به أحمد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه وبخطه استقل . انتهت قابلها بأصلها فمائلته .

وأشهده الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل المحرر التحرير الدراكة الفهامة المشارك الحجة المحدث الخطيب البليغ قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها إمام حرم

مولانا إدريس نفعنا الله به وهو أحمد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه أعزه الله تعالى بعز طاعته، وحرس ولايته، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر.

وفى تاسع رمضان المعظم عام تسعة وتسعين ومائتين وألف الحق وبالتعاون على البر والتقوى صح به. فلان بشكله وفلان بشكله ودعائه».

كما عين فى التاريخ نفسه وصيف جنبه العالى الطالب بوغزة السرى كبرى بآيت بوغمران، وألزم العمال جوار المراسى الأربيع، وهى: مرسى سيدى محمد ابن عبد الله ومرسى سيدى ورزىك، ومرسى اسك بآيت باعمران، ومرسى أكلو بجوار تيزنيت بحفظها والعسة عليها ليلا ونهارا بحيث لا يدخل منها شىء ولا يخرج إلا بأمر مولوى. فالتزموا ذلك، ووقع الإشهاد عليهم به، وذلك فى تاسع عشرى شعبان العام وأمضى على ذلك العمال بخواتيمهم.

وكتب بذلك لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى كتابا نصه بعد الحمد لله والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١» وبدائرتة بيتا البردة ومن تكن... إلخ من يعتصم... إلخ:

«وصيفنا الأرضى الباشا حم بن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد قضى والحمد لله الغرض الذى ارتقى إليه الأمل المراد. ويممنا لأجله قطرى سوس الأذنى والأقصى من صحارى البلاد. بنية خالصة تنيل الكل منهم ما أفاد. وتحبى رسمهم وأنسهم وقد باد، وترشد المتهور منهم الذى الإساءة إليه أجدى من الإحسان والبهيمة عليه أكرم من الإنسان. عضدتها مواكب شديدة الالتحام. وجنود تقول لمن رآها تنكب ليلا يقطرك الزحام. وصدور عمها الانشراح، ومسرات أردفتها أفراح وآلات استعدادية جهادية تبهر وتروق. وخوارق ليست عادية تكاد عند سكونها تومض منها بروق، وفوارس ذات نفوس عصامية، لا محل فيها للاستقصاء والاستفسار. ولا يأتى عليها ضابط إطناب أو فذلكة

إكثار. إلى غير ذلك مما تقتضى النعمة به التحديث. ويجذب من صميم فؤاد المحب المؤمن الحمدين القديم منهما والحديث. معترفين بأن الله سددا في ذلك كله إلى غرض التوفيق. وأعلقنا من تحرى الصواب فيه بالسبب الوثيق، وأجرانا سبحانه على ما ألقناه من صنعه الجميل وتعودناه ولولا فضله علينا بمحض فضله ما تم لنا منه ما أردناه. وذلك والحمد لله أن كافة قبائل القطرين المذكورين تلقونا بأجمعهم بأنواع الأفراح وأصناف المسرات. وقدموا من الهدايا ما رأوه من أولى المهمات وأعلنوا بواجب السمع والطاعة وحفيات التحيات. ووسطهم شرفاؤهم ومرابطوهم وفقهاؤهم وأعيانهم وكبرائهم وذلك لما خيمنا بقصوى عدوة وادى ولغاس الموالية لبلادهم وجبال استفرارهم، بعد أن كانوا كتبوا لشريف حضرنا ونحن بمراكش الحمراء معلمين بأنهم على سنن الاهتداء. مقيمين على إجابة الدعاء.

فلما التقى الجمعان وجدنا ظواهر خبرهم وبواطن سرهم سواء. ولينا عليهم العمال والقضاة. وكذا على القبائل غيرهم ممن هو من مبادئ هذه الأقطار أو من الغايات، وحططنا بخير بقاعهم لأجل استصلاحهم الرحال. حتى استحال ركض همالجهم لحسن الحال. وأقبل أقاصيهم علينا إقبال الغادة. يهديها اليمن وتزفها السعادة.

ثم بعد كمال استقامتهم وترتيب مراتبهم طلبوا منا التجديد على ما بأيديهم بإقرارهم على عوائدهم، وحملهم على أعرافهم التى عندهم عليها ظهائر أسلافنا الكرام. قدس الله أرواحهم فى دار السلام ومن غير من أمراء المسلمين. رضوان الله عليهم أجمعين. فأقررناهم وجددنا لهم علينا فى الحين. واتبعنا فى ذلك الإجماع وسبيل المؤمنين، ولو نيل من هؤلاء القبائل التى هى آساد وحشية. وبأفنان الغضا موشية عشر هذا لكان كافيا فى القصد من هذا الشأن. لأنهم هذه مدة تزيد على الستين سنة لم يتخلل بلادهم المخزن.

هذا وأيضاً فمن جملة الأهم المقصود لدينا بوجهتنا السعيدة لهذه الناحية البعيدة. فتح مرسى بوادى نون فى حدود بلاد تكنة وآيت بو عمران بمحل يسمى أصك ليسهل بقربها على تلك القبيلتين البيع والشراء فيما يستقبل من الأزمان. لأنهم لبعء مراسى إيالتنا السعيدة عنهم، يتضررون فى تجشم السفر لها بقصد ذلك بالطريق وتشرق القوافل منهم ولو مع وجود الماء بالريق. ويكاد نفسهم أن يقطع منهم حروف الحلق. فتيممناها زيادة فى الإحسان إليهم والله يزيد فى الخلق إلى أن بقى بينها وبين المحلة مرحلتان فيهما ثلاث عشرة ساعة سفر الرفق إذ ورد علينا أعيان القبيلتين المذكورين آيت بو عمران وتكنة وأهدوا كغيرهم، فولينا عليهم وأجرينا مجرى غيرهم ووقع الكلام معهم فى شأنها، فأجابوا لذلك لما لهم من الرغبة فيها، حتى إن بعضهم كانت سولت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول. تقريبا كما ذكرنا وحرصا على بلوغ الأمل واتفقت الآراء منهم على توجيه من يقف على انتخاب المحل الذى تبنى فيه مما يقبل البحر تخطيطه وتأمين فيه جواريه.

فساعدناهم ووجهنا صحبتهم سرية من القبائل والجيش السعيد. ومعهم طلبة الهندسة لتقريب البعيد بقصد معاينة محلها وتخطيطه. والإتيان لحضرتنا المحروسة بطبق تصويره واستغينا عن التقدم بهم، بحيث إن قضوا الغرض فذاك وإلا فننهض لقضائه على الله متوكلين. وبجيوشنا المتوافرة مصحوبين. لقربنا منهم إذ نحن الآن بأمن ومن بلاد أهل أكلوا مخيمون وهو الطرف الأول لآيت بو عمران، الذى يسمى بالساحل، بينه وبين المرسى المقدار الذى تقدم آنفا حسبما قدره الميقاتيون، كما أن الأهمية أيضا اقتضت نصب قائد من قواد جيشنا السعيد مختارا من أمثالهم ذار أى مصيب. وتسديد يكون بتزنيث محل المخزن فى القديم. إعانة ورداء لسائر عمال القطرين بالمشار من قطع وادى والغاس إلى منتهى وادى نون واكلميم.

يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات ولا سيما إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات .

واشترطنا على السادة منهم والأعلام . والأعيان والحكام . المعينين عندهم لربط الأمور ربط إتقان وإحكام . أن يضربوا على أيدي أهل الجرائم وأن ينتصفوا للمظلوم من الظالم . وأن لا يخرجوا في ذلك على ما تقرر لديهم من الأعراف والحد المحدود لهم عند الانتصاف .

وعليه أن يكون يعلم بالشادة والفاذة لا يترامى لعين لائمه ولاحيه . ولا يتوارى عن الحق في مغايب نواحيه . لنكون على بصيرة فيما قصدناه من فتح تلك المرسى ومؤاخاة لإثارة النعمة ، ودفاعا للبوسى فنصيناه .

وبما هو من شأنه كلفناه وحضر العمال المشار إليهم معه وبعدهما عرفوا بذلك كله وعرفوه أشهدوا بأجمعهم أنهم التزموه . وأنهم عند السمع والطاعة يقومون به جهد الاستطاعة بل لأجل تمكن المعنى منهم أتم مكان . على وجه الإذعان والاستحسان ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الإشهاد . تأكيدا للقصد وتأسيسا للمراد كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسات في مراسى سواحلهم كفا للضرائر وحسما لمادة النزاع والجرائر وإرشاداً للضليل ، وفرارا من كثرة القال والقييل .

وبالجملة فقد أطلقنا لكم بالخبر اللسان ليصير هذا الغيب عندكم كالعيان . شارحين لكم الوجه الذي صرفنا إليه الآمال واستعملنا في أسته وفي أعنته الشمال . وحثاً على تمكينكم من حظكم من الفرح بما سن الله لنا من العز والإجلال . واجتلاء وجوه التهاني ووفود الآمال . ونحن على نية الأوبة بحول الله المتعال . فنسأله سبحانه أن يتم ذلك برد الجميع سالمين غانمين . وييسر لنا ما فيه رضاه ولكافة المسلمين . آمين والسلام فاتح رمضان المعظم عام ١٢٩٩هـ .

ولما دوخ البلاد السوسية ومهدا وبث روح التآزر والتعاقد ورتب بها
القضاة والعمال، وكف عنها اليد العادية انقلب إلى العاصمة المراكشية، فنهض يوم
الخميس رابع رمضان العام موافق ثامن يولييه من امزور إلى الكرمة بين المعدر
وتزنيت، وكانت مدة السير ساعتين وربع، ومنها إلى بكرة وادى ولغاس ومدة
السير ثلاث ساعات وربع، ومنه إلى الدحوش وهم أولاد بوطالب والمسير ثلاث
ساعات وربع، ومنهم إلى طكط بلاد هشتوكة ومدة السير أربع ساعات، ومنها إلى
بدار بلاد مسكينة ومدة السير ثلاث ساعات ونصف، وأقام المترجم ثم ثلاثة أيام
ومنها، إلى ابن سر كاو قرب مرسى أكادير ومدة السير ساعتان وربع، ومنه إلى
تمرغت ومدة السير ثلاث ساعات، ومنها إلى وادى اذاوتامر والسير سبع سوائع،
ثم تبصيرت والسير أربع ساعات ثم زاوية امكدار والسير ست ساعات وربع،
وأقام المترجم هنالك يوما واحدا، ومنها إلى وادى بوريقى والسير ثمان ساعات
وأقام ثم يوما واحدا أيضا، ومنه إلى جمعة الكريمت والمسير أربع ساعات، ومنها
لعين اماست والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم إلى وادى ششاوه والسير سبع
ساعات وربع، ثم نزالة المزوضى والسير ثلاث ساعات، ومنها إلى عدوة وادى
نفيس والسير ست ساعات، ثم بوعكاز والسير ساعتان وربع، ومنه إلى الحضرة
المراكشية والسير ساعة وربع.

فجميع أيام السفر ذهابا وإيابا خمسة وسبعون يوما، أولها الاثنين وآخرها
الجمعة، وجميع السوائع فى الذهاب والإياب مائة وسبعون ساعة، وبمراكش أقام
حفلة سنة عيد الفطر.

ولم يزل مقيما بها إلى أن دخلت سنة ثلاثمائة وألف وفيه نهض قاصداً
عاصمة سلفه المكناسية، وهذه الحركة العاشرة، وكان مروره على قبيلة الرحامنة،
فزمران، ثم قبائل تادلا، وأوقع بالسماعلة منها، ثم نهض لقبيلة زعير وبها أقام

سنة عيد الفطر، ومنها لقبيلة زمور الشلح ولم يدخل للرباط، ومنها توجه للحاجب ومنه للعاصمة المكناسية، وكان دخوله لها في حجة الحرام، وأقام بها سنة عيد الأضحى، ومكث بها سنة كاملة.

وبها بلغه نعي نجله البار الأنجب مولاي عبد الله الذى كان ببلاد أحمر بقصد قراءة القرآن تيمنا بذلك البلد الطيب، وأنه حمل للدفن بعاصمة الجنوب مراكش الحمراء، فصبر واحتسب.

وفى هذه السنة التى هى رأس المائة، وجه صاحب الترجمة رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهي والنصائح لجميع بلاد المغرب، وأشار إلى المجدد فى صدرها ونصها بعد البسملة والصلاة:

هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية. ونصيحة دينية. للولاة والرعية. صدرت من عبد الله. الموفق بفضل الله. المتوكل عليه فى سره ونجواه. أمير المؤمنين. ابن أمير المؤمنين ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١:

أبد الله ملكه. وأجرى فى بحار اليمن والسعادة فلكه، وجعل فيما يرضيه أوامره، ونصره وجنده وعساكره، إلى معاشر أهل الإسلام وأمة النبى عليه الصلاة والسلام، وفقكم الله وهداكم، وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم. وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد: فلتعلموا أيها المسلمون أن الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيين مبشرين ومنذرين. وناط بهم أحكام الشرائع إبلاغا وتبليغا، وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين. سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام. عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال مولانا فى محكم كتابه المبين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ... ﴿٨١﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨١]، ولما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حملة من أعباء الرسالة. وبلغ ما أمر بتبليغه، وأنقذ الأمة من الضلالة. إلى أن صار الدين مشيد الذرى. محكم العرى. وتبوات خير أمة من قصوره حصنا حصينا. وأثره نزل قوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴿٣﴾ [سورة المائدة: آية ٣]، ثم أقام الله سبحانه من بعده الخلفاء. والأئمة المرضيين الحنفاء، فمهدهو تمهيدا، وجدوده فى كل عصر تجديدا، واقتفى أثرهم أمراء الإسلام السالكون نهجهم الأقوم فى كل مقصد ومرام، فنصحوا لله ولرسوله والمؤمنين، وبذلوا مجهودهم فى مرضاة رب العالمين، فأقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها، وشبت بإحياء مراسمها بعدما شابت مفارقها، إلى أن صار الدين غضا طريا، وقطوفه دانية بكرة وعشيا، رحمهم الله.

وهكذا على رأس كل مائة يبعث الله لهذه الأمة الأحمدية من يجدد معالم الدين. ويصقل مرآته من صدى التعمق فى بيداء المضلين. وحيث كانت هذه السنة هى آخر المائة. وتوفرت دواعى التضحية بمفتتح رأس المائة القابلة لهذه الفئة. تعين لذلك تنبيه الغافل، وإرشاد الضال، عملا بما كان عليه السلف، لنكون بعدهم لهم خير خلف، وأداء لحق الواجب وأخذنا بطرق الامتثال. فقد قال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم».

وعليه فاعلموا أيها الناس أن أول ما يجب على المكلف المتمكن من النظر فى الأدلة معرفة ما يجب فى حق الله وفى حق الرسل بالبراهين النقلية والعقلية ليخرج من ربة التقليد، ويشرق باطنه بأنوار التوحيد، فتقوى لديه بواعث العبادة، التى بها أمر الله عباده، فإن الله سبحانه إنما خلقنا لمعرفة وأمرنا بتوحيده، وبعث الرسل عليهم السلام لبيان وعده ووعيده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ... ﴿١٩﴾﴾ [سورة محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتَتَّقُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٨، ٩]. والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث كما في صحيح البخارى جوابا منه ﷺ لجبريل، والتوحيد المعبر عنه بالمعرفة المذكورة هو الذى حض عليه الله ورسوله كما مر، فتعلموه وعلموه وحرروا القصد والنيات فى العبادات.

قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» والعلم بأحكام العبادة. به تحمل الإفادة. ففي الحديث عنه عليه السلام: «ما عبد الله بأفضل من فقه فى دين» وأركان الدين. ما ورد عن سيد المرسلين. «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا» فأساس الدين. التوحيد، وملاكه معرفة الله والرسول كما يجب، إذ هى شرط والباقي بدونها لا يفيد.

الركن الثانى: إقامة الصلاة بالطهور وأداؤها فى وقتها كما أمر الله إذ هى عماد الدين. وعصام اليقين. وسيدة القربات. وغرة الطاعات. قال تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣] وقال عليه السلام:

«أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله» وقال عليه السلام: «الصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد» وقال عليه السلام: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة».

وكتب سيدنا عمر إلى بعض عماله: إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: بين الإيمان والكفر ترك الصلاة، وقال عليه السلام: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين».

فينبغي للمؤمن الاهتمام بأمرها، والاعتناء بشأنها، والمحافظة على شروطها وسننها ومستحباتها وقوعا وأداء.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة: ٤٣] وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، وقال: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وقال ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾ [التوبة: ١٨] وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا» وقال ﷺ: «إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأيعدهم».

وحكم التارك لها عمدا القتل، والجاحد الكفر في القول الفصل.

قال سيدى خليل: ومن ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجديتها من الضرورى

وقتل بالسيف حدًّا، ولو قال: أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل، ويكفى في ذم تاركها أو مؤخرها عن وقتها ما ورد من الوعيد في شأنه قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ...﴾ [٥٩] ﴿٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، وفي الحديث: «من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان» وعنه عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد أتى الكفر جهارا» وعنه: «من ترك العصر فقد حبط عمله، وعنه: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر» وعنه: «من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه»، وعنه عليه السلام: «أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقول إنى فرضت على أمتك خمس صلوات من أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له عندي عهد أن أدخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئاً فليس له عندي عهد إن شئت عذبتة وإن شئت رحمته».

الركن الثالث من مبادئ الإسلام: الزكاة، وقد قرنها الله بالصلاة في آيات كثيرة: والرسول في أحاديث شهيرة. فكما أن الصلاة طهرة الأبدان فكذلك الزكاة طهرة الأموال قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحْمَقُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [٤١] ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١]، وقال: ﴿... الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] ﴿٥٥﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] ﴿١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال ﷺ: «الزكاة قنطرة الإسلام» وقال: «حصنوا أموالكم بالزكاة فإنه ما ضاع مال في بر أو بحر إلا بترك الزكاة فيه» وقال عليه السلام: «ما من صاحب مال لا يؤدي حق الله فيه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمته يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [١٨٠] ﴿١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن أبي ذر موقوفا قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليهم في نار جهنم

ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. كما فى صحيح البخارى. وعنه عليه السلام «مانع الزكاة يوم القيامة فى النار».

وهى تجب فى خمسة أشياء: مختلفات النعم، والنقدين، والركاز، والمعادن، والمعشرات.

ويلحق بهذا الركن فى الجملة زكاة الفطر فإنها واجبة الإخراج على كل مسلم فضلت عن قوت يومه. عن نفسه وعن كل مسلم يمونه بقرابة أو رق أو زوجية ووجوبها بالسنة على المشهور، ففى الموطأ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر من رمضان، وفى الترمذى بعث ﷺ مناديا ينادى فى فجاج مكة ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم.

الركن الرابع الصيام: الواجب على الأنام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال ﷺ: «شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه. وسننت لكم قيامه. فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال عليه السلام: «هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين وجزاء ثوابه لا يحصى فى خطاب» ففى الحديث: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف» قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى.

الركن الخامس: حج بيت الله الحرام، قال تعالى فيما نزل على نبيه تنزيلاً. ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ [آل عمران]، وعن

عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين . قال ابن حجر ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأى فيكون فى حكم المرفوع ، ومن ثم أفتيت بأنه حديث صحيح ، وفى الحديث : «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال تعالى : ﴿... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ...﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وقال ﷺ : «الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة»، وقال عليه السلام : «الحج تضعف فيه النفقة بسبعمائة ضعف»، وقال ﷺ : «إن الله تعالى يقول إن عبداً أصححت له فى جسمه وسعت عليه فى معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا ينفد إلى لَمَحْرُومٍ» وقال : «الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف لهم ما أنفقوا الدرهم ألف درهم». ولا ينبغي الحج لمن يضيع ما سواه من أركان الإسلام . صلاة أو غيرها مما يلحقه عليه فى الشرع تبعة الملام . كما تفعل العامة اليوم فى عدم تحريها فى نفقة الحلال ، ولا تقوم بما أوجب الله عليها من الأقوال والأفعال .

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

وقد نص العلماء رضوان الله عليهم فيما حرروه وذهبوا إليه أن الحاج إذا تحقق أنه يخرج صلاة عن وقتها لعذر كמיד لم يجب عليه وقد كادت أن تترك هذه الدعائم ، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عيانا ، وارتكبت البدع إعلانا ، وصار أمرنا يتزايد فى كل حين ، والحق لا ناصر عليه يعين ، قال تعالى : ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ، وقد ظهر فى الناس من المخالفة لأمر الله وإتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ ما يخشى معه من

حلول عقاب الله ونقمته، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ...﴾ [النحل: ٦١].

نطلب من الله أن يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه، ويرشدنا لما يجلب أمانه وغفرانه، فإن هذه الدار قنطرة إلى الآخرة، وسبيل لمن وفقه الله إلى الوصول للمنازل الفاخرة، والسعيد كل السعيد من استعمله الله في أعمال صالحة، وألهمه إلى اتباع سنة رسوله التي هي المتاجرة الرباحة، فخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وتزود من تقوى الله وخير الزاد التقوى، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للأخرى، وذكر فنفغته الذكرى.

فينبغي تكرير الوعظ والتذكير، والتنبيه والتحذير، لئلا تقسى القلوب، بتوالي الذنوب. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وفي الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السامة علينا.

ويجب الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وتجديد نية الإخلاص ونفى الإصرار، فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل إلى رضوان الله فالزموها، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها، ففي الحديث: «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة».

فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى أمراً أن ينظر لرعيته. ويعمل على إخلاص عمله وتصحيح نيته، ويرشدهم إلى ما ينفعهم دنيا وأخرى، ويحملهم على ما يقربهم إلى الله زلفى، قال الله سبحانه: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه، ويجعل سعيه فيما يوجب الفوز بقربه. فإنه لا ينفع الوعظ في أبناء جنسه.

إلا بعد تطهير نفسه. فليبدأ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها. ويأمرها بما يأمر به سواها. ولا يكن ممن يدعو إلى طريق البر وهو قَدَّ حَادَ عنه وخرج. وانتصب لمعالجة غيره وهو إلى من يعالجه أحوج. إذ بصلاح الولاية تصلح الرعية. وتستقيم أحوالها في السر والعلانية، ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هو إلى نظرهم إخوانا. وعلى ما يقوى على الطاعة أعوانا. فالمسلم أخو المسلم وإن كان واليا عليه. وأولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه. وأن لا يداهنوا أهل المعاصي. بل يتقصوا أحوال الداني منهم والقاصي. ففي الحديث الكريم: «يحشر يوم القيامة أناس من أمتى من قبورهم إلى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيمهم وهم يستطيعون».

ويستعين على ذلك بتقريب أهل الفضل والدين، ويجتنب أهل الضلالة والمعتدين، فإن الطباع تسرق الطباع. والمرء لمن غلب عليه تباع. قال في الحكم: لا تصحب من لا ينهضك حاله. ولا يدللك على الله مقاله، وفي الحديث: ما من أمير إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا. ومن وقى بطانة السوء فقد وقى وإذا زكى الإنسان نفسه واتقى ربه أصلح الله رعيته. وبلغه من كل خير أمنيته. فإن رأس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [النساء: ١٣١]، وقال: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ [٣]، [الطلاق: ٢، ٣]، وقال: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

وقال سيدنا على كرم الله وجهه: قال النبي ﷺ: من اتقى الله عاش قويا وسار في بلاد الله آمنا. وحقيقة التقوى اتباع الأوامر واجتناب النواهي، وأن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. وفي الصحيح عنه ﷺ: «كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته» والسعيد من سعدت به رعيته، ولا سعادة أكبر من العدل في الرعية وحسن السيرة فيها والعمل بما ينجي من عذاب الله قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ... ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وأفضل أعمال الولاية العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم، فإنما السلطان ظل الله في أرضه يأوى إليه القوى والضعيف، ويتنصر به المظلوم قال سبحانه: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ... ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ... ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال عليه السلام: «إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» وفي الحديث: «الإمام العادل المتواضع ظل الله في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا».

وقال سبحانه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، وقد أمر الله بالعدل ورغب فيه وأخبر بكرامة صاحبه إذ به تحصل العمارة والأمان، في جميع الأوطان والأزمان، وكما رغب في العدل ورتب الأجر عليه، نهى عن الجور والظلم وحذر منه وأخبر بهلاك مرتكبه، قال

سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣١] ﴿الإنسان: ٣١﴾، ﴿... وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذْفَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

وقال عليه السلام: الظلم ظلمات يوم القيامة. وقال: الظلم يذر الديار بلاقع. وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرما فلا تظالموا. وقال: ومن أظلم ممن لم يجد ناصرا غيري. وقال: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. وقال: في حجة الوداع: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره الشريف.

ويدخل في الظلم ظلم أهل الذمة، وما سموا أهل الذمة إلا لأنهم في ذمة الإسلام، يجب حفظهم والدفاع عنهم، وتحرم دماءهم وأموالهم، وقد أوصى عليه السلام بالوفاء لهم، وحذر من ظلمهم ففي الحديث: من ظلم ذميا كنت له خصيما يوم القيامة ومن كنت خصيما فلجت عليه بالحجة. وفيه: من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة. وفيه: إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جار الحاكم قل المطر، وإذا تركوا الجهاد رهبة ألبسهم الله سيمى الخسف ووسمهم بالصغار. ففي الحديث: ما ترك قوم الجهاد رهبة إلا ذلوا. وفي الحديث: من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان. وفيه: من روع مؤمنا لم يؤمن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمؤمن أقامه الله مقام خزي وهوان يوم القيامة. وعنه عليه السلام: من أعان في قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. وفي الحديث: اللهم من ولي من أمر أمتي

شيئا ففرق بهم فافرق به ومن ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه .
وعنه عليه السلام: أيما أحد استرعى رعيته فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت
عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء . وعنه عليه الصلاة والسلام: من أخون
الخنونة تجارة الوالى فى رعيته . وفى الحديث: لكل شيء آفات وآفات هذا الدين
وإلاة السوء . وعنه ﷺ: ما عدل وال اتجر فى رعيته . وعنه عليه السلام: من ولى
شيئا من أمور المسلمين لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم . وعنه
عليه الصلاة والسلام: ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجات والخلّة
والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وختته ومسكنته . وفيه: ما من
أمير يؤمر على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة . وفيه: ما من عبد يسترعيه الله
رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .

واعلموا أن ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب، إنما هو من عدم الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر وارتكاب الذنوب، والإصرار على العيوب، وقد حذر
الشارع عز وجل وأنذر، ووعظ وذكر، ورتب على كل ذنب عقوبة فقال جل
ثناؤه: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴾ [٧١] [التوبة:
٧١]، وقال عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ... ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر
على تغييره لقوله تعالى: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر
أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» .

ومن المنكر الذى لا يسع التغافل عنه والتساهل فى أمره هذا الخطب النازل
الوقتى الذى هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعى، فإن

المستعبد لحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته ورجل استعبد حرا. وهو أيضا أحد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم إنه سبحانه خصمهم. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى عهدا ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه». وقال ﷺ: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالربع». وقال ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب». وقال ﷺ: «مروا بالمعروف وانها عن المنكر من قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم». وقال ﷺ: «خمس ليس لها كفارة: الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين فاجرة يقطع بها مال بغير حق». وفى الحديث: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا منعوا القطر وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عليهم المطر». وفى الحديث: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. وفيه: الزنى بريد الفقر. وفيه: «من شرب مسكراً أسقاه الله من طينة الخبال. قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «عصارة أهل النار وصديدهم». وقال: «من شرب مسكراً لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً»، وقال: «من غصب قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين». وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع فى النار». وقال ﷺ: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا كان المغنم دولا والأمانة

مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أزدلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا». وعنه ﷺ: «اتقوا السبع الموبقات - أى المهلكات - : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

وقد أحل الله البيع وحرم الربا وأمر بالكسب وجعله لنيل الفضل سببا قال تعالى: ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿... وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر مع الصديقين والشهداء». وقال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة فى طلب المعيشة». وقال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم». وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. وفى الحديث: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية فى الإسلام ومن نبت لحمه من ربا فالنار أولى به». وفيه: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتبه هم فيه سواء». وفيه: «أتيت ليلة أُسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا». وفى الحديث: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا وإن الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه». وفيه: «أتدرون ما الغيبة؟ ذكرك أحاك بما يكره. إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

وقال الله سبحانه: ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [الحجرات: ١٢]. وفي الحديث: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح في الأسواق»، وفيه: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله». وفيه: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتمسوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فاعملوا بما يتلى عليكم من آيات الله تهتدوا. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم تسعدوا. وسابقوا إلى سلوك نهج الخلاص وتداركوا أعمالكم بالتوبة والإخلاص. واركبوا من طاعة الله ورسوله سفن النجاة. ولا تقنعوا من الأعمال الصالحات بالبضاعة المُرْجَاة^(١). وأقيموا شعائر الإسلام بينكم وأظهروها. وزكوا أنفسكم بطاعة الله وطهروها، ﴿... وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وبادروا لها مبادرة الغريق لطلب النجاة، وانتهزوا فرصتها قبل هجوم هادم اللذات، هي إن صادفت محلها تَجَبَّ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وفي الحديث: «توبوا إلى الله فإنى أتوب إلى الله كل يوم مائة مرة» وفيه «إن للتوبة باباً عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها» وفيه «من تاب قبل أن يغرغر قبل الله منه».

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المجزاه» والمُرْجَى: الشيء القليل. وهى مُرْجَاة. وفي التنزيل العزيز: ﴿... وَجَنَّا بِيضَاعَةَ مُرْجَاةٍ...﴾ [يوسف: ٨٨].

ونعهد إلى عمالنا ولاة أمرنا أن يلزموا أنفسهم وأهليهم طاعة الله، ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله ﷺ ويحضوهم عليها قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ﴾ [التحریم: ٦]، وأن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشاركة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم في دينهم، ويقيم لهم الصلوات الخمس في أوقاتها، ويحضهم على الأذان الدال على إيمان الدار، وهو للمؤمنين شعار، وأن ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا، وتعاهد أماكن الخوف منها رواحا وابتكارا، وينصبوا لأهل العيث الأرصاد، ويمكنوا لهم بكل واد، حتى تصير الدماء بذلك محقونة، والفتن محسومة، والأموال مصنونة.

فإن قطع الطريق وإخافة المسافرين من أقبح السيئات. كما أن إماطة الأذى عن الطريق من أحسن الصالحات، ففي الحديث الكريم: «عرضت على أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق».

وأن يتفقدوا أحوال الفقراء الذين قُتِرَ عليهم موارد الأرزاق^(١). وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم في ضيق من الإملاق. بصدقة التطوع التي هي للحسنات كالأم الولود، فهي التي تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود، وبها تستنزل الأرزاق وتسبغ الآلاء. وتطفى الغضب ولا يتخطاها البلاء، اختص الله بها بعض عباده لمزية أفضالها. وجعلها سببا للتعويض بعشر أمثالها. ففي الحديث عنه ﷺ: «من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فكأنه إنما يضعها في كف الرحمن يرببها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل» وفيه: «ما من رجل يتصدق في يوم أو ليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغبة» وفيه «إن الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار» وفيه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفيه: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» أى لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه.

(١) في المطبوع: «الذين قدرت عليهم مواد الأرزاق».

وورد: «استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة».

وليعاقبوا الفرقة التي تراخت في الدين. وخلفت سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد إسلامهم، ولا سلكوا سبيل رسول الله ﷺ ولا سبيل أئمة الدين، وأعلامهم، ففي الحديث: «إنما العلم بالتعلم» وهو واجب، إذ لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ... ﴿١٣٦﴾﴾ [الإسراء].

ولما أخذ الله العهد على العامة أن يتعلموا أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ... ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ أَلَّا تُؤْتُوا عَلَيْهِمُ الْتُوبَةَ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال ﷺ: «من كتم علما أجمه الله بلجام من نار» فتعلموا وعلموا فإن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، قال سبحانه: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ... ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وفي الحديث: «اليوم عمل ولا حساب ولا حساب ولا عمل»، ﴿... وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا... ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال ﷺ في وصية لبعض أصحابه رضى الله عنهم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

وقال: «يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة».

وقال فى وصيته لمعاذ بن جبل: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال قلت يا رسول الله زدنى قال: كف عنك هذا وأشار إلى لسانه قلت أو إنا لمؤاخذون به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم - أو قال على وجوههم - إلاّ حصائد ألسنتهم».

وفيه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وفيه: «أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان».

وفيه: «رحم الله امرءاً تكلم فغنم أو سكت فسلم».

وفيه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم».

وفيه: «أكثر خطايا الإنسان من لسانه».

وفيه «من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة».

«فليبلغ الشاهد الغائب ألهمنا الله وإياكم الأعمال الصالحات. وأرشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وفيه أمر بتأليف لجنة من بعض فقهاء فاس للنظر فيما أراد اليهود إحداثه بملاحهم بفاس، ونص الظهير الذى أصدره فى ذلك لنائب قاضى فاس بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«الفييه النائب في القضاء بفاس الأرضى، السيد محمد بن عبد الرحمن سدك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: فقد بلغنا أن أعيان يهود ملاح فاس العليا اجتمعوا واتفقوا على إحداث أمر بملاحهم مخالف لعاداتهم وهو نصب حزان وتاجرين من تجارهم في ملاحهم للحكم فيما يعرض بين إخوانهم من الوقائع كالسرقة وسائر الدعاوى وعلى إبدالهم في رأس كل شهر بأخرين، وصار هؤلاء الحكام يقبضون على من أرادوا من خصوم إخوانهم ويوجهونهم للسجن على يد عاملهم ويسرحونهم منه على يده وحيث لم تجر لهم عادة بنصب ما ذكر، وكانوا معاهدين والأمور التي بينهم وبين المسلمين كلها مبنية على قواعد الشرع رددنا قضيتهم للشرع، وعليه فنأمرك أن تجتمع أنت والفقهاء المسمون يمتته وتنزلوا لهذه القضية وتعطوها حقها من النظر والتأمل والبحث ومراجعة عقد ذمتهم، هل هم معاهدون في ذلك أم لا؟ وما اقتضاه الشرع في النازلة من تسوية ذلك لهم أو منعهم منه وردهم لعادتهم، طالعوا به علمنا الشريف وأعلموا به خالنا القائد العربى ولداب محمد لينفذه فقد أمرناه بتنفيذه والسلام في ٦ ربيع الثانى عام ١٣٠٠» .

والفقهاء المشار لهم في الظهير هم على الترتيب الفييه السيد الحاج محمد جنون، والفييه السيد جعفر الكتانى، والفييه السيد أحمد بن الحاج، والفييه السيد الحميد بنانى، والفييه السيد عبد الله الودغبرى .

وقد كان جواب هؤلاء الفقهاء أن يمنع اليهود مما أحدثوه من نصب حزان وتاجرين يبدلون كل شهر بغيرهم، وجعل عاملهم المسلم منفذاً لأمرهم، يسجن ويسرح من غير أن يعرف لذلك وجهها، واستند الفقهاء في ذلك لعهد لعمر مع نصارى الشام وقفت على نص ذلك بخطوطهم ما عدا جنون مؤرخا بعشرين جمادى الأولى من السنة .

ولم يزل مقيما بعاصمة جده الأكبر يدبر أمر الرعية وينظر فيما يؤيد سعادة الناحية الغربية إلى أواخر عام واحد وثلاثمائة وألف .

وفيها تم تنفيذ إصلاح وادى فاس الذى أمر صاحب الترجمة بإجرائه رفعا للضرر الحاصل لسكانها من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية والأجنة والأسجان .

وكان ابتداء البحث قد تقدم قبل هذا، لأنه لما ظهر النقص فى المياه وتفاحش وجه أوامره الشريفة لقاضى فاس مولاي محمد بن عبد الرحمن العلوى بأن يعين العدول وأرباب البصر ليتوجهوا مع الأمين الحاج عبد السلام بن محمد المقرئ لماء وادى فاس الداخلى للحضرة الإدريسية للبحث فى شأنه، ومعرفة الموجب لقلته وصوله لما ذكر مع النظر فيما أحدث من البناءات بالدوح والزيات، وكثرة رفع السدود بصواعة والبناء بالأودية، وهل كان ذاك سببا فيما ذكر؟ .

فتوجه الأمين المذكور مع جماعة وافرة عينها الشرع الكريم من أهل الناس القرويين واللمطيين وعدوة الأندلس، وهم من أهل المعرفة والخبرة والبصر وأصحاب رأى والنظر من الفلاحين والبنائين والفخارين والتجار والرحويين والقنويين والنظار والعارفين بأحوال الوادى المذكور وما يعرض له من النقص والزيادة فى جميع الأمور، ومصاريف الوادى وتقاسيمه على الجمهور، ووقفوا على ذلك وشهدوا بما ألفوا .

وبعد فراغهم من الوقوف على قسمة ماء أندلس القرويين والتطوف عليها والإشهاد بما وقع فيها من الضرر والحدوث على أرباب مائها، توجهوا للوقوف على قسمة ماء اللمطيين لينظروا ما حصل فيها من الضرر والفساد، فلما فرغوا منها توجهوا للوقوف على ماء عدوة الأندلس مع من زاده الشرع من أهل العدو زيادة على من ذكر أولا حسبما ذلك مسطر بشهادة عدلية ثابتة مؤرخة بمحرم

١٢٩٩ - وتقدم ابتداء الوقوف فى أواخر حجة ٩٨ - مبین فیها الضرر فى كل موضع، وما لاحظته الواقفون أثناء طوافهم مع تسمية كل واحد منهم، واستثناء من لم يشهد فى بعض الأمور من الشهادة بما شهد به غيره.

ثم لما كان الباشا عبد الله بن أحمد بمكناسة الزيتون وكان بها صاحب الترجمة يومئذ كتب لولده وخليفته على عمالة فاس السيد محمد أن يعين أفراداً للتوجه مع من عينهم الجنا ب الشریف للوقوف على ماء وادى فاس، حتى يتحققوا صحة ما كان قد وقع الإشهاد به من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية فعينهم، وتوجهوا مع مولای أحمد الصویری والقائد البشیر بن القائد بريك الحبشى، والقائد محمد الشرا دى الذين وجههم الجنا ب الشریف لذلك، وشهدوا بما ألفوا من أحداث ما لم يكن من قبل وافتقار لإصلاح وغير ذلك مما هو مبین فى شهادتهم الثابتة المؤرخة بسابع ربيع الثانى من هذه السنة ١٣٠١، وكان ابتداء الوقوف فى متم ربيع الأول منه.

ومن الكتب الرسمية التى جرت فى ذلك ما كتبه الباشا عبد الله لولده ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«ولدنا الأعز البار الفقيه الخليفة سيدى محمد بن عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله.

وبعد: فقد أبلغنا مولانا الإمام بأنه كان وجه وصيفه القائد البشير الحبشى للوقوف مع القائد العربى بن اب محمد على رد السدود الحادثة التى ضعف بها ماء فاس خارج المدينة، وأخبر المكلفان بأنهما تتبعا ذلك حتى أبطلا جميع المجارى الحادثة ورد الماء لمحله، وصار جريانه خارج المدينة على ما ينبغى، ولما دخل الماء للمدينة بلغ العلم الشریف أن الناس لا زالوا يتضررون بقله الماء وضياعه داخل المدينة، وقد وجه أيده الله الشریف مولای أحمد الصویری والقائد البشير الحبشى

وصاحب سيدنا لمراجعة ما بلغ علمه الشريف من إبطال المجارى الحادثة ورد الماء لمحلّه وللوقوف على عين مجارى الماء داخل المدينة واستيعاب ذلك مع المعينين من قبلنا، وهم: الخليفة الحاج أحمد الرايس، والأمين الحاج عبد السلام المقرى، وتاجران عارفان، وأربعة من الحذاق الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم والقنويون والعدول والصاحب الوارد عليك من هنا حمان الرايس، فإذا ورد عليك من توجه من قبل مولانا بقصد ما ذكر فأعلم المذكورين بالتَّهَيُّؤَ للملاقاة بالمحل والوقت الذى توافقت معهما عليه ليتطوفوا مع الجميع بمجارى الماء كلها، وكذا المحل الذى ينتهى له الماء عند من كان وتعين ولو كان عندى، وليقيد العدول ما عاينوا من صلاحها أو فسادها ووجه لنا الرسم بذلك والله يصلحك والسلام فى ٢٤ ربيع لعام ١٣٠١ عبد الله.

ومنه: فزد من قبلنا رجلين اثنين من أهل العدوة ومن الأندلس كذلك، ومن اللمطين كذلك للوقوف على قضية الماء المشار إليها أعلاه ونظار الأحباس ومن تحتاجون إليه من المعلمين الرحويين».

ونص ظهير شريف للباشا المذكور بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرشد الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك فى شأن مجارى ماء فاس الذى وجهنا من يتعاهدنا وأمرناك بتعيين من يقف من قبلك مع من تعين: بأنك كتبت لنايبك وعينت له من يقف معهم وفق ما أمرت، وأجابك بأن الأمر استوفى على التمام وقيد العدول ما عوين منها كما بالموجب الواصل طى الكتاب، فقد طالعنا الموجب فألفينا غاية ما فيه أن الوجهين تطوفوا على مظان الضرر. بطواف أرباب البصر. من غير حصول على نتيجة التوجيه التى هى رد الماء لأصله والضرب على يد المتعدى فيه. على أنه

مهما كان الغرض يدرك. فلا يلغى الكد لأجله حتى يحصل ويترك، وعليه فنأمرك برفع حادث الضرر بمحضر المذكورين فى الرسم لرفعه. حتى يرجع الشئ لأصله. وليحضر معهم من عيناه للوقوف على رفعه وهما مولاي أحمد الصويرى، ووصيفنا البشير الحبشى ومن عداهما فيه أخبر تقله.

ولذلك نتخير فى المهمات من يحسن فى إقامة الغرض قيامه. ويزيل بصدقه عن طريق الحق إبهامه. لأن الناس اليوم غلبهم هواهم. ووافق سجايهم فلا خير فى كثير من نجواهم. سيما أهل التعدى فأمالهم كلها لدينا مرفوضة. وقضايا تدايرهم منقوضة. وجموع تكسيرهم مفضوضة.

فلا ترفع السوط حتى يرتفع الضرر عن المساجد والحرمات والشكاة من غير ريب بصائب رأيك. وبمعونة تعزيز شريف أمرنا لك ومن بين يديك ومن خلفك، بحيث يرجع الشئ لأصله القديم ونهجه القويم، ولو أدى ذلك إلى هدم ما بنى على غير وجهه بتعدى صاحبه، أو أبدل مشرب من محله، أو زيد فيه برأى مرتكبه، إذ الحق أحق أن يتبع. وإليه فى كل المذاهب يرجع. والإغضاء على المتعدى يفضى إلى المنازعة. وكثرة المراجعة.

وقد شاع أمر هذا الماء وذاع. فى جميع البلدان والبقاع. فقم على ساق مع من عيناه لذلك حتى يتوصل كل من له حق بحقه، ويجرى كل قسط منه بمستحقه، والتعدى بالماء أهلك الله به أمة، وأرسل عليهم طامة ملمة، قال تعالى: ﴿... أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۖ﴾ [القمر: ٢٨] فأزل هذا الداء العياء بكيه، بإيصالك منه كل واحد لشيء، وعامل كل متعد بنقيض قصده، وأجلسه عند حده، والسلام. فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١هـ.

ونص ما كتبه الوزير الأكبر يومئذ وهو أبو عبد الله محمد بن العربى الجامعى للباشا المذكور بترتيب مؤنة الوفد الموجه لإصلاح الماء:

«الحمد لله محبنا الأَرْضِي الباشا الأَسْعَد الفقيه السيد عبد الله بن أحمد،
رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فإن سيدنا أيده الله وجه وصيفه القائد البشير الحبشي، ومولاي
أحمد الصويري، ومحمد بوهيمة الدليمي لرد ماء فاس لمجاريه الأصلية ويأمرك
أيده الله أن ترتب لهم مؤنتهم اليومية مدة مقامهم ثمَّ وعلى المحبة والسلام في ٢٧
ربيع الثاني عام ٣٠١ محمد بن العربي خار الله له».

ونص ما كتبه الوزير المذكور جوابا عن استشكله بعض ما في الظهير
الشريف بعد الحمدلة:

«محبنا الأعز الأَرْضِي، الباشا الأَسْعَد المرتضى، الفقيه سيدي عبد الله بن
أحمد رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: وصلتنا بطاقتك باستشكلك الجملة التي بينت من الظهير الشريف
الموجهة لك في شأن رفع الضرر والحيف الواقع في ماء فاس، وطلبت التصريح
لك بالمراد في ذلك لئلا تقع مع من ذكرت في محذور، وأطلعنا بذلك علم مولانا
فأجاب نصره الله بأن المراد هو رفع الضرر الحادث والتقديم الواقع في ذلك الماء
ورد مجاريه لهيئتها وكيفيتها القديمة والتسوية في رفع ذلك الضرر بين القوى
والضعيف، والمشروف والشريف، وبأن من توقعت منهم ما ذكرته هم الذين
تشكوا بذلك الضرر ورغبوا في رفعه هم وغيرهم من كبراء فاس وأعيانها كافة،
والنبيه مثلك لا ينبه وعلى المحبة والسلام في ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٠١ محمد بن
العربي خار الله له».

ثم توجه الوفد العالی والخليفة الرايس، والأمين المقرئ، والناظر الشامي،
وشيخا البصر، والقنويين والرحويين وغيرهم للوقوف على إجراء الإصلاح المنشود

حتى وقفوا على الماء الذى يسيل من سد باب جبالة، فاقتضى نظرهم حصره ببناء حائط من طابه، وحيثند أحضرت الإقامة وشرع فى بنائه وعلى الجزيرة التى برأس رحى الجبل المشهود بضرر بقاء السمر النبات بها حتى أزيل جميعه، وخملت الجزيرة المذكورة وما زالوا كذلك فى تنفيذ الإصلاح من تعيين أوقات السقى وتجديد المغاليق وإصلاح القواديس وبيان أنواعها وما تناسبه وغير ذلك، حتى أتموا مهمتهم حسبما ذلك بشهادة عدلية ثابتة بتاريخ رجب الفرد من السنة ١٣٠١.

ثم ظعن إلى فاس فأقام لتدبير الشؤون فيها إلى أن دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة وألف، فرجع إلى العاصمة المكناسية وأصدر الأوامر لعاملها إذ ذاك الباشا حم بن الجيلانى بانتخاب عشرة من أعيان نجباء طلبة الجيش البخارى لقراءة فن التوقيت والحساب، ورشح لتعليمهم موقت الحضرة المكناسية الشهير الجيلانى الرحالى.

وقد كان للمترجم اعتناء وشغف بهذه الفنون الرياضية، فكان يوجه فى طلب آلاتها من سائر الجهات، وقد وقفت على بطاقة من عامل الرباط السيد محمد بن محمد السويسى للشرىف العلامة سيدى محمد بن الحسنى عم صديقنا الحميم سيدى المدنى بن الحسنى نصها بعد الحمدلة:

«محبتنا الأرضى الفقيه الأجل الشرىف سيدى محمد بن الحسنى السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد أمرنى مولانا أعزه الله نوجه لحضرتة الشرىفة ستة ربعات وستة أسطرلابات التوقيت من هنا، وبحثنا فتحقق لنا عندكم اثنين ربعات وأسطرلاب وعليه أحبك توجه لنا بهم وتعلمنا بثمانهم أو يقدر لهم ولا بد وعلى المحبة والسلام فى ٧ شوال عام ١٣٠٨ محمد السويسى لطف الله به».

ثم نهض من مكناس قاصداً عاصمة الجنوب فسار على طريق زمور الشلح ثم رباط الفتح وبه أقام سنة عيد الفطر، ثم نهض على طريق زعير وتادلا، وبينهما قضى سنة عيد النحر، ثم من زعير لايت بوزيد فأيت اعتاب، ولما وصل إلى قبيلة نتيغة أوقع بها جزاء على ما أجمرت من شقهم عصا الطاعة على عاملهم الطالب عبد الله التيفي ووثوبهم عليه وهدم لداره، ولولا أنه خلص بنفسه نجيا لحضرة السلطان لثلوا به.

وكذلك أوقع بأهل زاوية تنغملت، ثم سار على فم الجمعة، ثم قبائل السراغنة والرحامنة، ثم مراكش الحمراء فأقام بها مدة يتأهب لعود الحركة للقطر السوسى لتفقد أحواله وتسكين اضطرابه، وإعادة النظر فى ترتيب شؤنه، ويدبر أمور الظعن إليه، وكيفية المرور على قبائله وتمهيدها وبمراكش أقام حفلة العيد النبوى والمولد الكريم المصطفى.

ولما حضر بشريف أعتابه أعيان القطر السوسى كأبى عبد الله محمد بن الحسين أو هاشم، والقائد دحمان بن بيرك التكنى، والحاج مسعود الراشدى، والقائد أحمد العبوى السرخينى والعمال الذين يتصارفون معهم من آيت باعمران وباعقيلة وتيزفيت وغيرهم كالقائد على الخصاصى، والقائد إبراهيم بوفوس لأداء واجب التهئة ومشاهدة هذه الحفلات المولوية العيدية وفق المقرر المؤلف فى ذلك أمر وزيره أبا عبد الله محمد بن العربى الجامعى بإحضارهم بشريف الأعتاب ومفاوضتهم فيما صمم عليه جنابه العالى من الوجهة لناحيتهم.

فأحضرهم وعرض عليهم القصد المولوى فأجابوا بالترحيب والبشر، وسردت عليهم مراحل السفارة الأولى فوافقوا على بقاء البعض منها على الأصل، وأشاروا بتبديل البعض. قال الخصاصى وبوفوس: إن المسلك السهل المتواصل العمارة والماء إلى كلميم إنما هو على بلاد الاخصاص لقربه واتصال الماء والعمارة، فذكروا أن من بونعمان لاندجه نحو الخمس ساعات لكون محطة الظهر الفارقة بينهما ليس فيها إلا المطافى، ومن اندجه لاكيسل نحو الساعتين ومنه لكلميم

كذلك، كما ذكروا أن لبلدهم طريقا آخر بيانه أن من عين أولاد جرار إلى محل الماء القريب من تمرغت بنحو نصف ساعة نحو الساعتين، ومن ذلك المحل إلى اندجه نحو الساعتين ونصف، ومنه إلى كيسل كذلك ومنه إلى كلميم كذلك وهناك مراحل أُخر:

المرحلة الأولى: من ماسة إلى تيزنيت سوائع ٣ وأقسام ٨ واسم العامل محمد احسون التيزنيتي وفيها الماء كثير.

المرحلة الثانية: من تيزنيت لأولاد جرار سوائع ٣ والعامل محمد - فتحا - ابن عبد الرحمن الجراري وفيها الماء كثير.

المرحلة الثالثة: من أولاد جرار لبونعمان سوائع ٣ وأقسام ٣ والعامل القائد يحيى البريمي وفيها الماء الكثير.

المرحلة الرابعة: من بونعمان لايسك سوائع ٤ وأقسام ٦ والعامل إبراهيم بن سعيد وفيها الماء كثير.

المرحلة الخامسة: من ايسك لبيير تانكارفة والخميس بآيت بوبكر سوائع ٢ والعامل أحمد البوبكري وفيها الماء كثير جدا.

المرحلة السادسة: من بير تانكارفة والخميس لتانكارفة سوائع ٢ والعامل باكريم وفيها الماء كثير جار.

المرحلة السابعة: من تانكارفة لفم تيكتن سوائع ٤ والعامل باكريم والماء عيون دائرة بالمحلة.

المرحلة الثامنة: من فم تيكتن لكيسل ساعتان والعامل باكريم أيضا وفيها الماء كثير.

المرحلة التاسعة: من كيسل لكلميم ساعتان والعامل ولد بيروك وفيها الماء كثير جدا.

كما وقع الكلام معهم فى شأن اکتیال الشعیر فأشاروا بأن یكون أمین یکتال لكل مرحلتین وما اکتاله ینزلونه بالمحل الذى تنزل به المحلة .

وكانت هذه المفاوضة فى العشرین من ربیع النبوی عام ثلاثة وثلاثمائة وألف حسبما وقفت على ذلك فى كناشة المهندس الطالب أحمد بن الشاذلی البخاری، وقد كان المتقدم أمام المترجم لضبط المراحل بالسوائع والدقائق و بیان السهل والوعر وما به ماء وما لا ماء به فإذا أحاط علما بالطریق المراد سلوكها فصل ذلك فى تقیید بغایة الضبط والإتقان، وقدمه للمترجم لیكون على بصیرة مما یقدم علیه وعلى هذا كان العمل فى سائر الحركات .

ولما عزم المترجم على النهوض عقد لنجله مولای محمد على جیوش جرارة وقدمه أمامه لاستخلاص الواجبات الشرعیة من زکوات وأعشار المترتبة بذمم تلك القبائل السوسیة، وأمره بالتخییم بقبیلة هواره إلى أن یلحق به أو یرد علیه ما یكون علیه عمله بعد، وأصیب الوزیر ابن العربی بداء الفالج واستنوب عنه الفقیه الصنهاجی .

ثم فى یوم الخمیس الثانى عشر من جمادى الثانية عام ثلاثة وثلاثمائة وألف بارح المترجم مراكش فى جیوشه المتلاطمة الأمواج ووجهته القطر السوسى وكان مخیمه بوادى السمار، ومدة السیر ساعتان ونصف، ثم منه لزاویة الشرادى ومدة السیر ثلاث ساعات ونصف، ثم لوادى الحلوف ومدة السیر ثلاث ساعات، ومنه للمغسلة والسیر ثلاث ساعات، ثم لزیمة بقبیلة حمیر والسیر ثلاث ساعات ونصف .

وأقام المترجم بجیوشه هنالك یوما واحداً للاستراحة ولحوق المتخلفین بالجیوش المظفرة، ثم لسوق الأحد والسیر ساعتان ونصف، ثم لقلعة ابن التمار بعبدة، والمسیر أربع ساعات وربیع، ثم لغدران الخیل والسیر ثلاث ساعات، ثم



لثغر مدينة آسفى والسير ثلاث ساعات، ثم للملح بعبدة والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لزاوية الرثانة من بلاد الشياظمة والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لسيدى عبد الله مولى الحمراء والسير أربع ساعات، ثم إلى عين الحجر والسير أربع ساعات، ثم لثغر الصويرة والسير خمس ساعات وربع، وكانت الإقامة هنالك أربعة أيام، ثم كان النهوض منها للمحل المعروف بالرياض والسير ساعتان ونصف ومنه لسميمو بحاحة والسير ثلاث سوائع ونصف، ثم منه لمدى وسارن والسير ساعتان ونصف ومنه لتفنى والسير ثلاث ساعات، ومنه لتبصريت والسير ثلاث ساعات، وأقام هنالك الأمير بجنوده يوما واحدا، ومنها لوادى آيت بامريم والسير أربع ساعات، ثم لاقروض والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لتامزاغت ما بين حاحة واذاوتنان والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لابن شركا وهو أول سوس وكانت مدة السير ثلاث ساعات والمقام هنالك سبعة أيام، ثم سار إلى أن خيم بأزرو من قبيلة كسيمة والسير ساعتان ونصف، ومن ثم لسيدى بيبى حيث المدرسة والسوق الآن والسير ساعتان ونصف، ثم إلى تابوحنكت بقبيلة آيت أبو الطيب بهشتوكة والسير ثلاث ساعات عدا ربع، ومنه لمدوار سيدى على المجاور لوادى الغاس بقبيلة المعدر من جبل رسموكة والسير خمس ساعات عدا ربع، والمقام ستة أيام ومن تيزنيت نهض لأولاد جرار والسير ثلاث ساعات، ومن ثم إلى زاوية أبونعمان مدرسة العلم ثم آيت ابريم وهم الجبليون والسهليون والسير ساعتان، ومن ثم لايسك حيث يكون الموسم على شاطئ البحر وبه مدرسة آيت باعمران قرب سيدى إبراهيم والسير أربع ساعات، ومنه آثلمون بعد سوق الخميس بآيت بوبكر والسير ساعتان والمقام أربعة أيام ومنه لأربعاء انمستتن والمقام ثلاث ساعات وثلاث، ومن ثم لثلاثاء اصبويا وهى قبيلة عظيمة أهلها ذوو كرم وشجاعة وعلم وفضل ونزاهة والسير ثلاث ساعات ونصف والمقام يوم، ومنه إلى تبجلكت

والسير ثلاث ساعات وعشرة دقائق ومن ثم لزاوية تيلوين والسير ساعتان ونصف، ومنها لرق أولاد أبي السباع والسير ساعة واحدة ونصف، ومنه لمدشر اكلميم مرسى على شاطئ البحر والسير ساعة وربع، والمقام أحد عشر يوما وبهذا المحل لحق به وزيره ابن العربي لما خف أله .

فكان عدد مراحل الذهاب من مراكش إلى كلميم تسعا وثلاثين مرحلة قطعت في مائة واثنين وعشرين ساعة وخمسة عشر دقيقة، وعدد أيام المقام سبع وثلاثون، فعدد الأيام في الذهاب وفي الظعن والإقامة ستة وسبعون يوما .

ولما خيم بكلميم وجه وزيره وشيخه أبا الحسن على السمفيوى وخدميه القائد مبارك بن الشليح الشراذى الدليمى وكاتبه الطالب أبا عبد الله محمد - فتحا - الجباص لمرسى البيضة - بالتصغير - المتصلة بطرفاية للوقوف على عينها والكشف له عن حقيقتها .

ومن آيت باعمران كتب لباشا مكناس مخبرا بوصول الركاب السعيد ودونك نص الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١ :

«وصيفنا الأرضى القائد حم بن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: فإننا بحول الله الملك القوى المعين . الفاتح لما أغلق كما يشاء فى الحين أو بعد حين . المؤيد بعنايته عبده فى كل مصدر ومورد وتحريك وتسكين . كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل آيت بوعمران بحبوبة مجامع قبائل سوس الأقصى ومناخ الأعيان . نعلمكم بما واجهنا المولى سبحانه فى هذه الحركة المباركة من تعاقب المن والأيدى وابتسام ثغر الزمان، بما أملناه من العلى المنان،

فى هذا النادى لتعلموا أن الله على كل شىء قدير . وبيده مقاليد السموات والأرض وهو الولى والنصير ، والسميع والبصير .

فكان من أمر هذه القبائل السوسية والقساملة الساحلية أن تلقوا ركابنا السعيدة أفواجا أفواجا . ناشرين أعلام الفرخ تجاه جيوش الله المظفرة ضحى وإدلاجاً ، حاشدين حروكهم مصحوبة بأعيانهم ومن يعتد به من فقهاءهم وشرفائهم ومرابطيهم ، من غير أن يكون جمعهم خداجاً مستتجين للفوز بخاطرننا الشريف مقدمات الامتثال والسمع والطاعة لله ورسوله استتاجاً ، مقدمين بين يديهم هداياهم ، متترسين بإخوانهم وسراياهم ، ماديين أعناق الامتثال . عاضين بالنواجذ على الخدمة وصالح الأعمال . فأتوا بمثونتهم على قدر الاستطاعة ، ومهدوا لسلوك الملة السعيدة ما صعب من طرقهم حتى صارت مسلوكة مشاعة .

ونحن فى كل ذلك نعاملهم بالبروز ، ونبسط البشر إليهم ونقابلهم بما ارتسم فيهم من السرور ، وها نحن بحول الله جادون فى الخلوص إلى المقصد الذى لأجله نقلنا هذه الخطوات . واستعملنا فيه الفكر وأسهرنا أحداق الاعتبار . من صرف النظر لفتح مرسى آصكى مركز سواحل وادى نون . ومجمع القبائل الأعرابية والبربرية ومنتهى ذلك المسكون . ولا سيما من جاءت بينهما كالام والعنصر وهما كالتوءمين لها يستمدان منها ويرضعان خلاصة لبن ثديها وهما القبيلتان البوعمرانية والتكنية ومن تراكم عليهما وارتدفا . من قبائل البربر والأعراب أو كان على حكمهما فيما ارتضع وارتشف .

هذا إن كانت تصلح لذلك وتعود منفعتها على المسلمين والإسلام بعد الاستخارة مرارا . فى اختطاطها وفتحها وتحقق بصلاحياتها كشفا واستبصارا . ونتوخى فى الإقدام على ذلك بحول الله الأسد من الأنظار ، والمنهاج القويم الجارى على أعراف هاتيك الأقطار .

ثم إن كانت موافقة للأصلح أقدمنا ، وإن لم يظهر وجه المصلحة أعرضنا عنها إلى غيرها قال الله العظيم : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ ﴾

مِثْلَهَا... ﴿البقرة: ١٠٦﴾، وما آل إليه الأمر نعلمكم به ونشرف آذانكم بما سنح من سره، فإنه لكل عمل نتيجة بعد العنوان، والله الولي المستعان، والهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام فى ٨ شعبان المبارك عام ١٣٠٣.

وبعد قضاء الوطر من هذه الرحلة نهض من كليميم يوم الأربعاء تاسع عشرى شعبان العام ووجهته عاصمة الجنوب وكان مخيمه بالمطفية المتقدمة الذكر، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن طوى مراحل الإياب فى أربعة وثلاثين مرحلة فكانت مدة السير فيها مائة ساعة وأربعة سوائع ونصف، ومدة المقام ست وأربعون يوما، فجملة أيام الإياب ثلاثا وسبعين مرحلة قطعت فى مائتى ساعة وسبع وعشرين ساعة عدا ربع ساعة.

وعليه فجميع أيام السفر من يوم الخروج من مراكش وهو الخميس الثانى عشر من جمادى الثانية إلى يوم الحلول بها وهو السبت موفى عشرى قعدة ظعنا وإقامة مائة وستة وخمسون يوما عنها خمسة أشهر وستة أيام لتقص شهرى شوال وذى القعدة.

وفى إيباه من هذه الوجهة أوقع القبض على عتاة هشتوكة وهوارة وذلك يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان وفى يوم الخميس ثامن عشرى رمضان استولى على أمتعة وذخائر أهل البغى والعناد من هوارة.

ثم فى يوم السبت متم رمضان حل بتارودانت وبها أقام سنة عيد الفطر، ومكث بها أحد عشر يوما وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شوال أوقع باذاوتان.

وفى يوم السبت موفى عشرين من ذى القعدة حل بحضرة مراكش عاصمة الجنوب فأقام بها يتفقد الأحوال وينظر فى المصالح إلى يوم الاثنين ثامن شعبان عام ١٣٠٤ فنهض منها قاصداً عاصمة سلفه مكناسة الزيتون وأوقع فى طريقه بقبيلة

نتيفة حيث رفضوا طاعة عاملهم عبد الله الزناكي، وأقام سنة عيد الفطر بالزيدانية من أعمال تادلا، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن حل بثغر الرباط يوم الاثنين سابع عشر قعدة، وأقام بها إلى يوم الخميس سابع عشر الشهر المذكور ولم يزل يطوى المراحل إلى أن دخل العاصمة المكناسية يوم الأربعاء رابع حجة متم عام ١٣٠٤.

وفى يوم الأحد خامس عشر رمضان ١٣٠٥ نهض من مكناس قاصدا القبائل البربرية بنى مجيلد وزيان وغيرهم لتفقد الأحوال وإخماد نيران الأهوال التي أضرمها بنو مجيلد الذين سعوا في الأرض الفساد، وأهلكوا ضعفاء العباد، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاي سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف على ما سنوضحه بعد بحول الله الشهيرة عند الخاصة والعامة بوقعة سرور.

فمن ذلك العهد خلعوا ربقة الطاعة من أعناقهم، وتجردوا للسلب والنهب، وظنوا أن عصبيتهم لا تغلب، وتمنعهم بأوعار الجبال الشاهقة حام لهم من تحكيم سيوف العدل في رقابهم، فصار التوحش والهمجية خلقا لهم به يفتخرون، واستحكم ذلك فيهم لا ينظرون إلا لما فيه مصلحتهم الشخصية وإن كان فيه خراب العالم، فإن احتاجوا لحجر لأثافي^(١) قدورهم نقلوه من أضخم المباني وأعتقها وأفخرها ولا عليهم في خرابها لأجل ذلك الغرض الخسيس، ويرون أن رزقهم تحت ظل مكاحلهم إذا تركوا السلب والنهب يموتون جوعا، ووراء كل رأى من آرائهم الفاسدة عصبية وحمية جاهلية.

ولما تفاحش عيثهم واشتد أذاهم ولم ينفع فيهم تحذير ولا إنذار بل لا يزيدهم ذلك إلا عتوا ونفورا وعصيانا، سنح للمترجم كسر شوكة تمردهم وضلالهم وإرغامهم على الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة،

(١) الأثافيّة: أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر، الجمع: أثافي، وأثاف.

فبعث إليهم باشا مكناس القائد حم بن الجيلاني في جيش عظيم منتظم من العسكر والقبائل البربرية كبنى مطير وجروان، ثم نهض المترجم من العاصمة المكناسية في التاريخ المتقدم بجنود لا قبل لهم بها.

ولما حل بجنوده بالمحل المعروف بسيدى بورمان وجد في استقباله هنالك القائد محمد أحمد الزياني فيما يزيد على الألف فارس من إخوانه، ولما شرفت الجلالة السلطانية عليهم. وأشرفت أنوار محياه بحيههم. ترحل القائد المذكور وأدى التحية المخزنية كما يجب، وقبل الركاب كبقية إخوانه وأعلنوا بالسمع والطاعة والتمسوا صالح الأدعية وخامرهم من الفرح والارتياح ما لم يكن في حسابان، وأحدقوا بالموكب الشريف يتمسحون ويتعلقون بالأذيال حتى حالوا بين السلطان وبين جل الخاصة من حاشيته والسلطان يهش في وجوههم ويبش، ويظهر من الانسراح والتنازل ما زادهم إغراء وإغراقاً في التهتك في حبه والميل بالقلب والقالب إليه، ثم بعد قضاء وطهرهم من التبرك واستجلاب صالح الأدعية امتطوا ظهور خيلهم وتقدموا أمام المحال السلطانية إلى أن حلوا بالمحل المعروف بكر كرة فخيم السلطان هنالك إلى أن أقام سنة عيد الفطر.

وبعد انتهاء حفلة أيام العيد في غاية الأبهة والضخامة نهض السلطان في جنوده المجندة إلى أن حل بالمحل المعروف بيمين خنيك فوجد هنالك باشا مكناس القائد حم بن الجيلاني في محاله، إذ كان المترجم وجهه مقدمة أمامه قد وقعت بينه وبين بعض العتاة مناوشة بالبارود أنجلت عن قتلى وجرحى من الفريقين، ولولا أن المترجم أمدهم بأبطال فرسان محلته سعيدة الطالع لكانت الهزيمة على المحال الباشوية، ولبقى هو أسيراً بأيديهم إذ قد ضربوا فرسه، ولما بقى راجلاً أحدقوا به فأدركته خيل المحلة وشتت جموع البغاة، ولما مثل الباشا المذكور أمام السلطان وبخه وقبح فعله إذ كان مراده أن لا يخرج بارود من المحال المخزنية ولو

ابتدأهم أهل الزبيغ بالضرب حتى يحيط بهم محاله الوافرة العدة والعدد إحاطة السوار بالمعصم.

ثم لما كان الغد نهض السلطان ونظم الجيوش أبدع نظام، ودخل شعبة كبيرة شديدة الوعر وسط غابة عظيمة وجعل العسكر عن يمينه وشماله بأعلى تلك الشعبة بحيث لا يغيب عنه كمين ولا آت، وأدخل المال والذخائر مع رايات عبيد البخارى، وأحدقت بالجميع خيول الجيش من مسخرين وشراردة وودايا، وقدم أمام الكل قبته وأحبيته مع فرسان ورماة القبائل التي كانت فى معيته كزيان وجروان، وجعل وراء الجميع فى الذنب رئيس عساكره خاله أبا عبد الله محمد الصغير مع العساكر التى إلى نظره من خيل ورماة وعدد عديد من المدافع.

ثم سار السلطان فى تلك الشعبة الطويلة العريضة حتى اقتطعها، وخرج فى فسيح متسع الأكناف كثير الخصب والزرع، فأمر بالتخيم هنالك فنزل الناس وضربوا الأخبية واستراحوا، ونزل السلطان تحت جدار قصبة هنالك لبعض الأشراف ريثما يتم ضرب أخبيته وفساطيطه.

فبينما هو ثم إذ ورد عليه فارس من قبل رئيس العساكر المذكور يخبره بنشوب البارود بين العساكر وبين عتاة المفسدين، فأمر بإسراج خيول المحلة المسومة وتوجيهها لإعانتهم ثم بمجرد دخول المترجم لأخبيته هجم العسكر الذى بالمحلة السلطانية على قصبة أولئك الأشراف ومدت فيهم أيدي النهب والسلب ووقع الضرب بالبارود ظنا منه أنهم من أهل العصيان، فخرج المترجم مسرعا وأمر بكف العسكر وسب وجدع وجبر كسر المبعوتين بإفاضة سجال العطايا التى غمرتهم، وصيرت الشرور فى الحين لديهم سرور.

أما الخيل التى وجهت لإعانة كبير العساكر فإنها ما سارت غير قليل حتى وجدت العساكر مولية وجهتها للمحال السلطانية ظافرة منصورا بعد أن طمع فيهم

البغاة المتمردون، وحسبوا أن ذلك الذنب كله طعمة لهم باردة، فعند مبارحة السلطان بما كان معه العساكر والخيول والرماة طبق ما وصفنا عن الشعبة المذكورة أشرف المفسدون على ذنب الجيش من قنن تلك الجبال.

ثم إن رئيس العساكر لما عاينهم أمر من معه من العسكر بسلوك تلك الشعاب.

ولما رأى البغاة العسكر ينزل من الأعالى ظنوا أنه ذاهب لحال سبيله، فصاروا ينزلون إليه من صياصي الجبال كأنهم جراد منتشر، فهجموا عليهم ووقع القتال بين الفريقين وصار العسكر يتأخر كأنهم منهزمون، فازداد طمع العدو فيهم، فلم يشعروا حتى قطع العسكر من خلف، وصار كور المدافع ينصب على البغاة ودهمتهم خيول العسكر فروا فوجدوا رماة العسكر قد عمروا سائر المسالك فأثخنوا طعنا بالرماح وضربا بالسيوف وتشتتوا شذر مذر، فسر المترجم بذلك سرورا ليس عليه من مزيد، وحمد الله وشكره على ما منح من الفتح والظفر، بمن حاد الله ورسوله ووطنى وفجر، وكتب بذلك الظفر إلى سائر أقطار رعيته، وإليك نص ما كتب به لباشا مكناس بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«حم بن الجيلانى وبعد فإننا بحول من بيده الفتح والنصر والظفر والتمكين، والحول والقوة والطول المكين، لما نهضنا من بعض المرحلات التى بغضون جبال فساد بنى مجيلد وخرجت المحلة سالمة من شغب بعض غاباتهم الصعبة زاغ من أراد الله هلاكه منهم فى هاتيك الشعبة، فناوشوا بعض من بقى مع أثقال المحلة بقتال فاشل مأخوذ، علما منهم بأنهم لا قبل لهم بالجيش المنصورة بالله، ولذا بقى زعيمهم فى ميدان الاقتناص منبوذا، وكان الذى جرائهم على ذلك وغرهم ما كان صدر منهم قبل فى الدار الأخرى، وحيث عرفوا المقصود من التوجه لأعز أماكنهم وقصورهم التى هى بملوية التى هى مستودع أموالهم وخيولهم وأسلحتهم

وزروعهم المرعية قاسوا على ذلك بأخريات الأثقال ما حاولوه، واجتروا على ما تناولوه، فرددنا عليهم من يعتد به من قبائل الأعراب وآيت يوسى وبنى حسن وبنى مطير وجروان والعساكر المنصورة بالله من أبطال الرماة والفرسان فشنوا عليهم الغارات، وجعلوهم أغراضا للإشارات، واقتنصوهم اقتنص العقبان للعصافير، ونفذ الوعيد في طائفة منهم بعد أن تركوا قصورهم وأعز أماكنهم بلقعا ليس فيها عيس ولا يعافير، فقطعت منهم رءوس، واستؤصلت منهم أعز نفوس، وكان بؤس ذلك عليهم أشد بؤس، وأسأم من وقعة البسوس، فلم يفلت من لم تصبه سهام الله إلا الفرار، للبرارى والقفار، وتركوا جيفهم صرعى صادين عنهم إلى ساحات النفار.

ولم تلتفت المحلة إلى حز ما بقى من رءوسهم شغلا بالسعاية. وحرصا على الجباية. وإلا فلو احتزت منهم تلك الرءوس لكانت تملأها أحمال. ولعبت بها الجمال. وما تحصل من الرءوس مما فيه الكفاية. وجهناه لفاس إيذانا بعنوان البداية. ثم لا نبرح عنهم بحول الله. إلا إذا استأصلتهم سطوة الله. وأذيقوا مرارة الوبال. وأليم النكال. بمعونة الله. ولم تغنهم من الله حصون بحول الله. ولا ما اتخذوه وزرا وفيثا، ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا، والمحلة بحول الله مشتدة مصونة صائلة، فى أرغد عيش وأطيبه بائنة وقائلة. تتربص بالفساد الدوائر. وتذيقهم كل يوم المرائر. وأعلمناكم لتأخذوا بحظكم من الفرح، وتعلموا أن الله سبحانه يتولانا فى الطغاة بمنه وفضله ومعونته وفق المقترح. إنه مفضل غنى كريم. ناصر الحق عزيز حكيم. والسلام فى ١٥ شوال عام ١٣٠٥».

ثم نهض المترجم فى جنوده وسار إلى أن وصل للمحل المعروف ببولعجول مدشر كبير محصن غاية التحصين أمامه عدة مداشر متفرقة، فى بسائط ذات خصب وعيون دافقة وحرارة متسعة، وهنالك أوقع بتلك القبيلة الشاردة عن الطاعة

المشوشة للراحة العامة المعدمة الأمان في السبل بضرب رقابهم وأسر رجالهم وحز رءوسهم وحصد زروعهم وهد حصونهم المنيعة، وأذاقهم أليم النكال وحرقت مداشرهم وشدد عليهم الحصار حتى ضاق بهم المتسع، وأذعنوا للطاعة رغم أنوفهم، وجاءوا تائبين منيبين مذعنين فعفا عنهم عفو قادر، وألزمهم إعطاء عدد وافر من البقر والغنم وغير ذلك ذعيرة لهم فأدوا جميع ذلك من غير أدنى تمنع ولا ماطلة وولى عليهم العمال وكتب لعواصمة مبشرا بهذا الفتح الباهر ومحققا للواقع.

وإليك نص ما كتب به لصنوه وخليفته بنفاس بعد الحمدلة والصلاة والافتتاح:

«مولاي إسماعيل وبعد فإننا لما خيمنا بحول الله وقوته بملوية بالدار بالمرحلة الثالثة منها تخييم يمن وأمان وعرجنا على قصور الصلحاء من بنى مجيلد عمدت المحلة إلى أكلها ظنا منهم أنها من قصور الفساد وأنها المقصود بذلك الناد، فوجهنا من جيشنا السعيد من كفهم عن ذلك حتى صيرناهم في ظلال الأمان نائمين. وفي قصورهم مطمئنين.

وفي أثناء ذلك توجهت الطوبجية أمام فساد بنى مجيلد فوصلوا إلى قصر من قواهر قصورهم سمى اغرم منى بمحل من ملوية يقال له بوعجول، وبه نزلت المحلة السعيدة وبالقصر المذكور مدخراتهم وأموالهم وأمتعتهم فناوشوهم بالمضاربة. وأعلنوا بالمحاربة. فتضاربوا معهم من ذلك القصر، ولما بلغنا ذلك وجهنا لهم المدد من العساكر المنصورة. وجيوش الله الموفورة. فأذاقوهم المرائر وأرهقوهم بالقسر وقطعوا منهم رءوسا. واستأصلوا منهم نفوسا. وقبضوا على مساجين وأذاقوهم مرارة الحين في الحين. وصاروا يأتون بالرءوس والمساجين إلى أن جن الليل فأمرناهم بالرجوع إلى الصباح، ليرتب أمر ضربهم على مقتضى الكفاح فإذا بمن بقى في مكان القصر فر منه وتركه بلقعا، ولم يبقوا منه فردا ولا جمعا.

فأمرنا بهدمه فهدم حتى صار دكا، ولم يترك له صورة ولا تركيبا مرتكبا، وأبقيناه عبرة لمن اعتبر، ولكل من له عقل مزدجر، فى كل ورد وصدر.

وذلك بعد أن أخرجت ذخائره. واغتنمت أوائله وأواخره فكان بحمد الله فتحا مبينا. وظفرا وتمكينا. هذا ولم يكن لنا غرض فى قتالهم فى ذلك اليوم لولا ابتداؤهم به ولكن الله خذلهم ومزقهم وبددهم ونحن على نية استئصالهم بحول الله بعد فإن القبائل التى أمرنا باجتماعهم عليهم وهم خدامنا زيان وشقيرن وآيت يحيى وآيت يحمد وآيت يزدك وآيت حديدو أجلناهم بذلك أجلا كاد إلى الانصرام وحيث تجتمع تكون النهضة إليهم دفعة، والجلبة عليهم متحدة لتكون عليهم شر وقعة، والمرجو منه سبحانه أن يمكن منهم حتى لا تبقى لهم قائمة ويمحو من دواوين القبائل أسماءهم ويصير رسومهم دارسة، ومع هذا فإننا لا نعتمد إلا على خالق القوى والقدر المؤيد لعبده، الناصر لجنده، إذ لم يعودنا سبحانه إلا الجميل، ولم نعترف من فضله إلا الظفر الذى هو به كفيل والله سبحانه يتولى أمورنا وأمور المسلمين، ويمكن من القوم الظالمين، فإنه سبحانه بعباده بصير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وحيث كانت السببية لكم بإعلامكم بباكورة الفتح الذى امتن الله به عنوان وجهنا فى هذا الفتح الثانى لمكناس ستة عشر رأسا من رءوس الفساد الذين اقتحم هذا القصر عليهم والسلام فى ١٨ شوال عام ١٣٠٥».

وبهذا التاريخ وبنفس الألفاظ والمعانى كتب لخليفة القائد حم بن الجيلانى باشا مكناس إلا أحرفا قلائل.

ثم نهض المترجم من بولعجول وسار إلى أن خيم بعين سرور التى كانت بها واقعة السلطان مولاي سليمان المشار لها فتقدمت له من قبيلة شقيرن فرقة يقال لها آيت شخمان، وطلبت منه أن يرسل معها شردمة من الخيل لتستوفى منهم ما

بذمهم من الواجب الشرعى، وقد أظهروا من الطاعة ما لا مزيد عليه، وهم على دخل مصممون على الغدر والأخذ بالثأر لإخوانهم بنى مجيلد، فأسعف المترجم رغبتهم وعقد لابن عمه البركة المفضل مولاي سرور بن إدريس بن سليمان السلطان المذكور سابقا والمترجم فيما يأتى بحول الله ووجهه معهم.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بالمحل المعروف باغبال تسردنت، وهناك وجد المهراس الصينى الكبير الذى كان بقى ثم من عهد السلطان أبى الربيع سليمان فى الوقعة المنبه عليها أنفا، فأمر المترجم بحمله لمكناس، ثم نهض وسار إلى أن خيم بالمحل المعروف بجنو، وهناك بلغته واقعة مولاي سرور، وذلك أن مولاي سرور لما ذهب مع آيت شخمان فى تلك الشزيمة من الجيش ووصل لحتهم، أظهر الشخمانيون له من الفرح والابتهاج والرضوخ للطاعة ما دلوه به ومن معه من الجيش بغرور، ففرق تلك الجيوش على حللهم مظهرين غاية الاعتناء بهم وأنهم يريدون ضيافتهم، ولم يتركوا مع الشريف المذكور غير نفر قليل، ولما جن الليل قتل كل من عنده، وأوقع البارود وقتلوا الشريف حسبما يأتى تفصيل ذلك فى ترجمته.

ثم لما بلغ ذلك الخبر المحزن للسلطان اشتد غيظه وأنهض الجيوش للإيقاع بهم والإتيان بهم ناكسين على الأعقاب، فلم يجدوا لهم أثرا حيث إنهم لما فعلوا فعلتهم الشنيعة هربوا ودخلوا الكهوف والأوعار، فهدمت أبنيتهم واستؤصلت أمتعتهم، وحصدت زروعهم، وغض الطرف عن اقتفاء أثرهم وهو يتربص بهم الدوائر حيث إنه فى وسط أرضهم، وجل من معه منهم لا تؤمن غائلته.

ولما شاع أمر ما أجرموه وذاع، وملاً الأفواه والأسماع. كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس مولاي إسماعيل بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاي إسماعيل، وبعد: فبعد ما أعلمناكم بأن مرورنا على طريق زيان، فنهضنا وسرنا في عز وظفر وسكينة، وكانت قبيلة آيت شخمان ممن ورد على حضرتنا الشريفة، وأعطوا يد الانقياد، وولينا عليهم عاملين وتلاقوا وأهدوا ووظفنا عليهم ما وظفنا على غيرهم من قبائل البربر، واقتضى نظرنا الشريف توجيه طائفة من الخيل والعسكر بقصد إزعاجهم لتنفيذ ما وظفنا عليهم حذرا من التطويل، إذ كان مقصودنا إدراك عيد الأضحى بالمدينة، ثم إنهم أي آيت شمخان دخل فيهم شيطانهم المهاوشى ونفث في روعهم غدر من وجهناه إليهم فاحتالوا لذلك وفرقوا الخيل على الدواوين والمداشر، بقصد الإتيان بالموظف.

وكنا وجهنا مع الخيل المذكورة ابن عمنا مولاي سرور فبقى مع طائفة من الخيل، ثم لما ناموا غدروهم فضربوهم بالبارود. ونقضوا العهود. وخانوا الله ورسوله والمؤمنين، فكان من قضاء الله وقدره موت ابن عمنا المذكور، وحيث بلغنا ذلك وجهنا لهم العسكر والمدافع والقبائل وأمرناهم باستئصالهم، فلم يجدوا منهم أحدا. فحرقوا قصورهم ولم يتركوا لهم فيها سبدا ولا ليدا.

ثم كتبنا لسائر عمال البربر جوارهم من ناحية الصحراء وأمرناهم بالإحداق بهم وسد الفرغ التي منها يفرون، وأكدنا عليهم في ذلك، وعمما قريب يقضى فيهم الغرض بحول الله ولا نبرح عنهم بعون الله إلا إذا أرهقهم الله بسطوته وتناولهم أيدي الجيوش والقبائل، وأبقيناهم عبرة للمعتبرين. وإن الله لا يهدى كيد الخائنين. والسلام في ٢٠ قعدة عام ١٣٠٥».

ثم بعد ذلك كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس أيضا بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاي إسماعيل وبعد فما كنا أعلمناكم به من غدر آيت شخمان ومدهم يد الطغيان. بعدما أعطوا يد الانقياد. وكنا وعدناكم بأننا لا نبرح عنهم إلا إذا

استأصلتهم سيوف الله فى ذلك الناد. وجهنا الطلب فى أثرهم حيث فروا للصحراء. ودوخنا بلادهم سهلا ووعرا. فلم يقفوا وتاهوا فى البيداء، وتلونا قول الله سبحانه: ﴿... أَيْنَمَا تُقِفُوا...﴾ [الآية ٦١ من سورة الأحزاب] فلم يكن إلا هدم قصورهم. وإعفاء آثار رسومهم. حتى صارت دكا. بعد استخراج خباياهم وزرعهم وأسلحتهم وأمتعتهم وصارت للجيش ملكا.

وكتبنا لسائر جوارهم من قبائل الصحراء. بضربهم وقتلهم أينما وجدوهم حتى لا تظلمهم سماء، ولا تقلهم أرض ولا يجدون جرعة ماء.

ثم إن طائفة من شقيرين يقال لهم آيت يعقوب اعيسى، بلغنا أنهم حلفاء آيت شخمان. وأنهم آوا طائفة منهم بأموالهم ومواشيهم وبعض من الأعيان. كأنهم منهم على قاعدة المستجير الولهان. وكنا ولينا عليهم أيضا عاملين وأعطوا يد الانقياد ظاهراً. وأنهم لم يبق منهم إلا من كان للصلاح مسامرا.

وحيث تحقق لدينا أن ذلك عن غش وخذلان. ومرض قلب لا عن صفاء طوية واطمئنان، حيث آوا فسد آيت شخمان. رعيما لما بينهم من الإخاء القديم على الفساد والطغيان. وجهنا إليهم عددا من قبائل البربر. وأحدقوا بهم إحداق من أطاع الله وبر، وأتبعناهم بالعساكر المنصورة، والجيش الموفورة، فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى قطعوا منهم رءوسا، واستأصلوا من أعيانهم نفوسا. وقبض على نحو ثلاثمائة من المساجين وكانت وقعة شفيينا بها الغليل، وتداوى بها العليل، فإنه سبحانه لم يعودنا إلا الجميل وهو الفاعل المختار. الذى بيده النواصى والمقاليد فى الإيراد والإصدار، وها الرءوس توافيكم وعددها اثنان وعشرون، فتعلق ثلاث ثم توجه لمكناس للخليفة هنالك والسلام فاتح حجة عام ١٣٠٥هـ.

هذا كله والمترجم مخيم كما تقدم بالمحل المعروف بـ «جنو» ثم نهض وخيم بالاعريض وبه أوقع بآيت يعقوب وعيسى بإغراء من القائد محمد احم الزيانى.

ولا شك أن هؤلاء العتاة البغاة محاربون يجب قتالهم ويقدم على قتال الروم يتبع منهزمهم ويقتلون مقبلين ومدبرين ومنهزمين، وليس هربهم توبة تدرأ عنهم القتل على قول سحنون خلافا لابن قاسم، انظر المواق، وإذا أخذوا قبل التوبة لزمهم الحد، وهو ما نص الله تعالى عليه في محكم وحيه بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٣].

ولا يسقط حق الحرابة على من ثبتت حرابته إلا التوبة قبل القدرة عليه، ثم لا يسقط بعد حق الأدميين، ولا خلاف يعتبر في أن المحارب هو القاطع للطريق المخيف للسبيل الشاهر للسلاح طالبا للمال، فإن أعطيه وإلا قاتل عليه. انظر منتقى الباجي.

وقد قال ابن المواز: لم يختلف قول مالك وأصحابه في إجازة قتال المحاربين وأن من قتلوه فهو خير قتيل، ومن قتل منهم فهو شر قتيل.

وقال مالك وابن القاسم: غزوهم غزو.

وقال عنه أشهب: من أفضل الغزو وأعظمه أجراً.

وقال مالك في أعراب قطعوا الطريق: غزوهم أحب إلى من غزو الروم.

وقال ابن القاسم: وإذا قتل الواحد منهم قتيلا فقد استوجب جميعهم القتل ولو كانوا مائة ألف إذا كانوا رداء له وأعوانا، وقد صرح ابن الحاجب وغيره بالاتفاق على قتالهم ووجوبه على من قدر عليه.

ومن كان معاوناً للمحاربين كالكمين والطليعة فحكمه حكمهم ويدخل في قوله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» والغدوة لقتال المحاربين.

وقال ابن عرفة: لا ينبغي لمسلم مخالفة في قتال المتصيين لقطع الطريق وسفك دماء المسلمين وأكل أموالهم، وكذلك استباحة أموالهم واتباعهم في هروبهم والإجهاز عليهم، لا يشك في ذلك إلا مغرق في الجهل ومعاندا للحق، قال: وذلك عندي كفر لأنه منكر لما علم من الدين ضرورة إن كان يعلم وصفهم المذكور.

هذا ولما استوفى المترجم غرضه من إقماع المعتدين وتبديد جموعهم وكسر شوكة عصبيتهم طبق ما اقتضته السياسة إذ ذاك، نهض إلى أن وصل إلى دار القائد محمد احم المذكور بادخسان، وهناك أقام سنة عيد الأضحى، ثم بعد انتهاء حفلات أيام العيد نهض في جيوشه الحرارة ولم يزل يوالى السير إلى أن حل بالعاصمة المكناسية صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر حجة متم عام ١٣٠٥.

فكانت جميع أيام هذه الحركة ثلاثا وتسعين يوما ثلاثون يوما منها ظعن، وثلاث وستون يوما إقامة، أولها يوم الأحد خامس عشر رمضان وآخرها يوم الاثنين التاسع من ذى الحجة قطعت أيام السفر منها في اثنين وسبعين ساعة وخمسين دقيقة:

ولما حل المترجم بمكناس أقام به اثنين وأربعين يوما ثم نهض لفاس ووفدت عليه الوفود لتهنئته بمقفله من حركة بنى مكيلد في ضمنهم الوفد الرباطى ومعهم قصيدة العلامة الشهرير شيخ الجماعة بذلك الثغر أبى حامد سيدى المكى البطاورى فى التهنئة وهى:

وعزة النصر موصول بها الزمن	سعادة الملك مسعد بها الوطن
ألقت إليه القياد الشم والقنن	ومن يكون إله العرش ناصره
حتى يغص عداه أينما قطنوا	والله يحفظ مولانا ويحرسه

خص بعز الورى سيدنا الحسن
ك المسلمين جميعا أينما وطنوا
منوه الذكر تستعلى به اللسن
ما ناله أحد ما حازه وطن
بها المكارم وانهلث بها المزن
يقظان عزم إلى أن نامت الفتن
بالأمن فاتصلت بقطره الهدن
روضاً أريضا بكل نبعة فن
وأعدم العدم والأكدار والمحن
والناس فى دعة أمن ولا دخن
والملك بالنصر والتأييد مقترن
رأى سديد إذا ما حارت الفطن
سييره حكم أفعاله سنن
مظفر الجيش منصور اللوا يقن
أحد إلا وفى نعماه مرتهن
لأنه للورى روح وهم بدن
وهل ييارى الذى إنعامه الهتن
والجود والبذل والإنعام والمزن
سمح حلیم عفيف كيس فطن

ألية بالصفاء والمأزمين لقد
أعز ذا الغرب ملكا بل أعز ملو
فى كل قطر من الدنيا اسمه علم
لنا الهناء فهذا الفخر من عظم
أيامه الغر أعياد الورى انسجمت
ما زال منذ ولى واللّه يكلؤه
وشيد المغرب الأقصى وزينه
ومهد الملك تمهيدا وصيره
وعمت الخلق أنعم مواصلة
فالدین فى سعة والكفر فى ضعة
والعصر مبتهج والحق منتهج
تديير شهم له فى كل معضلة
مجدد العصر محيى الدين شمس هدى
معتضد بالتقى بالله معتصم
محبب فى قلوب الخلق كيف ولا
كل يفديه بالأرواح مجتهدا
من ذا يياريه فى مجد وفى كرم
العفو سيرته والصفح شيمته
بر جواد شجاع سيد نزه

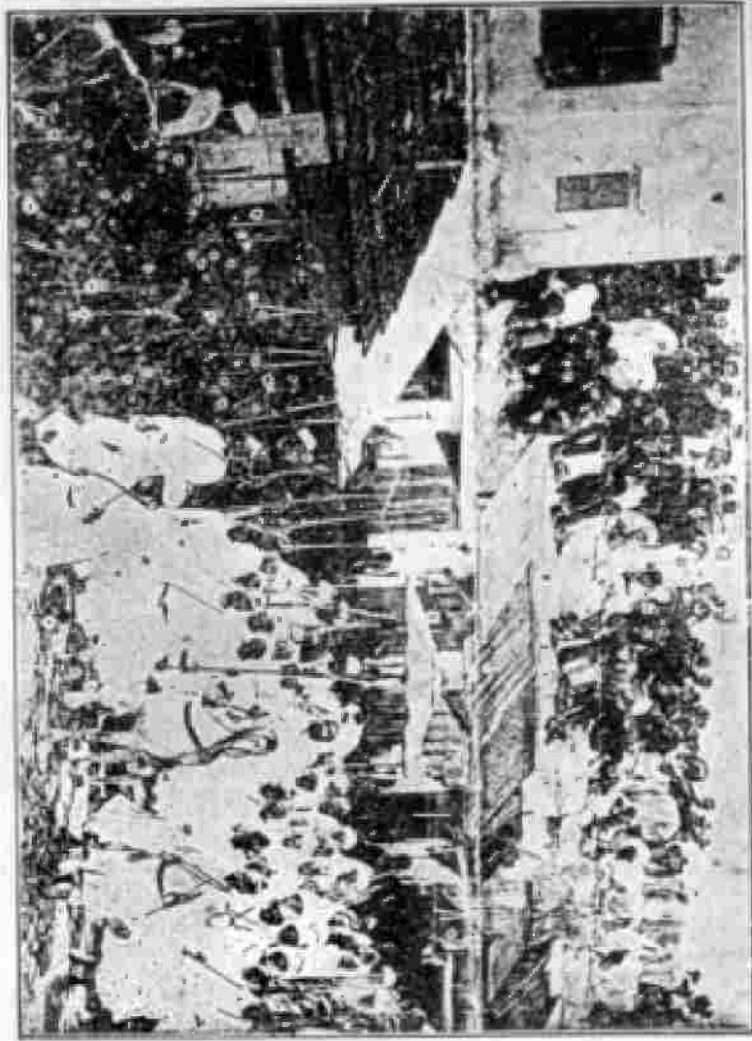
فراسة صدقت فى كل نازلة
 وهيبة جلل الآفاق موقعها
 وسطوة بهرت والنصر يصحبها
 ساس الرعية من سوس وبربرها
 ذلت مكيلد بل عزت بطاعته
 خوفهم بعصا الشرع المطاع فمذ
 ظنوا حصونهم والوعر يمنعهم
 أنى يقل مكان من أناط به
 كيف وهمته بالله نافذة
 ولو أراد مسير العاديات على
 ولو رمى بسديد سهم همته
 الله أولاك ملكا شامخا بهجا
 هذى السعادة عين الله تكلؤها
 من معشر بالتقى والعلم قد عرفوا
 هم أهل بيت رسول الله بهجتهم
 هم الملوك أدام الله دولتهم
 دامت سعادة مولانا وعزته

وأقام بفاس إلى يوم الاثنين السابع عشر من شوال عام ستة وثلاثمائة
 وألف. فخرج منها وخيم على قنطرة وادى سبو من بلاد الحياينة، ومنها لقييلة

رغوة فصنهاجة فمتيوة فمزيات فبنى زروال فالعين الباردة فحولان من بنى مسارة،
وهنالک أقام سنة عيد الأضحى، ثم نهض لقبيلة بنى أحمد فغزاوة فالأخماس
فباب تازا فمدينة شفشاون فبنى حسان، ثم زار تربة الولی الصالح أبى محمد عبد
السلام بن مشیش فکسا ووصل وواسى، ثم سار على بنى حزمارة إلى أن دخل
مدينة تطاون يوم الأربعاء ثامن المحرم فاتح سنة سبع وثلاثمائة وألف، وأقام بها
نحو الخمسة عشر يوماً، قابل فيها وجهاء وجوهها وتفقد أحوالها وزار صلحاءها
وأنعى على أهلها بعشرة آلاف ريال لبناء قنطرة واديهم، وبكل أسى وأسف لم يقع
اعتناء بإتقان بنائها فاضمحلّت فى أقرب وقت، وذهبت العدة التى صيرت عليها
أدراج الرياح، كما أنه أنعم على جسده وعساكره بالكسوة.

ثم بارح تطاوين ووجهته طنجة فدخلها يوم الأحد سادس عشرى محرم
المذكور، وأقام بها تسعة عشر أو عشرين يوماً، وكان يوم دخوله إليها يوماً
مشهوداً، ومن أعظم المواسم والأعياد معدوداً، واستقبله سكانها على اختلاف
طبقاتهم بغاية الفرح والإجلال والإكبار، فتفقد أبراجها وصقائلها وأتت لتحتيته فيها
قطع من الأسطول الإنجليزى المرابط بجبل طارق.

ولما قضى وطره منها نهض متوجهاً على الغربية فثغر آصيلا وكان حلوله به
يوم السبت السادس عشر من صفر العام، وأقام بها يوماً طاف فيه على الصقائل
والأبراج، ثم سار على طريق الساحل ومر بقبيلة الخلط، وبعد صلاة العصر عبر
وادی لكس من مشرع النجمة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر المذكور،
وبمجرد عبوره مع بعض الخاصة من حاشيته امتلأ الوادى وتعذر على المحلة عبوره
فبات المترجم بعدوة وبقيت المحلة بالعدوة الأخرى، ومن صبيحة الغد عبر باقى
المحلة ولحق بالمترجم وتوجه لمدينة القصر الكبير بقصد زيارتها، ثم رجع من يومه
للمحلة، ثم توجه لثغر العرائش ودخله دخول عز وإجلال يوم الخميس الحادى



السلطان مولای الحسن فی موكبه فی صلاة الجمعة

والعشرين من صفر المذكور، فتفقد الأحوال والصقائل والأبراج، ثم بارحها يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهر المذكور، ولم يزل يوالى السير إلى أن حل بالعاصمة المكناسية يوم الأحد فاتح ربيع النبوى من العام.

فكانت مدة هذه الرحلة مائة وسبعا وثلاثين يوما، منها أربعون يوما ظعنا قطعت فى مائة وثلاثين ساعة وخمس وثلاثين دقيقة وإقامة تسع وثلاثين يوما.

وفى يوم الأربعاء رابع ربيع المذكور بارح مكناسة ووجهته فاس فدخلها من غده الذى هو الخميس خامس ربيع وأقام بها اثنين وثلاثين يوما، ثم بارحها يوم الاثنين الثالث عشر من شوال ودخل مكناسة يوم الأربعاء الخامس عشر منه، ونهض منها يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة، وخيم بالمحل المعروف بدار أم السلطان، ومن ثم لعين عرمة فاربعاء وادى بهت فولجة العكارى فضاية رومى فتقلت فسيدي علال البحراوى فالعرجات فقرميم، ثم رباط الفتح فغبولة فسيدي يحيى من بلاد زعير ففدان الناموس فبزار فابو الضاضر فعويد الماء فالكيسان فصخرة الدجاجة من بلاد ورديفة فبيار امزوى فسيدي محمد البصير من بلاد بنى زمور.

ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن دخل عاصمة الجنوب مراكش الحمراء يوم الأحد رابع ربيع النبوى عام ثمانية وثلاثمائة وألف.

فكانت جميع أيام هذه الحركة مائة وأربعين يوما الظعن فيها ست وثلاثون يوما قطعت فى مائة وثمانية عشر ساعة والمقام مائة ساعة وأربع سوائع وعشر دقائق.

وأقام بمراكش إلى أن بارحها صبيحة يوم الاثنين ثامن قعدة ووجهته مكناسة ولم يزل يظعن ويقيم حتى أدركه عيد الأضحى بصخرة الدجاجة فأقام بها سنته وهنالك لحقت به محلة الشاوية.

وبعد انتهاء حفلات العيد عقد لنجمله المولى العباس على محلة الشاوية المذكورة ووجهه بها بقصد شد عضد العمال فى استيفاء الزكوات والأعشار المترتبة فى ذمهم .

ثم نهض المترجم وسار إلى أن وصل المحل المعروف بالشبيكة فأوقع بينى خيران، وذلك يوم الجمعة سابع عشر حجة ثم فى يوم الجمعة رابع عشرى الشهر أوقع بالحلاليف وبنى اورا فرقة من الزيادة .

ثم فى يوم الخميس فاتح محرم عام تسعة وثلاثمائة وألف أوقع بالعرب أمر نجله مولاى العباس المذكور وكبير محلة الغرب ولد أب محمد الشركى بالنزول عليهم بمحلتيهما والتكليل بهما، ولولا أن عامل الرباط الأنصح القائد السويسى تشفع فيهم للجلالة السلطانية لقطع دابره من لوح الوجود .

وفى يوم الثلاثاء سادس محرم المذكور حل برباط الفتح وأصدر أمره المطاع لنجمله مولاى العباس بالنزول مع محلة الباشا ولد أب محمد بقصبة بوزنيقة ولمحلة الشاوية التى كانت مع نجمله المذكور بالقدوم للرباط وأقام هو به تسعة عشر يوما .

ثم نهض منه يوم الاثنين سادس وعشرى الشهر وسار وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر أوقع ببرابر بنى مطير وآيت شغروشن ومزقهم كل ممزق ثم أوقع بفرقة من قبيلة زمور الشلح وقعة شنيعة انجلت عن إنابتهم .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر حل بالعاصمة المكناسية وأقام بها تسعة عشر يوما فى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول نهض منها قاصد فاسا فدخلها يوم الأربعاء عاشر الشهر .

فكانت مدة هذه الرحلة تسعين يوما كان الظعن فى أربعة وأربعين يوما منها والمقام ست وأربعون يوما .

وفى جمادى الأخيرة من السنة كتب وزير الخارجية ليهود مراکش كتابا نصه
بعد الحمدلة والصلاة:

«من عبد الله تعالى وزير الأمور البرانية بالحضرة العالية أعز الله أمرها وأبد
فخرها إلى كافة يهود ملاح مراکشة أخص منهم حزانة جموعهم وأساقفتهم
وتجارهم وأعيانهم.

أما بعد: فقد بلغ لشريف علم حضرة سيدنا العالية بالله أعزها الله أن
عاملكم القائد محمد ويدة السوسى لم يحسن السيرة معكم وعاملكم معاملة غير
مليحة وشدد عليكم فلم يلتق ذلك بسيدنا نصره الله ولم يعجبه لأنكم أهل ذمته
ومن رعيته.

فلا يحب أيده الله أن يقع لكم تضييق أو ظلم من أحد أو معاملة بمكروه،
وإنما يحب أن تكونا فى أمن وأمان من ذلك وعلى حالة مليحة وفى عيشة مرضية
وعز به الحال دام تأييده ونصره حيث بلغه ذلك عنكم من عند الناس، ولم يبلغه
من عندكم إذ كان من حقكم أن تكتبوا لأعتابه الشريفة بالإعلام بذلك كما يكتب
بعض تجاركم ومقدميكم لها فى الأمور.

وقد أمرنى نصره الله بالكتابة لكم بأن تكونوا تكتبوا لنا بما يقع لكم وذلك
لنطالع به علمه الشريف، كما أمرنى أيده الله بإعلامكم بأنه أصدر أمره الشريف
للعامل المذكور بأن يحسن السيرة معكم ويعاملكم بمثل ما يعامل به من إلى نظره
من المسلمين من الحكم عليكم فى الدعاوى المخزنية بما يقتضيه الحق فيها مثل ما
يحكم به على المسلمين ويجريكم مجراهم فى جميع الأمور من غير فرق، ويرد
دعاويكم الشرعية لأساقفتكم وحزانتكم ويمشى مع أهل الحماية منكم على مقتضى
الشروط والقوانين ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه
والتمام فى ٧ جمادى الثانية عام ١٣١٠».

ولم يزل المترجم مقيما بفاس إلى أن بارحها يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة منصرم العام ووجهته بلاد صالحى سلفه تافيلالت على طريق صفرو، وذلك بعد أن أصدر أوامره لنجله البار الأسعد الشريف الذاكر المتبتل مولاي محمد بالنهوض والتوجه أمامه فبارح مراكش فى عاشر ذى الحجة المذكور.

ثم إن السلطان لم يزل يظعن ويقيم ويقارب ويسد ويرتق الفتوق إلى أن أدركه موسم المولد النبوى الكريم من عام عشرة وثلاثمائة وألف بقصر الريش من دار العيد بوادى زير، ثم سار إلى أن خيم بدار على بن يحيى المرغادى كعبة العتو وركن الفساد وأوقع القبض عليه يوم الخميس ثانى ربيع الثانى ووجه به سجيننا لمراكش، كما ألقى القبض قبل ذلك اليوم على متمردة آيت احديدو ثم فى يوم الاثنين التاسع عشر من ربيع الثانى التقى المترجم بمحلة نجله الأسعد مولاي محمد، ومحلة الحوز التى جاءت تحت رياسته وذلك بقصر السوق من بلد آيت ازدك ثم بعد ذلك توجه صاحب الترجمة لزيارة صلحاء الصحراء ثم رجع وسرح آيت احديدو.

وفى يوم الثلاثاء سابع وعشرى الشهر حل المترجم بضريح جده الأكبر فخر بنى جلدته مولاي على الشريف وأقام هنالك سبعة عشر يوما أفاض فيها سجال العطايا وأجزل المواهب، فأعطى شرفاء مدغرة عشرين ألف ريال «مائة ألف فرنك» وجهها إليهم مع ولده المحبوب مولاي عبد العزيز وأعطى شرفاء تافيلالت عشرين ألف ريال أخرى، أرسلها إليهم مع ولديه مولاي عبد العزيز المذكور ومولاي بلغيث.

وقد أوضح معالم هذه الوجهة من فاس إلى سجلماسة فى كتاب بعثه لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخل خاتمه السليمانى «الحسن بن محمد الله وليه» وبزوايا الخاتم الست اسم الجلالة ثم

محمد فأبو بكر فعمر فعثمان فعلى وتجاه الزوايا: وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وبدائرته بيتا البردة ومن تكن إلخ ومن يعتصم الخ:

«وصيفنا الأرمى الباشا حم ابن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: فإن من صالح الرعاية التى شرح الله صدرنا إليها، وأبرز لنا فى مظاهر اختيار الكسب قدرته عليها، أن ألهمنا سبحانه لهذه الوجهة المباركة الصحراوية، لتفقد أحوال أهلها وتأسيس مصالحهم المرعية، وسنى لنا فيها سبحانه من فتوحات النصر والظفر، ما لم تنزل آثاره لدينا متجددة فى حالتى المقام والسفر، جريا على ما عودنا سبحانه بحمده وشكره، من إمداد عنايته وجميل بره، إذ الكل منه سبحانه وبه وإليه، ومقاليد التدبير فى عالم الكون بيده ولديه، فمنذ نهضنا من محروسة فاس بجيوشنا المنصورة، ومواكبنا المظفرة بالله الموفورة، وبنودنا الخضر السافرة، وعساكرنا التى لم تنزل على التعاضد متضافرة، والأحوال بحمد الله جارية على مقتضاها، ومآثر السعادة ترضى المؤمن ويرضاها، عن صدور أثلجها الله بالانشراح، ومسرات مترادفة الهناء والأفراح، وآلات جهادية واستعدادات. وآثار يمن يراها ذوو البصيرة من خرق العادات، إلى أن تخللنا من بلاد آيت يوسى معاقلها، ورضنا بأزمة الاستصلاح قبائلها. فتلقوا جنابنا الشريف بتمام الخدمة وحسن الطاعة، وقاموا بالواجبات والوظائف جهد الاستطاعة، مظهرين بمواطننا الشريفة غبطة ومحبة وانشراحا. ومعتقدين بها فوزا وتيمنا ونجاحا، زيادة على انتخاب فرض الحركة من أعيانهم لمصاحبة جيشنا السعيد، وقيامهم فى ذلك بالخزم القوى والشرط الأكيد.

ثم نهضنا عنهم فى عناية الله المتوالية أياديها. المنبئة عن حسن الختام مباديها. إلى أن خيمنا بمعاقل قبائل بنى مجيلد تخيما تعاهدنا به أحوالهم.

وأكرعنا به فى مناهل الصلاح شرحهم ورجالهم . فتبادروا لاغتنام السبقية بكمال الطاعة وصميم الالتزام، وقاموا بأداء الواجبات وحقوق خدمتنا الشريفة أتم قيام . وجددنا فيهم للاستقامة أساسا . ورتبنا أمورهم ترتيبا لم يبق فيها انتكاسا، ونهضوا بحركتهم لمصاحبة محلتنا المنصورة، متظاهرين فى الحزم والامثال بسيرة مشكورة .

ولما كمل منهم المراد، نهضنا عنهم بحول الله فى تمكين وظفر واستعداد، إلى أن ركزت مواكبنا السعيدة فى بلاد آيت ازدك راياتها . وأظهرت مآثرنا الحميدة فى قبائلهم آياتها، فخيما عليهم تخيما طبق بمحالنا الموفورة بلادهم، وتخلل بمغارس الصلاح أغوارهم وأنجادهم، فتسارعوا للتطرح على أعتابنا الشريفة . والالتجاء لظلالنا الوريفة . معلنين بالتوبة عما فرط منهم من المآثم والجناح . وراغبين فيما جبلنا الله عليه من الحلم والعفو والسماح، وملتزمين أداء الواجبات والحقوق، ومتحملين من تمام الطاعة ما لم يبق فيه احتمال نفار ولا عقوق، جنوحا لعدم القتال وسفك الدماء والوقوع فى الأرامل والصبليات، وذوى العجز من النساء والرجال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

فأمنا عليهم إذ حققوا ذلك بالعمل . ووفوا بكل ما وظف عليهم عن فور وعجل . مع استنهاض حركتهم لتابعة ركابنا السعيد، وانتدابهم لامثال أمرنا الشريف فيما نريد، وصفحنا عنهم حيث صلحت منهم سريرة النجوى وأخذنا فيهم بقوله تعالى: وأن تعفو أقرب للتقوى، بعدما وجهنا شردمة من أطراف جيشنا السعيد، لاستئصال أهل طوطورماس الذين قتل فى قصرهم الخديم ولد الطالب محمد اليوسى فلم يكن إلا كوقفه راكب، أو صرة حالب . حتى أخذتهم أخذنا وبيلا . وكان فعلهم على انتقام الله منهم دليلا .

ولما قضى فى آيت ازدك بحول الله الغرض، واستوفى من جميعهم الواجب والمفترض، نهضنا عنهم محفوفين بما عودنا الله من العزة والتمكين، ومعتمدين

على حول ذى القوة المتين، إلى أن خيمنا على وادى زيز، مقابلين مواعد الرعاية بالتنجيز، فأقمنا به حتى قضينا حقوق مولد النبي الكريم. عليه أزكى الصلاة والتسليم، وأحيينا ليلته بما رجوناه وسيلة لرضوان الله الأكبر، وتحصنا بحماية صاحب اللواء والقضيب والمغفر، وتلاقينا هنالك بوفود القبائل الواردين للتهنية، ونالوا من بركة مشاهده الوسيمة ومواقفه الفخيمة غاية الأمنية.

ثم نهضنا بحول الله آخذين بمعهود الحزم والاستعداد حتى خيمنا بسمكات على متحصن قبيلة آيت مرغاد، فلم يفدهم إلا الانخراط فى سلك أهل الخدمة والإذعان والاقتراء بمن قبلهم فى إظهار حسن الطاعة وأداء الواجبات وطلب الأمان، وتسارعوا للتطرح على أعتابنا الشريفة جموعا وفرادى، والتزموا القيام بالواجبات والتمسك بالصالح رغبة وانقيادا، وتبرءوا ممن كان يشبثهم عن الامتثال حالا ومضيا. ويسول لهم ما لم يغن عنهم من الله شيئا.

ومن هنالك رددنا شردمة لفرقة من آيت ازدك باوطاط، حيث بلغ لعلمنا الشريف ما ظهر فى انحرافها من الطيش والإفراط فصدمتهم صدمة وبال وحين وصيرت قصرهم معهم أثراً بعد عين وبسمكات أيضا أخذنا بخناق آيت حديدو الذين هم ملجأ آيت شخمان وإليهم يأوون عند الفزع والامتحان لكون ذلك المحل رباطا على صياصيههم ومأخذا لنواصيههم فانحل بنصر الله عقدهم وقل سناهم وحدهم وعاد عليهم بالبوال كيدهم ولم يسعهم إلا القدوم لأعتابنا الشريفة حيث استنزلناهم، والمبادرة إلى الإجابة لما أمرناهم به وألزمناهم، ولما طالبناهم باتباع قولهم بالعمل، فى أداء ما وظيفناه على قبيلتهم بعد ضرب الأجل، صاروا يركنون لحيز المطال ويأنسون بأمانى التسويق والإمهال.

وحيث بلغت المعذرة فيهم حدها ولم يرتكبوا من الأمور جدها. أعرضنا بوجه الملاطفة عنهم. وقبضنا على أكثر من المائة رجل منهم. فلم يعتبروا فيما

كانوا فيه حيارى. حتى عادوا فى الأغلال أسارى. ولم يتنبهوا لمسلك الإرشاد. حتى أصبحوا مقرنين فى الأصفاد. لكونهم سلكوا طرائق، ما فيها رائق، وظهرت منهم خلائق، كان غيرها بهم هو اللائق.

وبعد ذلك نهضنا بهم فى سطوة من الله ونصر، متعرفين من أياديه ما لا يدخل تحت حصر. متخللين أعماق الشواهد من أقاصى جبال درن. حتى خرجنا منها لفسيح الصحراء خروج عَزَّ قَدْ اتصل إسعاده بحول الله واقترن. فخيمننا فى بسطة تداغوست بجيوشنا الجرارة، وأصبح فضاؤها بمحالنا الموفورة عمارة.

وعندما ضربت هنالك أخبيتها الميمونة وقباها. ومددت بأوتار الظفر والثبات أطناها، تلقانا القاطنون بها من بقية آيت مرغاد المتطرفين، وتبادروا لأداء حقوق الطاعة ملتزمين ومعترفين، وتوارد علينا أهل تلك النواحي طلبة وشرفاء وكبراء وأعيانا، وشيوخا ورجالا وصبيانا، مظهرين غاية الفرح والابتهاج، وناهجين فى مسالك الانحياش والالتجاء أبلغ الانتهاج، ومتسابقين لتقبيل مواطننا التى جعل الله العز فى تقبيلاها، والسعد فى اتباع سبيلها بعد أن أظهروا من الإذعان والخدمة ما كان لنفوسهم أمانا، ولقلوبهم سكونا واطمئنانا، إلا ما كان من ابن يحيى المرغادى. الذى كان رأس النفاق، وموئل أهل الشقاق بذلك النادى، فقد قبضنا عليه فى وسط حماه. حيث أوقعه فى شرك الثبور عماء. فكان كما انتضى من غمده نصله. وبكاه بدمع الثكلان أهله. ولكن رب بكاء وتصلية. خير من مكاء وتصدية، ومن أرسل نفسه مع الهوى، فقد هوى فى هوى، وبعثنا به بعد قبضه لمراكش مقيدا، إراحة من شؤمه، وعقوبة على ما فرط منه وبدا. وما زالت سنة الله فى مخلب المعصية أن يقص بالندامة. وفى جناح الطاعة أن يوصل بالإدامة.

وانتخبنا إذ ذاك من أهل الوطن من يصلح بهم من العمال. فوليناهم عليهم ولاية صلاح تصونهم عن مسارح الإهمال، وانتدبوا لأداء ما لزمهم من الواجبات والكلف، بعد أن كانوا منها على خطر وتلف.

وبعد تأسيس صلاحهم وتلافيهم . وقضاء غرضنا الشريف بحول الله فيهم . نهضنا عنهم محفوفين بمواد السعادة والإقبال . ومعتمدين على القوى المتعال . إلى أن خيمنا على قبائل آيت عطة بقصر السوق . تخيم سعد تبهر مظاهره وتروق . وهنالك تلاقينا بحركتهم مع أهل الصحراء والوافدين من توات وبجيوشنا السعيدة المراكشية والقبائل السوسية وقبائل الدير والقبائل الحوزية الوافدين مع ولدنا مولاي محمد أصلحه الله من جهة سوس على نواحي تدغة وغريس .

فكان الاجتماع بهم جمع تعضيد للصلاح وتأسيس . ثم نهضنا بهم من هناك إلى وطن مدغرة المباركة فخيمنا بامسكى . فى نعم متوالية تقصر الألسنة أن تصف بعضها وتحكى ومنه وجهنا ولدنا مولاي عبد العزيز أصلحه الله لملاقاة شرفاء أهل مدغرة وتوفيتهم بصلة البرور المعتادة . بعد أن ضعفنا لهم القدر الذى نصلهم به كل سنة تضعيف تنمية وزيادة . فزدناهم على المعهود خمسين ألف مثقال تكملة لمائة ألف مثقال وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال .

ثم نهضنا للتخيم على بلاد الصباح . فانتشرت أجنادنا الوافرة ببلادهم انتشار عمود الإصباح . وجاست مواكبنا السعيدة خلال نخيلهم وأوديتهم وأثارت سنابك الخيل نقع بساتينهم وأنديتهم ، فتلقوا شريف جانبنا خارج قصورهم برجالهم ونسائهم وأهل زواياهم ، وأحسنوا فى إظهار خدمتهم وأداء واجباتهم . ودفعت هداياهم .

ومنهم كان نهوضنا لتافلات المباركة فخيمنا بمركزها المنيف ، وحططنا الرحال الموفورة حول نخيلها الباسقات ، وأحدقت مضاربها الغراء بتلك البساتين المتناسقات ، مصحوبين بجميع تلك الجيوش التى لا يأتى الإحصاء بفضل الله عليها ، ولا يكاد يضاف حصر العدد إليها ، وخصوصا حركة آيت عطة المنتخبة الفرسان والأوصاف المشتملة على نحو الستة آلاف ، مع من ذكر من حركة آيت مرغاد بعدد له بال ، وحركة آيت ازدك الكبيرة المعبرة الخيل والأبطال .

وعندما شارفنا تلك المواطن الميمونة السنية وواجهنا معالمها بخوافق البنود والألوية، تسابق أهلها لشريف لقيانا وأكبوا على ركابنا الشريف شرفاء وطلبة ورجالا ونسوانا، معلنين بضمائر المحبة والاشتياق ومظهرين من كمال الفرحة ما لا يوصف حده ولا يطاق، وكذلك جميع أهل الزوايا وأصحاب الأحوال، فكل طائفة تلهج برنات السرور، وتضرب آلات الأفراح وتشر أعلام الإجلال. حتى أسفرت أيام المسرات هناك عن أبهج المباسم، وغدت من أيام الأعياد والولائم والمواسم، وأقمنا هنالك بقصد الاستراحة والزيارة ومشاهدة آثار أسلافنا الكرام التي لم تزل على جلاله مآثرهم أمانة. حتى عاينا معالمهم المنيرة وأصبحت العيون بفيوض بركاتهم قريرة، وتعاهدنا أملاكهم وأصولهم الأثيلة، وقضينا المتعين من حقوق المراحم الطيبة الجليلة، ووجهنا ولدينا الأَرْضَيْنَ مولاى عبد العزيز ومولاى بلغيث أصلحهما الله لتوفية الشرفاء أقاربنا وأبناء عمنا بصلتهم المعهودة لهم بعد أن زدناهم عليها خمسين ألف مثقال تمة لمائة ألف مثقال أيضا، وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال صلة، تحمد وترضى مراعاة لحقوق القرابة الشريفة، التي حض الله ورسوله عليها، ونص في كتابه الحكيم على نسبة التنزيه والتطهير والتعظيم إليها، وزيادة برور حيث قدمنا لتلك المواطن المباركة وحللنا لديها، وها نحن لما قضينا فى سجالمة بحول الله المرام. واجتمعت مصالحتها الغائبة بحلولنا الشريف جمع الأهلة بالتمام. شددنا رحال الأوبة متوجهين لمراكش الحمراء، ومتحدثين بنعمة الله سبحانه حمدا وشكرا.

وعند ذلك كتبنا لكم هذا المسطور الكريم. لتعلموا ما سناه الله لنا من فتحه العميم. وتأخذوا حظكم من الفرحة والسرور. وتقيموا نزهة الشكر إظهاراً لنعمة الله ويمنه الموفور. وتحمدوا الله على فتوحه الكفيلة برعاية الإسلام. التي دل حسن ابتدائها على حسن الختام، ونسأل الله تعالى أن يحفظنا بدوام حفظه فى المقام

والمسير . ويجعلها أوبة موصولة بالسلامة والغنيمة واليسير . وأن يديم إجراءنا من جميل صنعه وخصوصياته على ما تعودناه . ويكنفنا بكنف عنايته ويوفقنا وإياكم لما يرضاه ، آمين والسلام فى ١٥ جمادى الأولى من عام ١٣١١ .

ثم نهض يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ووجهته الحضرة المراكشية وسار على طريق الفايجة يظعن ويقيم إلى أن حل العاصمة الجنوبية مراكش الحمراء يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الثانية .

فجميع أيام هذه الرحلة أعنى من تافيلالت إلى مراكش خمسة وعشرون يوما ، كان السير فى واحد وعشرين يوما منها قطع فى سوائع سبع وثمان وعشرين دقيقة ، وكانت مدة المقام أربعين يوما .

وكتب لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى بشرح الأوبة كتابا نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١» :

«وصيفنا الأَرْضَى القائد حمّ بن الجيلالى ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد قدمنا لكم الإعلام بما هياه الله لنا فى هذه الوجهة الميمونة من جزيل إمداداته ، وسوايغ نعمه وآلائه ، وباهر فتوحاته ، وشفنا مسامعكم بشرح ما أظهره الله فيها من الخوارق . ولاح من البوارق . إجراء على ما عودنا سبحانه من مواهبه وإقباله ورفده . وما النصر إلا من عنده .

وأعلمناكم بأننا نهضنا من إقليم سجلماسة بعد قضاء المناسك . وتحصيل الغرض مما هنالك . ثم بعد ذلك توجهنا محفوفين من الله بجنود الحفظ والسلامة وهوائف البشرى تهتف من كل ناحية بالميامن المستزادة . فمررنا بواسط بلاد اعراب

الصباح . وتخللنا الروابي منها والبطاح . وأهلها مصاحبون لركابنا الشريف
بحركتهم وخيولهم فى انبساط وانسراح . بعد أن قاموا بمؤونة المحلة السعيدة .
ودفعوا ما عليهم من الواجبات وشفعوها بهدايا عديدة .

ثم حللنا بقصور غريس وفركلة التى هى قاعدة آيت واحليم من آيت عطة .
فأظهروا من الفرح والقيام باللوازم المتعينة ما دل على نصحهم فى الخدمة
والطاعة . ولم يقصروا جهد الاستطاعة .

ومن هناك وجهنا حراك قبائل الغرب لحالهم مشايين ، وبرضا الله وخاطرنا
الشريف ظافرين ، بعد أن أبلوا فى طاعة الله البلاء الحسن ، وسعوا فيها بكليتهم
مطيرين عن مقلهم الوسن .

ثم نهضنا وخيمنا ببلاد تدغا وآيت يحيا فتلقونا بسرور وابتهاج متسارعين
لأداء المفروضات والميرة والهدايا ، عادلين عن سبل الاعوجاج وبعدهم نزلنا
بدادس ، فتجلت فيه من المنا عرائس ، وقام أهله باللوازم كذلك بوجوه طلقة غير
عوابس .

ثم دخلنا فى قبائل الفائجة ، فتلقانا أهلها وصدورهم بالفرح مائجة . وأول
من تخللنا أرضهم منهم أهل اماسن وسكورة وآيت بودلال وورزازت ، وحادى
البشائر يحدو بالنصر والظفر والمسرات ، ومنهم إلى اتلوان وآيت زينب ووزكيته
وآيت امنى ثم تلوات . وجميعهم قاموا بالوظائف والضيافات وأدوا النوافل
والمفروضات .

ثم أقبلنا على جبل درن فإذا هو فى الجو شاهق متعمم بالثلوج ، لا يستطاع
فيه دخول ولا خروج . ولا يفهم فيه على البديهة من أين يكون الولوج يحاكى فى
الارتفاع سد يأجوج . تتحير الأذهان من رؤيته . وتضطرب القلوب عند نظرتة .
ويسبح الله لهول خلقته ، وتعاضم عظمته ، لا تفهم مسالكه ، ولا تدرك مداركه .

فاستعنا بالله على عبوره، وشرعنا فى صعوده ومروره. بعد أن رتبنا الجنود والعساكر ترتيباً، وجعلنا منهم للدخول فيه مقدمة وساقه فكان تكييف ذلك عجبياً، واقتحمناه فى دائرة الحفظ وسرادق العناية على جناح التسهيل، والألطف الخفية مشاهدة ممن عليه الاعتماد والتعويل.

وسرنا على طريق وادى ابى المواهب والمدد المتوالى، سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله فى وروده لمراكش من سجلماسة، فحصلنا والحمد لله على فائدتين: سهولة الطريق، وزيارة الولى المذكور وقضينا منها حقاً متعينا، وولنا من بركته قسطاً وافراً وسراً بينا.

وسرنا وبنود العز بريح الإسعاد خافقة. وألسن القلوب والجوارح بالحمدلة والشكر ناطقة. إلى حضرتنا الشريفة المراكشية. ذات الحلال البهية المزركشة الموشية. ويوم تاريخه خيمنا برأس العين من بلاد الرحامنة، ومنها وجهنا لكم هذا ومنها نخيم بزواية سيدى عبد الله بن ساسى نفعنا الله به.

وبعدها نحل حمراء مراكش بحول الله فى يوم الأربعاء أو الخميس الذى بعد تاريخه بيومين حلول سلامة وظفر وتحصيل، ونرد منهلها العذب السلسيل فله الحمد فى البداية والتمام، وله مزيد الشكر فى الافتتاح والاختتام.

وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة من الواقع ومن جميع ما كان، وتعرفوا حقيقته بمزيد إيضاح وبيان، ولتفرحوا بما يسره الله من فتوحاته المزيدة ومواهبه المديدة، لأن هذه جملة خبرية عن ذلك المتبدا. وخاتمة عقد ذلك الابتدا، والله أسأل أن يجعل ما ارتكبناه فى ذلك كله عائداً بصلاح الأمة والرعية. جارياً من رضا الله وطاعته على الطريق المرعية. آمين والسلام فى ٨ جمادى الثانية عام ١٣١١هـ.

وقد ألف غير واحد من الكتاب والأدباء فى هذه الرحلة الصحراوية نثرا ونظما، منهم الكاتب المجيد العلامة السيد الغالى بن سليمان أحد كتاب الحضرة السلطانية، فإنه نظم هذه الرحلة الميمونة الطالع، ورمز لأيام الظعن والإقامة وعدد السوائع التى قطعت فيها أيام الظعن وتاريخ النهوض إليها وموافقة الشمسية للقمريّة، وشرح ذلك النظم شرحا بديعا لطيفا عندى طرف من مسودته بخط مؤلفه يقول فى أول النظم:

وللنصر فتح ظاهر فى البرية	يقابله الإقبال فى كل وجهة
بحركة يمن قد بدا (طى ١٩) نشرها	بطالعتها الميمون فى (يد ١٤) حجة
يوافقه من ينيه (زى ١٧) سره	بفتح ونصر فى سلوك المحجة
وآخرها سبع لشهر دجنبر	يوافقه تسع جمادى الأخيرة
وفى عدد الأيام عقد لجيدها	مقاما ١٢٠ وسيرا فى ٥٤ جنان المسرة
سوائعها (يمن ١٠٠) (حليم ٨٨) لأنها	مواهب عدل فى جبين المعزة
ويا سيدى مولاي يا خير مالك	تفردت فى عز ونصر وهيبة
وجزت مقاما طالما كان خاملا	فجئت له فردا بغير معية
وكنت وكان الفضل والبذل والندى	فأصبحت فى عز عزيز المزية
فبشرى هنيئا بالقدوم الذى به	أضاءت على الإسلام شمس الظهيرة
وبشرى لنا والحمد لله سيدى	عليك سليما نعمة أى نعمة
فيارب أيده وزده معزة	وحقق مناه فى الفروع بنظرة
بجاه النبى والآل والصحب جملة	وكل ولى عارف فى البسيطة

وفى أثناء هذه الرحلة الصحراوية وقع شغب فى الشاوية والغرب كما وقعت مناوشة بين أهل مليلة وبين المجاورين لها من أهل الريف نشأت عن بناء البرج بحدود مليلة، فلما بلغ صاحب الترجمة ذلك وجه أخاه مولاي عرفة فى الحين لكلعية فى شردمة من الخيل يعظهم ويذكرهم وينذرهم ويحذرهم ويوعدهم بالعقوبة إن لم يكفوا عن ذلك ويقفوا عند حدهم ويتركوا التعرض لأهل مليلية فى بناء البرج بداخل حدادتهم، ويباشروا فصال ما وقع بينهم وبين أهل مليلية من القتل والجرح وفساد الأملاك على حسب ما يشير به عليه النائب الطريس، فسافر من المحلة السعيدة فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ثم بعد ذلك وقعت مضاربة أخرى بين أهل كلعية وعسكر مليلية، أفضت إلى قتل وجرح عدد من الفريقين ومن جملة من مات فيها حاكم مليلية.

وأقام المترجم بمراكش إلى أن صام رمضان، وأقام سنة عيد الفطر، ثم صار يهيبى الحركة للناحية الغربية. لتفقد الأحوال والنظر فى مصالح الرعية.

ثم فى يوم الخميس الثانى عشر من قعدة الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف عقد لنجله البار المولى عبد العزيز على جيش لا يستهان به ووجهه أمامه خليفة لرباط الفتح.

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من الشهر بارح المترجم العاصمة المراكشية وسار إلى أن أدركته المنية بدار ولد زيدوح على ما سنشرحه بحول الله، وهذه آخر حركة للمترجم وفيها ختمت أنفاسه النفيسة رحمه الله.

فكانت جميع حركاته منذ جلس على أريكة ملكه إلى أن لبي داعى مولاه تسع عشر حركة:

الأولى: من مراكش إلى مكناس وفاس عام تسعين ومائتين وألف.

الثانية: عام واحد وتسعين من فاس إلى القبائل الريفية والقبض على الفتان بوعزة الهبرى .

الثالثة: عام اثنين وتسعين من فاس ومكناس إلى مراکش الحمراء .

الرابعة: عام ثلاثة وتسعين من مراکش على طريق المراسى إلى مكناس وفاس .

الخامسة: من فاس إلى تازة ووجدة وقبائل الريف أوائل عام أربعة وتسعين .

السادسة: من فاس ومكناس إلى مراکش فى آخر السنة نفسها .

السابعة: عام ستة وتسعين من مراکش إلى مكناس وفاس .

الثامنة: عام ثمانية وتسعين من فاس إلى مكناس ثم مراکش .

التاسعة: عام تسعة وتسعين من مراکش إلى السوس الأقصى .

العاشرة: عام ثلاثمائة وألف من مراکش إلى مكناس وفاس .

الحادية عشرة: عام اثنين وثلاثمائة وألف من فاس ومكناس إلى مراکش .

الثانية عشرة: عام ثلاثة من مراکش إلى سوس الأقصى .

الثالثة عشرة: عام أربعة من مراکش إلى مكناس وفاس .

الرابعة عشرة: عام خمسة من مكناس لغزو بنى مجيلد .

الخامسة عشرة: عام ستة من فاس للثغور المغربية والقبائل الجبلية .

السادسة عشرة: عام سبعة من فاس ومكناس إلى مراکش .

السابعة عشرة: من مراکش إلى مكناس وفاس وذلك أواخر عام تسع مع

أوائل المتصل به .

الثامنة عشرة: أواخر عام عشرة وأوائل المتصل به من فاس إلى تافيلالت .
التاسعة عشرة: أواخر عام أحد عشر من مراكش قاصدا مكناسة الزيتون
وفاسا فحال المنون بينه وبين تمام مراده .

ودوخ فى هذه الحركات الأغوار والأنجاد لإصلاح أحوال الرعية . وإجرائها
على الطرق المرضية . وحسم مواد الفتن والأهوال . والجد والاجتهاد فى استصلاح
الأحوال . وبعث للعتاة السرايا والبعوث . من الأبطال والليوث . حتى وقع له
التمكن بسطوة الله من نواصى الجميع . وحصلت الغلبة على القوى والوضيع .
ولم يبق فى إيالته قدس الله روحه من يحرك للعتو يدا . أو يعصى فى أمر أبدا .
وجبيت من الكل الجبايات واستوفيت حقوق وتباعات . وساد الأمن وعم .
وحكمت الأقدار بالانعدام لكل ما قد تم .

علائقة السياسية

السفارة الزبيدية للدول الأربع:

- فرنسا وبلجيكا و'نكلتر' و'يطاليا -

غير خاف ما كانت عليه حالة السياسة الخارجية بهذه المملكة المغربية بعد
حرب تطاوين وما نشأ عنها من تداخل سفراء الدول فى القضايا والوقوف للمخزن
فى أوعر المسالك وأضيق المآزق، وتكثير الحمايا وتناول المحميين على الحكام
المخزنيين بأدنى علقة توصلهم لذلك، وتفاحش الأمر إلى أن وصلت الحالة إلى
درجة كاد أن يتعذر معها تنفيذ أوامر المخزن فى الرعية لعدم إمكان تعميمها بسبب
الامتيازات المعبر عنها بالمصالح الأجنبية المخولة لهم بمقتضى الفصل التاسع والعاشر

من معاهدة عم المترجم مولانا العباس المنعقدة مع الإصبان، عقب الحرب المذكورة أيام والد المترجم السلطان سيدى محمد قدس الله أرواحهما.

ولما جلس المترجم على أريكة الملك وكان مهتما بترقية مملكته وإدخال الإصلاحات والتنظيمات المناسبة للأحوال الوقتية، وعلم أن سياسات الامتيازات سد أمام وجهه، وعقدة لا تنحل ولا تفتح معها أبواب مساعيه، بذل مجهوده بطريقة ودية فى تحوير تلك المعاهدات، وتنقيح فصولها وخص عدد الحمایات ارتكاباً لأخف الضررين.

وحيث رأى أن هذا الأمر لا يتم إلا بفتح المخابرة مع الدول ذات الأكثرية فى المصالح التجارية إذ ذاك بالمغرب مثل فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وبلجيكا، وكانت هذه الدول هى التى سبقت غيرها بتوجيه سفرائها لتهنئته بالجلوس على سرير ملك أسلافه الكرام، اغتنم هذه الفرصة ووجه خديمه الأنصح السيد الحاج محمد الزبيدى سفيراً وباشا دورا لرد الزيارة لتلك الدول ورؤسائها، وأعطاه أموالاً طائلة ليصيرها فى وجهته، وهدايا فاخرة للعظماء الذين يلقاهم فى رحلته، ووجه معه أميناً للصائر السيد بناصر غنام الرباطى، والفقیه الأديب الفلكى سيدى إدريس الجعايدى السلوى بصفة كونه كاتباً، وعدداً من أعيان ووجهاء قواد الأراحي إظهاراً للأبهة المخزنية، والضخامة السلطانية فتوجه أولاً لدولة فرنسا.

فركب من طنجة على متن باخرة حربية وجهتها الدولة المذكورة لنقله إلى مرسيليا فوصلها فى سابع جمادى الأولى عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، واحتفلت الحكومة المحلية هنالك باستقباله احتفالاً باهراً وأكرمت وفادته، فترجع على الجمعيات والملاجئ الخيرية هنالك بما زاده اعتباراً فى أعينهم وحظوة وكتب له حاكم المحل متشكراً من حسن صنيعه.



بالوسط السفير الحاج محمد الزبيد وعن يمينه أمين صائره السيد
بناصر غنام الرباطى وعن يساره كاتبه سيدى إدريس الجعايدى السلاوى
والوقوف من قواد الجيش

ثم كتب السفير المذكور إلى الحاج السلطاني وقتئذ أبي عمران موسى بن أحمد، بشرح ما قوبل به في ثغر مرسلية من الاعتبار والإجلال. فأجابه بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا وخديم سيدنا الأعز الأنبه اللبيب السيد الحاج محمد الزبيدي، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه وصولك لمرسلية، وما قوبلت به من الترحيب والتنويه والاعتناء في جميع الأحوال، حسبما شرحت، وأنتك بصدد التوجه لباريس، وطالعنا سيدنا أعزه الله بمسطورك وصار على بال من جميع ما قررتة.

ونسأل الله أن يصحبك السعادة والتيسير ويسددك ويلهمك الصواب في جميع الأقوال والأفعال، ولا تغيب عنا خبراً بكل ما تجدد لديك، ومهما انتقلت من محل إلى محل آخر، أخبرنا بذلك ولابد والله يكون لنا ولك خير معين، والكتاب الشريف الذي تتوجه به لسلطنة الإنجليز ها هو يصلك على يد نائب سيدنا الخير السيد محمد بركاش، وكذلك كتاب الطليان وعلى المحبة والسلام في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

ثم نهض السفير من مرسلية وسار إلى باريز فاقتبله وزراء الدولة وكبرائها بالمحطة هناك وأكرمت الحكومة وفادته ونزله.

وفى صبيحة غد يوم حلوله بباريز قابل وزير خارجيتها وصرح له بأن المقصود من سفارته هو تجديد عقود المحبة وتأكيدهما مع الدولة الفخيمة ومجازاتها على الاعتناء بالجناب العالي بالله بتوجيه سفيرها المسيو «طيسو» لتهنئة جلالته

الكريمة بالجلوس على كرسى ملك سلفه الكريم، وتقدير ما عند مولانا نصره الله من الاعتناء بجانبهم، واعتبار حقوق المجاورة، ومسرته بما يتجدد من العلاقات التى تدل على دوام الألفة والمحبة، ثم طلب من الوزير تعيين وقت الملاقاة مع رئيس الجمهورية وهو يومئذ الماريشال مكماهون.

ولما قابل الرئيس فى الوقت المعين له ألقى بين يديه الخطبة التى كان متأبطاً لها وإليك نصها:

أيها الرئيس المعظم.

بعد إهداء ما تستحقه مرتبتك الفخيمة من التحية والتسليم اللائق بمقامك الفخيم، إننا قدمنا على حضرتك من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين سلطان المغرب وجهنا نصره الله بقصد تجديد أسباب المودة وتأكيد المحبة التى كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم الفخيمة التى لا تزال بحول الله فى ازدياد وتأكيد، ونعلمك أنه أيدى الله مسرور بهذه المحبة الجديدة التى تأكدت بها المحبة القديمة، وأنه لا زال يحرص على ما يزيدها ويتحافظ على ما يديمها ويراعى حق الجوار، ونجازيكم على لسانه على ما صدر منكم من الاعتناء بجانبه العالى بالله بتوجيه سفيركم المسيو «طيسو» لتهنئته بالجلوس على سرير ملك أسلافه الكرام وسبقيتكم لذلك، لأنه أدل دليل على رسوخ محبتكم وكامل اعتنائكم وها كتابه نصره الله لكم فى ذلك.

وناوله الكتاب الشريف وإليك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى



كتاب السلطان مولاي الحسن لرئيس جمهورية فرنسا في السفارة
الزبيدية

وهو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الله وليه أبد الله نصره. وزين بالمحاسن عصره. إلى المحب المعظم الأمير المحترم كبير جمهورية دولة الفرنضيص الفخيمة الرئيس المعتر «مكماهون».

أما بعد: فموجه تجديد أسباب المحبة التي لا تزال تزيد على مرور الأيام تأكيدا. وإحكام عقد المحبة الذي يبقى ثوبه مع الأبد جديدا. ويحلى بحسن التواصل مفرقا وجيدا. ولأجل ذلك أوفدنا إليكم حامله خديمنا الأَرْضَى الحاج محمد الزبيدي سفيراً إليكم ومبلغا ما تقتضيه أمانة المودة لديكم، وانتخبناه من أخص خدامنا وكبراء حاشيتنا لما حاز من التقدم والنصيحة في الخدمة مع مولانا الجد وسيدنا الوالد قدس الله ضريحهما العزيزين ليقرر لكم مشافهة ما عندنا من المحبة مع دولتكم التي اقتفينا فيها أثر كرام الأسلاف، وما نحرص عليه من المحافظة على العهود التي بها يدوم حسن المواصلة وجميل الائتلاف، ويجازيكم نيابة عن جانبنا العالى بالله بلسان الخير والثناء، على ما صدر منكم من البرور والمبالغة في الاعتناء، وأمانة الصدق في الوداد، التي زادتنا في جانبكم حسن الاعتقاد، بتوجيهكم سفيركم المعتر المنسطر «طيسو» سابقا، وما شاهدناه من الرعاية في معاملتكم لاحقا، مما ملأ الصدور انشراحا، وأبدى في وجوه الأمالى نجاحا.

فالمحقق عندنا إن شاء الله أن تقابلوه ومن معه بما عودتم المرة بعد المرة، من الاعتناء والقبول والمبرة، وتصدقوه فيما يذكره لكم من المصالح التي تعود بالخير على الإيالتين، وتؤدي إلى تمام الراحة بين الدولتين، وتنظروا فيها بعين الإنصاف، وتجروها على أكمل الأوصاف، حتى يرجع مقضى الأوطار مثنيا على جنابكم بحميد الإيثار. فإن المحبة تقتضى تسهيل ما بين الدولتين وتيسيره. وتؤذن بكمال التوافق وحسن السيرة. ودمتم كما تحبون ممتعين بين الأجناس بموجبات التهنتة.

مقابلين بما يصلح بكم فى الإسرار والعلانية، وبه ختم فى ٢٧ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢هـ.

ثم استرسل السفير المذكور فى خطبته قائلا: ونحن نشكر بلسان دولتنا المعظمة الاعتناء الذى قابلنا به أهل الدولة فى طريقنا وكبراء المركب الذى أقلنا لبلادكم الزاهرة، ونرجو أن نرجع من حضرتمكم بما يزيد هاتين الدولتين رسوخا، ولعلاماتها وضوحا، ونؤمل من حضرة الرئيس أن يوصى من يعينه للمفاوضة معنا فى الأمور التى اقتضت المحبة الكلام فيها بما يعود بالنفع على الجانبين العظيمين بأن يعطينا وجه الاعتناء فى مباشرتها، ويسهل طريق البلوغ إلى رفع الضرر الحاصل فيها.

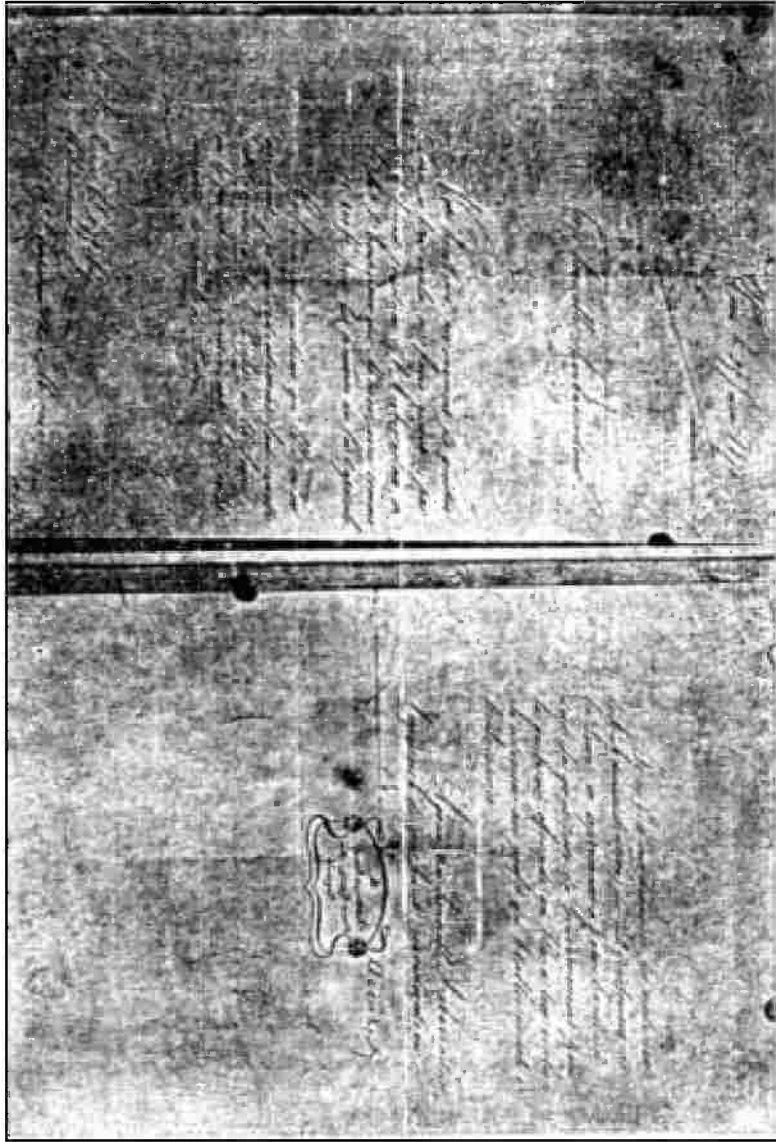
فأجاب الرئيس مكماهون على خطاب السفير بما نصه:

سعادة السفير الأفخم:

قد حصل لنا كمال السرور وغاية المحظوظية بمجيئكم سفيرا للسلطان الأعظم الأفخم سلطان ممالك المغرب الأقصى. فمنذ جلوس الحضرة العالية الشريفة فى تخت أسلافه الكرام صدرت براهين عديدة من المودة والمؤالفة الكائنة بين الدولتين الفخيمتين، وقد انشرح صدرنا بتأمينات تشييد الروابط للمحبة.

فالمرجو من سعادة السفير أن يعتبر اقتبال بلدنا وفرحها به دليلا مبينا لمحبتنا فى الحضرة الشريفة، واعتبارنا لذاته العالية كما أرجو أن يكون احترامنا لذاتكم السامية وأخلاقكم الحميدة يروق لديكم، وتجعلونه أقوى دليل لتسهيل مأموريتكم بما يعود بالمنفعة على الدولتين الفخيمتين وتبلغوا اعتناء بلادنا بكم للجلالة الشريفة لتتحقق بذلك.

ثم بعد ذلك دعوا للضيافة والإكرام بقصر رئيس الجمهورية وفق العادة المقررة فى سائر الحفلات.



كتاب من وزير خارجية فرنسا للسفير الزبيدي

والمقرر فى الضيافات التى تقام للسفارات المغربية بسائر الممالك الأروبية غداء أو عشاء، أن تكون بالقصر الملوكى ويحضرها الملك والملكة أنفسهما، ثم يقوم احتفال بضيافة ثانية فى وزارة الخارجية ثم فى البلدية، وعلى هذا جرى العمل فى دول أوروبا ما عدا مملكة الإنجليز، فإن المقرر عندها بعد الاحتفال بضيافة الملك ووزير الخارجية أن يقوم بالضيافة رئيس الوزراء ووزير البحرية.

ثم إن دولة فرنسا بعد انتهاء ضيافاتها عينت وزير الأمور الخارجية المسيو «دوك دكاز» للمفاوضة مع السفير المذكور فتفاوضا بكل حفاوة ولطف فى المسائل المهمة من السفارة وبعد الفراغ من تمهيد الطرق الموصلة للوفاق، كتب السفير لوزير أمور الخارجية بما نص المقصود منه:

«حضرة الوجيه الأفخم وزير الأمور الخارجية للدولة الفرنسية المسيو دوك دكاز، بعد إهداء ما يليق بجنابكم من التحية والتكريم، فالباعث عليه إعلام حضرتكم أننا أردنا التوجه إلى مملكة البلجيك فى يوم الاثنين القابل، ومنها لمملكة اكريت بريطن لأداء ما أنا مأمور به من الحضرة الشريفة جلالة سيدنا دام عزه ونصره، وأعلمت جنابكم لتكونوا على بال على العادة فى ذلك وعند رجوعنا فى قريب إن شاء الله، نرجو منكم المقابلة لتتميم المذاكرة كما نرجو منكم المقابلة مع رئيس الجمهورية الأفخم للوداع، ودمتم مسرورين، وختم فى ٣٠ جمادى الأولى عام ١٢٩٣ خديم المقام العالى بالله محمد الزبيدى وفقه الله».

فأجابه الوزير المذكور بما نصه:

«سعادة الباشدور الأفخم سفير الدولة الشريفة بالمغرب الأقصى، وخديم سدة جلالة سلطانه الأعظم السيد الحاج محمد الزبيدى، قد تشرفت بوصول كتابكم إعلاما بعزمكم على السفر لمملكة البلجيك الفخيمة ومنها لمملكة اكريت بريطن ويكون رجوعكم منها لبلادنا لتتميم الأشغال المنوطة بمأموريتكم، فليعلم جنابكم أن الدولة هيأت لكم قطارا خاصا وعربة تليق بمقامكم السامى لتسافروا

فيها في التاريخ المذكور ويرافقكم إلى حدود البلجيك خليفة وزير الخارجية والترجمان، وأرجو لكم سفرا سعيدا كما نرجو من جنابكم أن تعلمنا قبل نهوضكم من مملكة اكرت بريطن بثلاثة أيام بطريق السلك ليهياً لكم البابور الخاص بكم بمدينة كالي وتفضلوا بقبول مزيد الاحترام لشخصكم المعظم».

ودفع السفير لفقراء باريس عشرة آلاف فرنك حسبما جاء في كتاب الشكر الذي وجهته له الحكومة على ذلك وهو:

«باريس في ٢٥ جوان ١٨٧٦

سعادة السفير المحترم

لقد تفضلتم سعادتكم فأبلغتموني بواسطة الكاتب الثاني بسفارة جلالة سلطان المغرب جملة عشرة آلاف فرنك برسم توزيعها على فقراء العاصمة.

وطبقا لرغبتكم بإرسال المبلغ المذكور إلى عامل مقاطعة لاسين مشيرا عليها بتوزيعه على مختلف ملاجئ الإحسان في باريس.

وسأكون قد تقدمت عن إدارة مقاطعة لاسين عندما أعرب لسعادتكم عن ممنونية الحكومة مما منحتموه لديار الإحسان ولكم يا سعادة السفير كل الاحترام والاعتبار

الإمضاء: . . .

وإليك قائمة ما تبرعت به السفارة منذ خروجها من طنجة:

فلرئيس المركب الحربى المقل للسفارة من طنجة إلى مرسيليا ليفرقه على

٥٠٠٠

البحارة بها فرنك

١٠٠٠

ولأصحاب الموسيقى عند النزول بمرسيليا

- ٦٠٠ ولأصحاب حاكم مرسيلىا عند زيارة السفير له
- ٥٠٠٠ لضعفاء مرسيلىا
- ١٠٠٠ وللخدمة بمحل النزول
- ٥٠٠ وللعسكر الملازم للسفارة بمرسيلىا
- ١٠٠٠ وللموسيقى عند الوصول لباريز
- ١٠٠٠ ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة
- ١٠٠٠ وللمكلفين بخيل الهدية
- ٢٠٠٠ وللخدمة بوم ضيافة السفارة بدار رئيس الجمهورية
- ١٠٠٠ وللبوابة
- ١٠٠٠٠ ولضعفاء باريس
- ٢٠٠٠ ولأصحاب وزير الخارجية
- ١٠٠٠ ولعسة العسكر المكلفين بالسفارة بباريس
- ٢٠٠٠ وللخدمة المقابلين للسفارة بمحل النزول
- ثم فى يوم الاثنين المذكور توجهت السفارة المذكورة فى المراكب الخصوصية المذكورة صحبة الرفيق فى كتاب الوزير المذكور لمملكة بلجيكا.
- ولما وصل المركب وجد خليفة وزير الأمور الخارجية للدولة البلجيكية وعددا من الذوات وحاكم المقاطعة وفرقة من العسكر ورجال الموسيقى تحت قيادة الجنرال الحاكم العسكرى لتلك المقاطعة فى انتظار السفارة هناك، وبعد وداع السفارة هناك لمشيعيها الفرنسيين نزلت من القطار فأدت العساكر البلجيكية التحية بعد ما رفع العلم المخزنى المغربى وأطلقت الطلقات المدفعية.

ثم تقدم الكبراء للسلام على السفير، وأظهروا من الفرح والبشاشة والترحيب ما يستدل به على ما لهم من الاعتناء بجانب مرسله إليهم سلطان المغرب الأقصى، فقابلهم السفير بما يقتضيه المقام.

ثم ركبت السفارة في القطار المعد لها وتوجهت لعاصمة البلجيك (بروكسيل) وبعد مسير ساعة ونصف وصلت إليها فوجدت المحطة على أروع ما يكون من الزينة وبديع التنسيق، والأعلام المغربية والبلجيكية ترفرف وعددا وافرًا من العساكر خيالة ومشاة ووزير الخارجية والقائد العسكري، وجما غفيراً من وجهاء الدولة وذوى الحثيات واقفين بها في انتظار ورود السفارة اعتباراً لشأنها وأداء لواجب تحيتها.

وبعد تقديم مراسم السلام بين الجانبين ركب وزير الخارجية والسفير في عربة خصوصية وأعضاء السفارة في عربة أخرى أعدت لهم وساروا في موكب مدهش إلى محل النزول الذي كان أعد لهم، ثم ودعهم الوزير ورجع.

وما استقر بهم المجلس حتى أتى إليهم رئيس التشريفات للسلام على السفير بحسب النيابة عن الملك، ثم استفهمه عن تعيين وقت رد الزيارة للوزارة الخارجية، فعين له الساعة العاشرة من يوم الأربعاء ثالث يوم وصولهم.

وفي الوقت المعين وقع اقتبال وزير الخارجية للسفير بكل حفاوة وإجلال هش وبش، وأظهر من العواطف والإحساسات ما لا مزيد عليه.

وفي عشية اليوم نفسه رد الوزير للسفير الزيارة وأعلمه بأن اقتبال الملك والملكة له يكون على الساعة الثانية بعد الزوال من غده الذي هو يوم الخميس، وطلب منه نسخة من الخطبة التي سيلقيها أمام الملك ليهيئ جوابها طبق المتعارف في ذلك فدفعها له. ونص كتاب الإعلام بتعيين وقت الاقتبال الملوكى:

«وزارة الخارجية

عدد ٤٤٦٩

بروكسيل ٢٩ يوليوز ١٨٧٦

سيدي السفير المحترم

أتشرف بإعلامكم أن جلالة الملك و جلالة الملكة يقبلانكم في قصر بروكسيل على الساعة الثالثة من هذا اليوم .

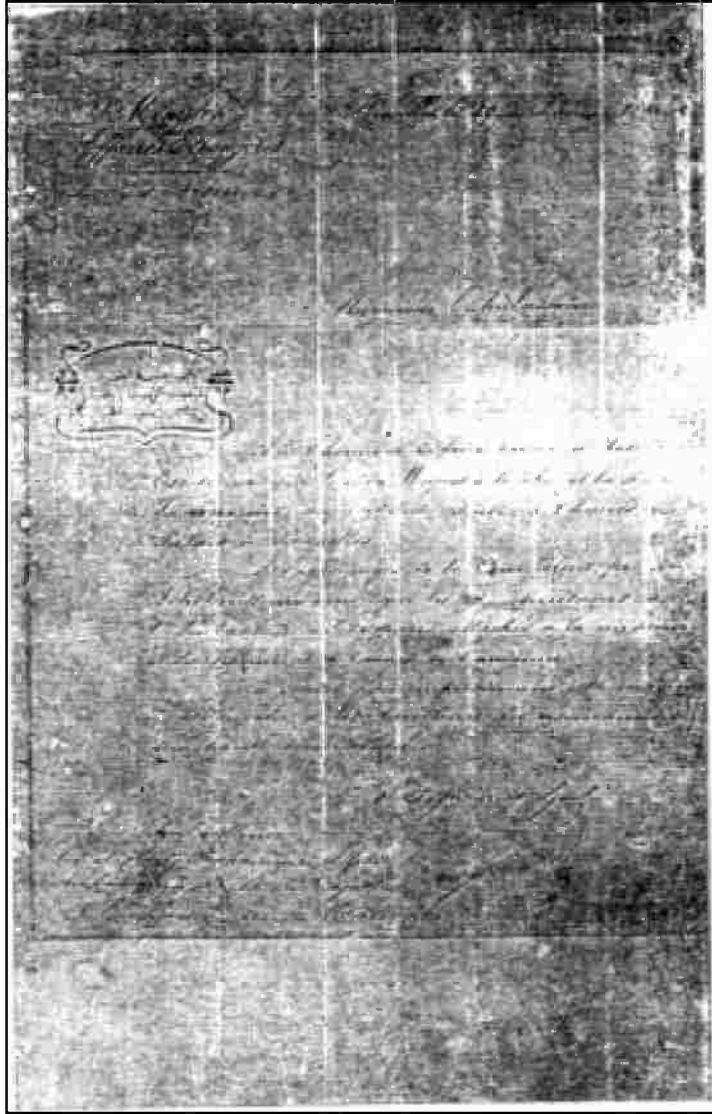
وسيتوجه حرس القصر إلى سفارتكم بقصد مرافقتكم ومن معكم من الكتاب والضباط الملحقين بالبعثة ذهابا وإيابا .

وإنى لأغتنم هذه المناسبة فأحقق لسعادتكم من جديد عبارات الاحترام .

ولما كان الوقت المعين انعقدت حفلة رسمية وقابل الملك السفير بمزيد اعتبار واعتناء وإجلال ثم ألقى السفير خطبته أمام الملك وإليك نصها :

أيها السلطان المعظم المحترم :

بعد إهداء ما يجب لمرتبك الفخيمة من التحية والتسليم فإننى أمرت من جلالة سلطان المغرب مولانا الحسن دام عزه ونصره بالوصول إلى حضرتك الفخيمة السامية، بقصد تجديد أسباب المحبة التي كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم المعظمة التي لا تزال في ازدياد وتأكيد، وشكركم على لسانه أيده الله على ما صدر منكم من الاعتناء بتوسط نائبكم المسيو (لرنسط دولوان) في شأن المتعلمين وغيرهم، فإن ذلك أقوى دليل على رسوخ المحبة وتأكيدها، ونحن نجدد لمقامكم الأفخم المجازاة ونشكر بلسان دولتنا الاعتناء الذي قابلنا به أهل دولتكم الفخيمة في طريقنا، وإنى لمسرور جدا بتبليغ كلام جلالة سلطاننا المنصور بالله لفخامتكم مشافهة وخصوصا حيث أسعدنى الحظ بأداء التحية والسلام الخصوصى لجلالة الملكة المعظمة التي افتخر بها عصرها وازدهرت بها دولتها، وأرجو من سموكم



وزارة خارجية بلجيكا بتعيين وقت مقابلة الملك للسفير

الإذن لمن تختارونه للمخابرة معنا فيما يعود بالمصلحة على الدولتين العظيمنتين اللتين نؤمل تمتين علاقتهما الودادية .

ثم دفع الكتاب السلطاني .

ثم بعد الضيافة بالقصر الملوكي الفاخر اقبلت السفارة دوق ودوقية افلاندر من مقطعات البلجيك وإليك نص الإعلام الموجه من وزارة الخارجية بذلك :

وزارة الخارجية

بروكسيل ٣٠ جوان ١٨٦٧

عدد ٤٤٦٩

سيدي السفير

نتشرف فنخبركم بأن صاحبي السمو دوق ودوقية أبلاندر يقبلانكم ومن بمعيتكم من كتاب السفارة والضباط التابعين للبعثة في نفس هذا اليوم على الساعة الواحدة ونصف .

ولكم يا سعادة السفير أجدد عبارات الاعتبار الزائد .

الكاتب العام . . .

ثم شرع في أشغال مأموريته مع وزير الخارجية حتى تمها على أحسن ما يرام، وقد زار في تلك المدة معامل السلاح وحقق ودقق، ثم طير الإعلام للجناب السلطاني بجميع ما شاهده واستحسنه، و طير الإعلام بذلك للحاجب السلطاني، وإليك نص ما أجيب به من حاجب الجلالة المسمى بعد الحمدلة والصلاة :

«محبنا الأعز الأَرْضَى . الأمين الضابط المُرتَضَى . الباشدور النبيه الأَحْطَى .

السيد الحاج محمد الزبيدي حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلتنا مكاتبك ٣ المؤرخ ثالثها بأواخر ٢٠ جمادى ٢ مخبرا

فيها بمدة مقامك ببلاد البلجيك وشارحا ما قابلك به رؤساؤها من تمام الفرح

والضيافات، ومن حضرها وبمزيد الاعتناء والبرور، وما أطلعوك عليه من الفبريكات الهائلة التي وصفتها وأروكه من أنواع آلات الحرب وأشكالها مدافع ومكاحل على نحو ما وصفته .

وعرفنا منه يوم سفرك من بلجيكة صحبة من سميت من أعيانها واصلا للوندريز، وما تلقاك به كبراء الدولة الإنجليزية من الفرح والسرور والمراعاة، وإنك تلاقيت هناك مع باشدور الطليان وألح عليك بتعجيل السفر لدولتهم لما عزم عليه عظيمهم من الخروج للصيد، وعلمنا ما دار بينك وبينه أولا وثانيا واعتذرت له وما انفصلت به معه من القدوم لإيطاليا في أول شهر غشت بعد نهوضك من اللوندريز ومرورك بباريز، وأشرت بتعجيل توجيه ما كتبت على زيادته هدية لوزير أمور البرانية ومن معه وصار بالبال جميع ما سطرته في المكاتب الثلاثة، وأطلعنا عليها سيدنا أيده الله واستوعبتها سيادته قراءة وفهما، وصار مضمونها بباله الشريف ودعا لك نصره الله بخير .

وقال دامت سعادته: فهلا وجهت مكحلة من كل عينة من العينات المحدثات التي لم تصل للمغرب ولا جلبها أحد للآن لا من التي وصلت للمغرب منها كالمعمرة من وراء فلا. وعليه فإن أمكنك أن تصحب معك عينات من المعدة المعتبرة الجديدة المحدثه التي لم تصل للمغرب فافعل إن تيسر لك تدارك الإتيان بها، وببيان ثمنها وقد استحسن سيدنا أيده الله مدفع الجر الصغير الخفيف ذا العمائر والذي نبهت عليه، وقال أيده الله: لا بد من بيان ثمنه أى المدفع الصغير الذى تحمله بغلة واحدة فتحقق لنا ثمنه، وبين لنا كيفية السريجة التي يحمل عليها، ولا بد حيثئذ يظهر لسيادته ما يحتاج لجلبه منه .

وقد كتبنا عن أمره الشريف للمحب السيد محمد بركاش ليتكلم مع نائب البلجيك فى ذلك .

وأما المسائل التي تزداد في هدية الوزير الفرنضيصى فقد تقدم الكتب لأخينا الأَرْضَى سيدى عبد الله بن أحمد بالتعجيل بتدارك توجيهها لكم هي وهدية الإنجليز، وها نحن حددنا له الكتب وأكدنا عليه في اتعجيل بتوجيه ذلك عزمنا، هذا وقد سررنا بسلامتك وما قوبلت به من التيسير والإعانة، نطلب الله أن يقضى بكم غرض سيدنا الشريف ويصحبك الفتح والسلامة، فى كل ظعن وإقامة. ويردك بخير وعافية مقضى الأغراض مبلغ المراد أمين، ولا تغيب عنا خبرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٦ من رجب الفرد عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به». وفى أثناء مقامه ببروكسيل تبرع على فقرائها بخمسة آلاف فرنك ونص شكر الحكومة له على ذلك:

بروكسيل ١١ جوليت ١٨٧٦

وزارة الخارجية

سعادة السفير:

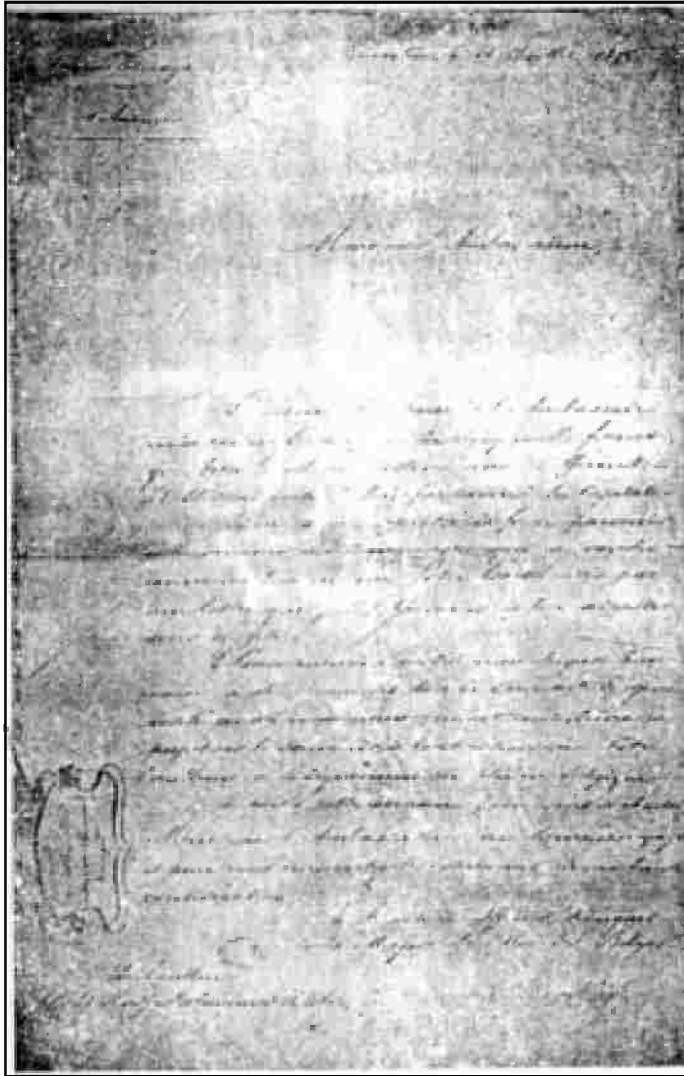
لقد ناولنى الكاتب الثانى بالسفارة مجموع الخمسة آلاف فرنك التى تبرعتم بها على مختلف ملاجئ الإحسان بالعاصمة.

وقد بادرت بإبلاغ هذا المبلغ إلى رئيس البلدية الذى أعرب لكم عن تشكراته فى الرسالة الموجهة إليكم صحبة هذه. ولقد تأثر جلاله مولاي الملك وحكومته من صنيعكم المبرور ولا شك أن ذلك مما يخلد تذكارة المهمة التى أدبتموها فى هذه الديار بغاية المقدرة والكفاءة.

وبهذه المناسبة أدعو لكم يا سعادة السفير بيمين السفر وأجدد لكم عواطف الاعتبار.

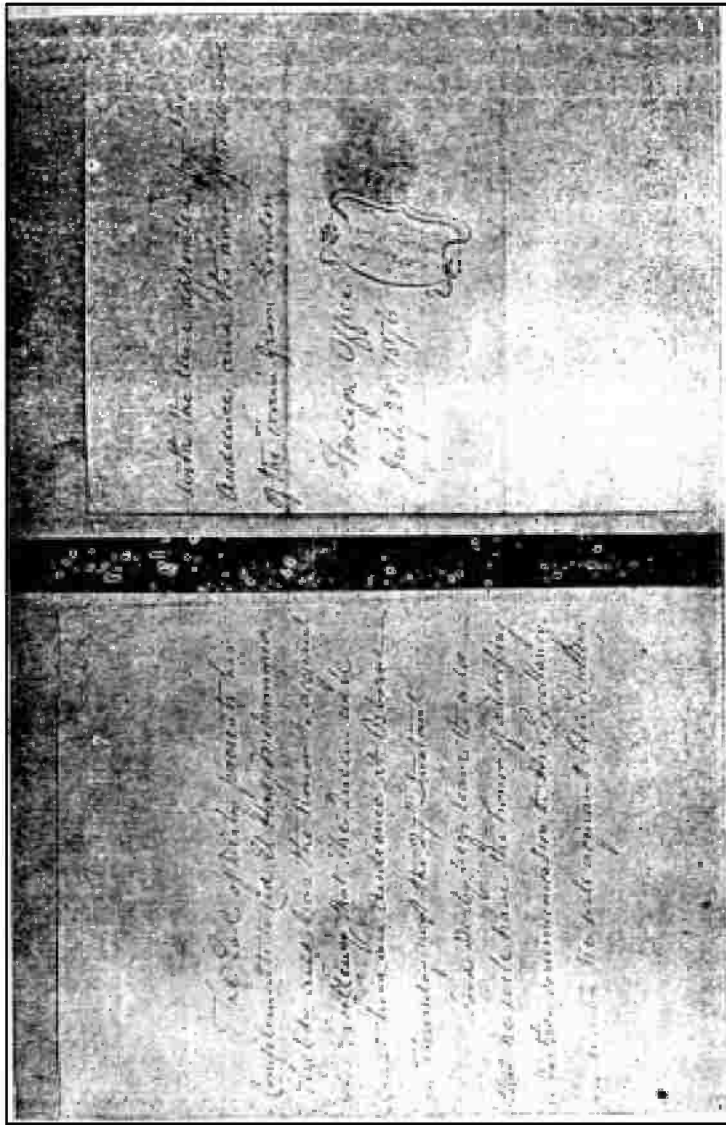
وزير الخارجية لدى جلاله ملك بلجيكا

وإليك قائمة ما تبرع به فى بلاد بلجيكا:



من وزير بلجيكا للسفير الزبيدي

- ١٠٠٠ فلأصحاب الموسيقى عند الوصول
ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة
- ١٥٠٠ وللخدمة يوم الضيافة بدار السلطان
وللبوابة
- ١٠٠٠ ولضعفاء البلجيك
٥٠٠٠ ولأصحاب وزير الخارجية
١٥٠٠ وللعسكر المنفذ للسفارة
١٠٠٠ وفى صدقة لضعفاء مدينة الياج ١٠٠٠ وياتبريس ١٠٠٠ وبمدينة اوستاند
١٠٠٠ ج
- ولللخدمة بمحلات النزول بمدن بلجيكا ٢٠٠٠
- ولرئيس البابور الذى أقل السفارة من بلجيكا إلى إنكلترا ليفرقه على خدمة
المركب ٢٠٠٠
- ثم قابل السفير ثانية وودعه ونهض من بلجيكا فى بابور خاص ورافقه نائب
وزير الخارجية والترجمان بقصد تشييعه إلى اللندريز .
- ولما ودعه ونزل من البحر وجد وزير الأمور الخارجية وولد باشادور طنجة
حينه والجنرال حاكم الناحية والعسكر والموسيقى فى اقتباله وعددا من الذوات
واقبلوا السفير أحسن مقابلة وبالغوا فى الترحيب وإظهار الفرح والإجلال وبعد
مبادلة السلام وواجبات التحية توجه السفير بمن بمعيته للمحل المعد لنزلهم .
- وبعد يومين من يوم حلولهم باللندريز عينت الملكة الإنجليزية فيكتوريا وقت
الملاقة بواسطة رئيس التشريفات الذى ناب عنها فى تهنئة السفير بالقدوم عقب
نزوله ونص كتاب الإعلام بذلك الذى كتبه اللورد دربي الشهير وزير الخارجية
البريطانية يومئذ :



الإعلام للسفير بوقت مقابلته لملكة إنجلترا

«يقدم اللورد دربي احتراماته إلى السيد الحاج محمد الزبدي ويخبر سعادته بأن جلالة الملكة سوف تقابله في (اوسبون) يوم الخميس المقبل يوم ٢٧ من الشهر الجارى .

وقبل أن يغتنم اللورد دربي فرصة ترك سموكم فإن له الشرف بأنه سوف يخبركم بأوقات القطار الذى يترك لندن قبل وقت المقابلة المعين دائرة الأعمال الخارجية ٢٥ يوليو ١٨٧٦» .

ولما حظى باستقبالها بالغت في الهش والبش وإظهار العواطف الحسنة والمجاملة التامة ثم أكرمت السفارة إكراما زائدا في الأبهة والاعتناء والاعتبار .
ثم كتب للورد دربي بقائمة الهدايا التى أمر بتقديمها للملكة حسبما جاء فى الرد الذى بعثه له عليها ونصه :

٣ غشت ١٨٧٦ .

«وزارة الخارجية

سيدى السفير :

لى الشرف بأن أعلم سموكم باستلام مذكرتكم المؤرخة بـ ٢٨ من الشهر الماضى التى فيها قائمة الهدايا المقدمة من جلالة سلطان المغرب إلى جلالة الملكة وأتشرف أيضا بإخباركم بأنى لم أتمكن إلى الآن من عرض ذلك على جلالتها .

أرجوكم أن تتقبلوا فائق احتراماتى يا سيدي السفير :

مطيع سموكم وخادمكم المخلص : لورد دربي»

وهذه نسخة من قائمة الهدايا التى أمر صاحب الترجمة بصنعها بفاس لتوجه إلى ملكة الإنجليز .

«أوله رسون من الحرير مطرزة بالصقلى والحرير المذهب بين حمصى ٤
وأخضر ٤ وبنفسجى ٤ الجميع ١٢

وجلالات فى غاية الجودة عدد ١٢

وحياك قنطرى وبلهوان حرير ٤

وكساوى من أوراق ساهل أربعة كل واحدة منها فى لون وواحدة منها تكون
مثقلة بالصقلى وتعرف بالصمة ٤

وتغاطى من الزردخان أربعة كل واحدة منها فى لون وفى أطرافها قضيب
مثل السلته والتريش بالصقلى ٤

من الشرابل ٦ من الموبر على ألوان ٦ من الجلد ٦ من الطلس ١٨ ومطرز
بالصقلى ١٨

ومن اسطارم ستة من الموبر وستة من الطلس وستة من الجلد والجميع ١٨

على ألوان ومطرز بالصقلى ١٨

ومن شكاير البارود على نحو عمل الريف مطرزة بالصقلى على ألوان ١٢

ومن مرافع خشب الصنوبر الجيدة تكون مخرمة ومزوقة فى غاية الجودة على
ثلاثة أنواع، نعم ستة منها يكون طولها من ستة أشبار، وستة منها تكون طولها
من أربعة أشبار والصنعة مختلفة الجميع ١٢

ومن رشاقات خشب الصنوبر التى تحمل عليها المكاحيل اثنا عشر زوجة
مخرمة ومزوقة جيدة ١٢

ومن طبالى الخشب الصنوبرى التى توضع عليها صوانى الاتاى تكون مثمنة
الشكل وبالأرجل على نحو عمل اشاون ١٢



كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدي

ومن شقق الملسة الرفيعة ستة مطروزة بالتل عمل فاس متفاوتة فى الطرز إلا
واحدة منها مثقلة ٦

ومن صوانى الصفر عمل فاس اثنا عشر أربعة منها نمر ١ وأربعة نمر ٢
وأربعة نمر ٣ ١٢

وإثنا عشر كمية عمل سوس تكون مجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع
١٢

ومثلها من السبائل عمل الريف مجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع ١٢
ومن السفارى المطروزة اثنا عشر أربعة مطروزة بالصقلى وأربعة بالحرير
وأربعة من الجلد ١٢

ومنه تقييد الحوائج التى بزيادتهم:

سفارى ثلاثة موبر مطروزة ٣

سطارم أربعة ٤

حزوم بالصقلى ٣

حياك أربعة بالحرير ٤

مسخرات أربعة مطروزين ٤

سبانى أربعة بالصقلى ٤

الحمد لله وحده

أخانا الفقيه الأعز الأرضى، سيدى موسى بن سيدى أحمد رعاك الله
وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

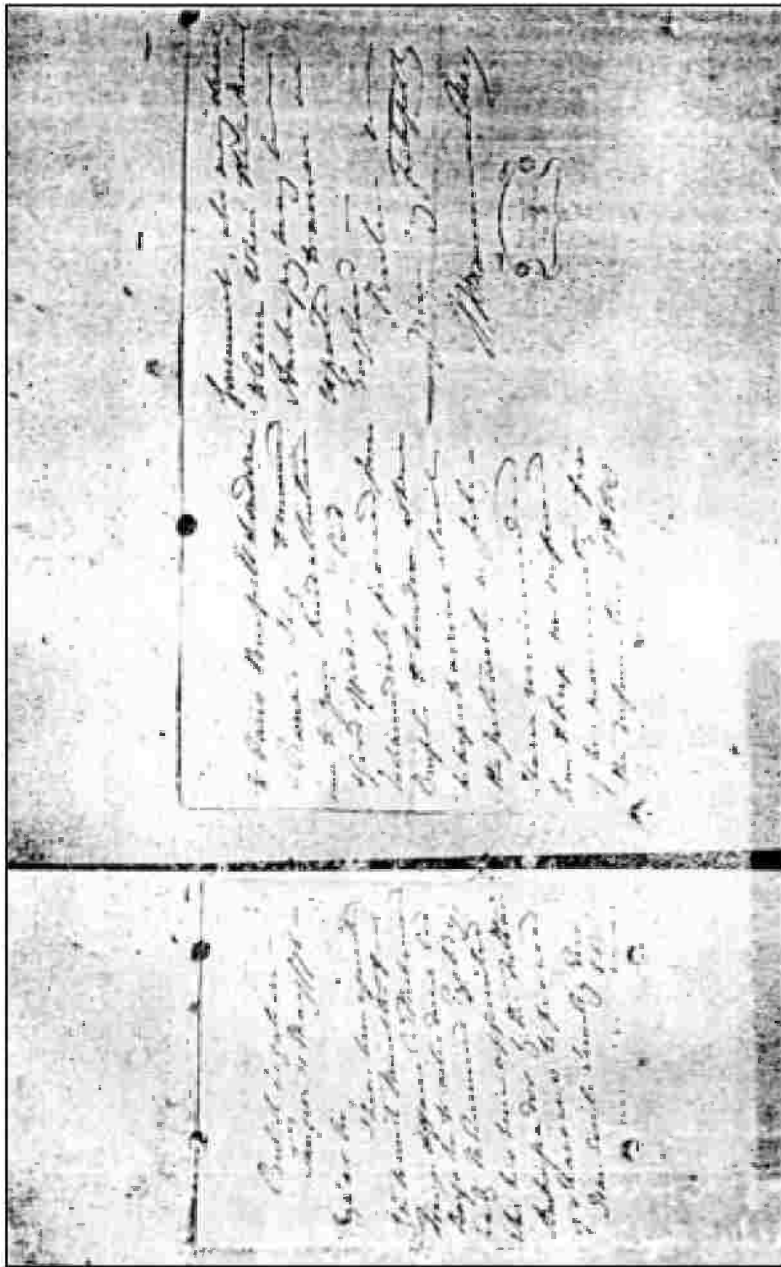
وبعد: فما قيد أعلاه هو زمام الهدايا الثلاث التي أمر سيدنا أعزه الله بصنعها لتطلع عليه، وتعرف تفصيله غير أن المعلمين ذكروا أنهم إن صنعوا ذلك بأجمعه ربما يستغنى عن بعضه، فيبقى بيدهم كاسدا لا يجدون مشتريا له منهم لعدم صلاحيته هنا، وعليه فإن كان المراد صنع الجميع من غير أن يرد لهم شيء فيعتمدون على ذلك، وإن كان المراد صنع البعض مختارا من ذلك فليبين المراد لهم حتى تطمئن نفوسهم فيما يقدمون على صنعه:

عبد الله بن أحمد لطف الله به»

أما قائمة ما يتوجه من التحفة لكل الأجناس فهذا بيانه:

فلكبير الدولة:

- | | |
|----|-----------------------------------|
| ١٠ | جلالة عدد |
| ١٠ | ثم رسون |
| ٢ | ثم سروج بإقامتها |
| ٤ | ثم سفارى موبر |
| ٦ | ثم سطارم موبر مطروزة |
| ٦ | ثم كساوى حريرا |
| ٦ | ثم حياك بولهوان |
| ١٢ | ثم رواحى ٦ موبر مطروزة وبابوجات ٦ |
| ٦ | ثم حزم ٣ زردخان ٣ جزيرية |
| ٦ | ثم زرابى كبار عمل الرباط |



کتاب من وزیر إنجلترا للسفير الزبيدي



توصيل وزير خارجية إنجلترا من السفير بآبرات ٦٠٠

وللوزير الكبير :

٢ سفارى موبير

٢ ثم سطارم موبير مطروزة

٦ ثم رواحى ٣ وبابوجات ٣ موبير مطروزة

٢ ثم حياك بولهوان

٢ ثم كساوى من حرير

٢ ثم حزام ١ زردخان وآخر ١ جزيرية

ولوزير الامور البرانية :

٢ سفارى موبير

٢ ثم سطارم موبير مطروزة

٦ ثم رواحى ٣ موبير مطروزة وبابوجات ٣

٢ ثم حياك بولهوان

٢ ثم كساوى حريرا

٢ ثم حزم ١ زردخان وآخر ١ جزيرية

٢ ثم زرابى كبار عمل الرباط

ثم تبرع السفير بقدر يوزع على المستشفيات كما بالتوصيل الذى بعثه إليه
نائب كاتب الدولة بوزارة الخارجية والشكر الذى أرسله إليه اللورد دربي وزيرها
ونصهما :

«توصلت من سعادة السفير بما قدره ٦٠٠ ليرة تصرف فى سبيل
المستشفيات .

بالنيابة عن كاتب الدولة بوزارة الأمور الخارجية لجلالة الملكة:

... وزارة الخارجية فى غشت ١٨٧٦»

«الوزارة الخارجية الإنجليزية فى ٣ غشت ١٨٧٦

سعادة السفير:

أخبر سعادتكم بأننى تشرفت بكتابكم المؤرخ فى الثانى من الشهر الجارى، معلما فيه أنكم قد وجهتم على يد الكاتب الثانى سفارتكم ما قدره ٦٠٠ ليرة إنعاما على العميان الفقراء الذين يعالجون بالمستشفيات المبنية بمقومكم، كما أتشرف بأن أذكر لكم ما حصل لى من الفرح والسرور بتبليغ ذلك الإنعام إلى مختلف المستشفيات وفق مرغوبكم وأنا أيها السفير خديمكم المتواضع.

الإمضاء: دربى»

وإليك قائمة ما تبرع به السفير فى بلاد الإنجليز:

- ١٠ خدمة أو طيل الدوفر ابرات
- ١٥ أصحاب الموسيقى بالدوفر
- ٤٠ ولرئيس البابور بالجزيرة
- ٣٠ أصحاب العربات المنفذة للسيارة
- ٧٥ للخدمة بدار السلطانة يوم الضيافة
- ٢٠ وللبوابة
- ٦٠ للخدمة بدار وزير الخارجية
- ٦٠٠ ولضعفاء اللندريز

- ٢٠ وللخدمة بمدينة وينزة بالقصر السلطاني
- ٢٠ ولأصحاب المدافع يوم زيارة السفير المناورة المدفعية المعدة له
- ٤٠ ولخدمة محل النزول باللندريز
- ٢٠ وللعسكر المنفذ للسفارة
- ٥٠ ولبحارة المركب المقل للسفارة من إنكلترا لفرنسا

وفى هذه الأثناء قدمت جماعة اليهود ببلاد الإنجليز مطالبا إلى السفير لرفعها لجلالة مرسله، وإليك نص كتابها بعجره وبجره وأصله بخط مشرقى:

«نميقة الوداد القلبيه وإقبال التهنيات الزهيه بالسعادات البهية والاحترامات السنية تعرض على حضرة سعادة ذو القدر صاحب درجة العلية السيد الحاج محمد زبدي المحترم بشدور دولة عظمة جلاله سيدنا السلطان حاكم فى جميع بلاد الغربية دام مصون بعناية بارى البرية من وكلا عصابة طائفة الإسرائيلية فى سائر بلاد الإنكليزية .

غب إهدا أذكى التحيات بالإكرام وفرط الدعا المستجاب المستدام وسؤال شريف الخاطر العاطر ولطف المزاج السليم الباهر مع تقديم ما وجب ولاق إلى ذاك الذات بديع الصفات الذى حاز على رتبة العالية ونال مستأهلا ثقة مولاه عظمة جلاله سيدنا السلطان ولهفة جميع الأهالى، نعرض لحضرة سعادتكم بأن عصبنتنا المذكورة جل قصدها والمرام تعديل وتصليح بكل نوع لائق ومستقيم أحوال إخواننا الإسرائيليين الموجودين فى سائر بلدان الدنيا، وهذا القصد تم غالبا بفتح مدارس علموية لأجل تنوير شباب إسرائيل، ومنذ ثلاثة سنين تشرفنا بتقديم واجباتنا لعظمة جلاله سيدنا السلطان حين جلوسه على كرسى المملكة، وترونا للآن ممنونين من الوعد الكريم الذى عظمة جلالته تفضل علينا به مع إصدارنا الجواب

وهو ما يخص تحسين أحوال رعاياه الإسرائيليين، وذلك الوعد تكرر فرمان الشريف الذى صدر من عظمة جلالة السلطان والده رحمه الله وعطى إلى سير موسى مونتفيورى فى سنة ١٨٦٤، فاستنادا على مداومة هذه الأفكار العادلة نرجو من إفضال سعادتكم أن تكرموا بلطف المناظرة على الملاحظات الآتى شرحها وتوصلوها إلى عظمة جلالة سيدنا السلطان حيث خواصها جوهرى لجميع الذين يرحموا المخلوقات .

أولا: نرجو حسن إجابة وترفق بحال إخواننا الإسرائيليين الذين فى آزمور، حيث على ما بلغنا من تقارير عمدته من بعض السواحين بأن إخواننا المذكورين مجبورين يمشوا حافين حتى بالشتا فى زقاق مليانان حصى مسنونات وذو حد، وذلك بموجب أمر حاكم المكان الذى يدعى على ما يقولوا بأن ذلك تميم أوامر رووساه .

ثانيا: نتوسل من حضرة سعادتكم بأن حكم الغرب من كرمه يأمر بالتنبيه فى كل مدة من الزمان فى جميع أماكن الذى فيهم أهالى من ملل مختلفة، بأن هولاء الذين يتبعوا ديانة الغالبة لا يزالون يعاملوا باقى الملل فى كل فرصة بالاحتمال التام، وأن والين الأماكن حينما يحافظون على أمنية كل ملة وملة يجمعوا إليهما إخواننا الإسرائيليين^(١) .

ثالثا: نستغنى هذه الفرصة الجيدة لندير على أنظار حضرة سعادتكم على المنافع العديدة التى تنتج لإخواننا فى الصورة إذا محلتي الملاح غير كافتين لراحة سكنهما اتسعتا حيث تراكم السكان بزيادة فى بيوت هل قدر مضيقه غير نضيفه وغير هاوية قطعا يحصل من ذلك أمراض وبلايا لا تصف من كل جنس عرفى وطبيعى . فبتقديمنا لحضرة سعادتكم الملاحظات المذكورة عندنا يقينا أن بذلك نكرر

(١) حافظنا على النص كما ورد فى الأصل .

فقط أرباب السخى والكرم الذى حضرة سعادتكم تشتهوا قليلا أكثر من كل مخلوق
أمنية الأهالى ومحبتها لبعضها البعض ونجاح جميع بلاد الغرب .

تحريرا فى ٢٥ شهر تموز سنة ١٨٧٦

نحن لشريف حضرة سعادتكم متواضعين .

رايس متولى مجلس عصبة الإسرائلية

فى ساير بلاد الإنكليزية

رايس متولى تانى

رايس المالية

رايس نظارة الشورة

ناظر مصالح الأدبية

ناظر مصالح المالية

ناظر إدارة الكتبه

محل إدارة كتبه الوصية» بلفظه

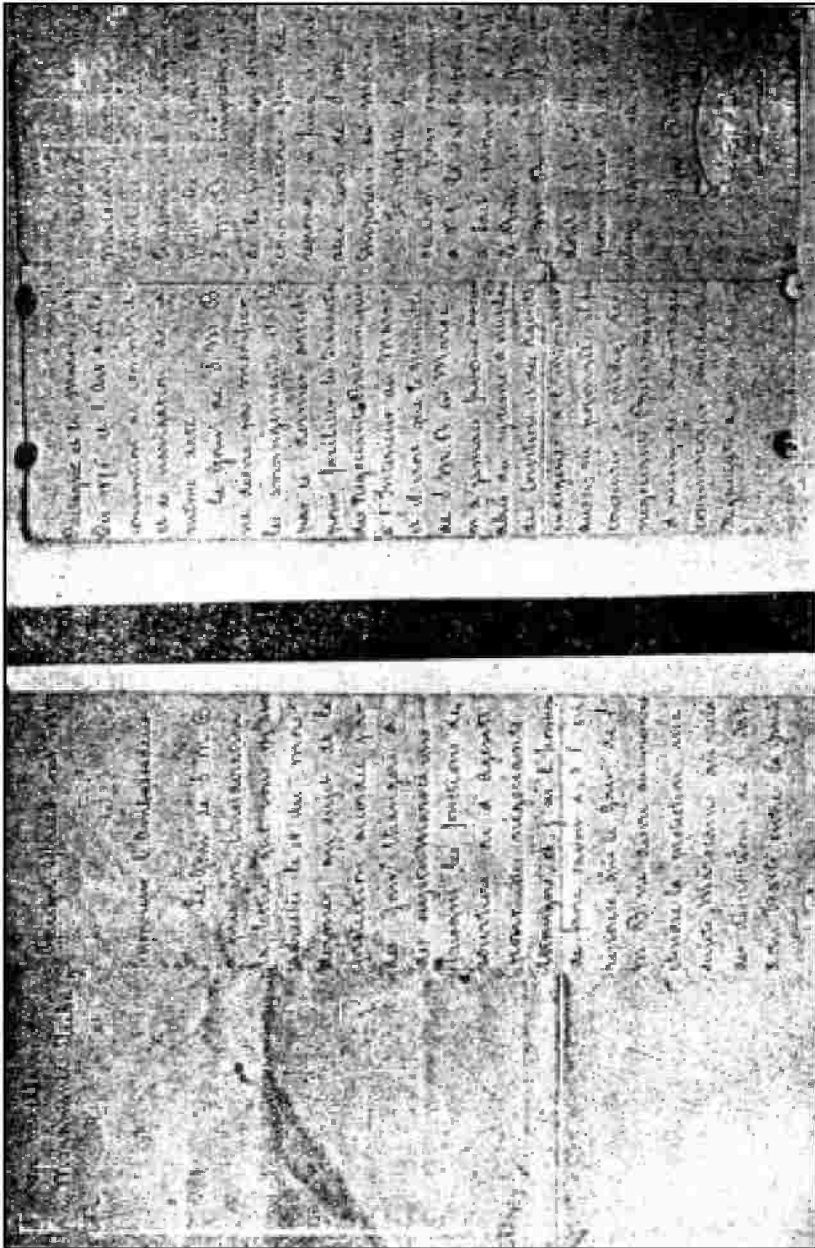
ثم وقع الشروع من السفير فى المذاكرة مع الوزير المعين لذلك وهذا كتاب
من وزارة الخارجية الإنكليزية يشرح بعض ما جرى من المفاوضات :

عاصمة إنكلترا ٨ غشت ١٨٧٦

«الوزارة الخارجية

يا جناب السفير

إن حكومة جلالة ملكة إنكلترا قد أحلت محل الاعتبار رسالتكم المؤرخة
ب١٨ الجارى فيما يخص حماية الحكومات الأجنبية لحملة المغاربة القائمين بوظائف
السمسرة أو النيابة لدى التجار الأجانب .



كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدي

وردا على رسالتكم المشار إليها، أشعر سعادتكم بأن حكومة جلالة الملك ليست لها رغبة في بسط هذه الحماية على المغاربة إلا بمقتضى نصوص الفصل الثالث من الاتفاقية المبرمة بين أبرطانيا العظمى والمغرب في تاريخ ٩ دجانبر ١٨٥٦، وبمقتضى الفصل الرابع من الاتفاق التجاري والبحرى الصادر في نفس التاريخ المذكور.

وليس في رغبة حكومة جلالة ملكة إنكلترة تغيير الاتفاقات المبرمة طبقا لهذا الفصل الأخير لتسهيل على التجار الإنكليز القيام بأعمالهم داخل الإيالة المغربية، ومما تعتقده الحكومة أيضا أن سفير جلالة ملك إنكلترة في المغرب لم يقدم قط على إيثار السماسرة أو النواب التجار في الداخلية.

فالحكومة والحالة هذه لا تستطيع أن تبخس التجار الإنكليز شيئا من الامتيازات التجارية الممنوحة لسواهم من التجار الأجانب.

وبالرغم عن هذا كله فإذا وفقت الحكومة المغربية إلى أن تعقد مع أية دولة اتفاقا يكون أفضل لها من الأول، فإن حكومة جلالة ملك إنكلترة تنيله اعتبارا صحيحا حتى تتوصل حسب الإمكان على تلبية رغبات جلالة ملك المغرب.

وإني أنتهز هذه الفرصة لأعبر لسعادتكم عما حصل لجلالة الملكة ولحكومتها من الارتياح لمأموريتكم راجيا من سعادتكم أن تتقبلوا فائق الاحترام.

«.....»

ثم ودع السفير الملكة فكتوريا وطلب من الوزير كتابة صدور الأمر لباشادورهم بطنجة لتتميم المسائل هنالك، وأبحر من إنكلترة لفرنسا فقابل رئيس جمهوريتها مقابلة الوداع، وطلب صدور الأمر لباشادور الدولة الفرنسية بطنجة لتتميم المسائل التي لم تتم.

ثم طعن من باريز لمدينة ليون، ورافقه إليها نائب الوزير والترجمان على

العادة المقررة فى سائر تنقلاته من مملكة لأخرى، وقد قوبل بمدينة ليون بكل تجلة وإكرام. ومزيد إكبار واحترام. وأقام بها بضعة أيام فى ازدهاء وازدهار.

وتبرع فى هذه الرجعة لفرنسا بهبات أحر

٥٠٠ فللخدمة بمحل النزول بكالى

١٠٠٠ وللخدمة بمحل النزول بباريس

٥٠٠ ولأصحاب العربات المنفذة للسفارة

٥٠٠ وببلد ليون محل الفبركات بطورى

٥٠٠ ولخدمة فندق النزول به

٣٠٠ ولأصحاب العربات به

٣٠٠ ولأصحاب الموسيقى

ومن ليون ظعن لمدينة مضان التى هى الحد الفاصل بين فرنسا وإيطاليا، وكتب لأميره بكل ما راج فى تنقلاته بل حركاته وسكناته، وإليك لفظ جواب الحاجب الوزير عن الكتاب المشار بعد الحمدلة والصلاة.

«محبنا الأعز الأرضى، المبجل المرتضى، الباشدور السيد الحاج محمد الزبيدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه أنك نهضت من مدينة ليون بعد ما أقمتم بها حسبما تواعدتم به مع الدولة الفرنسوية حسبما قدمتم شرح ذلك، وتوجه معكم ترجمانهم، إلى أن وصلتكم إلى مدينة مضان التى هى الحد بين الفرنسيس والطلينان.

فوجدتم نائبه منتظراً لكم، وتلقاكم بالترحيب والتعظيم، وحملكم فى عربفة منتخبة من عربات كبرهم، وصاحبكم إلى مدينة عظيمهم المسماة طورين، فأقمتم بها يومين مكرمين معظمين، وورد عليكم عامل البلد وشيخها والجنرال وكبير العسكر.

وأخبروكم بأن عظيم الدولة خارج البلد حسبما قدمتم الإعلام بذلك وأن رجوعه يكون فى أواخر غشت، وقاموا بالاعتناء بكم وطلبوا توجهكم إلى رومة عملاً بما أمروا به من قبيل كبرهم، فدخلتم لها يوم تاريخ كتابكم بعد اجتيازكم من مدينة فرينسية، ولقيكم بها خليفة وزير الأمور البرانية مع الكبراء المذكورين.

ثم قدموا عليكم لمحل النزول برومة بقصد التسليم والتهنئة وظهركم أن قدوم الوزير عليكم يكون بعد الاستراحة، وأخبروا بوصول الهدية إلى جنوة عدا الخيل، وأنك تطلب من الوزير عند اللقى به إتيان الهدية لتصحبها معك إلى طورين عند رجوعك إليها، وبينت ما ظهر لهم من تأخير ورود الخيل إلى أن تأتى فى البابور الذى يحملكم إلى طنجة، وأن الكتاب الشريف الذى تدفعه لعظيمهم كان وجهه لك وزير الأمور البرانية، حيث كنت بطورين، ورجوت أن يكون غشاؤه مع الهدية وقد طالعنا سيدنا أعزه الله بكتابك، وصار ما قررته بباله الشريف، ودعا لك أيدى الله بخير ونسأل الله أن يقضى بك الغرض الشريف، ويسدك فى الأقوال والأفعال وعلى المحبة والسلام فى ٤ رمضان عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به».

ولما وصل السفير لحدود إيطاليا ودعه النائب الفرنسى الذى ذهب معه مشيعاً له، واقتبله وزير خارجية إيطاليا وباشادورها بطنجة والحاكم العسكرى، وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وأداء واجب التحية، توجهوا فى مركب عظيم لمدينة طورين،

وكان ملك إيطاليا إذ ذاك متغيبا للصيد طبق ما أشرنا إليه في خبر الباشادور للسفير، فأقاموا بطورين في حفاوة وإكرام وتكريم.

ثم ورد عليهم الوزير وولى العهد الخالى، وطلبوا من السفير التوجه لرومة عاصمة الملك فأجابوا رغبتهم، وكان يوم دخولهم إليها من أعظم المشاهد وأفخرها.

ثم شرع السفير بمباشرة أمور المأمورية التى جاء لأجلها مع الوزير، وطالت المفاوضات بينهما أياما حتى تم الأمر وفق ما يرام ويراد، وبعد الضيافة برومة وانتهاء الوطر ونجاح المسعى، رجع السفير وولى العهد والوزير لطورين، فوجدوا الملك قد رجع من الصيد وقد اقتبلتهم الحكومة المحلية هنالك بغاية الإعظام والسرور وبمجرد ما استقر المجلس بالسفير ورد عليه رئيس التشرىفات يحييه نيابة عن الملك، وصرح له بأن الملك ما عجل الأوبة إلا لأجله، وأنه بعد مقابلتهم سيرجع لتتميم فسحته ورياضته الصيدية، وعين له وقت الاستقبال، وأنه سيكون من الغد.

وهذا كتاب وزارة الخارجية الإيطالية المعين للوقت:

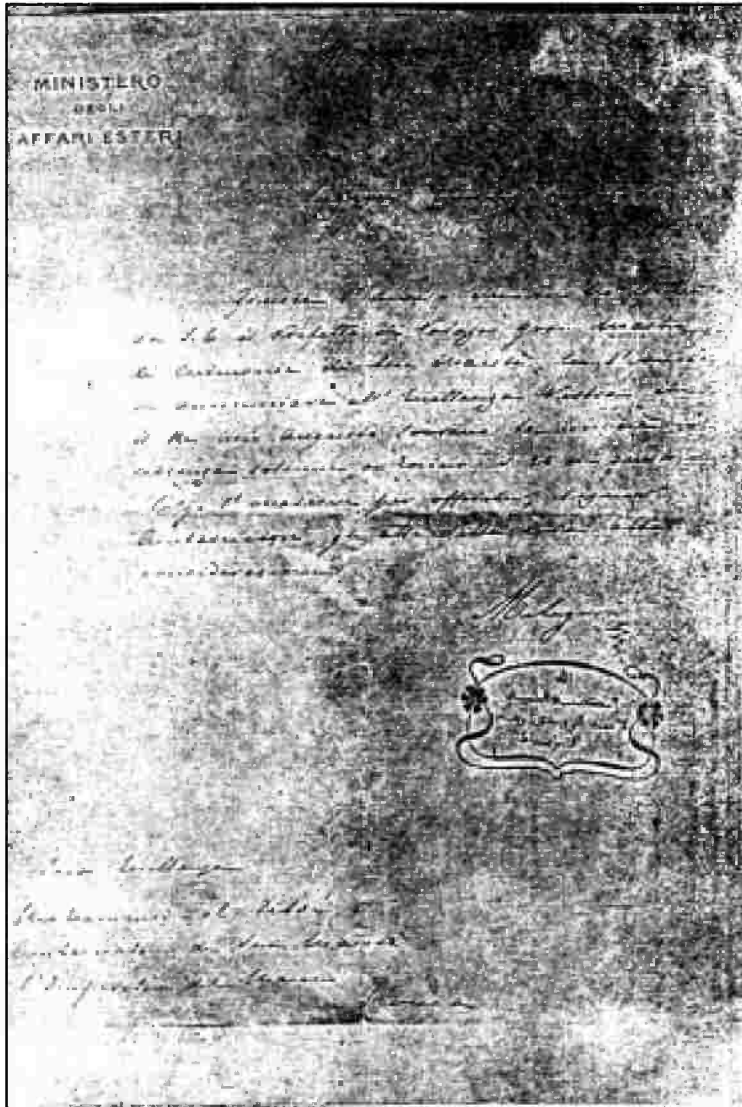
«وزارة الأمور الخارجية رومة فى ٢٠ غشت سنة ١٨٧٦

سعادة السفير:

إنه جوابا عن كتابكم الذى مكنتى إياه سعادة عامل فالازيو حاجب جلالة الملك أشرف بإخبار سعادتكم أن مولانا الملك سيستقبلكم فى حفلة رسمية بطوران فى ٢٦ من الشهر الجارى.

وأغتنم هذه الفرصة لأقدم لكم يا سعادة السفير عبارات فائق احترامى والسلام.

الإمضاء: ميليكارى»



تعیین وقت استقبال السفير

المواصلة. وتنمو وتزيد، وقد حملناه ما يذكره لكم مشافهة نيابة عن جنابنا العالى بالله من المجازات بلسان الخير والثناء على ما أظهرتموه بجنابنا العالى بالله، من المبرة والاعتناء، حيث عيتم سفيركم الكبلير المعتبر المنسطر (الكمندطرا صطبان اشكبابص الرزدنص) وأوفدتموه على حضرتنا الشريفة ميينا لما نعتقه من صفاء المحبة. ومحققا لما نعتمده من أشراط الصحة. مما ملأ الجوانح انشراحا، وجدد لبلوغ الآمال ارتياحا.

والمعتقد عندنا أن تقابلوا سفيرنا المذكور، ومن معه بغاية الاعتناء والبرور، وتلاحظوه بعين الاعتبار فى الورود والصدور، وتصدقوه فى جميع ما يذكره لكم من جانبنا العالى بالله من خالص المحبة وصفو الوداد، مما يكون بحول الله سببا فى كمال الاتصال بين الإيالتين ويعود بالنفع والخير على الدولتين العظيمنتين، حتى يرجع مقتضى المطالب ناطقا بلسان الثناء على تلك المراتب، فإن محبتنا مع دولتكم الفخيمة القديمة، وطريقتنا فى التودد لعظماء الدول قويمة، والمحبة تقتضى التسهيل والتيسير، وتؤذن بكمال التوافق فى الكثير واليسير، ودمتم كما تحبون ممتعين بموجبات الهنا، مقابلين بما يليق بكم من بلوغ المنا، وبه ختم فى ٢٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

وبعد انتهاء المقابلة مع جلالة الملك وتناوب الخطب استدعى الملك السفير بانفراد لمحل خصوصى بالقصر وتفاوض معه فى أمور. وأظهر له غاية الاعتناء والبرور، واستدعى وزير الخارجية بمحضره وقال له إنى أكون مسرورا إذا رجع السفير مقضى الأوطار، وحمله السلام الخاص لجلالة السلطان، وأمر ولى عهده بالقيام بإكرام السفارة إلى أن ترجع مبهجة مسرورة، فأقام لهم حفلة عظيمة تلك الليلة تناولوا العشاء فيها بدار الملك.

وإليك قائمة الهبات التي تبرعت بها السفارة في مدة مقامها ببلاد الطليان والأعداد بحسب النقد الإيطالي وهو الليرة:

بمدينة طورين لأصحاب الموسيقى ٣٠٠ عربات ٣٠٠ عسكر الحرس المعين
للسفارة ٥٠٠ ١١٠٠

ببلاد افرنسية موسيقى ٢٥٠ العربات ٢٥٠ الحرس ٥٠٠ ١٠٠٠

برومة أصحاب الموسيقى ١٠٠٠ الضعفاء ٣٠٠٠ العميان ٣٠٠٠ ٧٠٠٠

لأصحاب وزير الخارجية ١٥٠٠ العربات ٣٠٠ الحرس المعين للسفارة ٥٠٠
٢٣٠٠

ضعفاء مدينة برنسية عند الرجوع لها للضعفاء ٣٠٠٠ موسيقى ٢٥٠

العربات المنفذة للسفارة ٢٥٠ ٣٥٠٠

عند الرجوع لطورين عربات ٥٠٠ للضعفاء بها ٦٠٠٠ للخدمة يوم الضيافة
بدار السلطان ٨٥٠٠

وللحرس بدار السلطان ٢٠٠٠ ولن عين لمقابلتها لما توجهت للصيد مع ولى
العهد والوزراء ٢٠٠٠ ٤٠٠٠

ولخدمة جنان الوحوش ٥٠٠ وبعنوة للحرس ٥٠٠ لأصحاب العربات
٣٠٠

وللخدمة بالمركب الحربى على يد الرئيس ٥٠٠ ٦٣٠٠

ولخدمة مائدة الأكل به ٥٥٠

ونص بعض رسائل الشكر التي تلقاها السفير على بعض تلك الهبات فعن
هبة العميان:

«مأوى مارغيت دوسافوى

رومة فى ٢١ غشت ١٨٧٦

مكتب تدبير الأمور

سعادة الوزير

إن هبتكم الشريفة المحتوية على فرنك ٣٠٠٠ اللائقة حقا بكرم سعادتكم،
والملك العظيم الذى تنوبون عنه أحسن نيابة، قد أثرت فى قلب المجلس الإدارى
لمأوى العميان الفقراء الذى تتأسسه أميرتنا الفخيمة بسافوى.

فبالنيابة عن المجلس المذكور أعبر لسعادتكم عن كامل ممنونيتى كما أطلب
من الله أن يمد فى عمر ملككم الفخيم وشخصكم الكريم أعواما مديدة فى رفاهية
واطمئنان.

نائب السمو الملكى

الإمضاء: لا يقرأ»

وعن هبة فقراء رومة:

«رومة فى ١٢ غشت سنة ١٨٧٦

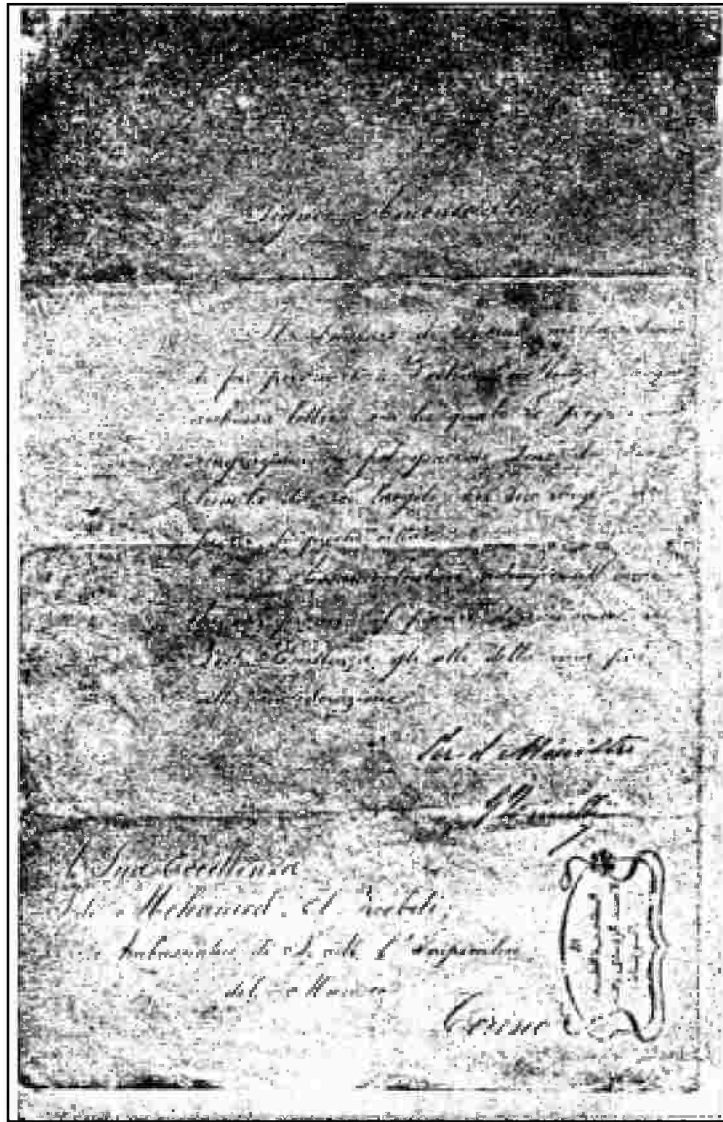
سعادة السفير

قد دفع إلى كاتب سعادتكم مبلغا قدرة ثلاثة آلاف ليرة إيطالية ذهبية تفضل
بها جنابكم على فقراء المدينة.

ولا شك أن والى مدينة رومة سيكون لدى سعادتكم خير مترجم للعواطف
السامية التى ستخامر أهل المدينة كافة، لما يتيقنوا أنه قد اجتمعت فيكم أحمد
الخصال والعواطف الكريمة، ومواهب العقل العالية التى أوجبت لكم فائق
الاحترام فى عموم الوطن، وقد بقى على أنا كذلك أن أعرب لجنابكم عن



يتعلق بسفارة الزبيدي بإيطاليا من وزيرها برومة



توصيل بما وقع به التبرع على جمعية رومة

تشكراتى الخالصة على حسن صنيعكم الذى يزيد فى توطيد الدعائم والمحبة التى تربط دولتنا، وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لسعادتكم فائق الاحترام.

ميلكرى».

ثم كتبت الحكومة للسفير كتابا تبلغه طيه شكر شيخ مدينة رومة نيابة عن فقرائها وهو:

رومة فى ٢٨ غشت سنة ١٨٧٦»

إلى سعادة السفير

قد كلفنى والى مدينة رومة بأن أبلغ لسعادتكم الكتاب المبعوث لكم طى هذا يشكركم فيه على عواطفكم الكريمة التى حملتكم على التبرع بثلاثة آلاف ليرة ذهبية على ضعفاء المدينة لأنهما مكننى من فرصة.

وإنى أقوم بهاته المهمة عن طيب نفس أجرد لكم فيها عبارات احترامى الفائق.

نيابة عن الوزير: مورنىلى

وهذا الكتاب المشار له:

«مدينة رومة بالكايطول فى ٢٢ غشت سنة ١٨٧٦

مكتب شيخ البلد

سعادة الوزير

توصلت على يد سعادة وزير الأمور الخارجية بمبلغ قدره ٣٠٠٠ ليرة ذهبية التى أرادت سعادتكم الكريمة أن تتفضل بها على الأعمال الخيرية برومة.

وأرى من الواجب أن أشكركم الآن على تكرمكم هذا منتظرا أن أعبر لكم شفاهيا بما هو أحسن عن عواطف اعترافى بالجميل، واعتراف أهل المدينة كلهم.

فلتتيقن سعادتكم بخالص احترامي والسلام

شيخ البلد

الإمضاء: لا يقرأ»

وعن هبة طورين:

«عامل طورين بطورين في ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦

أيها القائد

قد تشرفت بوصول كتابكم اللطيف المؤرخ يومه، وأبادر بإخباركم أنني توصلت بما قدرة ستة آلاف ليرة (٦٠٠٠) مركبة من ثلاثمائة نقد ذهبي قيمة كل واحد عشرون فرنكا التي تبرع بها سعادة سيدي محمد الزبيدي في سبيل البر، وأرجو منكم أن تترجموا لدى الرجل الفذ الذي أراد أن يبقى أثرا قيما عند مروره ببلدتنا عن عواطف ممنونية بؤساء مدينتنا الذين تنعموا بما أفاض عليهم من إحسانه الجزيل، وأنهم يتلون على اسمه آيات الحمد فحققوا له أن اسمه المعتر لا ينفك يذكر ومقرونا بتمجيد الملك المعظم لدى إنابه عنه لدى جلاله ملك إيطاليا.

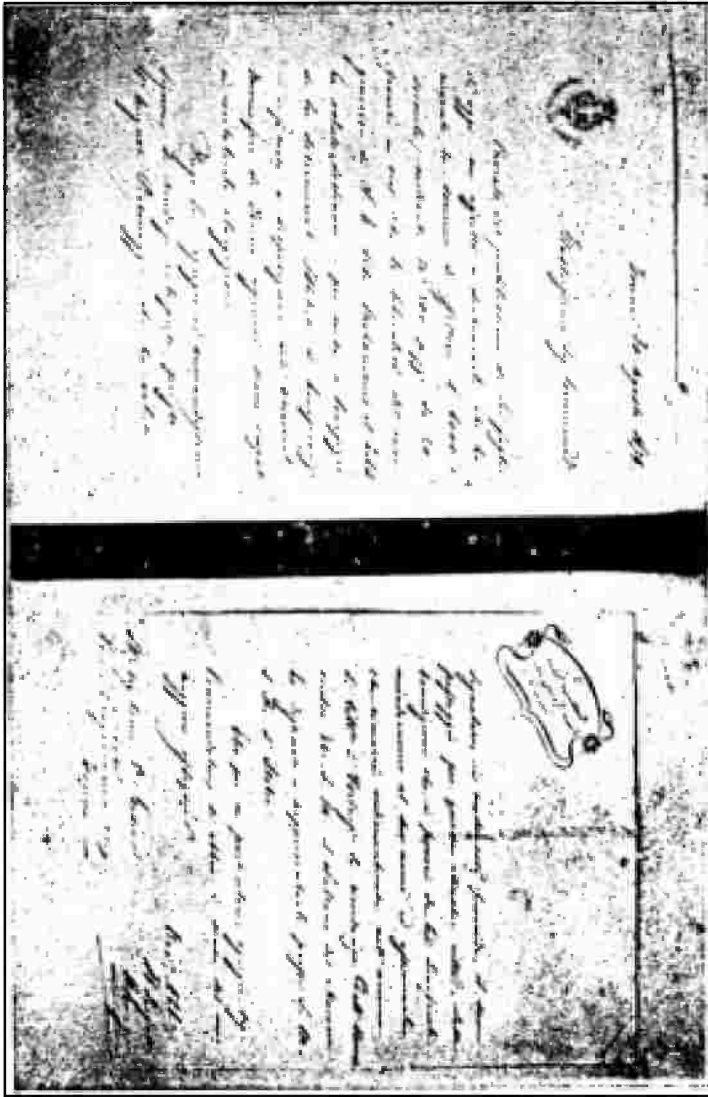
فأرجو منكم أيها القائد أن تقبلوا فائق تحياتي والسلام

والى مدينة طورين»

وعن هبة رجال الاصطبل الملوكي بطورين:

«كتب بطورين ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦»

أنا الواضع اسمي أسفله، أعترف بأني قد حزت من الفارس بوزيد الترجمان الأول لسفير جلاله سلطان المغرب مبلغا قدره سبعمائة ليرة إيطالية ذهبية تفضل بها سعادة السفير على خدم اصطبل جلاله ملك إيطاليا مكافأة على ما قاموا به نحو سعادته مدة إقامته.



من وزارة إيطاليا بطورين للسفير الزبيدي

نيابة عن قائد اصطبل جلاله ملك إيطاليا . . . »

ثم ظعن السفير لمدينة جنوة ومنها أبحر في مركب حربي خصوصى أعدته الحكومة الاطالية له، وسار ووجهته طنجة، ورافقه إليها باشادورهم بها، وكان دخوله لطنجة في اليوم الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وتسعين مقضى الأوطار، وخلف في مدن أوروبا بما أبداه من السياسة وقام به من التبرعات على الجمعيات الخيرية ذكراً جميلاً حفظه التاريخ للمرسل والمرسل بل لسائر الإيالة المغربي .

ثم سافر السفير من طنجة لفاس حيث كان مثنوى السلطان إذ ذاك، فأكرم وفادته وقابله بما هو له أهل من التجلة والإكرام، ولما قص عليه قصص سفارته وقرر له كل شاذة وفاذة شكر مسعاه ودعا له بخير، وأمره بالرجوع لطنجة لتتيمم المسائل المحال على القناصل والباشادورات القاطنين هنالك في حل مبرمها، ولم يزل بطنجة إلى أن كمل المراد وفق ما يراد حسبما ينبئ عن ذلك جواب الحاج أبى عمران موسى بن أحمد للسفير على كتابه إليه في القضية ونصه :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا .

محبنا الأعز الأرضى وأمين مولانا الناصح الضابط الأخطى السيد الحاج محمد الزبيدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعلمنا منه ما آل إليه أمر ضبط الحماية وما حصل في مباشرتها من التيسير، وأن الكلام فيها سيتم في قريب وبينت ما دار بين النواب فيها ومن وقف منهم في أمرها وبذل المجهود في حصرها على القوانين، ومن توقف منهم في تكليف السماسرة على الوجه الذى أشرت إليه، ونبهت على تمام وقوف باشادور النجليز المحب وحسن مباشرته ونصحه، وكذا نائب المركان، وما صدر من الأخير من زيادة التنبيه على أمر الحافر بالأبواب حسبما سطرته وأنهينا

ذلك كله لمولانا المنصور بالله، وسره ما أثبتت به عليهما وأمر أيده الله بالكتب لهما بالمجازاة على ذلك بخير فكتبنا وها كتاباهما ٢ يصلانك لتدفع لكل واحد منهما كتابه وتتوب عنا في مجازاتهما، ونسأل الله أن يسدّدك ويصحبك الإعانة واللفظ والتيسير ويقضى بك الغرض الشريف على وفق المراد آمين، وعلى المحبة والسلام في ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤، ومنه، ولا تغيب عنا خبرا فإننا نتشوف لإخبارك ولا بد صح به

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب السفير الانجليز المشار إليه :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المحب الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين والصلاح بين الإيالتين مينسطر سلطانة اكرت بربطن الفخيمة وباشدورها المعتر بهذه الإيالة السعيدة الكبليرجان هى درمنض هى .

أما بعد: مزيد السؤال عنك كثيرا ومحبة أن تكون بخير دائما، فإن محب لجميع الأمين الأرضى خديم سيدنا الأنصح السيد الحاج محمد الزيدى كتب بأنك وفيت بما وعدت به من الوقوف فى مباشرة إتمام الكلام فى أمر الحماية بما ينحسم به ضررها ويبنى أمرها على القانون، وأنك بذلت المجهود ونصحت ولم تقصر فى الأخذ بيده والإشارة بما فيه المصلحة على عادتك، وأنهيذا ذلك لمولانا المنصور بالله ونشط به ودعا لك بالمجازاة بخير وتحقق لدى سيادته أنك جريت فى ذلك على ما يعلمه أيده الله منك، وجبلت عليه من تمام المحبة فى جانبه العالى بالله وبذل النصيحة والسعى فى جلب الخير والمصالح لهذه الإيالة السعيدة، جزيت خيراً.

فنجحك أن تزيد في وقوفك وحسن مباشرتك ليطم الأمر على يدك على وجه جميل، وتفوز بمزية سبق لإحراز هذه الفائدة والمزية، والظن بك أنك لا تقصر ولا تحتاج إلى مزيد تنبيه، فإن العاقل يحرص على تمام إحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها وبه ختم في ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤.

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب سفير أميركا المشار إليه أيضا بعد الحمدلة والحوقة:

«المحب العاقل الساعى فى الخير والصلاح بين الإيالتين المعتبرتين والدولتين الفخيمتين، نائب دولة جنس المركان المفوض له بهذه الإيالة السعيدة الجنرال المعتبر فلين مطيوس.

أما بعد السؤال عنك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد أخبر أمين مولانا الأرضى السيد الحاج محمد الزيدى أنك وقفت معه فيما توجه بصدده ولم تقصر فى الأخذ بيده فى ذلك وفاء بما وعدت به، وأنتك زدت التنبيه على أمر الحافر بالأبواب، وأشرت بأن يكون الناس فيه على حد سواء مثل الرعية، وذلك مما يؤيد ما نعلمه منك من المحبة وبذل النصيحة، والإشارة بما فيه المصلحة والسعى فى جلب الخير لهذه الإيالة المحروسة بالله جزيت.

وقد سرنا ذلك وأنهينا لمولانا المنصور بالله فنشط وأمر بالكتب لك بالمجازات بخير، وعلم أيده الله أنك عملت أن تزيد فى وقوفك وحسن مباشرتك حتى يتم هذا الأمر على وفق المراد، فإن العاقل يحرص فى تمام عمله وإحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها، وبه ختم فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤.

موسى ابن أحمد لطف الله به»

وليست هذه السفارة بأول مأمورية مهمة رشح لها هذا السفير الخطير القدر، الرفيع الذكر، المحبوب فى أمتة المختار لديها، فى الرياسة عليها. حسبما تقف

عليه في ظهير سلطاني عبد الرحمانى، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف فى وسطه «عبد الرحمن بن هشام الله له» وبدائته ومن تكن برسول الله نصرته... إلخ، من يعتصم... إلخ.

«خدامنا أهل الرباط وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا كاتبنا الطالب العربى بن المختار باختياركم للولاية عليكم خديمتنا الحاج محمد الزيدى وموافقكم على تقديمه خاصة وعامة، فقد كملنا لكم فيه ووليناها عليكم وأسندنا إليه أموركم وبسطنا له يد التصرف عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا فى جميع ما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم وجعله غرسا طيبا آمين.

فإنكم خدامنا ورعيتنا وزاوية جدنا سيدى الكبير قدسه الله، ونحن نراعى لكم جواره وحقه، ونعلم ضعفكم وعجزكم ونحب من يرفق بكم ويسير فيكم السيرة الحسنة، وقد عفونا عن هفوتكم، وصفحنا عن زلتكم، وقبلنا توبتكم وإنابتكم، فطيبوا نفساً وقروا عينا، فلا تروا منا إلا ما يسركم إن شاء الله تعالى، فإننا نعامل بالعضو الطغاة أهل الجرائم العظام، ونقابل بالصفح أهل الكبائر والآثام، فكيف بمن هو أعجز الناس عن الدفع عن نفسه وأولاهم بالرفق والإغضاء والشفقة اقتداء بجدنا رسول الله ﷺ، وفى الحديث: «كان خلقه القرآن» وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى ٤٣]. ﴿... وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى...﴾ [سورة البقرة ٢٣٧]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ...﴾ [سورة المؤمنون ٩٦]. وأنه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٩٩] قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك. وتعطى من حرملك، وتعفو عمن ظلمك.

حرمانا على الرباه وقد فكر الله وسلا علىك وحيث الله تعالى ذكر كونه وبعده من قبلنا فانا
 انما نحن من الله وسلا علىك وحيث الله تعالى ذكر كونه وبعده من قبلنا فانا
 اتاهه زعانه معه فانا لم ندره وولناه عنك واسد ما اليه افوزكم وسنحاله يد لنتهم هلكه
 ما سعوا اليه بعد ذلك من مع ما سعوا به من غيرنا الشريفة اشقرك الله به واسعدك بكر بعد
 فخرنا حسدا الله وانك برنا وراحمنا وراحمنا بغيرنا سيد الكبر فبدنه الله ونرنا في الكبر والرحمة
 وعمرته عنك ونحركه وحج من يريكم وسيدكم السمرة الحسنة وقد علمنا عنكم من غيرنا
 ومثنا فيكم انما نكر فضونا غسلا فيكم واعينا على ان نؤاها الحسنة كما اننا الله تعلم ما نعلمنا
 اشعاب احلنا فيكم ونفان ان نعلم اننا انما نعلم اننا نعلم اننا نعلم اننا نعلم اننا نعلم
 نفسه وانتم ما ندره في الحسنة واستعفه اعطاه بعد ان نرى ان الله علم الله عليه وسلم
 كانا عنده اشقان وقد نزل على نرسيد وعمرانه فالتزم الامور وان تعدوا القرب للمفقون
 انما احسن الحسنة وانما نزل على نرسيد وعمرانه فالتزم الامور وان تعدوا القرب للمفقون
 يا ايها الذين آمنوا انما نزل على نرسيد وعمرانه فالتزم الامور وان تعدوا القرب للمفقون
 اللهم انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون
 يدوا ويهدوا وهم بسند معتدوا ويا ايها الذين آمنوا انما نزل على نرسيد وعمرانه
 بعدوا الاخر انما يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون انهم لا يظنون
 لا يريب عنكم الله نزل على نرسيد وعمرانه فالتزم الامور وان تعدوا القرب للمفقون



ظهير عبد الرحمانى بتولية السيد الحاج محمد الزبيدى على الرباط

وقد قال ﷺ: «اللهم اغفر لأمتي فإنهم لا يعلمون» وفي شمائله ﷺ: ولا يقابل بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ونحن بسنته مقتدون وبأنواره مهتدون، كيف وهو عليه السلام يقول: ما ازداد عبد بعفو إلا عزاً، فاعفوا يعزكم الله .
وأقول ما حكى الله في كتابه على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿... لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف: ٩٢]
والسلام في ٢٣ رمضان المعظم عام ١٢٦١هـ .

الكلام على بقية علائقه السياسية مع فرنسا

ثم وجه المترجم بعد هذه السفارة سفارة ثانية لفرنسا يرأسها القائد عبد المالك ابن على السعيدى خليفة باشا طنجة وباشا أصيلا استقلالا أولا ووجدة ثانيا، وكانت سفارته فى ربيع الثانى عام اثنين وثلاثمائة وألف، ورئيس الجمهورية إذ ذاك المسيو اكريفى وبتاريخ عشرى شعبان العام، وشفعه بالعلامة المدرس أحد أعيان كتاب الحضرة السلطانية السيد عبد الواحد بن المواز.

وإليك نص بعض ظهائر هذه السفارة ويوجد جميعها بمكتبتنا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وهو: الحسن بن محمد الله وليه ومولاه، أيد الله نصره ووالى سعده الدائم، ونشر على البشر شعاع شمس عزه القائم إلى المودود الحبوب الملحوظ منا بملاحظ الخطوة والإكبار، والملموح لدينا بلامح العناية والاعتبار، المميز بمزيد سبق فى ميادين السياسة، الحائز التصدير والتبريز فى ديوان الرياسة، الحامل الراية بين أولى التدبير بالأولوية، كبير جمهور الدولة المحبة الفرنساوية، المخصوصة بكل فخامة وضخامة بطريق الأحرورية، الأمير الجامع لكل فخارتليدى وطريفى. المعتمد المعظم المحترم اكريفى.

أما بعد حمدا لله الذى لا إله إلا هو، فالداعى لتحرير هذا المسطور الكريم إليكم، ولإيفاد خديمنا الأرضى الأصلح الأخطى الأنصح، القائد عبد المالك السعيدى سفيراً لديكم، هو تشييد مبانى المحبة التى لا تزداد بحول الله على طول الآباد، وتعاقب المدة إلا صفاء ونقاء وجدة.

وقد انتقينا الخديم المذكور من أولى الصدق والجدة والنصيحة والنجدة، وأذكى أقرانه، وأمثل أهل زمانه، وحملناه ما يوصله لفكرتكم النقادة، وقريحتكم الوقادة، مما لدينا من التحفظ على ما يديم بين الدولتين العظيمتين حسن المعاملة، وصدق المصارفة والمكارمة، لكونه أعرف بذلك من غيره وبأشأ أموراً أطلعتة على نجوى ذلك وسره، حيث كان واسطه بين الإيالتين مخصصاً عندنا هناك بالكلام فى أمور الجهتين، إذ ليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالعيان كما هو مقرر فى الأذهان، وأملينا عليه ما يشافهكم به نيابة عن جانبنا العالى بالله من المجازاة بالسنة الشكر، وثنايا الثناء وأفواه التفويق والتنويه على ما ظهر منكم لجانبنا العالى بالله، من الاعتناء وصدق الوداد، وحسن الحال وجميل الاعتقاد.

وشفعناه بكاتب حضرتنا الشريفة الأرضى الفقيه العالم المدرس الطالب عبد الواحد بن المواز رداً لأمره وتحسيناً لوجه سفارته وشدأ لأزره، مختاراً من كتاب حضرتنا العلية ومن على أركانها السنية.

وإنا لعلى يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه من الوفد المشكور، بغاية القبول فى الورد والصدور، جرياً على عادتكم الحسنة المشهودة، وسجاياكم المليحة السليمة المعلومة المعهودة، ومن أنكم تصدقونه فى جميع ما يقوله لكم عن مقامنا العالى بالله من خلوص الطوية، وصفاء المصافاة بالنية، وكل ما يزيد فى كمال الاتصال تأكيداً وقوة، وفى مواد التواد نتيجة منتظرة وثمرة مرجوة، من كل فائدة تكون سبباً لاسترسال خير الإيالتين الكبيرتين، وعمدة فى حصول النفع بين الدولتين العظيمتين، كما كان ذلك مع من تقدم من قبل من الجانبين.

وأرجو الله أن يكون الآن أكثر، وأنى وأشهر، وقد دلت عليه قرائن وأمارات، ولا حت له آثار وعلامات، إذا خير الخلف من قام مقام السلف وتبع

آثارهم وأحيا مآثرهم، فإن أجل مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير مع عظماء الدول سيما مع الجوار الذين عليهم فى المحبة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول.

هذا ودمتم كما تحبون مخصوصين بكل سلامة، مهنتين بكل كرامة، راتعين فى أرغد عيشة هنية، ممتعين بكمال الآمال وتمام الأمانة وختم فى ٢٠ من شعبان عام ١٣٠٢».

ووجه للدولة الفرنسية أيضا سفارة أخرى يرأسها القائد المعطى بن عبد الكبير المزمazy معززا بالكتاب السيد أحمد الكردودى والأمين ابن المدنى بنيس.

وإليك نص الكتاب السلطانى للرئيس كارنو بعد الافتتاح:

«إلى المحب سامى الرتب الموقر المنتخب الملمحوظ بملامح الاحترام والأثرة والإكرام، الموصوف بين الرؤساء العظام بصميم الثناء والسياسة والذكاء كبير الجمهورية بالدولة الفرنساوية الفخيمة البهية الرئيس المعظم (كارنو).

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فلا زائد على المعهود من المحبة والمودة والصحة، إلا الإعلام بما اقتضاه جميل المعاملة، وجيليل المجاملة من توجيه خديمنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح، القائد المعطى بن عبد الكبير المزمazy سفيراً إليكم مؤديا مشافهة ما يكون بحول الله ناجحا لديكم، بعد أن انتخبناه من سليل الجماهير، خدام أعتابنا الشريفة المشاهير، الذين لهم القدم الراسخ فيها خلفا عن سلف ومن بيوتات المجد الذى ليس فيها مختلف، وحملناه ما يؤديه إليكم من حسن المجازاة، والثناء والمكافأة على ما ظهر من جانبكم الأفخم، من حسن الموالاتة التى تأكدت بتوجيه سفيركم لحضرتنا الشريفة، تأكيداً للمحبة وزيادة المودة والإعراب عما فى النية، وما تضمنته الطوية، مما حرك

نشاطا، وسروراً وانبساطا. وعززناه بكاتبتنا الأرضى الأنجد الطالب أحمد الكردودى، وبخديمتنا الأرضى الأمين الحاج محمد بن المدنى بنيس، ونحن على يقين من أنكم تقابلون الجميع بمزيد المبرة والقبول. وتبلغونهم من الاعتناء غاية المأمول. وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه وفى كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالى بالله من جميل الاعتقاد، وكامل الوداد، وما يقوى أسباب الاتصال. ويحصل فوائد الاحتفال والاهتبال. مما يزيد بحول الله فى الخير بين الإيالتين وتتأكد به المحبة بين الدولتين، فإن مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير بين الدول العظام سيما مع من هو مثلكم من الجوار الذين عليهم فى المحبة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول، ودمتم مخصوصين بالاعتبار التام، فى الافتتاح والاختتام، وحرر فى ٢٧ قعدة عام ١٣٠٦».

وبعث سفارة أخرى لفرنسا برياسة الحاج محمد بن سعيد السلوى.

ولقد أوفدت عليه الدولة الفرنسية فى أول ولايته سفيرها الباشادور «طيسو» حاملا لوسام فخم وإليك نص ظهير جواب المترجم لرئيس الجمهورية الفرنسية مسيو تيارس بعد البسملة والحوقة والافتتاح.

إلى المحب الزعيم، والصاحب الفخيم، كبير جمهورية الدولة الفرنسية المفخم طيرس.

أما بعد حمد الله تعالى، فقد ورد على حضرتنا العالمة بالله تعالى كتابكم صعبة باشادوركم المنيسطر الكبلير مسيو طيسو، وعلمنا ما أثنتم به عليه، وما وصفتموه به من الصدق، وأنكم وجهتموه لتجديد عقد المحبة والعهد بين الدولتين، ولتأكيد ما يجب من حقوق الجوار الذى بين الإيالتين، فقد وصل وتلاقى مع جانبنا العالى بالله وأنهى لعلى مقامنا من محبتكم ما هو المعهود منكم، والمعتقد فى جانبكم.

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠

وقد تجددت بقدمه فيكم محبة عظيمة زيادة على المحبة القديمة، ودفع النيشان المعترى الذى أشرتم إليه وقابلناه بما ينبغى أن يقابل به البرور والمراعاة والإكرام، والاعتناء والإنعام، رعيًا لجنابكم وهو عندنا ملحوظ بعين الاعتبار، ومحسوب ممن يسعى بين الدول فى الخير وتأكيد المحبة التى عليها المدار وختم فى غاية صفر ١٢٩٠».

كما أوفدت عليه بعد ذلك باشادورها «الكندى دويينى» واليك لفظ ما راج بينه وبين المترجم من المطالب وأجوبة الجلالة السلطانية عنها وكان ذلك فى خامس ربيع الاول عام ١٣١٠.

١- دعوى التاجر لاروش الفرنصيصى بالعرآيش على الجمالة إخوان ابن الشليح بالسكر الذى وجهه معهم لفاس وباعوه بزرهون واقتسموا ثمنه وقدره ريال ١٨٥ ودعواه أيضا على إخوان القائد أحمد الزرارى الجمالة بالسكر الذى حملوه من العرايش لفاس وباعوه بزرهون أيضا واقتسموا ثمنه وقدره ريال ٤٣٣ الجميع ٦١٨.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت عامليهم ببيع متاع إخوانهم المسجونين فى ذلك وتوجيه العدد الذكور ليدفع لكم.

٢- مطلب بناء هرى بسة فى المائة للتاجر سبراك الفرنصيصى برباط الفتح. أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء بنظر محل بالرباط فى الموضع الذى به سكنى أمثاله وبنائه له فيه بسة فى المائة بعد عقد كنطرة بنائه معه على الشروط التى تعقد عليها مع أمثاله.

٣- دعوى ما نهب للسيد الطاهر جنون الفاسى من الحوائج والبهائم الذى قيمته ريال ٢١٥٦ بالقنيطرة من بلاد بنى حسن.

أجابت الحضرة الشريفة بأن القبيلة المذكور مروعة الآن بسبب المخاصمة والفتنة الواقعة بينها وبين زمور جيرانها، وحيث يسكن روعها يستخرج ما نهب للمذكور ممن يتعين استخراجهم من القبيلة المذكورة.

٤ - المطلب المتعلق بعامل تافلات.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها وجهت عليه وحيث يرد يتوجه بدله.

٥- دعوى التاجر سنجان الفرنصيصى الساكن بعرضته بالسوانى أن متعلمه محمد من أهل جبل الحبيب سرق له اثنين وتسعين ريالاً وفر ورفعت القضية لعامله القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق وكلم بإحضاره أو أداء الدراهم المذكورة فلم يظهر منه أثر فى ذلك.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت العامل المذكور بأن يوجه الدراهم المذكورة لتدفع لكم.

٦- دعوى الياه بن يوسف بطون أنه توجه للقصابى مع الحاج محمد بن الصغير فدخل آيت يزدك للقصابة وأخذوا له حوائجه وثلاثة بغال حاملة لسلعة أتى بها من فاس.

أجابت الحضرة الشريفة بأن آيت يزدك غير مستقيم أمرهم الآن لأجل ما كان صدر منهم من قتل عاملهم وحيث تتوجه المحلة لبلادهم لاستخراج الحقوق منهم يستخرج منهم ما نهبوه للمذكور.

٧-مطلب التاجر حيم بن شمول ناظر البنك الفرنسيسية بطنجة ظهيرا شريفاً يتضمن الإذن له فى تسمية بانكته بالبانكة المراكشية، وفى جعل كواغد مخزنية يتضمن كل كاغيد منها عدداً من الدراهم، بحيث من سافر من الناس من بلد لبلد يصحب معه كاغدا من تلك الكواغد، ولا يصحب معه الدراهم لثقلها وخشية

وقوع السرقة لها بالطريق، وإذا وصل للبلد التي توجه لها يدفع الكاغد لنائبه بها ويدفع له ما تضمنه من الدراهم وتصير مصارفة الناس بها مثل الدراهم.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير كان طلب ذلك فاستفتى المخزن العلماء فيه فأجابوا بأنه حرام في شرع ديننا.

٨- مطلب التاجر كف صاحب السكة الشرعية ضرب مليون من الريال سكة نحاسية جبرا لخسارته في ضربه السكة الفضية.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها على نية ضرب السكة النحاسية هنا، وصيرت على جلب مكينات ضربها وبناء دار الضرب لها ما يزيد على المائة ألف ريال.

٩- مطلب مجلس نواب الدول بطنجة المكلفين بأمر السنيدة حيازة فندق الحضرة الجديد بطنجة ليينوا فيه فندقا جديدا مثل الفنار.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الفندق المذكور منفذ بالكراء بظهير شريف لبعض حمايات أسبانيا.

١٠- مطلب التاجر بونط الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى عروس فى آجرة بين سبتة وتطوان.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد لما فيه من الضرر.

١١- مطلب التاجر قرنى الفرنصى الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى حسن بل بغاية العرايش والمعمورة.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد عليه لما فيه من الضرر.

١٢- مطلب التاجر جل الفرنصى بناء دور وأهرية^(١) بستة فى المائة بالدار البيضاء.

(١) الأهرى: بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام، البرّ ونحوه ليوزعه السلطان.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء ببناؤها له بستة فى المائة .

١٣- مطلب التاجر لا نيل الفرانصيصى بالصريرة بناء دار وأهرية بها كذلك بالجديدة بستة فى المائة .

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء الصويرة وأمناء الجديدة ببناؤها له بستة فى المائة .

١٤- مطلب تسريح وسق العظام لمدة من عام .

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء المراسى بتسريح وسقها المدة المذكورة على شرط أن من أراد وسق شىء منها يقلبه طيب السنيذة، وبعد تسليمه أنه لا شىء فيه من عظام الأدمى يسقه» .

وكانت مسألة الديون التى لأتباع الدولة الفرنسوية على الرعايا المغاربة كثيرا ما تؤدى إلى متاعب ومشاكل ومطالب فوضع لذلك اتفاق يحسم ما ذكر ونصه بعد الحمدلة:

«لما تكررت الشكاية من رعايا دولة الفرنصيص الفخيمة بوقوع المماطلة فى فصال ديونهم على رعية الدولة الشريفة، وقع الاتفاق بين الواضعين اسمهما عقب تاريخه، وهما وزير الأمور الخارجية بالحضرة المولوية ومنسطر دولة الفرنصيص الفخيمة نيابة من كل منهما فى ذلك عن دولته على حسم مادة تلك الشكايات بما سيذكر وهو:

١- أن المخزن يبقى على قبول الرسوم المصفحة بطنجة فى تاريخ ١٣٠٤ على يد المنسطر فيروا ويد الفقيه الكاتب السيد محمد بن سليمان والأمين الحاج قاسم جسوس التى هى الآن بفسينة الفرنصيص بطنجة .

٢- وأن يلزم المخزن عمال الغرماء الفارين بإحضارهم بعد مضي ستة أشهر من شهر تاريخه وإلا فيؤدوا عنهم ما بذمتهم إن لم يحضروهم.

٣- وأن يعرف أرباب الدين بالمجهولين تعريفاً كافياً لا يبقى معه إشكال في معرفتهم بحيث يبينون اسم كل واحد منهم واسم أبيه ونسبه، ومحل استقراره، ويدفعون بيانهم بعد مضي ستة أشهر، ليمضى المخزن في فصال ما بذمتهم في مدة قدرها ستة أشهر من حين التعريف به على نسق الفصال الواقع مع غيرهم من الغرماء من الاستيفاء من الأملياء والقبض على المفلسين، حتى يتبين فلسهم ويثبت بموجبه ويسلمه الباشادور أو رب الدين.

٤- وأن يؤدي كل عامل عن الغرماء من إيالته الذين أخبر بموتهم إذا وجد أحد منهم حياً زجراً له وعقوبة على كذبه.

٥- وأن يبحث أرباب الدين عن الموتى المفلسين هل خلفوا شيئاً، وإن عثروا عليه يعلمون به المخزن ليأمر ببيعه وتمكينهم من ثمنه لكون المخزن تقصى في البحث فلم يعثر على متخلف لهم.

٦- وأن يبحث أرباب الدين أيضاً في فلس من ادعى الفلاس من الغرماء، وإن وجدوا عنده متاعاً يعلموا به المخزن لبيعه عليه ويؤدي عنه ما بذمته من ثمنه لكون المخزن بالغ في البحث فلم يجد عندهم متاعاً.

٧- وإن تحقق وثبت على أحد من العمال أنه قبض شيئاً من الدين ولم يوجهه فيعاقب على ذلك بما يستحقه، ونائب المخزن يدفع ما وصله بمجرد وصوله لباشدور الدولة الفرنسية، ورضى كل من النائبين المذكورين بهذا الفصال المشتمل على الفصول السبعة المذكورة أعلاه وقيد في ١١ رمضان المعظم من عام ١٣٠٦هـ.

وهذا مثال مما كان يجري في قضايا الديون.

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل جوابك بأن باشدور الفرنضيص استظهر لك بنظير النسخة الموجهة لك من زمام متاع محمد أحم القلعي وما تحصل في ثمنه ٤٦٥٦، وتأسف من أجل هذه الدعوى ومن القدر المشار إليه الذي تحصل فيها، وشافهك في شأنها بما شرحته من عدم عثوره في النسخة المذكورة على ما كان باعه أخو المذكور وحاز ثمنه، وعدم ظهور شيء من ماله الناض، ومن ديونه ومما له مودع عند الناس.

وظهر لك أن مخرج هذه الدعوى صعب لعدم تقييد ما ذكر، وجعل رب الدين استرعاء ودفعه للباشدور وتمكين الباشدور له من خط يده به ومن نسخ المكاتيب الموجهة له من حضرتنا الشريفة وتوجهه للشكاية بياريز، ولا يدرى ما يكتبون للباشدور في شأنه.

وأعلمت جانبنا العالى بالله بهذا لنكون على بصيرة فيه فنحن على بال منه فأما متاعه فقد بيع على يد أمناء مليية وعمال كليية، وخديمنا حميدة، ولم يتحصل فيه إلا العدد المشار إليه، وأما ما باعه أخوه من متاعه فقد أمرنا المذكورين ببيانه ليحاز ممن اشتراه منه، ولا زال لم يرد جوابهم عنه.

وأما ماله من الناض فقد بلغنا أنه مودع عند أناس من كليية فأمرنا عاملهم بالقبض عليهم، وأمرنا خديمنا حميدة بشد عضده على قبضهم واستخراج ذلك منهم، ولا زال لم يرد جوابهما عن ذلك.

وأما ماله من الديون فقد وقع البحث عمن هي عليهم حتى عرفوا، وأمرنا الخديم المذكور باستيفائها منهم على يد عاملهم، وأمرنا عاملهم بذلك كذلك، ولا

زال لم يرد جوابهم عنه، ولا زال البحث والطلب فى ذلك، ومن ظهر عليه شىء منه غير أولئك يجرون مجراهم وهكذا حتى يقف الأمر فيه عند حده ومنتهاه بحول الله وقوته. وهذا غايه ما يجب على المخزن فى دعوى فاسد قبض عليه لأجل الفساد والإفساد ولم يتوصل له إلا بالحيل والمشاو ولم يحز من متاعه ولو قلامه، وقد بينا لهم موجب القبض عليه مرارا وعدم التقصير فى الوقوف فى جمع ما للتاجر عليه فأبوا إلا إلزام المخزن بما ليس بلازم من أداء ذلك عنه، وفتح الأبواب عليه بذلك كما فتحوها بغيره.

والحاصل فلا مصلحة لنا فى إبقاء محمد أحم هنا عدا مصلحة كف ضرره عن قبائل الريف. وقد تقدمت لكم المساعدة على توجيهه لطنجة ليتقابل مع رب الدين لكونه يزعم أن ما يسأله له أقل من العدد الذى ادعى به عليه فلم يجيبوا لذلك، وحتى الآن إن أردتم توجيهه لكم بقصد ذلك على شرط أن يتكفل الباشدور برده لنا وعدم إفلاته يوجه لكم والسلام فى ٣ جمدى الأولى عام ١٣٠٠»

ومما يدل على حسن العلاقات الحسنية الفرنسية هذا الكتاب الشريف المبعوث للرئيس اكريفى جوابا عن رسالته فى شأن تقلده الرياسة ونصه بعد الافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم. الصاحب المحترم المفخم. كبير الدولة الجمهورية الفخيمة الفرنسية الرئيس ايجول اكريفى أما بعد حمد الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم. فقد وصل كتابك المرقوم لحضرتنا الشريفة أخبرتنا فيه بالجمع الواقع عند دولتكم فى بلاد فرساي. على زيادتهم لجانبك سبع سنين فى الحكومة، وعلمنا أن قصدك بإعلامنا مزيد المحبة القائمة بين الدولتين وتأكيد الاتصال بين الجانبين فكان ذلك على حسن المحبة دليلا وعنوانا على ما فى الضمير جميلا، حيث تحققت أن ما يسرك يزيدنا سرورا، ويستخرج من القلوب فرحا منشورا، فقد

تجدد في جناب هذه الزيادة، وقد صادفت الدولة فيها من الصواب حسن الإفادة، وذلك دليل على حسن السيرة والسياسة وأنت سلكت من طريق التدبير ما شهدت به الفراسة .

ولا شك أن الرئيس في الدولة بمنزلة المصباح وروح القوم هو سلطانهم، ولا تتحرك الجسوم إلا بالأرواح، ومعلوم أنه لا يقوم في كل أمر إلا من هو أعرف به وأنسب، وتقدمه أحسن فيه وأصوب، ولا يخفى أن الرياسة شجرة تبقى ناعمة ما دامت في محلها، ومرتبة عظيمة توصف بحسب صفات أهلها .

وبسبب هذا الفرح تتجدد زيادة المحبة والاتصال، ودوام الخير بغير انفصال، لأن التهنئة بين الدول حقوقها مؤكدة، وتقتضى بين أهل المجاورة مزيد المراعاة المجددة، ودمتم مخصصين بمزيد الاعتبار رافلين في حلل الأفراح والتهاني في الإيراد والإصدار وختم في ١٠ جمدى الأولى عام ١٣٠٣» .

مع إسبانيا

وفي شهر ربيع النبوى سنة ١٢٩٤ وجه المترجم خديمه أبا عبد الله محمد فتحا بن خديمه عبد الله بن أحمد سفيراً لدولة الإصبان مع أفراد لمقابلة الملك لما نزل بسبته، فقبولوا من الأمير والمأمور بكل تجلة وإكرام حسبما وقفت على بسط ذلك وشرحه في كتاب وجهه السفير لوالده ودونك لفظه :

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، سيدنا ووالدنا العلامة الأجل، الباشا الرئيس الأفضل، سيدى الحاج عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد قدمنا لسيادتك أننا ركبنا البحر بقصد التوجه لسبته يوم الاثنين الثالث من شهر التاريخ، وقد نالنا حين الركوب من أنواع المشقة والامتحان ما

يكفر الله به الأوزار لعظم البحر ذلك اليوم مما فيه من تراكم الأمواج والهيجان، ومن كون ذلك المحل محل اجتماع البحرين الصغير والكبير، وقد أدر كنا ركوبا فى البحر خمس ساعات.

ولما دخلنا مرصّة سبّعة صحبة باشادور إصبانيا وترجمانه، وجدنا حاكمها متلقيا لنا بشاطئ البحر، وقابلنا بغاية الفرح بعد ما وجه لنا نائبه للباور مقابلا أيضا بالترحيب نيابة عنه، ومنه نزلنا من البحر ووطننا الأرض ونحن ذاهبون، وأعيان البلد معنا والعساكر مصطفة، والموسيقى نجدها فى كل محل نصل إليه، زيادة على ما خرج من المدفع حتى وصلنا لدار الحاكم التى بها نزولنا، فأطلعنا لأماكن فاخرة عديدة مزينة بأنواع الفرش الرفيعة، وبديع الأثاث الفخيمة، وجلس معنا الحاكم، وصار أعيان البلد والعساكر يسلمون علينا كل واحد على انفراده منفردا، وقابلناهم بما يناسب، وأتانا بالأطعمة والأشربة المختلفة الألوان، ولا يمر ربع ساعة إلا ويقول لترجمانه قل له: إن قدومه علينا لا يوازيه شيء، وإن الفرح والسرور الذى حصل لنا بقدومه لا يكيف ونحن نقابله بما يناسب المقام.

وبتنا تلك الليلة فلما أصبح يوم الثلاثاء الرابع من شهرنا قدم سلطانهم يعنى ظهرت من البعد مراكبه، وحصل المرصّة فى الساعة العاشرة ونصف، وبقي فى البحر إلى الساعة الواحدة بعد الزوال لأن الوقت الذى وصل فيه كانت وقت أكله، وما وسعه النزول فى ذلك الوقت.

وفى الوقت المذكور دخل المدينة وذهب يتطوف بأماكن البلد ويزور مواضع زيارتهم ووقف على حدود بلادهم، ورجع فى الساعة الرابعة ونصف، ودخل المحل فأخذ يلبس ثياب زينته وأمر بعد هذا بملاقتنا معه، وكانت ملاقتنا معه بالمحل الذى نحن نازلون به لأنه به نزل هو أيضا لكبره، وكان الفاصل بيننا وبينه، ولقينا

بكمال الترحب والفرح والسرور، وقد قابلته بما يناسب مقامه، وأمليت عليه وأملى على ما نشافهك به بحول الله .

وقد أخرج الشرح للاختصار، ولكون الطرس لا يسعه وللتلذذ به عند ملاقاتك، ولما أردنا الملاقاة جاء عندنا الشريف سيدي الحاج عبد السلام ولد سيدي الحاج العربي الوزاني وتأدب معنا وأعطى لمقام المخزنية ما يناسبها لتلاقيه مع سلطان إصبانية، لأنه كان قدم لسبته قبلنا بقصد الملاقاة معه، فمنعه باشادور إصبانية، وحاكم سبته وقال له: الصواب الذي يلائم السنن المخزني هو أن تذهب عند باشادور سلطان الحضرة الشريفة، وهو الذي يلاقيك بالسلطان، ويعرفك به، فحيث أذعن وأتى، وحيث وقعت الملاقاة طلبت الإذن من سلطان إصبانيا بتعريفه بمن كان واقفا معنا، فأذن فعرفته أولا بالشريف سيدي عبد السلام من كونه رجلا خيرا عندنا، وأن دارهم عندنا دار ولاية وصلاح، وثانيا بالطلبة، وثالثا بقائدي المائة، وهما القائد الجيلاني، والقائد الحنفي بعد أن أمرته بجعله عمامة، ورحب بالجميع وسأل عن القائدين هل هما قائدا الخيل أو الرجل؟ فأجبت به بأنهما قائدا الخيل .

وقد كنت قدمت لك أن العدد الذاهب معنا لسبته أحد عشر، ثم انتخبنا من العدد المذكور القائدين المذكورين والطلابين وأربع خدمة: بلال، والسيد محمد بن عبد الحفيظ، ورزوق، وصالح الجزار، الكل بإشارة السيد محمد بركاش .

ولما فض مجلس الملاقاة ذهب سلطان إصبانية لمحل مأكولاتهم ومشروباتهم وقت المغرب، فأرسل علينا لتأكل معه فذهبت ومعى الشريف المذكور والطلبان، ولما فرغنا من الأكل خرج وطاف بأماكن عسكره بسبته، بعد ذلك ركب البحر بين العشاءين على نية ذهابه لقالص ليكون به صبيحة يوم الأربعاء فإذا بالأقدار لم تساعد بأن هاج عليه البحر هيجانا ما تقدمت لنا رؤيته، وبات على ظهره بالمرصة،

ولا زال به إلى الآن وحتى الآن كما كنا على نية الرجوع لطنجة بحرًا في اليوم المذكور، فإذا به رأينا ما رأينا، وتأتينا فإذا بالأمواج قد تراكمت وتكاثرت، وأخبر من له خبرة بمعرفة البحر وبفصول هيجانه أن هذا الشهر هو مارس لا يزيد إلا عتوًا، وقد تحيرنا وانقطعت حيلنا ولم يبق إلا أن أقول ما قلته لك لما كنت معك برباط الفتح وطلبت منك التوجه لصلة الرحم مع والدتي وغلقت على جميع الأبواب وما أجبت إلا بقولي: هذه رحلة ألهمنا المولى سبحانه ونظرتك الفعالة لأن نوجه على قائد المحادة فأرسلنا عليه وجاء وطلبنا منه أن ينظر لنا بهائم توصلنا لتطوان إن أصبح البحر على حاله يوم الخميس، فقال: إن له فرسين إن أردتهما فعلى الرأس والعين وليس له سواهما، ونحن مفتقرون لنحو العشرة، فتحيرنا أيضا ولم نجد سبيلا إلى الركوب في البحر ولا إلى الذهاب في البر، فقلت ما قاله الإمام الشاذلي: انقطعت آمالنا وعزتك إلا منك، وخاب رجاؤنا وحقك إلا فيك وأنشدت البيتين: إن أبطلت غارة الأرحام... إلخ.

فيسر الله بأن خرج القائد المذكور، وتلاقى مع بعض أحبائه، بأن أشاروا عليه بكراء بهائم، فاكترى لنا العدد الذي يخصنا من سبته إلى تطوان، وهو عشرة بريالين لكل بهيمة والكل بالبرادع.

ومن علامات الإذن التيسير بلغ الشريف سيدي عبد السلام الوزاني الخبر بأننا ما وجدنا إلا البهائم ذوات البرادع وهو ذاهب معنا منحنى ببغلته وركب هو على فرس، وكتبنا للقائد السيد أحمد الخضر بأن يهيب لنا البهائم التي توصلنا إلى طنجة، وحليناه بما يناسب أن يحلى به من كونه محل الوالد، وأنه لولا محبته فينا واعتناؤه بجانبنا ما كتبنا له، وها نحن على نية الخروج من سبته يوم الخميس قاصدين المبيت بتطوان في الساعة العاشرة، ومن تطوان إلى طنجة وهو يوم الجمعة بحول الله، وفي رفقتنا الباشادور، ويوم السبت يكون خروجنا من طنجة إن شاء

الله قاصدين حضرتكم، وإن وقع نخبركم، ومروره يكون على طريق العرايش على الساحل وموجب مسيرنا بهذه الطريق هو ما بالطريق الأخرى من كثرة الوحل الذى لا نستطيعه.

ولا تسأل عما حل بنا بسبب مفارقتكم والغيبة عنكم، سيما لما حللنا بسببته لعدم المجانس والموافق فى الدين، نسأل الله سبحانه أن يكمل رجاءنا بالاجتماع بسيادتكم عما قريب. إنه سميع مجيب.

ومن تتمه فرح حاكم سببته بنا هو أنه كل ليلة يأتى ومعه رؤساء العسكر وأعيان المدينة من التجار وغيرهم ورهيبهم وموسيقاتهم ومن يعرف ضرب الستير يقال له بلغتهم ايبانو نساء ورجالا، ويشغلون بأنواع الطرب إلى وقت النوم، ونطلب من سيادتكم صالح الدعاء والسلام فى ٥ ربيع الأنور عام ١٢٩٤.

ومنه فإن محل ما قدر لك من أن الإياب يكون برا إذا بقى البحر على ما هو عليه من الهيجان وإلا فإن ركض البحر وسكن فإن الرجوع يكون فيه بحول الله محمد بن عبد الله لطف الله به».

وفى السنة ١٢٩٤ وجه السيد عبد السلام بن محمد السويسى عامل الرباط سفيرا لأسبانيا ردا لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية.

ثم بعث بعد هذا لدولة الإصبان أيضا بالحاج عبد الكريم بريشة سفيرا فى مسائل سوس حسبما جاء فى هذا الكتاب الوزيرى شكرا على ما لقى من الحفاوة والاعتناء:

«المحب الذكى الأملعى النيه الكبلير دليكة دارمخوا وزير الأمور الخارجية بالدولة الصبليونية الفخيمة بعد مزيد السؤال. ومحبة أن تكونوا بخير فى جميع الأحوال. فقد ورد على حضرة سيدنا العالية بالله خديم سيدنا الأرضى الأندج

السيد الحاج عبد الكريم بريشة وأنهى للجناب الشريف ما قابله به الحبيب الأفحم سلطانكم المعظم الفخيم من الاعتناء والبرور في الورود والصدور ومقابلتك له أنت بمثل ذلك ووقوفك معه وقوف الأجباء النصحاء الأصدقاء وبالغ في الثناء عليك بالجميل، وقد سرت الحضرة الشريفة بذلك واستدلت به على محبتكم للدولة الشريفة وسعيكم في الخير لها ووقوفكم في أغراضها المولوية وأثنى عليك مولانا نصره الله بالجميل وبالغ في مجازاتك بالخير فكان ذلك سببا وداعيا لمراسلتك ثم حمل الخديم المذكور ما يشافهك به وهاهو يرد عليك بقصد ذلك وختم في ٢٠ شعبان المبارك عام ١٢٩٩».

وما جاء في الكتاب السلطاني لنائب طنجة ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك بأن خديمنا الأمين الحاج عبد الكريم بريشة كتب لك في مدريد بما في كتابه الذي وجهت ثم ورد خليفة باشدور إسبانيا من ذلك المحل وأخبرك بأن الخديم المذكور بخير وأنه عن قريب يرد فقد ورد بحر المخيم محلتنا السعيدة بمرسى ماسا وشافه بما فعله في الغرض وبين له ما يكون فيه وتوجه من المرسى المذكورة لمباشرته في الثامن عشر من شعبان الفارط والساحل السوسى وكوشطته أوقف على عينهما إيقاف تحقق وتدقيق وستراد عليك صورة ذلك صحبة بعض من حققوه ووقفوا بالفعل على عينه وحيثنذ يقع الفصل بالفعل في ذلك والله المستعان والسلام في ٨ من رمضان عام ١٢٩٩».

ثم بعد هذا وجه لها في القضايا نفسها سفارة أخرى تشتمل على القائد بوشتى بن البغدادى والكاتب مولاي أحمد البلغيثى والحاج محمد بركاش ولد

النائب ووالد باشا الرباط الحالى ونص كتاب بعثه فى ذلك للنائب بعد الحمدة
والصلاة والطابع :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله وبعد وصل جوابك عن توجيه كاتبنا مولاي أحمد البلغيشى وخديمنا القائد
بوشتى بن البغدادى لدولة اسبانيا. بأن الباشادور أشار بالرجوع لسوس والبحث
فى سواحله من أكادير إلى الطرفايا وإن وجد محل موافق للشرط وحصلت الموافقة
عليه يقيد بخطوط الأيدى والنظر فيه للدولتين وإن وقع الخلاف يقيد ويضع كل
واحد خط يده بما تحقق عنده والنظر فيه للدولتين أيضا. وذكرت أن إشارته بذلك
موافقة لما تضمنه الشرط الثامن أنه لا بد من اتفاق وكلاء الجانبين على المحل. وأنه
كتب بذلك كله لدولته ووجه لها نسخة من الكتاب الوارد عليه من حضرتنا العالية
بالله ونسخة كتابنا الشريف لسطانهم الموجهة له وحين يرد له جوابها يظهر هل
لا بد من توجيه المذكورين لها أو حتى يتوجه المعينون جميعا لسوس ويقع الخلاف
بينهم على عين المحل، وأن اكودير الرجيلة وإن كان محققا بالقرائن أنه هو
محلهم، فلا بد من وقوف المعينين من الجانبين عليه ومشاهدتهم لتلك القرائن، وإن
حصلت الموافقة عليه يقيدونها بخطوط أيديهم جميعا، ويرد النظر فى ذلك
للدولتين.

وإن وقع خلاف فيه أو عين الصبنيوليون غيره يضع كل فريق خط يده بما
ثبت عنده ويرد النظر للدولتين أيضا مع صور ذلك كله، وصار ذلك بالبال.

فأما ما أشار به الباشادور من الرجوع لسوس والبحث فهو الأولى والمتعين
والمطابق للشرط المذكور، وبه ١ أمرنا المعينين من قبلنا قبل توجيههم من هنا وبعده
٢ ووجهنا لهم ظهيرا لعمال القبائل المجاورين لتلك السواحل بتنفيذ الظهر والمثونة
لهم وحراستهم والأخذ بأيديهم وكتبنا ٣ لهم بذلك أيضا فى أواخر رجب ووجهنا

لك نسخة من كتابنا لهم به وأجبناك به أيضا عن كتابك المؤرخ بالثانى عشر من شعبان المتضمن لطلب الدولة المساعدة عليه ٤ وبأنا جددنا الكتابة به للمعنيين ولما بلغنا توجه المذكورين لطنجة بقصد التوجه لإصبايا جددنا لك الكتب به فى أواخر شعبان، وحيث كتب به الباشدور لدولته فإن رجعت إليه ينفذ وإن أذنت للمشار إليهما فى التوجه لعندها يتوجهان. وأما ما ذكرته فى شأن اكودير الرجيلة فهو المراد والسلام فى ٤ من رمضان عام ١٣٠٠».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأنك وجهت على ولدك الحاج محمد أصلحه الله لتوجهه مع كتابنا مولاي أحمد البلغيشى وخديمنا القائد بوشتى بن البغدادى لمدريد، وتكلفه بما أمرنا به أن تعين توجيه المذكورين له وذكرت أن وزير الأمور البرانية لا محالة يعلم الباشدور بالكتاب الموجه له مع من ذكر المشار بكتمه عنه، وأن إخفاءه عنه مع ما هو عليه من المحبة والوقوف فى القضية يؤثر فيه وظهر لك أن لا بأس بإعلامه به، وبأنه نسخة مما ورد له لكونه أولى من إعلام الغير، وصار بالبال.

فأما ما ذكرته من توجيهه ولدك مع المذكورين للمحل المذكور إن تعين توجيههما له فالعمل عليه، وأما ما أشرت إليه من عدم إخفاء الكتب للوزير المذكور عن الباشدور فقد كان عليه عمل بريشة حتى كان منه فى شأن الباشدور ادوارد ما كان من نقله ولذلك أمرناك بكتمه عن هذا احترازاً من مثل ذلك.

والحاصل فقد رددنا لك النظر فى ذلك فما اقتضته المصلحة فيه من كتبه عنه أو إعلامه به امض عليه والسلام فى ٥ رمضان عام ١٣٠٠».

وإليك نصوص بعض الوثائق الراجعة لمسائل مراسى سوس تتيما لما أسلفناه فى الكلام على حركات المترجم، أولها بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكرىم بداخله .

الحسن بن محمد الله ولىه ومولاه:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلنا كتابك بأنك بعد ما كتبت لنا بما كتبت به دولة الصبنيول لباشا دورها فى شأن الهرج الواقع بجزر كنارية لأجل مكينسى النجلزى أخبرك الباشدور أنه وردت له مكاتيب أخر من دولته بأن الأمر قد ضاق فى ذلك، وأنه تعين التعجيل بفتح مرسى هنالك قبل عموم الضرر لتلك النواحي، بحيث إذا لم نعجل بذلك فإنه يحصل الضرر الفادح لمرسى الصويرة وللمغرب كله، ونكلم معك بذلك كلاما مجملا من غير تفصيل، وأنت بعد ذلك كنت تتكلم مع خليفة الفرنصيص فأخبرك أن عندهم المكاتيب من دولتهم بالتكلم فى أمر سوس ذاكرين أنه لا يمكن لجنس أن يستغل تلك النواحي بدون أعشار وهم يؤدون الأعشار فى المراسى، ففهمت من كلامه أن فرانصة تكلمت مع إسبانيا فى ذلك، ولأجله أجمل الباشدور فى كلامه ولم يفصل، وأنت تخبرت على وجه السر بكتاب توجه للفرنصيص من فرقة آيت باعمران يطلبون التجارة منه معهم، كما تخبرت بأن ابن هاشم كتب له بالمخاطبة فى شأن المخالطة فلم يساعد على ذلك إلى آخر ما ذكرته، وصار منا على بال .

فأما فتح المرسى هناك فيحتاج إلى تأويل وأمور مهمة لكون أولئك الناس ليسوا على ما ينبغى، وانظر قضية النصرانى النبريال المقتول هنالك مع ما يصدر لمن ينزل بوادى نون من إسبانيا من الأسر حتى نفيهم منهم بالمال، وعلى كل حال أما الصبنيول فى هذا المعنى فقد أجبناك عنه فى غير هذا، وأما الفرنصيص فبصره

وأعلمه بأننا لم نسكت للنجليز على مكينسى بل لا زال الكلام معهم فى ذلك وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله فى شأن من ذكر والمحل الذى نزل به فادعى أن ذلك المحل خارج عن إيالتنا، فلم نقبل منه ذلك ورددناه عليه بما كنا وجهدنا لك نسخة منه ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير إذنا، وتعرفه مع قبائل إيالتنا افتياتا وجعل الدرك عليه فى كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات لا فى الرعية ولا فى الديوانات ولا فى غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين وفى كل ما يقع له ولن معه لا فى أبدانهم ولا فى أمتعتهم لنزولهم هناك من غير إذن ولا درك فيه لا على المخزن ولا على قبائل تلك الناحية.

والتأكيد عليه فى الكلام مع دولته فى غلق أبواب المضرة التى فتحها مكينسى بإنهاضه من تلك الناحية ونحن على نية توجيه من يتكلم مع دولتهم حيث يجب الباشادور إن لم يحصل على طائل، وأعلمه أيضا بأننا نسوس الرعية هناك بقصد تأليفهم للمفاوضة معهم فى أمر تلك المرسى، ولا زال المخازنية غائبين عندهم وصبه بأن لا يحدث أمراً هناك، ولا يتكلم فى أمر سوس حتى نكون هناك بالحوز لكونه قريبا من سوس، وحينئذ يكون كلامه معنا فى ذلك لا مع الرعية، وهذا إذا بقى مكينس هنالك، وإلا فمئونة كفيت وأنت أيضا أشر علينا بما يظهر لك فى توجيه باشادور لدولة النجليز بقصد الكلام فى ذلك وبما يظهر لك فى أمر قبائل سوس جهاراً علانية بطرد مكينسى، واجعل هذا الأمر من أهم الأمور عندك، وكن عند الظن بك ولا بد واستعن بالله ثم ببعضهم من هناك على هذا الغرض.

وإن ذكروا لك أكدير فأعلمهم بأن أكدير دشرة على حجرة ملتفة بالغابة وسط قبيلة اذوتان، وهم جبالة لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض، لأن حكمه حكم الصويرة والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس كآيت

باعمران أو اكلو وأما افنى فهو الباب الذى يقبض فيه المستفاد وهو طرفا الجبل والبحر وكل مرة يتجاسرون فيه على الأمناء، ويكثر الرد لهم معه ويشتون لهم المنقاد وأظن أن صورة أكدير لا تخفاهم من الكارطة، وحتى إن أردت تحقيق ذلك بتوجيه صورته نوجه مهندسا لهنالك حتى يخطه ومحله علوا من الجبل والمساحة بينه وبين البحر ومن هو دائر به جوارا من القبائل إلى غير ذلك وتوجه لك والسلام فى ٢٢ رمضان عام ١٢٩٧».

الثانى وجه للنائب بركاش صحبة المهندس:

«وبعد فحيث كنا بالقطر السوسى أمرنا المهندسين بالتوجه من أكدير إلى أسك مع سواحل القطر المذكور، وتقييد ما فيها من البناء القديم والحادث العربى منه والعجمى، فرجعوا وذكروا أنهم لم يجدوا بناء قديما منسوباً للنصارى عدا محل لا بناء فيه أصلا فوق وادى أصك بينه وبين البحر خمس دقائق يسمى برج الرومى، وآخر فوق برج الرومى المشار إليه ساعة وربع، وبين البحر نصف ساعة يسمى سوس الرومى، فيه طلل بناء عفا بعض أثر تحويطه وبقي بعضه مع بعض أثر برج وأتوا بصورة الجميع، وها هى تصلك صحبة أحد ممن باشر ذلك بنفسه وعايته زيادة فى البيان فعرف الباشدور بذلك وأطلعه على الصورة المذكورة، وإذا سلم ذلك فأعلمنا وكذلك إن لم يسلمه ليوجه من يجدد البحث عن المحل المقصود عندهم مما وراء أصك إلى رأس جوبى إن لم يسلم الباشادور ذلك والسلام فى ٤ ذى القعدة عام ١٢٩٩».

الثالث بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خدیمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليكم ورحمة

الله.

وبعد: وصل جوابك بأنك أجبت باشادور إسبانيا كتابة بما فى النسخة التى وجهت من أن جانبنا العالى بالله موجود للوفاء بالشرط الثامن من شروط المهادة وفق أمرنا الشريف، وتذاكرت معه فيما أمرناك به من أن تأنيهم وتربصهم فى توجيه المهندسين من الجانبين حتى يرد المهندسون الآخرون الموجهون من حضرتنا الشريفة لتحقيق محل مسامت لجزر كنارية أخبرته من له خبرة بتلك الناحية، وذكر أنه هو سائط كروز بكينية، فأخبرك بأن الوقت ضاق ولم يبق الكرطيل عندهم إلا نحو أربعة أيام، وأن طلب التأنى والتربص فى توجيه المهندسين غير محتاج إليه، ولا ينبغى ذكره كتابه حيث كان مذكوراً فى الشروط.

مع أنه ريشما يوجه جوابك المذكور لدولته ويرد له الجواب عنه وتكتب ل حضرتنا الشريفة يكون أولئك الموجهون لتحقيق المحل المذكور وردوا ل حضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠».

الرابع بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى، الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشادور إسبانيا لك، وعلمنا ما تضمنه من طلبه تحديد المحل المعين لهم لصيادة الحوت عوضاً عن السائط كروز، وأن يكون الموجهون لذلك من طرف المخزن كالخديم بن البغدادى، وذكرت أنك استأنيته فى ذلك فتعلل بما شرحته وصار ذلك بالبال، فالأولى هو تأخير ذلك إلى أن نكون بالحوز بحول الله لكونه الآن متعذراً بما هو واقع بين قبائل تلك الناحية من الفتنة والهرج، حتى إنهم هجموا على عمالهم وأكلوا دورهم.

وعليه فعرف الباشادور بذلك وتلطف في مباشرة أمر تأخير ذلك معه إلى الوقت المشار إليه، ولا بد وإن أبى إلا اقتحام مشقة تنفيذ ذلك الآن ولم يقبل عذرا فيه، فأعلمنا لينفذ ويؤمر الخديم بوشتا بن البغدادى وبعض المهندسين بالتوجه مع المعينين من قبلهم لتحديد المحل المعين لهم لذلك والسلام فى ١٤ قعدة عام ١٣٠١».

ثم وجه صاحب الترجمة سفارة أخرى لإسبانيا يرأسها القائد عبد الحميد الرحمانى، ومعه الفقيه الكاتب السيد العباس الفاسى، والحاج العربى بريشة وإليك ما راج فى هذه السفارة لمدريد فى عشرى حجة الحرام متم عام ١٣٠٨ من مطالب المغرب وأجوبة إسبانيا عنها ومن مطالب دولة الإصبان وأجوبة الحضرة الشريفة عنها:

المطلب الأول - تأخير قدوم الكبلير رلاندى لمراكشة بقصد استيطانها.

أجابت عنه الدولة المذكورة بأنها مساعدة على زيادة ثمان سنين فى الأجل المضروب لذلك زيادة على السبع سنين المنصرمة بعد تمام الأجل الميزد على يد السويسى رحمه الله، إلا أن إمضاء ذلك مقيد بثلاثة شروط:

الشرط الأول: عدم مساعدة أحد من الأجناس على مثل ذلك أصلا وإلا فلهم طلب المساواة.

الشرط الثانى: تعجيل فصال دعاويكم بموجب الحق على مقتضى الشروط والتفويض للنائب السيد الحاج محمد الطريس فى حسم مادتها، وإصدار الأمر الشريف للعمال بأن يكونوا ينفذون ما يكتب لهم به من ذلك وشبهه، وذكرتم أن النائب المذكور لو كان مفوضا له لما احتاج أحد من نواب الأجناس للحضرة الشريفة ولا إلى الذهاب إليها فى شأن دعاوى.

الشرط الثالث: تنييه عمال المدن والبوادي التي لا قوانين لكم بها على أن يكونوا يفاصلون كل دعوى رفعها لهم أحد من رعية الصبنيول وذوى حمايتهم على وجه الحق، بحيث لا يحتاج إلى رفع الدعوى لنائبهم، ليتكلم هو فيها حينئذ بل العامل ينصف ويفاصل من أول الأمر.

أجابت الحضرة الشريفة عن الشرط الأول الذى هو عدم مساعدة أحد من الأجناس... إلخ، بأن العقلاء أمثالكم لا يخفى عليهم أن طلب الشيء يحق إذا توفر فيه أمران، أحدهما أن يكون صدر لأجل علة يسلمها ويقتضيها نظر الصلاح، والثانى أن يكون الحاصل بالطلب مصلحة جارية على حسن النظام ليس فيها ضرر على جانب الطالب ولا على جانب المطلوب، فإذا كان الطلب مبنيًا على هذين الأمرين حسنت المساعدة عليه، لأن مصلحتها تابعة لمصلحته، وعدم مساعدة أحد من الأجناس ولو كانت غير متأنية حيث ذلك من جملة الشروط المنعقدة معهم، لكن إذا ظهر التماس العذر وقبوله من حضرته الشريفة فذاك واضح ومساواتكم له أمرها مسلم نعم أنتم أولى وأحق عند الحضرة المولوية بالله بمراعاة حق المحبة وقبول العذر وحسن الموافقة والألفة، والذى تعتقده وتستحقه منكم الحضرة الشريفة أنه لا يصدر الطلب من جانبكم إلا عن جميل لأجل جميل على وجه جميل.

وعن الشرط الثانى: وهو تعجيل فصال دعاويكم بأن فصال دعاويكم لا يقع تعطيل فيه لكونها عند الحضرة الشريفة من أهم الأمور وأكدها، نعم لا يخفى على العقلاء أمثالكم أن مطلق قضية من القضايا بين خصمين حاضرين لا يتأتى الفصل بينهما فيها إلا بعد أن يؤمر كل واحد منهما بإحضار الحجة على مقاله فيها، ويضرب له الأجل لذلك، وبعد إحضارها تصفح ويقع الحكم فى القضية بما يقتضيه الحق فيها، ولو وقع الحكم فيها بينهما قبل ذلك لوقع الحيف والظلم لأحدهما، سيما إذا كانت القضية من قبل دولة عظيمة والمدعى عليه غير حاضر،

فلا بد من الكتب لعامل المدعى عليه بإحضاره لمقابلة الدعوى ومن البحث فيها من خارج وحيثئذ يقع الحكم عليه بما يقتضيه الحق، وإن كان له مقال مؤيد بحجة مسلمة فذاك وهذا هو موجب عدم التعجيل فى فصل بعض الدعاوى.

كما أجابت أعزها الله عن التفويض للطريس بأنه مفوض له فى فصل الدعاوى التى لا يحتاج فيها إلى مراجعة الدولة، وبأن الأمر صدر بذلك للعمال قبل وأكد بهم الآن تأكيداً وجدد تجديداً، نعم بعض النواب الذى بينه وبينهم تفاهم يمتنع من الكتب لهم ويكتب للحضرة الشريفة فى جميع أموره، ودليل ذلك كون هذا البعض يكتب لها بتوجيه سفيره للحضرة الشريفة، إذ كان بصدده ونحو ذلك من الأمور التى لا يحتاج فيها النائب المذكور إلى تفويض.

وعن الشرط الثالث الذى هو تنبيه عمال المدن والبوادرى التى لا قوانين لكم بها على أن يكونوا يفاصلون الدعاوى التى يرفعها لهم من ذكر بأنها أصدرت لهم الأمر بذلك.

المطلب الثانى - طلب الإذن لحرابة الصبنيولين الذين بالحضرة الشريفة فى التوجه لحالهم للاستغناء عنهم لتعلم العسكر ما فيه كفاية.

أجابت عنه الدولة المحبة بأنها تساعد على ذلك بمجرد سفر غيرهم من الحرابة الذين هم بالحضرة المولوية من أجناس آخرين.

وأجابت الحضرة الشريفة بأن مساعدتها على ذلك من دلائل محبتها وصدقتها وسعيها فى الخير لهذه الإيالة وذلك هو الظن بها والمعروف منها وبأنها تطلب من وزير الأمور البرانية الكبلير فلان أن يجازى الدولة المحبة على ذلك على لسانها بأتم الجزاء.

المطلب الثالث - إلزام حاكم ملىية التخلّى عما زاده فى حدادتهم من أرض بنى شيكر وإبقاء الحدود على أصلها.

أجابت عنه الدولة المحبة بأن علامات الحدود القديمة لازالت موضوعة فى أماكنها المعلومة المعينة لها بموافقة الجانبين لم يحدث فيها تبديل ولا تغيير، وتطلب من الحضرة الشريفة إصدار الأمر العالى بالله للمعينين للوقوف على تمييز الحدادة بوضع خطوط أيديهم على الرسم المتضمن بيانها حالا لأنهم تعلقوا من عدم الإذن الشريف لهم فى وضع خطوط أيديهم عليه.

وكما تطلب كف قبائل الريف عن الدخول متسلحين للحدادة حذرا من الفتنة وإخراج المسلمين فى الأرض المحرمة بالحدادة، حيث يمكن ذلك لوقوع الاتفاق على عدم سكنى أحد فيها من الجانبين كما بالشروط.

أجابت الحضرة الشريفة بأن يضعوا خطوط أيديهم على رسم الحدادة، كما أصدرته لعمال قبائل الريف بكف إخوانهم عن الدخول للحدادة متسلحين، وبأن يخرجوا المسلمين الساكنين بالأرض المحرمة بالحدادة وقت إمكان، وتأتى ذلك لهم.

كما أجابت أيدها الله عما أشارت به الدولة المحبة فيما تنحسم به مادة أهل الدين الجديد من النجليز من أن الشروط تعطى السكنى لسائر الأجناس بأى بلد شاء، وما لم يحدثوا فى القوانين شيئا وهو أعظم ضرراً من الإحداث فى القوانين، ومن أن لمولانا دام علاه تعريف باشادورهم بذلك ليأمرهم بالخروج من أرضنا وإلا فإن دهمتهم مصيبة فدركهم على أنفسهم ولا حجة لكبرائهم فى الكلام عليهم لتقدم الاسترعاء بأنها مجزية بخير على الإشارة بذلك الدالة على محبتها وصدقتها، وبأنها أمرت بالكلام مع باشادورهم بذلك».

كما عقد مع إسبانيا اتفاقا على حدود مليلة المشار لها فى مسائل السفارة الرحمانية وهذا نص ذلك من أصله العربى بعد الحمدلة:

«هذه شروط الحدادة الدائرة بمليية الواقعة بتاريخ ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

على يد المكلفين من قبل الحضرة الشريفة أعزها الله، ومن قبل دولة الصبنيول
الفخيمة الواضعين أسماءهم أسفله ليقع رسم الحدادة التي رسموا في ٢٦ ينيه سنة
١٨٦٢ الموافق ٢٨ حجة سنة ١٢٧٨ :

فحضرة سلطان مراکش وحضرة سلطنة أسبانيا كلفوا المفوضين وهم من
جانب حضرة سلطان مراکش القائد العربي بن حميد الشركي، والقائد حمان
السعيدى، ومن جانب حضرة الكتولك الجنرال البر كادرضون خوسى ميرليس
كنساليس، والكماندنط دلخينروس دون اليحيوسوسى اى فرناندس دلاماسة،
والكبطان داسطاد ومايوردون، وخوان بيكاسر كنالس .

ولما أظهر بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الفصال على وفق ما
بالفصول التي سنذكرها :

فعلى جهة الشمال من عرصة محمد اقدور اشرقى بواد فرخانة، لأن فى
تلك المحل طاحت كورة المدفع الذى خرجوه من برج ببطرية الكبير على فصال
الثانى من شروط ٢٤ غشت ١٨٥٩ موافق ٢٤ محرم بالحدادة مقسومة على
جهتين، الجهة الأولى لقتت، الثانية بجهة النورط .

وعدد المواضع ما بين السور وامليلية مطروس ٢٩٠٠ فالمضروب المذكور من
قدور له درج من جهة الشرق مع إبرة البوصلة راسمة السنة درج ١٧٠٥ بين النرط
والغرب، لئلا يقع الخلاف فى هذه الخدمة بالتفويض من الجانبين تفاظلوا برشم
المواضع كل مضرب بالنمر، والذى له من شاطئ البحر جناب إلى جهة النرط
وعلى ذلك حدود الأرض السبنيولية هكذا، فمن عرصة قدور اشرقى وهو النمر
الاثنا عشر له من دج ٢٢/٥٥ وعدده مع برج بيطورة الكبير إلى جهة الشرق عند
سيدي ورياش وعدده مطروس ٤٦٠ الموضع الإحدى عشر له من درج ٢٨٠ / ١٢

وعدده مطروس ٢٨٠ بينه وبين المضرب العشرة الذى هو عن شمال واد سيدى ورياش وهكذا إلى البحر كما ذكرها

المضرب العاشر عن شمال واد سيدى ورياش له من درج ٢٨٨/٨٨ وعدده مطروس ٢٨٠

المضرب التاسع بوادى سيدى اورياش له من درج ١٣/٣٠ وعدده مطروس ٤٤٦

المضرب الثامن من طريق مزوجة وفرخانة له من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السابع فى أرض حد كهولة من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السادس فى كدية طاسدية برشاون له من درج ١٩٣/٣٣ وعدده من مطروس ٢٨٥

المضرب الخامس عن قريب عرصة لحسن له من درج ١٩/٢ وعدده من مطروس ٧٦٣

المضرب الرابع بواد سيدى محمد له من درج ٢٧٥/٤٠ وعدده من مطروس ٨٨٠

المضرب الثالث بكدية خربت اكديش له من درج ١١٢/٤٠ وعدده من مطروس ١١٠٠

المضرب الثانى بكدية أولاد العرب له من درج ١٧٦/٨١ وعدده من مطروس ٩٦٠

المضرب الأول فى رمل شاطئى البحر مقابل برج صبط باويرة . ومن مضرب الثانى عشر بعرضة قدور اشرقى الحدادة مع برج ليطورية الكبير لهما من درج ٧٧ / ٠٥ وعدده من مطروس ٦٠٠ بينه وبين :

المضرب الثالث عشر بكدية بن عمر اروياش له من درج ١٨٨ / ٦ وعدده من مطروس ٨٨٦

المضرب الرابع عشر بالواد الغارق له من درج ١٩١ / ١٥ وعدده من مطروس ٩٥٠

المضرب الخامس عشر بكدية الصباب له من درج ١٩٦ / ١٠ وعدده من مطروس ٧٦٠

المضرب السادس عشر بكدية روسطر وغردله من درج ١٦٤ / ٤٥ وعدده من مطروس ٧٠٠

المضرب السابع عشر من جرف البحر فوق المرسى الحمراء إلى الحجر الأحمر . انتهت الحدود المذكورة فى ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

خديم المقام العالى بالله العربى بن حميدة الشرقى وفقه الله ، خديم المقام العالى بالله محمد بن العربى السعيدى وفقه الله»

ثم يلى ذلك الإمضاءات مندوبى أسبانيا ثم الختم بطابع اسبانى .

وإليك نصوص بعض الوثائق فيما كان يجرى من الكلام والمذاكرات على حدود مليلية ونص الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: فقد أجبناك في غير هذا عن مطلبى باشدور اصبنيول بما تظهره له من التلطف والمدافعة بالتى هى أحسن، وأنت اعمل جهدك فى ذلك وكن عند الظن بك فى مدافعته وتأخيره عنهما بكل ما أمكنك، إذ لا يخفك ما ينشأ عن ذلك من الهرج والفتنة وتشويش قلوب المسلمين

وإن ظهر لك شىء يكون فيه إعانة لك على المدافعة والتأخر فأعلمنا به لنرى فيه، ثم إذا لم يمكن دفاع وقطعت منهم الخير بالكلية وأيست من رجوعهم عن ذلك فأجبه عن أبراج حدود مليلية بأن البلاد سلمت لهم على حدودها وما أخرناهم عن البناء فيها إلا رغبة فى طول الهناء للجانبين، وتوقيا مما يجلب موجبات الشنآن بين الدولتين المحبتين، وإلا فالأرض المسلمة لهم يفعلون فيها ما شاءوا، ودرك ما ينشأ عن ذلك محسوب عليهم وحال قبائل الريف معروف عندهم، وعدم استقامتهم وامثالهم مشهور فى جميع الآفاق، وهو يرى كيف دافعوهم عن عمل الجير والآجر والقرمود بإزاء حصنهم كما زعم فى دعواه، فكيف بالبناء.

وما علينا إلا أن نأمرهم بالتخلى لهم عن بلادهم وتخليتهم وما يريدون فيها ونكفهم عن الشر ما أمكننا، وأما المحل الذى قرب وادى نون فقد بحثنا الجوار عنه ومن له خبرة بذلك واعتناء وولوع بالأخبار والتواريخ، فأخبرنا على وجه التحقيق أن المحل المذكور قريب من الصحراء الغير الممكن فيها الأحكام، ويسمى بالعجمية صانطكروز لبكنيا وهو الذى كان بيد الصبنيول قبل هذه لمدة بنحو المائتين سنة يصطادون فيه السمك والأمر فيها سهل إن لم يصدر لهم من أهله حرج، فتأمل فى ذلك ونسلمه لهم على شروطه ومنهم إليه بحيث لا تكون علينا عهدة ولا درك فيما يلحقهم من الجيران ومن أعانهم من المتطوعين غير المخزن، وعلى كل حال فقد عرضنا عليك نظرنا فى هذا لتتظر فيه وتتأمله ولا تبدى منه إلا ما ظهر لك

مصلحته بعد التثبيت ومراجعتنا فيه والله يعينك ويرشدك ويسدّدك والسلام في ٤
ذى القعدة عام ١٢٩٣»

ونص الثاني:

«خديمنا الأَرْضِي الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله.

وبعد: فقد بلغنا أن الحاكم الذي كان بمليبية عام أول ونقل منها أعيد للولاية
بها، وجعل يوجه لجوارها من قلعية بقصد الدخول في الحماية، وطلب منهم بناء
بيوت خارج البلد لغرض لها وجعلها محلا لبيع مشروباتهم بينها وبين البلد قدر
رمى الرامى بالبندقية وجعل يبني خارج البلد وينقل لها المدافع والبارود الكثير
ويخرق القوانين ويقبل من يريد الركوب في البحر من غير تسريح عامله، والمعهود
عدم قبول أحد إلا بالتسريح، إذ ربما يكون مريد الركوب تعلقت به حقوق من قتل
أو نهب أو سرقة وعامله أدري بأفعاله وقد وجه هذا الحاكم على عامل أولاد
ستوت بقصد الكلام معه في سوق الخلفاء من هناكم فنأمرك أن تتكئ مع نائب
دولته بإلزامه الوقوف عند الشروط والقوانين الجارية، ولا يحدث أمراً ليس بمعهود
هناكم والسلام في شعبان الأبرك عام ١٢٩٨».

ونص الثالث:

«خديمنا الأَرْضِي الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور اسبانيا أعاد الشكاية بما قدمت الإعلام به
لحضرتنا الشريفة، من إضرار أهل الريف بأهل بادس والنكر ومليبية، وذكر أن
السبب في ذلك هو خديمنا القائد زيان الورياغلي حسبما في كتابه الذي وجهت،

وذكرت أنه يطلب قائدا على تلك النواحي مع ما يكفيه من الجيش، وأنت خشيت أن يصدر من أهل الريف مع جوارهم ما يكدر الخواطر حيث العامل المذكور هو الساعى فى الإفساد، وطلب الدواء النافع لذلك وصار ذلك بالبال.

فأما إضرار أهل الريف بأهل المحال المذكورة لم نرضه، وقد تكدر الخاطر عليهم من أجله فإننا لا نوافق على ما فيه خرق وضرر لمطلق الناس، وأحرى لهذه الدولة المحبة غير أنه لما وجد الحال أهل تلكم النواحي رفعوا لنا شكائهم بجوارهم أهل الحصون المذكورة قبل أن توجه شكائهم المتضمنة لسرقة حمار وربطة من الجلد ليهودى من مليلية وضرب العسة بالبارود التى جعلها حاكم مليلية على المسلمين الذين يختفون ليسرقوا اليهود الحاملين للبضائع من مليلية.

بحثنا من وجدهم الحال بحضرتنا الشريفة من هداية الريف عن ذلك، فأجابوا بأن حاكم مليلية جاد فى التحزب برعاع مزوجة وبنى شيكر الذين لا يسعون فى خير بين المسلمين والنصارى، وأراد أن يدفع لهم بلاد الحدود يحرثونها بالمنفعة وإسكانهم بالدور التى أدخلت فى الحدود الصبنيولية، وأن أرباب تلك الدور لما سمعوا بذلك أصابتهم الغيرة وإن رأوهم يتصرفون فيها لا محالة تقع الفتنة بينهم وبينهم، وهذا زائد على ما تشكو به قبل من كونه يبنى الحصون والأبراج بالحدادة ويستميل فساد القبيلة إليه حسبما قدمناه لك، وأن بقية وبنى يطفئ مشتغلون بإخراج البقر للنصارى من النكور وبادس.

وحيث منعهم العامل المذكور من ذلك ولم يساعدهم عليه رماه حاكم مليلية بما ذكر، والدليل على براءته منه طلبه من الأمين الطالب محمد بن أحمد العسرى أن يتكلم مع حاكم مليلية بكف حاكم جزيرة النكر عن المخالفة مع رعاع الناس وأجلافهم، لا سيما الرجل منهم المسمى بعبد الله المشتغل بالخوض وإيقاد نار الفتنة

بالبلاد وإنزال النصارى للمحال التى لا أمان فيها حسبما تراه فى كتابه وكتاب
الأمين المذكور طيه .

إذ لو كان يسعى فى الفساد كما ذكر حاكم ملىلية لما طلب شيئاً من ذلك كما
أجابوا عن الأقوات بأنها لا تقطع لهنالك ومن وجدوه يتعاطى ذلك يضربون على
يده، وعن العسة بأن تلکم القبائل يفرضونها على اعظامهم كل عظم يأتى بما ينوبه
منها ويمكث بها أياماً هناك، ثم ينصرف ويخلفه آخر، وعلى هذا عملهم فيها،
وأن النصارى ضربوهم بثلاث كورات وبمائة وثمانين بندفة .

وحيث كان الأمر كما ذكر تعين علينا توجيه ثقتين من جانبنا العالى بالله
يحققان ذلك وهما: خديمانا العربى بن الحسن الشركى، والنج أحمد بن أحمد بن
التهامى البقالى التطوانى للبحث فى ذلك والشهادة بما يتلقونه من أهل تلکم
النواحى من خبر ما ذكر .

وكذلك بما يروونه ولا نكره إن تكلم الباشدور بأذن لكبير ملىلية والنكور
وبادوس فى الملاقاة مع الموجهين المذكورين بقصد المشافهة والتحاق فيما عندهم
من ذلك والمفاوضة فيما يحسم مادة الشنآن بين الجانبين، ويديم الهدنة والسكينة
بينهما، وقد أذنا لهم فيها إن توافقوا معهم عليها لما فى الإذن لهم فيها بعد جوابك
لنا من التطويل، وأمرنا عمال بنى ورياغل القائد زيان والنج حدوا والنج على
بالقدوم على حضرتنا الشريفة صحبة الموجهين المشار إليهما، ليكون الكلام معهم
فى ذلك بحول الله .

وأما ما طلبه الباشدور من توجيه قائد لتلك الناحية مع ما يكفيه من الجيش،
فقد أصدرنا أمرنا الشريف لخديمانا النج محمد الفرجانى آغا عسكر العرايش بأن
يتوجه لجنادة بجميع عسكر الثغر المذكور وينزل بها مقدمة حتى ننظر فى ذلك
والسلام فى ١٤ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨ .

ونص الرابع :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور إسبانيا كتب لك بما فى كتابه الذى وجهت من أن حاكم مليلية كتب له بأن عامل بنى بو كافر امتنع من رد مسجون له فر من مليلية وبرح فى الأسواق بأن كل من دفع مسجوننا هاربا من هناك يقتل وتؤخذ أمتعته، وكذلك من لم يقتل النصارى الذين يتجاوزون الحدادة، فأجبتة عن ذلك بما فى النسخة التى وجهت ووعدته بالكتابة لناحية الريف بالسؤال عن ذلك، وإطلاع علمنا الشريف بالواقع وكتبت لأحد أمناء مليلية بما فى النسخة التى وجهت وطلبت إصدار أمرنا الشريف للعامل المذكور برد المسجون الهارب على مقتضى الشروط وإبطال التبريح المشار إليه وصار ذلك بالبال .

وقد أحسنت فيما فعلته فى ذلك كله، وأصبت فى صرف وجه الاعتناء لعلاج ذلك الداء، سددك الله . نعم، كان بلغنا ذلك قبل وأصدرنا أمرنا الشريف للعامل المذكور بما ذكر ولغيره من خدامنا عمال قلعية وأمنائهم بالبحث عن النصرانى المذكور، ودفعه لحاكمه على يد الأمناء، ووجهنا من يقف حتى يدفع له .

ومن جملة من أمر بذلك من العمال المذكورين: وصيفنا الطالب عبد الله بن أحمد فأجاب بما تقف عليه فى كتابه طيه من تكليفه بعض المرابطين الخمليشيين المسموعين الكلمة بتلك الناحية بالبحث عنه ورده لحاكمه على يد الأمناء المشار إليهم .

وأما نداء العامل المذكور فقد بلغنا أن سببه ترامى الحاكم المذكور على إخوانه وقبضه عليهم فى النصرانى الذى فر له ومن جملة من قبض عليهم أخوه، وأنه وقع من القبيلة لامن العامل لكون الأئفة من فعل الحاكم المذكور ذلك بإخوانهم

حملتهم على النداء بذلك، وها نحن آخذون فى البحث ثم إن صح أن العامل هو الذى أمر بذلك يؤدب بحول الله لأنه لم يرتكب هينا، وهذا مصداق ما أوجب به باشادورهم من أن أصل ذلك من حاكم مليية لارتكابه الأمور التى ينشأ عنها الشنآن كتوجه الفساد من أهل الريف لإسبانيا، وقبولهم فى مليية وتعرضه على أهل الجرائم، ووعدده لأهل الريف بالحرث داخل حدادتهم وغير ذلك من الأمور المفضية للهرج والمشاحنة تولى الله أمرنا وكفانا بحوله وقوته والسلام فى ٢ محرم عام ١٣٠٠».

هذا وإن لصاحب الترجمة علائق ومراسلات مع إسبانيا غير ما تقدم، وقد تداولت بينه وبين ملوكها الرسائل الودية ككتاب الفنس الثانى عشر إليه معلما باقترانه بالأميرة النمسوية مارى كريستين زوجه الثانية، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالتهنئة مع إيفاد سفارة للقيام بذلك نيابة عن جلالته.

ولما ولدت المذكورة بنتا بعث كتاباً ثانياً منبئاً بذلك فأجابته الجلالة الحسينية بالتهنئة والاستبشار بذلك. ولما تزوجت أخته الأميرة «مرياد لبس» بابن عمها الأمير «لويس فرندود بييرة» أرسل كتاباً معلناً بذلك مجدداً فيه المودة المتواصلة، فأجابه المترجم على ذلك بما ينبغى أن يجاب به.

ومن ذلك إهداء الملك المذكور للحضرة الشريفة علامة الافتخار وإرساله «إدوارد رمية يانكوس» سفيرا وواسطة بين الدولتين وجواب المترجم له عن كل من العلامة والسفارة بحلول الأولى محل القبول والكرامة، ومقابلة الثانية بما ينبغى من المبرة والاعتناء والمسرة.

ومن ذلك كتاب المترجم للملك المذكور بالشكر له ولدولته، وأعيان رجاله وأمته، على ما صدر منهم فى مال الصلح من الصبر والمجاملة واستيفائه على وجه التقاضى وحسن المعاملة، وختمهم ذلك بأحسن ختام، بالإذن فى نهوض أمنائهم

من المراسى قبل استيفاء الواجب من بعضها على التمام. وأن ذلك حقق للحضرة الشريفة ما كانت تسمعه عن المحبة وكمال الاتصال بين أسلافها الكرام، مثل سيدى محمد بن عبد الله وغيره.

ولما مات الملك الفنس الثانى عشر المذكور بعث بالتعزية فيه للحكومة الإسبانية وكتب لزوجه الملكة مارى بالتعزية فيه والتهنئة بتبوءها مكانه، لأنها عينت وصية على العرش بعده ونص ذلك بعد البسمة والحوقة والاستفتاح والطابع: «إلى المحبة المعظمة، المحترمة المفخمة. سلطنة دولة إسبانيا الفخيمة السلطنة دنى مرية كريستينة.

أما بعد حمد الله الذى لا يروعه الحمام المرقوب ولا يبيغته الأجل المكتوب. فقد بلغ لشريف علمنا أن المحب المعظم الصاحب المحترم. سلطان إسبانيا السلطان الفنس الثانى عشر مات وانتقل من هذه الدار. إلى دار المقام والقرار. فحصل لنا من الأسف على مصابه ما الله أدرى به. لأنكم أجاؤنا وجيراننا فما يسركم يسرنا. وما يكدركم يكدرنا. ونحب الخير التام لكم. ودوام صلاح نظامكم.

وبمجرد بلوغ ذلك لشريف علمنا قبل سماعنا بتوليتك فى محلة طيرنا الكتب لدولتكم على العموم بالتعزية. فى مصابه والتسلية. وأشرنا عليهم بالتثبيت فى هذا الأمر العظيم. حتى يسند الأمر فيه لأهله ويجرى على السنن المستقيم، والمقصود عندنا بذلك هو بقاء الملك فى داركم. وانتظامه وتشيد فخاره بكم. لأنكم أهله ومستحقون له ومحله، وقد تحقق ذلك القصد والحمد لله وهان علينا بعض مصابه بما بلغنا من حيازتكم لمكانته ورتبته وجلوسكم على سرير مملكته، فليرنا لكم هذا المسطور على الخصوص فى مصيبته، ودمتم محفوظين فى سربكم، ممتعين بحزبكم. وختم فى ١٧ من ربيع الأول عام ١٣٠٣».

ولما وضعت الملكة المذكورة حملها من المتوفى وكان قد تركها حاملاً منه،
وبويح المولود وسمى بالفنس ليون الثالث عشر وهو الملك الحالى كتبت إليه بذلك
فأجابها بتهنئة الدولة به والتمنى له . وكذلك كاتبها جوابا عن كتابها فى التعريف
بمقام (حسنى ديزد وكستيليو) بأشدها الجديد .

وكذلك كاتب الملك الحالى الفنس الثالث عشر جوابا عن كتابه للحضرة
الشريفة فى شأن ورود بعثة الهندسة الحربية الإسبانية كما يأتى بحول الله عند
الكلام على التنظيمات الحربية . كما كتبه فى جمادى الأولى ١٣١١ بإبداء الأسف
على الحادثة الواقعة بين أهل مليلية وقبيلة قلعية والوعد بالنظر فيها . وتدارك
قضيتها وتلافيها .

ثم لم يلبث أن قدم على حضرته الشريفة القبطان جنرال (ارسينيو مرطينس
دكمبوس) سفيراً مفوضاً لتتميم أمر الواقع من تلك القبائل الريفية فى حدود مليلية
فعومل فى تتميم ذلك بالتسهيل حتى تممه وانقلب راجعا بعقد فى ذلك الشأن
حسبما جاء فى جواب المترجم المؤرخ بثنانى رمضان ١٣١١ على الكتاب الملوكى
الذى جاء به السفير .

وكان قد وقع الفصال فى قضية أهل الريف مع مليلية على أربع ملايين من
الريال أخرج منها من بيت مال مراكش ستمائة ألف ريال ودفعت لأمناء الجديدة
ليدفعوها لنائب إسبانيا واستكمل الباقي فى الدولة العزيرية .

وكل الظهائر المذكورة موضوعاتها التى كان المترجم يبعث بها لدولة الإسبان
محفوظة ببعض مجموعات خزانتنا .

مع إيطاليا

وبعث لإيطاليا سفارة يرأسها القائد بوشتا بن البغدادي الجامعي وفي معيته الفقيه العلامة الأكتب السيد العربي المنيعي أحد كبراء الكتاب بالحضرة السلطانية وإليك نص الكتاب الوزيري الصادر فيها لوزير خارجيتها:

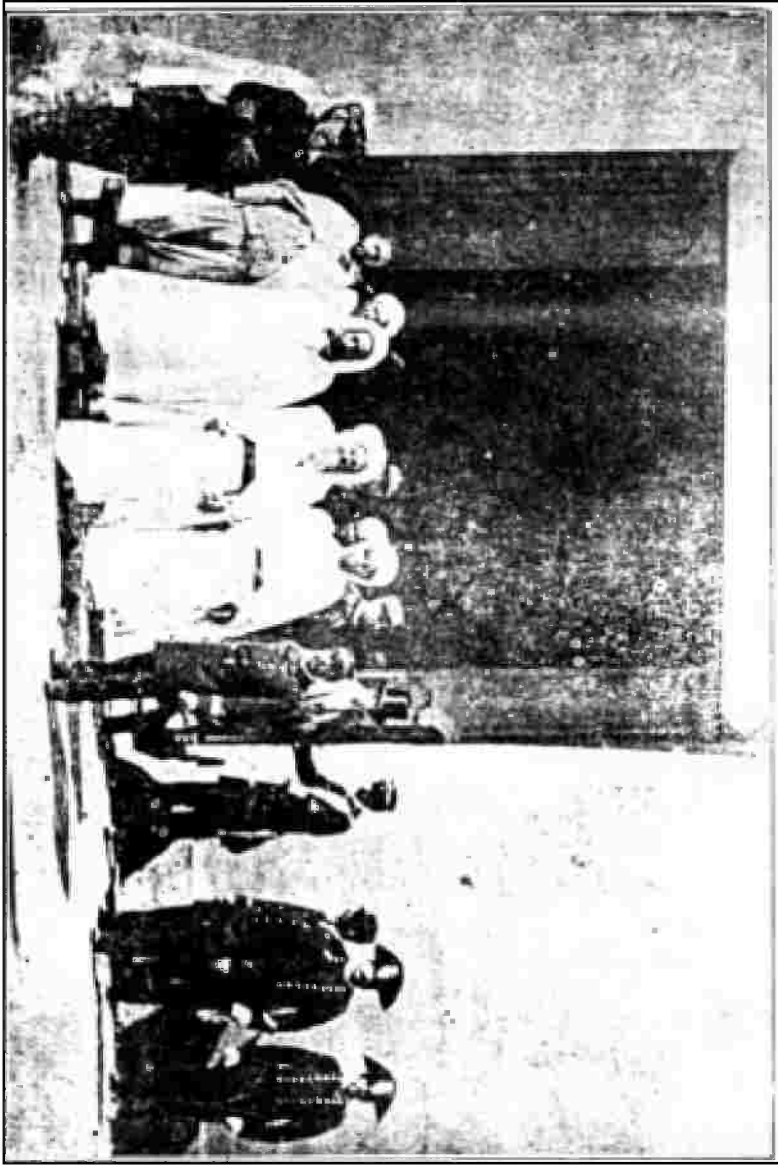
«الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عماد الدولة الطليانية الفخيمة ووزير أمورها البرانية الكبليير المعتبر المحب الذكي الأملعي الحائز بحسن التدبير. التبريز في ديوان السياسة والتصدير. صاحبنا دبرينس أما بعد: السؤال عن كافة الأحوال. ومحبة الخير لكم الدائمة التوال.

فموجبه تجديد العهد. وتأكيد الود. وإعلامكم بأن مولانا نصره الله اقتضى نظره الشريف توجيه خديمه الأرضي الأمدج الأنصح المعتبر القائد بوشتا بن البغدادي الجامعي سفيراً لدولتك الفخيمة وتعزيزه بكتاب حضرته الشريفة الأجل الفقيه السيد العربي المنيعي بقصد تجديد المحبة بين الدولتين. ومباشرة ما يزيد بحول الله في كمال الاتصال بين الجانبين.

وإنا لعلى يقين من أنك تقابله هو ومن معه بزائد القبول والمبرة في الإيراد والإصدار. حتى يرجع مقضى الأوطار. وتصلك (كمية) إكراما من عندنا فالمراد من المحب قبولها وختم في ٧ شوال عام ١٣٠٢».

وبعث لها أيضاً سفارة أخرى يرأسها القائد الكبير بن المدني الشاوي وأوفدت على جلالته الدولة الإيطالية سفيرها الكمندار (تور كنطاغلي) وإليك نص الجواب السلطاني للملك امبرتو الأول عن وصول السفير المذكور لحضرته العلية بعد البسملة والافتتاح:

«إلى المحب الملحوظ بملاحظ الإيثار. والاعتناء والاعتبار. سلطان دولة إيطاليا ذات المفاخر. والمزايا والمآثر. السلطان امبرت الأول. المعظم الأملعي الأنبل.



سفارة الحاج المعطى بن المدنى لإيطاليا

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة بأن من غاية اهتمامكم بحفظ العلاقات الاتصالية وملاحظة محبة الدولتين التى هى للتأكيد داعية . بتعيينكم للكمندار توركنطاغلى للورود على حضرتنا العلية وزير تفويض . وسفيراً بحق خالص محبتكم بمزيد التوكيد والتحضيض ، وأنكم اخترتموه لما امتاز به من الخصال الحميدة . والآراء السديدة . والثقة به فى الإجراء على ما كلف به من قبلكم ، وصرف همته للاهتمام بمقصدكم ، وطلبتم من جانبنا الشريف أن يقع عندنا موقع الاستحسان . ونثق به فيما ينهيه عنكم من الأخبار الحسان . التى مضمناها ربط دوام المحبة بين الدولتين وتحقيق أسباب المودة الكائنة بين الدولتين .

أما حفظكم للعلاقات الاتصالية ورعيكم لما بين الدولتين من المحبة والوسائل الودادية فهو أجلى من الشمس وأشهر ونحن كذلك وأكثر ، وأما تعيينكم للكمندار تور المذكور بعد انتخابكم له على الوجه المشكور ، فدليل على محبتكم ومودتكم وصدافتكم وما لكم من صدق الاهتمام . وحسن المحافظة على حق المحبة الموصولة على الدوام .

وأما ما طلبتم من الثقة به فيما ينهيه لجانبنا العالى بالله مما يتضمن ربط دوام المحبة بين الجانبين وأن يقع موقع الاستحسان ، فكل من هو ثقة لديكم وصدوق فهو عندنا كذلك ، وقد ورد لحضرتنا الشريفة وحل بها حلول تمييز واعتبار . وألفى كما عرفتم به من أوصاف الاختيار . وجرى فى امثال إرادتكم على وفق ما ظننتموه وقرر لنا من تحقيق محبتكم الثابتة ما اعتقدتموه ، وأظهرنا من الثقة به ما زاد ركن المودة تشييدا ، وعد فى مقام الاعتناء فعلا حميدا ، وقابلناه بما اقتضاه جميل المراعاة والامتياز ، وزدنا به استدلالا على بناء المحبة التى لا يعترىها اهتزاز ، ودمتم فى هناء وثروة وعافية ، مراعين للمحبة والمودة والصدقة سرا وعلائية ، وحرر فى ١٧ صفر عام ١٣٠٧ .»

وكانت له مع دولة إيطاليا علائق ودية فمن ذلك كتاب الملك امبرتو الأول إليه بالأفراح الملوكية التي أقيمت بتورين بمناسبة اقتران أخيه الأمير (اماديو فيردينودوماريادى صابويادو كة دى اوسطا) بالأميرة كارى بنت (جيرولامو نابليون) ولما أنجيت ابنا بعث مسطور الإعلام بذلك مترقبا ابتهاج الحضرة الشريفة فأجابته على ذلك بالسرور، والتهنئة والحبور، ولم يلبث الأمير الأخ المذكور أن توفى فطير أخوه الملك رسالة بنعيه وأجابته الجلالة السلطانية على ذلك بإبداء الأسف لمصابه، وسيأتى قريبا بحول الله ذكر الرسائل الوزيرية المتعلقة بالبعثة الإيطالية الحربية والمركب الحربى المصنوع بتلك الديار.

مع إنجلترا:

وقد أوفدت إليه سلطنة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند سفيرنا المنسطر (شارل اوان اسميد) وإليك نص الظهير الصادر جوابا عن سفارته بعد البسملة والافتتاح: «إلى المحبة المعظمة. المحترمة المفخمة الوارثة الرياسة عن الآباء والأجداد. السائر بها المثل فى الأعوار والأنجاد سلطنة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند المعظمة السلطنة فكطورية العزيزة البهية المنعوتة بالذكاء والنباهة والألمعية.

أما بعد حمد الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فموجب تحرير هذه السطور، لجنابكم المشكور، الإعلام بأننا لا زلنا معكم على المحبة المشيد بناؤها على أوثق أساس والمودة التى نمت منها فى أرض الصفاء الأغراس والصداقة الممتازة التى لا تنقضى مدتها والعهود الموثوقة العرى التى لا تبلى على مر الأيام والليالى جدها، ولا نزال على ذلك بحول رب العالمين. اقتداء بأسلافنا الأكرمين. وبأن المنسطر شارل اوان اسميد وفد على حضرتنا الشريفة فحمل على كاهل المبرة والإكرام. وعمول بأزيد مما يعامل به سفراء الدول العظام من الاعتناء والاعتبار والاحترام. رعيا لكونه من قبلكم. ووروده من رفيع حضرتكم. فقابل

ذلك بما لا تحبونه له ولا ترضونه فغضضنا الطرف عنه تحملا مراعاة لكم، وقابلناه بجميل المبرة اعتناء واعتبارا لجانبكم، ولا شك أنه يتحقق لكم ذلك من غيرنا كما يتحقق لكم أمره كذلك ونطلب الله أن يوفقنا لما فيه رضاه ودمتم فى هناء وعافية على أكمل الأوصاف. لاحظين لأهل المحبة والمودة بعين الإنصاف. وختم فى ٢٠ من ذى الحجة عام ١٣٠٩هـ.

وأوفدت عليه أيضا هذه المملكة العظيمة خليفة حاكم جبل طارق مصحوبا بالفيل هدية إليه وجيء به بحرا لطنجة يقوده رجال من أهل الهند، ومنها أتوا به برا للحضرة الشريفة فلاحقوا بها مخيمة بجيوشها بين أعراب السهول وحصين وبين برابر زمور فى أثناء الوجهة المولوية من مراكش لفاس فأمر السلطان بنزولهم ونفذ لهم المؤنة ومن الغد أمرهم بإحضاره فاصطفت لذلك الجنود وحضر سائر العمال والأعيان والرؤساء والقواد، وقدم للسلطان وعلى قفاه هندی يروضه ويلقنه، فصار يشير للسلطان ويتقدم ويتأخر ويبرك ويقعد، وصدر الأمر الشريف بإحضار الطعام له والشراب بعد نزع زيه وسريه فاختلف وارتشف، ثم طفق يغتسل بخرطومه ثم انتهت الحفلة بإطلاق المدافع، وإليك نص الظهير الصادر من الجلالة السلطانية جوابا عن وصول ذلك وحلوله محل القبول بعد البسملة والافتتاح:

«إلى المحبة العظيمة. المحترمة الفخيمة. العزيزة العيطموس المعظمة فى النفوس. الوارثة الرياسة عن الأب والجد. السائر بها المثل فى الغور والنجد. سلطنة دولة كرنى ابريطن وانبرير الهند السلطنة بكطورية. المنعوتة بالذكاء والألمعية.

أما بعد حمد الله العظيم الذى لا إله إلا هو العلى الكريم. فموجب تحرير هذه السطور. لجانبكم المشكور. هو تجديد عهد المحبة. والمودة والصحة التى

توارثها الأخلاف عن الأسلاف . ولا تزال بحول الله ثابتة راسخة جارية على منهج الاتصال والائتلاف . والإعلام بوصول خليفة حاكم جبل طارق وصول خير وهناء . فأحللناه محل الترحيب والاعتناء . واستروحنا من وروده مصحوبا بالفيل الوسيم . تحفة من جنابكم الفخيم . مسرة واحتفالا . وعددناه على رسوخ المحبة حجة واستدلالا . وأكد الخليفة المذكور ما فى الاعتقاد من محبتكم فأبدى ، وبين جميل مراعاتكم فأحسن وأدى ، وشيد من عهود الخير والاتصال ما ثبت أساسه ، ونمت فى روضة المصادقة غراسه ، وزاد بورود الفيل المذكور تصحيحات وتثبيتات لمن كان يجهل ذلك ، وتشيدا لتلك المحبة وتأكيدا لرعايتها وتبيينا لفخامة دولتكم وضخامتها ، إن الهدايا على قدر مهديها .

وحصل به لحضرتنا الشريفة من السرور والنشاط ما يحق به الاغتباط ، وصادف وروده جل عمال القبائل مجتمعين ، بالمحل الذى كنا به بمحلتنا السعيدة مخيمين . فى اليوم من محرم التاسع والعشرين ، فحضرنا ساعة دفع الخليفة المذكور له هيئته الجليلة وحليته الجميلة ، كما حضر لذلك الرؤساء والأعيان ، وكبراء الديوان . وكان ذلك مشهدا عظيما فى الانتظام والانعقاد ، ومحفلا مثل محافل الأعياد ، وأظهرت الرعاية من مخايل النشاط . ما وفى بحق السرور والانبساط . لكونه تحفة غريبة . وخلقة عجيبة . لم تعهد عند أهل هذا القطر ، فى هذا العصر ، حتى إن فقهاء حضرتنا الشريفة وأدباءها جعلوا فى محاسن الفيل . ومشهده الجليل . قصائد فائقة . وأشعارا رائقة . وتآليف متناسقة .

وها البعض من ذلك يصل جنابكم الفخيم . والباقى حيث يكمل يوجه لكم لتعرفوا منها ما حصل من مظاهر الفرح العميم ، وذلك كله اعتناء بهذه المزية التى أتحفتهم بها حضرتنا العالية واهتمام بشأنها . وتنويه بأمرها . لكونها برهانا على ثبوت المحبة ودوامها والمودة المعظم بين الجانبين على مقامها لا زالت كذلك

مستمرة الاتصال والتجديد ودامت دولتكم الفخيمة فى خير دائم وهناء مزيد، ولا
برحتم ملحوظين بعين الرعاية والاعتبار والعناية وحرر فى ٢٥ من ربيع الثانى عام
١٣٠٩».

ومن المؤلفات التى وضعت فى هذا الفيل المشار لها فى هذا الظهير مقامة
لقاضى مكناسة خليل الخالدى سيأتى ذكر فصل منها فى ترجمته ورسالة النفائس
الإبريزية فى هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة النجليزية للفقير الكاتب السيد
أحمد بن عبد الواحد بن المواز ذكر أنه أنشأها بأمر شريف بمشافهة وزير الحضرة
العالية السيد محمد بن أحمد الصنهاجى، والسراج الوهاج والكوكب المنير من سنا
صاحب التاج مولانا الحسن الأمير لصديقنا مؤرخ سلا السيد محمد بن على
الدكالى، والرسائل الثلاث محفوظة بخزانتنا وكلها بخطوط مؤلفيها.

مع ألمانيا:

ووجه للدولة الألمانية سفارة يرأسها خديمه الطيب بن هيمة عامل ثغر آسفى
وعبد السلام بن رشيد ووجه لها سنة ١٣٠٢ الحاج محمد بركاش ولد النائب مع
بعثة الطلبة الحربية حسبما يأتى الظهير الشريف الصادر فى ذلك الشأن.

ولما مات الإمبراطور فريدريك أرسل ولده غليوم مسطورا للحضرة الشريفة
بنعيه فأجابته على ذلك بالأسف لمصابه وتهنئة الولد المذكور بحيازته رياسة أبيه،
وأنها ستسير معه على ما كانت عليه أيام والده من المودة والصحة، وأنها بصدد
توجيه سفير برسم النيابة عن جانبها العالى فى التسلية والتهنئة.

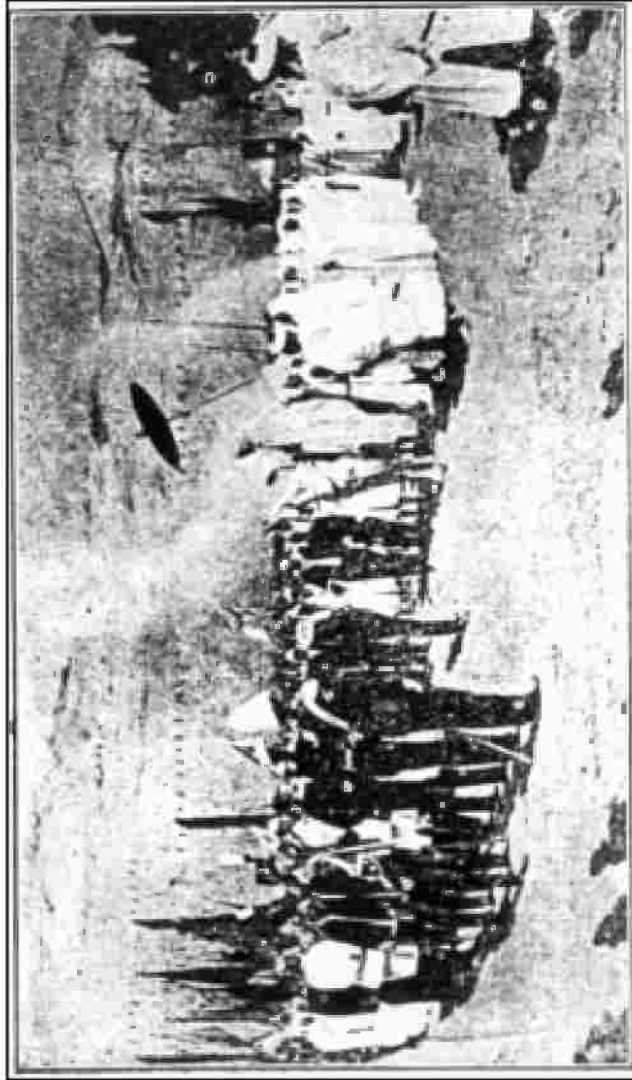
وفى رجب ١٣٠٤ أرسل ظهيرا للإمبراطور غليوم جوابا عن كتابه الوارد فى
شأن مرض سفيره (الرزيدنت تستا) بالألم الثقيل الذى اقتضى تأخيريه عن النيابة
عن دولته ولما ورد بدله بالكتاب الإمبراطورى الصادر باعتماده أجابته على ذلك بما
نصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح والطابع:

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، الحائز التبريز والتصدير فى ديوان
الرياسة، المنعوت بحسن التدبير والسياسة، والأوصاف المحمودة والسعى المشكور
سلطان دولة الالمانيا والبروس السلطان كليوم اميرطور.

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم فقد ورد على حضرتنا
الشريفة كتابكم المشيد من تجديد العهود أركاننا، المترجم عن تقرير الاتصالات
لسانا، منبئا بما اقتضته آراؤكم ووقع عليه اختياركم من استعمال المنيسطر طراورس
بطنجة عوضا عن المنيسطر الرزديط تستا لما ثبت لديكم فيه من الأهلية، والاتصاف
بالمحامد الجليلة ولما أظهرته مراتب خدمته من الثقة، والمساعى السديدة المنتسقة
وأشترتم بملاحظة رتبته بعين الاعتناء، واستماع أقواله المجددة لطيب الثناء،
وتصديقه بالثقة فيما يذكره عن جنابكم ومعاملته من الفرح بما يستدعيه حسن
مقاصدكم.

أما استعمالكم إياه فى هذه الرتبة الجديدة، وإيثاركم له بهذه المنحة الحميدة.
فلا شك عندنا أنه من حسن آرائكم معدود. ومن اجتهادكم فيما تحصل به أعمال
الصلاح غاية المقصود، لما تقرر لدينا من محبتكم التى لم يزل غصنها ناضرا
وروض عهودها بنسيم التجديد زاهرا.

وأما تنيهكم لنا عليه فقد استفتحتم به منا عيون الملاحظة المستلزمة لحسن
القبول، وتأكيد المحافظة فمرحبا به وبكل من يأتى من جانبكم، واختياركم له على
الوصف المذكور دليل على محبتكم وصدقتكم وسعيكم المبرور، وهو عندنا
مصدق معامل بما تعهدونه من مقتضيات الجميل، والاعتناء الذى هو بدوام
الاتصال بين الجانبين كفيل، ودمتم ملحوظين بعين التوقير والاحترام، من الخاص
والعام فائزين بمزيد الفخامة والثروة والضخامة وختم فى ٧ ربيع الأول عام
١٣٠٥.



السلطان مولای الحسن یستقبل باشدور آلمانیا

مع الدولة العثمانية:

وإليك نص ما كتبه وزير خارجية الدولة العثمانية لوزير الخارجية الحسنية طالبا إنشاء سفارة عثمانية بطنجة بلفظه:

باب عالی

دائرة خارجية

مكتوبى قلمى

عدد

من ناظر خارجية الدولة العلية العثمانية لجانب الأجل الأكمل الأفضل ناظر خارجية حكومة فاس الفخيمة المحترم.

إنه لما كان تأييد وتزويد الحب والوداد، وتأييد المخالصة والاتحاد الجارين بالطبع فيما بين الدولة العلية وحكومة فاس الفخيمة، ووقاية منافع الطرفين هو قصارى مرغوب السلطنة السنية وجل مبتغاها، وكان الحصول على هذا المقصد موقوفا على أن يكون لكل من الحكومتين الفخيمتين ونواياهما الخالصة.

ولا مرء بأن شهامة حكمدار فاس الأفخم سيتكرم بالاشتراك مع الدولة العلية بما عندها من خالص الفكر والنية بتشديد أس المخادنة والمصافاة، وتأييد بنیان المخالصة والمناسبات، وبما أن السلطنة السنية ترغب فى تشكيل هيئة سفارة فى طنجة مركز الحكمدارية الفخيمة الفاسية، فالتمنى إذا صرف جل الهمم العلية باستحصال موافقة حضرة الحكمدار المشار إليه بحصول هذا المطلب المؤدى لتأييد دعامة المصافاة وتشديد أركان الصلّات فيما بين الحكومتين والتكرم بإفادة عاجزكم عما يحسن بهذا الباب هذا مع إبراز شعائر الإخلاص لمكارمكم وأدام الله بقاءكم أفندم.

فى ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ وزير الخارجية للدولة العلية العثمانية

(ختم) محمد سعيد»

وكان جواب الخارجية الحسنية عن أمرها أنها رأت من ملاحظة حق الأخوة فى الدين أن لا تفتقر لإحداث وسيلة فى جانب الوداد، ورأت من اعتبار مراحم الإسلام فى الوصلة إجرائها مجرى الاتحاد يقينا بأن نعمة هذه الأخوة لا يقبل حكمها التشكيك، ولا يطرق مركبه تفكيك، فلا داعى لتنزيل جانبها منزلة ملل الاختلاف، حتى تحتاج لنصب وسائط تمهيد الائتلاف، ولتفهم القواعد والقوانين والأعراف، لأن من المقرر المعلوم أن المقتضى لذلك هو ضرورة المعاملات، المتوقفة على المفاوضة بين الأجناس المحتاجة لبيان الاصطلاحات واللغات، وذلك منتف فى أهل الملة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، لاتحاد جميعهم فى أصول الأحكام والأعراف الشرعية واتفقهم فى سلوك المساعى الصالحة على متابعة السيرة السنية.

وبأن أسلافه وأسلافكم رحم الله الجميع وقدس أرواحهم كان بينهم ما هو مشهور عند الخاص والعام، من المحبة والمودة والاتصال التام حسبما تضمنته مكاتيبهم المظنونة الوجود فى ذخائر الدولة العثمانية السنية، وأنه أيدته الله مع الدولة المعظمة على آثار أسلافه الأكرمين.

وكان شيخ الإسلام بالدولة العثمانية قد خاطب قبل هذا أبا عمران موسى ابن أحمد بإذن السلطان عبد الحميد راغبا فيما يؤدى للتواصل والاتحاد ومجددا عهد الآباء والأجداد ونص كتابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وأصلى وأسلم على نبيه الهادى إلى سواء السبيل المستقيم، أما والذى أولاك الرأى المستقيم، والفكر المصيب القويم، وولاك الوزارة التى إذا حملق النجيد، وصلصل الحديد، وبلغت الأنفس الوريد، اعتصم بحقوها فى الممالك المغربية من الأبطال الصارخة، اعتصام الوعول بذرى القلل

الشامخة، وذدت عنهم كماء الرجال ذود العوزم عن الأشوال، وصرت بها عصمة الهوالك، إذا شبهت الأعجاز بالحوارك، وأفريت أديم كل كمي احتقارا له بالأزميل، وخبطت إليهم خبط السرحان نقد الغنم الذليل، وحفظت كلام العجاج، وأطفأت نار الهياج، إذا غصت الأفواه، وذبلت الشفاه.

فما استللت سيفك مذ حزتها إلا أغمدته في جثمان بطل، أو شوامت جمل، فكنت للشائنين الزعاف الممقر والليث... رر قد انقطع لسان قلمي عن تحرير مزاياك، وقصر فكري عن النظر إلى صور فضائلك المصورة من مزاياك، فلويت زمام يراعى إلى المطلوب عجزا عن ذلك الوصف المرغوب.

أما بعد إهداء السلام المقرون بالتكريم والتبجيل، والتحية المحفوفة بالتجليل: فالذى أعلم به الوزير الأعظم، والمشير الأفخم، صاحب السيف والقلم المشهور بالرأى الأتم، الذى طرز بساط السلطنة المغربية بطراز تدايره المصيبة، وأظهر عدل مولاه بحسن سيرته الخالصة عن كل معيبة، أعنى به حضرة السيد موسى نجل المرحوم السيد أحمد وفقه الله تعالى إلى ما يكون موجبا فى الدارين لأن يحمد، هو أنه من المفهوم بديهية لدى كل ذى رأى صحيح ومن المعلوم ضرورة بحيث لا يحتاج إلى نظر فى التوضيح، أن مدار قوة الأمة المحمدية وصولتها على سائر الملل الردية، إنما هو اتحاد جميع أفرادها الموجودة فى كرة الأرض وتشابك الأيدي منها بالقبض ولاسيما عند تعاضد المشركين، وقوة أعداء الدين، كما نشاهد وتسمعونه ممن لهم فى هذا الزمان من الصولة الباهرة، والجولة والشدة القاهرة، المؤدية بحسب المأل إلى الفتك بجميع ما للأمة المحمدية من الأفراد، وإن كانوا فى أقصى البلاد.

فبناء على هذا قد تجاسرت على الاستئذان من المولى العارف بالله، والمتوجه بكله إلى طاعة مولاه، السلطان الأعظم والخاقان الأجل المحترم، وارث الخلافة الكبرى، عن آباءه الخلفاء بالاستحقاق أمير المؤمنين بالاتفاق، مولانا وإمامنا إمام

المسلمين السلطان عبد الحميد خان ابن المرحوم المبرور الغازى السلطان عبد المجيد خان نصره الرحمن وأيد جنوده وحزبه أينما كان، آمين .

بتحريرى إلى حضرتكم ما يورث التواصل بيننا وبينكم، ويقتضى الاتحاد الحقيقى معكم كما كان التواصل بين جد سلطاننا المشار إليه بالقلم والبنان، وبين والد سلطانكم الشريف المعظم الشان، اقتداءً بجنابه العالى، الذى هو عن شوائب النقص خالى، حيث أرسل مالكة الوداد إلى سلطانكم المعظم الموجبة للاتحاد .

هذا والمأمول من شيمكم الدينية، وغيرتكم المقرونة بصلافة الحمية، بعد وصول ألوكة الإخلاص، ومألكة المحبة والاختصاص، أن تعرضوا مضمونها إلى أُسْكُفَّة^(١) السلطان الشريف المعظم، صاحب المفاخر الهاشمية والشرف المكرم، الذى ورث المجد والسلطنة والمعالي عن آبائه السلاطين العظام، وحاز علو الشأن والمقام، سلطان الممالك المغربية، صانها الله تعالى عن كل مصيبة وبليّة، سيدنا السلطان حسن، وفقه الله تعالى إلى كل أمر حسن، وأدام سلطنته وخلد ملكه آمين .

هذا ولاعتما دنا على العالم الفاضل السيد إبراهيم السنوسى المعلوم لديكم، حملناه هذه الرسالة ليبلغها إليكم وليبلغ ما يقتضى التبليغ شفاها باللسان وعليكم السلام فى المبدأ والختام، فى غرة شهر ربيع الأول الأتور سنة أربع وتسعين ومائتين وألف .

شيخ الإسلام ومفتى الأنام بممالك الدولة
العالية العثمانية حميت عن الآفات والبليّة
السيد حسن خير الله عفا عنه مولاه»

(١) فى الوسيط: الأسكفة: عتبة الباب. ومن العين: جفنها الأسفل .

مع البرتقال

وأوفدت عليه الدولة البرتغالية (خسى دنيل كلاص) سفيرا مزودا بكتاب صادر من الملك لويز ونص الظهير الذى أجيب به بعد الحمدة والحوقة... إلخ.
«إلى المحب المعظم المحترم المملحوظ بتلاخط الإيثار والاعتناء والاعتبار سلطان دولة البردقيز السلطان لويز.

أما بَعْدَ حَمْدِ اللّهِ المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة منبئًا بتوجيهكم المنيسطر العاقل خسى دنيل كلاص لحضرتنا العالفة بقصد تجديد المحبة والمودة بين الجانبين المحبين، فقد ورد وقوبل بمزيد القبول والبرور، والاعتناء فى الورود والصدور، وتلاقى بجانبنا العالى بالله وشافه بما لكم من جميل الاعتقاد، ومزيد المحبة والوداد، وبما يزيد فى الصداقة والخير بين الإيالتين، والاتصال والموالة بين الدولتين، ونحن معكم على معهود المحبة الخاصة التى توارثها الأخطاف عن الأسلاف، التى لا يعترها شك ولا خطاف، ودمتم كما تحبون ممتعين بما يلىق بكم مما تأملون وختم فى ١٦ شوال عام ١٣٠٦».

ولما مات الملك المذكور وجه لدولته سفارة يرأسها القائد محمد بن أحمد المؤذن السرغينى، ويعززه الأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة، والكاتب السيد العربى المنيعى لتتهنئة ملكها الجديد كارلوس الأول بتبوء العرش، ودونك نص الكتاب الصادر فيها من الجلالة السلطانية بعد الحمدة والحوقة والافتتاح:

«إلى المحب المملحوظ بملامح التوقير والاحترام، والأثرة والاعتبار والاكرام، سلطان دولة البرطغال، المنعت بحميد الخصال، المعظم فى الأنفس، السلطان (كرلس).

أما بَعْدَ حَمْدِ اللّهِ الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فقد بلغ لشريف علمنا، ما دعا إلى الهنا، وشيد فى القلوب ما بنى، وجدد للسرور أسبابا، وأزال

عن النفوس ارتيابا من حيازتكم لمكانة والدكم ورتبته وجلوosكم على منصة مملكته، وتشيدكم لأركان فخاره، وتعميركم لداره، وحلول الملك فى أهله، ولم يخرج عن فرعه وأصله لأن الأشجار لا تثمر إلا فى مواطنها، وأصناف الأحجار لا تنبت إلا فى معادنها، والعين لا يبصر فيها إلا سوادها، والأجساد لا تقومها إلا أرواحها.

وحيث كانت عهدو المحبة بين الجانبين ملحوظة، وحقوقها مصونة محفوظة، اقتضى ذلك أن وجهنا خديمنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح القائد محمد بن أحمد بن المؤذن السريغنى سفيرا إليكم بقصد تهنتكم بهذه المسرة، لأنكم أحياءنا نحب لكم دوام الهناء وخيره، وبعد أن انتخبناه من خدام أعتابنا الشريفة الراسخين القدم فى الخدمة خلفا عن سلف، ومن بيوتات المجد التى ليس فيها مختلف وحملناه ما يؤديه إليكم مما يكون سببا بحول الله لتأكيد المحبة، وزيادة المودة، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنجد الأنصح الأرشد الطالب العربى المنيعى، وبخديمنا الأرضى الأنجد الأمين الطالب محمد بن عبد الرحمن بربشة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه بمزيد المسرة والقبول، وتبلغونهم من الاعتناء غاية المأمول، وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه، وفى كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالى بالله، من جميل الاعتقاد وكامل الوداد، مما يزيد محبة الدولتين تجديدا ورسوخا وتأكيداً ونحن معكم على ما كنا عليه أيام والدكم وأكثر من المحبة والصدقة التى لا تتبدل ولا تتغير.

ودمتم رافلين فى حلل التهانى، ممتعين بما يليق بكم من الأمانى، وختم فى

٢٢ من ربيع الثانى عام ١٣٠٧هـ.

(خسى دنيل كلاص)

وفى هذا التاريخ نفسه بعث للملك المذكور ظهيرا أجابه فيه عن كتابه الذى أرسله فى إقرار السفير البرتغالى الذى كان فى حياة سلفه على خدمته التى كان عليها.

مع أميريكيا:

وكانت له مع جمهورية أميريكيا علائق ومراسلات، فمن ذلك كتاب الرئيس هارسون إليه منبثا بتأخير القنصل لويز عن خدمته بالإيالة السعيدة وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك سنة ١٣٠٧، ومن ذلك مسطور الرئيس المذكور للجناب العالى منبثا بتوجيه نائبه (فلكيز ماطيوس) الذى كان قبل لويز ثم رجع بعده نائبا جديداً فى المملكة السعيدة مشيراً فيه بحمايته فى مدة خدمته، وإعانتته على أمور التجارة بين الرعيتين، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالترحيب بالنائب المذكور والوعد بإحلاله محله من الاعتبار والبرور، فى الورود والصدور، رعيًا لتلك الإشارة وعملا بمقتضى المحبة والمودة بين الدولتين.

وسياتى بحول الله ذكر إباحته الوسق لهذه الدولة المريكانية مثل ما أباحه لغيرها من بعض الدول.

مع البلجيك

وإليك نص ما كتبه لملك البلجيك ليبولد الثانى جوابا عن كتابه فى نعى ولد أخيه بعد البسمة والحوقلة والافتتاح.

«إلى المحب المعظم، الموقر المحترم، الملحوظ بملاحظ الإيثار والاعتناء والاعتبار، سلطان دولة البلجيك الذى تأسست محبته على أوثق المباني، السلطان المفخم ليبولد الثانى.

أما بعدَ حَمْدِ اللهِ الدائمِ البقاءِ، الذى لا يلحقه الفناء، فقد وصل لحضرتنا الشريفة كتابكم المنبئ بما أثر فى الخواطر، ووقع موقعا فى القلوب والضمائر، من ارتحال ولد أخيكم بريسبى مملكة بودين ولد الجناب السلطانى لى كنط والكنطيس دى فلندرت من هذه الدار الفانية، وانتقاله إلى الدار الباقية، وشربه كأس المنية، الذى تذوقه جميع البرية، فى التاريخ الذى بيتتم وإعلامكم بذلك على جنابنا، لما ثبت لديكم من محبتنا، فلم تأخذوا من مصابه إلا حظكم، ومن الأسف عليه إلا نصيبكم، لأنكم أحباؤنا، فما يسركم يسرنا، وما يكدركم يكدرنا، ولينخف عنكم ما حدث من رزئه كون هذه الحياة السارية فى الجسوم، إنما هى مستعارة لا تدوم، وتنقضى لأجل معلوم، فلا حدث حادث بعد هذا بناحيتمكم، ودامت السلامة من كل آفة لساحتكم، ولا زالت دولتكم بعين الاعتبار ملحوظة، ولا برحت عهود المحبة بيننا وبينكم محفوظة، وختم فى ٢٨ من ذى القعدة عام ١٣٠٨».

مع البابا

وأوفد على رئيس أساقفة النصرانية وحبرهم الأعظم البابا ليون الثالث عشر، سفارة يرؤسها القائد عبد الصادق الريفى، وفى معيته العلامة أبو العباس أحمد السكرودى أحد أعيان كتاب الحضرة الشريفة، وبرفقتهما «البدرى خوسى لرجونادى» الراهب الإسبانى بقصد تهنئته بعيدة الخمسينى، وإليك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد البسملة والحوقلة والاستفتاح.

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، رئيس أساقفة الملة النصرانية الجالس على كرسى الحوارية، لقضاء الدعاوى الدينية، الذى اشتهر علمه وانتشر، البابا ليون الثالث عشر.

أما بعد حَمْدِ اللهِ الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فمن المعلوم عند الناس، والخاص والعام من الأجناس، أن أسلافنا المقدسين ملوك المغرب كان بينهم

وبين الرهبان البابا ليون رؤساء الرهبنة الفرنسيسكانية مزيد المحبة، والمودة والصحبة، حتى إنهم كانوا أعطوهم الحرية وإباحة السكنى حيث النصارى، وكانوا يعاملونهم ويعينوهم على أمور دينهم، ونحن بحول الله على آثار أسلافنا رحمهم الله فى معاملتهم بذلك، واقتضى نظرنا الشريف إعلامكم أيها المحب بهذا لما ينهى من محاسنكم وفضلكم إلينا، ويتلى من شهرة وصفكم بالخير والحق والعلم لدينا، وبمزيد محبتكم وبمزيد صحبتكم فى المحبة المفخمة، سلطنة دولة إسبانيا المعظمة، وأن نعطوكم أمانة ودليلا على محبتنا ومودتنا، ونوجه لكم سفيرا من شريف حضرتنا كما يوجه سائر ملوك الدول سفراءهم لعندكم برومة ليحضروا عيدكم، ويهنوا جانبكم بما من به الله القادر عليكم من بلوغ فقاهتكم إلى خمسين سنة.

فاخترنا لذلك خديما الأرضى الأنجد الأنصح القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنبيل الطالب أحمد الكردودى، وعينا لمرافقتهم الأفاقى البدرى خوسى لرجونادى كبير الرهبان الصببوليين الذى هو عزيز عندنا لأنه رافق غير مرة سفراءنا للدولة الصببولية المحبة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون سفيرنا المذكور، ومن معه بمثل ما تقابل به مجادتكم سفراء الأجناس المحبين من الاعتناء والبرور، فى الورود والصدور، وتصدقونه فيما يذكره لكم عنا من المحبة والمودة، ودمتم فى سرور وهناء، ملحوظين بعين الاعتبار والاعتناء، وختم فى ١٢ من ربيع الثانى عام ١٣٠٥ .»

وحيث أتينا على كثير من علائقه السياسية مع ملوك الدول ورؤسائها بين التفصيل والإجمال، ناسب أن نذيل على ذلك ببعض الظواهر الشارحة لما كان يقع مع نواب تلك الدول من الأخذ والرد والمراجعة والمباحثة تنميا للفائدة وإظهاراً لما خفى، وبيانا لمكانة المترجم السياسية.

ونص أولها وهو يتعلق بدعوى مغربية على حكومة الجزائر بعد الحملة والصلاة والطابع الصغير.

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد اشتكى علينا مرابط اسمه ديدى الفيلالى بأنه كان قافلا من تلمسان فى شعبان الفارط فى رفقة وباتوا بماكورة من بلاد أولاد نهار من إيالة الرومى، فهجم عليهم قرب العشاء نحو ثلاثين من اللصوص وضربوهم بالبارود، وقتلوا من أهل الرفقة رجلا من دادس وجرحوا سبعة ونهبوا جميعها حتى الثياب كانوا ينزعونها من ظهور أهلها ما عدا البهائم فلم يأخذوها، والذى ضاع له ست وستون مائة ريال عينا، وسلعة قيمتها خمسمائة ريال وثمانون ريالا، ولولده الصديق مائتان وعشرون ريالا، ولأخيه البشير ثمان عشرة مائة ريال، ولرجل من أعراب تزيمة كان مضافا له خمسون ريالا .

واشتكى على حكاهم وعلى خديمتنا القائد بوشتى بن البغدادى، وكتب لهم أيضا فجعلوا يواعدونه بالبحث عن المفسدين وبالكتب لوالى الجزائر ونحو ذلك، فلم يحصل على طائل، وهذه دعوى كبيرة لا تكاد تخفى عليهم لاسيما مع تكلم البارود والقتل والجرح، ولا شك أن أهل المحل هم المؤاخذون بما يقع فيه منهم أو من غيرهم، لأنه فى عهدتهم .

وعليه فنأمر بالكلام مع باشادورهم فى هذه القضية ليأمر حكاهم بالغرم له ولمن معه فى جميع ما ضاع لهم، والسلام فى ٦ صفر الخير عام ١٢٩٤ .»

ونص الثانى وهو متعلق بيهودى متفرنس :

«خليفة خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فإن يهوديا من مكناسة الزيتون اسمه مير بن موسى كوهين تعدى طوده وحده واستعمل فى الترامى على الناس والجسارة عليهم جهده، وصدرت منه

أفعال شنيعة، وأمور فظيعة، وصار يتهدد على الناس بالحديد ويبدئ في الهجوم عليهم ويعيد، ومن جملة ذلك أنه هجم على محتسب مكناش، ودخل عليه للمحل المعد للأحكام المخزنية هو ويهودى آخر، وتهدد عليه وأغلظ له في القول وسبه وسب أصحابه وذلك بمرأى ومسمع من جماعة الناس، حسبما تراه في الشهادة طيه، فانظر هذه الأفعال الصادرة من اليهود، ومع ذلك يتظلمون ويتشكون بعدم وقوع الحق لهم وعليه فنأمرك أن تعرف باشدور الفرنصيص بذلك وتكلمه بكفه وتأديبه على تجاسره على الحاكم المذكور، فإن الإغضاء عنه يجرى أمثاله على التجاسر على الحكام، ويؤدى إلى انحلال عرى الإحكام والسلام فى ٢٦ جمدى الثانية عام ١٢٩٧».

ونص الثالث فى مكافأة فرنسا لبعض المغاربة بأوسمة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن نائب الفرنصيص كتب لك بأن وزير الأمور البرانية بدولته أخبر البريزدان راي البوبلكان بما صدر من عامل الدار البيضاء وكبيرى مرساها من الاعتناء، والوقوف فى إنقاذ بحرية البابور الفرانصيصى الذى حرث من الغرق، فوجه البريزدان المذكور نيشانا من الذهب للعامل المذكور، ونيشانين فضة لكبيرى المرسى مجازاة على ذلك حسبما فى كتابه الذى وجهت مع نسخة مما أجبته به، وصار ذلك بالبال وها النياشين المذكورة تصلك فادفعها لهم، والسلام فى ١٩ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨».

ونص الرابع فى قضية المخالط لنائب إسبانيا:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف أن رجلا مديونيا صهرا لعامل مديونة تجراً فبدا له فابتنى قصرا وبداخله دارا بالساحل بأولاد جرار قرب مرسى هنالك بينها وبينه نحو ربع ساعة، وبينهما وبين مرسى الدار البيضاء ثلاث ساعات، وحيث كان البناء فى ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الإضرار بالمرسى من وجوه لا تخفأك مع كون الساحل محرما لا يشغل ببناء، ولا بنزول ولا بنحو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد، فأصدرنا أمرنا الشريف بهدم ذلك البناء وإعفاء أثره، ثم ذكر لنا أن ذلك الصهر له مخالطة مع قنصل إسبانيا بالدار البيضاء، فكتبنا لخليفة العامل هنالك وأسندنا له أمور الهدم وفق ما صدر للمديونى ليكون على بصيرة فيما يعرض من الكلام مع ذلك القنصو، وأعلمناك لتكون على بال، وتتكلم مع الباشادور هنالك فى القضية والسلام فى ٢٩ محرم الحرام عام ١٢٩٩».

ونص الخامس فى شأن ورود أمير روسى للمغرب وما قوبل به من الإجلال والتكريم.

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن خديمتنا عامل طنجة كتب لك بما فى كتابه الذى وجهت من أن باشدور إسبانيا استكتبه لحضرتنا الشريفة بأن ولد سلطان الموسك، ورد على يده قاصدا التوجه لحضرتنا العالية بالله، وذكرت أن لا خبر عندك به من وجهة أخرى، وأنه ورد عليك هو وزوجته واستفهمته عن المقصود من وروده، فذكر أنه ورد بقصد الجولان، وتلمحت منه أنه يريد زيارة جنابنا الشريف وأشرت بمقابلته بما يقابل به أبناء الملوك أمثاله، فقد ورد وتلقى له كبراء الجيش والعسكر وعامل البلد عند دخوله، وقوبل بما ينبغى أن يقابل به، وأكرم هو وزوجته.

وطلب التوجه للجزائر على آزمور، والدار البيضاء، والرباط، ومكناس، وفاس، ووعدة، فسوعد ومكن من مكاتب لعمال المحال المذكورة والقبائل التي يمر عليها بالكون على بال منه، والقيام بشئونه مؤنة وعلفا وحراسة حتى يخرج من ترابهم وتوجه بسلام، والسلام في ٢٧ صفر عام ١٢٩٩».

ونص السادس في قضية إسباني:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا ورد عليك بتقييد تضمن أناسا من الذين ضربوا الصبنيولي الهالك زيادة على العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاي إسماعيل محمد بن قاسم لتكتب بالقبض عليهم، وطلب منك بيانا بأسماء هؤلاء العشرة فأجبت بأن من ليس في تقييده من العشرة المشار إليهم يسرح، فأجابك بأن لا يسرح أحد منهم ذاكراً أن الولاة ما قبضوا عليهم حتى ثبت عندهم أنهم من الفاعلين وبأن يقبض على الأناس الذين زاد حيث ثبت عندهم أنهم من الفاعلين أيضا، ودار بينك وبينه في القضية ما شرحته، من كونه لا يقبل الشهادات التي بلغه أن الولاة يجعلونها بفاس، ليدافعوا عن أنفسهم حيث لم يفعلوا ما وجب عليهم من القبض على الفاعلين في وقته، ومن أن دولته تعين عليها طلب جعل القونص هناك ليحكم على من ورد منهم من تلك الناحية والتوصل بما في شروطهم الذي من جملته سانط كروز، وافترق معك على غير خاطره.

ثم وجه لك على وجه السر ذاكراً أن دواء هذه الدعوى هو أن تكتب له بما في النسخة التي وجهت من زجر الفاعلين، وعزل العاملين وعقوبتهما بأداء

عشرين ألف ريال لهم، ويكون ذلك عاجلاً من عند المخزن من غير طلب منهم لذلك، ليجد ما يدافع به، وصار جميع ما ذكرته بالبال.

فأما ما أجابك به الباشدور عن تسريح من ليس في تقييده من العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاي إسماعيل مع محمد بن قاسم من عدم تسريح أحد منهم ذاكراً أن الولاة لم يقبضوا عليهم، حتى ثبت عندهم أنهم من الفاعلين، فأولئك الولاة لم يتحقق عندهم حينئذ تمييز الفاعل من غيرهم، وإنما ألزمتنا نحن القبض على كل من تأتى لهم قبضه ممن يظهر أنهم حضروا فيما وقع، حتى يقع البحث والاستفسار، ومن تحققت براءته من ذلك الفعل يسرح، ومن لا فلا.

وأما عدم فعل الولاة ما وجب عليهم من القبض على الفاعلين، فقد قدمنا لك بيان عذرهم عن عدم التعجيل بقبضهم وهو فراغ المحل من الجيش والعسكر، وفرار الحاركين منهما من الحركة، وحصول الإرهاب والإرهاب بذلك للناس، واشتغال أهل الإرجاف وسفلة الناس بكثرة القيل والقال في جانب المخزن بما لا ينبغي، وطيشهم وتشوفهم للفساد، حتى إن بنى حسن والبرابر جعلوا أشياخ الربيع وألغوا خلائف عمالهم ولم يلتفتوا إليهم، وهموا بالمكر بهم، فأمسك الولاة بسبب ذلك عن القبض على الفاعلين المشار إليهم خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولئك المرجفين، ويفضى الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك، لكون أهل المغرب مجانين لا يباليون ولا يتفكرون في عواقب ما يفعلون، مع غيبة المخزن بسوس، ويتسع الخرق ويلومهم المخزن على عدم التأنى في قبضهم، إذا لم يكن عندهم علم وقتئذ بحلولنا بمراكش.

والذى زادهم تخوفاً وإحجاماً عن القبض عليهم عاجلاً هو ما عزروا به على حيلولتهم بين اليهود والنصراني الصبنيولى الذى كان تخاصم مع اليهودى الجزار بحارة يهود فاس، ولطخ بقضيته ولد اب محمد حتى أدى ذلك لدفع ريال ٢٥٠ للنصرانى المذكور جبرا لخاطره.

وأما جعل القونص بالمحل المشار إليه، فما أجبته به من كون مطلب جعله لا خصوصية له فيه، وليس له فيه سوى فتح الباب لطلب غيرهم مثله، مع أن المحبة الكائنة بين الجانبين لا تقتضى ذلك، هو غاية ما يجاب به على أنه لا ضرر علينا فيه نعم أسلافنا قدسهم الله كانوا يتوقون منه لئلا يقع له ما وقع لهذا النصرانى، وإلا فجعله بذلك المحل يكون وسيلة لجعلنا نظيره عندهم يقف على حقوقنا، حتى لا يقع ضياع فيها كهذه القضية التى كان لنا الحق فيها حسبما تقدم لك شرحه، وانقلب بالترهات والتلونات، وصار علينا.

وأما سانط كروز فقد كتبنا لك فى شأنها صحبة المهندس الموجه لك بما فى النسخة الواصلة إليك طيه، فالعمل عليه، وأما العدد المذكور من الريال الذى أشار الباشادور بإعطائه لهم فى فصل هذه القضية فكثير جداً لوقوع الفصل برفعه على يدك فى قضيتى النصرانيين المقتولين على وجه الحراية حياة سيدنا رحمه الله وفى مدتنا، على أن هذا لم يمت كذلك، ولما لا يخفاك ما صاروا عليه اليوم من المساواة والعناد فى كل شىء فيصير العرف عندهم فى الدية عشرين ألفاً بعد ما كانت بخمسة آلاف، وفى هذا ما جاوز الحد فى الضرر على أن أولئك ماتوا على وجه الحراية بالحديد بخلاف هذا.

فتنبه، فالنظر فى العواقب من الواجب المتعين وحتى إن كان لا بد من الزيادة فتكون على وجه السر مناسبة للعدد الواقع به الفصال سابقاً فى قضيتى النصرانيين المشار إليهما، والمبيضة المذكورة التى وجهت هلا علق الفصال المذكور فيها على تصديق قولهم أو على ورود من توجه من حضرتنا الشريفة لتحقيق القضية أو على توجيه أحد من قبلك على يد الباشادور، يحقق ذلك، وعلى كل حال فالفصال الذى ظهر لنا هو ما بيناه لك والحاضر بصيرة، والله يعينك والسلام فى ٩ من ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٩».

ونص السابع فى طلب نائب إيطاليا سجن محتسب طنجة وعزله :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: وصل كتابك بأن محتسب طنجة قبض على ولد امرأة عجوز
مستخدمة بدار الطليان فى والده الدلال الفار بما بيده من حوائج الناس، فذهبت
تلك المرأة عند المحتسب وأعلمته بأنها مطلقة من ذلك الرجل، وكافلة لولدها،
وأبوه لا يعرفه فى شىء، وطلبت منه أن لا يؤاخذه بما هرب به والده ويطالب به
ضامنه، فأمر بسجنها فبلغ ذلك للباشادور المذكور، فقام وقعد ووجه لك ترجمانه
ذاكرا أنه إن لم يسجن المحتسب ينزل السنجق ويقطع العلاقات الرسمية، فأجبتة
بأن لا قدرة لك على ذلك لكونه فى خدمة المخزن، والذى يتأتى لك هو عزله
ورفع القضية لحضرتنا الشريفة فقبل ذلك، وأشرت للعامل بعزله وتعيين من يقوم
مقامه ريثما تعلمنا ثم ورد عليك الباشادور بعد ذلك وأكد فى سجن المحتسب ودار
بينك وبينه ما شرحته إلى أن قبل منك أن تجعل له ذلك كتابة فأجبتة بأن يكتب لك
لتجيبه فكتب فأجبتة بما فى النسخة التى وجهت مع كتابه لك، وأشرت بالتأمل فى
كتابه لكونه لازال طالبا سجن المحتسب، وإن لم يسجن يقطع المعاملة وفيما ادعاه
من عدم إعطاء الحق وما أجبتة به من أننا موجودون لإعطائه، وصار جميع ما
ذكرته وما تضمنه كتاب المذكور ونسخة جوابك له بالبال .

أما فعلك ذلك لسد الذريعة وتسكين الروعة فجميل وسديد لكن لا يخفاك
أن الجرائم متفاوتة ومتباينة، وكذلك الأدب وكل جريمة لها أدب يناسبها وتعتبر
فيها المراتب والخطط وأمر التولية والعزل مهم، فلا ينبغى الازدراء به والتلاعب،
ويحتاج فيه إلى كثرة الكلام والمدافعة والمراجعة حتى يأسوا، أو إذا وقع ونزل به
أمر يكون على مقتضاه بعد مشقة وجهه جهيد .

كما يحتاج فيه فى بعض الأحيان إلى عزل مقابله كقضية الزمرانى بالصورة وقونص الفرنصيى حياة سيدنا رحمه الله وإلا فإذا كان كل من عرض لحادمه أو حارسه أو لامرأة أجنبية عنه كهذه شىء مع حاكم من الحكام يعزل الحاكم بسببه، فإن الخرق يتسع على الولاية وتفسد عليهم ما هو جار من الأحكام على مقتضاه وما هو جار على خلافه، وكلهم يتشوفون لمثل ما أراه المذكور ويطلبون المساواة فيه معه، ولهم الحق فى ذلك، وفى ذلك من فساد النظام فى جميع المدن والمراسى والبلدان ما لا يخفى، على أن مساعدتهم على مثل ذلك لا تتأتى.

وعليه فتأمل فى القضية وانظر فيها بعين الاعتبار والإنصاف، وفاوض فيها بعض الأجناس الذين تآمن إشارتهم، وإن أشاروا باعتذار المحتسب للباشادور وبإبقائه بمحله فافعل، وإن أشاروا بعزله وتأت لك ملاطفة الطليان فى إبقائه بمحله إلى أجل ولو إلى الوقت الذى يكون فيه بحضرتنا العالية بالله ويقع الكلام معه فى شأنه فافعل وإلا فوجهه لحضرتنا العالية بالله غير مهان، والله يعينك والسلام فى ٢١ من شوال عام ١٢٩٧».

ونص الثامن فى ذلك أيضا:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك جوابا عما أجبناك به عن قضية محتسب طنجة مع باشادور الطليان، وذكرت أنه لا يمكنك نقض ما جعلته معه كتابة وإن لم يقتض نظرنا الشريف قبوله نوجه من قبلنا من ينقضه، ويفاصل قضايا الطليان، وأنت كنت طلبت مثل هذا من سيدنا الوالد قدسه الله حين وقع لك شأن مع النجليز والصبنيول، فوجه العاجى وفاضل القضيتين.

وعلمنا ما ذكرته من أنك ما أجبت عن القضية المذكورة حتى تفاوضت مع باشادور إسبانيا لكونه ممن تؤمن إشارته وأطلعت على ذلك نائب النجليز فاستحسنه لكون الطلب المشار إليه جار على مقتضى الشرط الثالث من شروط إسبانيا والنجليز والمحتسب صدر منه تنقيص بالقول فى الباشادور، ولا يقع خرق ولا ازدراء بالولاية بإعطاء الحق فى القضية ولو كان يقع ذلك بإعطائه لقليل وقع لإسبانيا بإعطائهم الحق بعزل حاكمى مليلية وسبتة، وأنت لا تتخلق بأخلاقهم أو تتبع أعراضهم إلا إذا لم تجد سبيلا ويعظم الأمر، لأنك لا تريد أن تكون على يدك فتنة، ولو أن تقيها بنفسك وصار ذلك بالبال .

فأما توجيه من بفاسل قضايا الطليان فالكفاية فى الله ثم فىك فمثلك لا يعدل عنه إلى غيره، أعاذك الله ويسر للمسلمين على يدك كل خير، ودفعت عنهم كل ضمير .

نعم نريدك أن تجرد لنا قضايا الطليان المذكورة عن آخرها فى تقييد وتوجيه لحضرتنا العالمة بالله .

وأما ما ذكرته من أنك لا تتخلق بأخلاقهم... إلخ، فإننا لا نظن بك إلا الخير والتخلق بأخلاق الشريعة والسنة النبوية، والسعى فى صلاح الدين قلبا وقالبا وحتى إن رددنا عليك فى شىء فإنما هو بحسب ما يظهر لنا، ومرادنا بذلك التوسعة عليك والتلقين، وإلا فليس من رأى كمن سمع .

فكن تراجع وتكرر المراجعة، فإن تكرارها منتج للمصلحة والخير، وأما كونك لا تريد أن تكون على يدك فتنة فهو كذلك بحول الله، وما ذلك على الله بعزير .

وأما المحتسب فسنجيبك عنه بعد بما يشرح الله الصدر إليه، والله غالب على أمره والسلام فى ٤ ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٧هـ .

ونص التاسع فى قضايا إيطالية :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وجهنا كاتبنا الطالب محمد الصنهاجى للغرض الذى طلبه
باشادور الطليان وأمرناه بالكلام معك فى بعض القضايا كقضية اليهودى الذى مات
بنتيفة وزعم ولده ما زعم لدى الباشادورات هناك، حتى طلبوا عزل العامل .

وكقضية المحتسب بطنجة مع المرأة التى عمد إلى ولدها وسجنه كفافا عن
والده السمسار الذى فر بمتاع الناس، وما زعمت المرأة صدوره منه مما لم يرضه
الباشادور لمنصبه، حتى طلب سجنه بعد ما عزل .

وكقضية اليهودى عمار مع كاتبنا الفقيه الصفار، الذى زعم لدى الباشادور
المذكور أن الصفار لما وجده بالبلغة الصفراء الشبيهة بنعال المسلمين فى محل بأعتابنا
الشريفة لم يعهد وصول اليهود إليه بالنعال، أمر برفعه ورميه على الأرض، وسبه
وامتهانه ولتحقيق أمرهن لك وتقرير الواقع لك فى التى وقعت منها هنا بجنبه،
وما دار فى غيرها زيادة فى التوسعة والاطلاع على ما هو نظرنا والمستحسن عندنا
من أوجه فصال القضايا المشار إليها الذى لا يترتب عليه هضم بجانب المخزن ولا
غموز، ولا ارتكاب شىء فى الدين لا يجوز، فخذ بيده، فيما توجه بقصده،
وبصره فيه فإن المدار فى ذلك كله عليك لأنك أدرى بتلك الشعاب، ولا تخفى
عليك فيها جادة الصواب، فقد أبليت فيما هو أعظم منها البلاء الحسن، وخرج
أمره على وجه مستحسن .

فقف فى هذه كذلك، واصرف إليها عنان ذكائك ودهائك، حتى تخرج
على وجه جميل سالم مما ذكر، ويذهب عمار بخفى حين، عاثرا فى ذيل الكذب

والمين، والله تعالى يأخذ بيدك ويجعل عنايته من مددك، حتى تصير جميع الأمور المتعسرة، لديك متيسرة، والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٧هـ.

ونص العاشر فى بعثة الفقهاء الموجهين لتصفح رسوم الدعاوى الإيطالية.

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن الطلبة الثلاثة الذين عينهم القاضى مولاي محمد رحمه الله لتصفح رسوم دعاوى الطليان وردوا لطنجة فى السادس عشر من شهر تاريخه فوجهتهم للباشادور وأعلمته بورودهم، فأجابك بانه لما كان بحضرتنا الشريفة وعد بأنه حيث يصل لطنجة يجدهم بها، وهذه شهران ونصف وهو بطنجة وأنه كان أعلم مخزنه بما وعد به من حضرتنا العلية بالله، ولا يريد المخالطة مع الطلبة الواردين حتى يرد عليه جواب مخزنه بما يكون عليه عمله، واستثنى فى كلامه أنه يطلب الفصال مثل ما وقع مع الفرنسيس والنجليز، وأنت تركت الطلبة المذكورين هناك حتى تنظر بم يرد عليه الجواب.

فقد توجه كتابنا الشريف للقاضى المذكور بانتخاب الطلبة المشار إليهم، والتعجيل بتوجيههم لطنجة بقصد ذلك والباشادور المذكور بحضرتنا الشريفة فى الوعد المذكور، والمدة التى يمكن وصول الباشادور فيها من حضرتنا الشريفة لطنجة، هى التى توصل الرقاص لفاس، ويتيسر فيها سفر الطلبة لطنجة، ولا تزيد وتنقص إلا بقليل.

وإذا وقع عذر للرقاص فى الطريق أو للقاضى فى تعيين الطلبة فذلك أمر غيبى خارج عن طوق البشر، ومقدوره، والعاقلة لا يجهل هذا وتاريخ كتاب القاضى مولاي محمد فى القضية حكم يقضى به نعم من أراد تعكيس الأمور فلا

يعجزه ما يدافع به ويعتذر ويقول، فعرفه بذلك ولا يعوزك ما تجييه به زيادة على ذلك .

وأما الفصل الواقع مع من ذكر فقد قرر له وشرح شرحا كافيا رافعا للشك والإبهام وهو بحضرتنا الشريفة، ولك أيضا في جوابنا الشريف عن كتابك في قضية محمد أحمر القلعي، ففيه كفاية ولا يخفك أن الدعاوى على قسمين: معاملة رسومية ومخزنية، أما الرسومية فلا حكم فيها ولا كلام ولا فصل لا معه ولا مع غيره بسوى الحكم والفصل المجمعول معه فيها بحضرتنا الشريفة، وهو إحضار الواجب وتصفحها، وتمييز الصحيح منها والقريب من الصحة، والباطل في تقييد كل نوع على حدته، وتبيين أسماء الغرماء وما على كل واحد منهم من المال في ذلك التقييد ليوم عمالهم بإلزامهم فصال ما كان صحيحا من تلك الرسوم أو قريبا من الصحة، والقبض على من امتنع منهم من الفصال وبيع متاعه وأداء ما عليه من ثمنه، وكفى بك حجة فإن ما لا يحصى من الدعاوى تفاصيل على يدك بذلك، وعندك نسخ من تقاليد ما وقع به الفصل منهم فيها ونظائرها عندنا وعند الباشادورات المتكلمين عليها ومن جملتهم هذا الباشادور، وهذا وجه مفروغ منه .

وأما المخزنية فهي بحسب الوفاق والتراضى والمكايسة لا مساواة فيها ولا جبر، كدعاوى القتل والنهب والحدادة التي طلب الباشادور المساواة مع الفرنضيص في فصالها أو ما علم أن الفرنضيص أبطل عددا من الدعاوى وسامح فيها هو منها من قبل الحدادة في ستين ألف ريال على أنه لم يخرج معه فيما هو منها من قبل الرسوم عن حكمها المذكور، وحتى لو فرضنا الخروج عنه فلمصلحتنا ومصلحة رعيتنا لكون همنا وشغلنا كله في النظر في مصالحها وما يعود نفعه وخيره عليها والدفاع عنها، أفي فعل هو كذلك بقبض العشرة ويؤجل في عشرة ويسامح في الستين .

على أن الذى قبضه المذكور ليس من قبل الحدادة بل من قبل الدعاوى الواقع
الفصال فيها على يداكار وكذلك النجليز، مما ترتب له من الدعاوى سابقا بالشرط
المذكور حسبما فى النسخ من تقاييد دعاويهما الموجهة لك سابقا المشتملة على
الفصل المذكور، وهذا الفصل الواقع مع الباشادور الطليانى وأعطى به خط يده قد
ارتضاه غيره كالنجليز والمركان الذى طلب من جانبنا العالى بالله تكليف الطلبة
المشار إليهم بتصفح رسوم دعاويهم كما يتصفحون رسوم دعاوى الطليان، وقد
قدمنا لك أمرنا الشريف بتكليفهم بذلك.

والحاصل فلا تقبل منه فى فصال دعاوى إلا ما وقع به الاتفاق معه بحضرتنا
الشريفة وارتضاه وأعطى به خط يده، وهو ما ذكر أعلاه من تصفح الطلبة الرسوم
إلخ، وإن أبى إلا غير ذلك فحز منه خط يده ببايسته وأعلمنا، والطلبة المذكورون
يشرعون فى تصفح رسوم المركان إذا لم يقبل الطليان ذلك وحزت منه خطه بعدم
قبوله والسلام فى ٢٦ من شوال عام ١٢٩٩».

ونص الحادى عشر فى قضية تجارية مع الانجليز:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن نائب النجليز ذكر لك أن بعض تجار الوندريز لهم
ديون على التاجر محمد بن عزوز الفاسى الذى كان يتجر بالوندريز تزيد على
خمسة وعشرين ألف ريال، وطلب منك فصال دعواه إما أن يوجه نصف الدراهم
حالا ويعطى الضامن فى الباقي وإما أن يأتى لطنجة لمقابلة صاحب دعواه على
مقتضى الشروط حسبما فى كتابه الذى وجهت، وذكرت أنك لم تجد سبيلا إلى
المدافعة عن ابن عزوز لكونك لم تسمع عنه فى مدة تجارته ما يكدر لا فى تجارته
ولا فى دينه، وهو كذلك أصلحك الله ورضى عنك، وقد أحضر المذكور وأمر بما

ذكر، فذكر أن الكنائش المتضمنة للحسابات التي بينه وبين أولئك التجار بالصويرة وطلب التوجه لها بقصد جمعها والسفر بها من هناك لطنجة بقصد مقابلة صاحب دعواه، فسعد وأزعج للسفر وهو على جناحه، والسلام في ٢٤ من شوال الأبرك عام ١٢٩٧».

ونص الثاني عشر في شأن تملك الأجانب الأرض والدور:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمن جملة ما عثرنا عليه في مكاتيب باشدور النجليز لك التي وجهت أن الأجناس ما وافقوا رعاياهم على أداء الصاكة في الأبواب وغيرها إلا بشرط أن تكون لهم الدور والأرضون حسبما في الشروط، وغير خاف ما يقضى إليه الإذن لهم في شراء ما ذكر من اختلاط دورهم بدور المسلمين في المدن والمراسى وفساد الدين والملة بسبب ذلك، واتساع الخرق على الراقع، وقد كانوا يطلبون ذلك في حياة سيدنا رحمه الله فيدافع ويعالج أمر ذلك على يدك، فكن كذلك الآن، واجعل أمر معالجته ومدافعتهم عنه من أهم الأمور وأكدها أصلحك الله وسددك والسلام في ٢٥ من شوال عام ١٢٩٨».

ونص الثالث عشر فيما يتعلق بخروج الأجانب لحاجة طلبا لديونهم:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن البوزيادي أحد عمال حاحة أخبر مسترعا بخروج نصراني اسمه التاجر بروم النجليزي من السويرة قاصدا بلادهم زاعما أن له بدمم أناس من إخوانه ديونا من المال والجرصة، مع أنه لا يعلم أن له على أحد من إخوانه شيئا،

لأن ذم أهل حاحة خربت هذه مدة وطلب كفهم عنهم كاليهود وإن كانت لهم دعوى على أحد منهم فرضا يوجهون وكي لهم على يدك برسم الدعوى واصلا ليدنا من المدعى عليه ليحضره للفصال ويقف بنفسه تبينا للصدق من ضده، وتحريا لسلامة الفريقين.

وعليه فنأمرك لذلك، وليكن عملك عليه على أن قبيلة حاحة الآن لا يسلكها عاقل ولا يسأل أهلها سائل لأن المسغبة بلغت فيها حدا حتى خرجت صدور أهلها وضاعت البلاد عنهم وهلكت مواشيهم ونفذ قوتهم، واشتدت فافتهم، فلا ترى بها إلا من القتر بادية على وجهه، والفقر بين عينيه فعلى الرفاق اليوم يخشى سلوكها أخرى الفرادى.

فلا بد أشع هذا الاسترعاء والعاقل يحذر على نفسه قبل حصول الداء على إن إخوان الشاكي هم أعظم جباله حاحة، وإن كانت حاحة كلها جبالا فهى كلا شىء بالنسبة لإخوان الشاكي مع زيادة عدم جريان الأحكام فيهم على مقتضاها وكون الخاطر بها مخاطرا لإحراجهم بنفاد ما عندهم، حتى صار الاغتيال لقلوبهم مخاطرا وسبع الغلاء فى وجوههم كاشرا.

والسلام فى ٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٩هـ.

ونص الرابع عشر فى القبض على كرتيس الإنجليزى المشار له سابقا المتعاطى للتجارة مع قبائل سوس بغير إذن:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فكرتيس النكليزى الخارج بببور القوت بالسواحل السوسية شارعا فى بيعه لفساد تلكم القبائل، وكتبنا لك فى شأنه سالفا قد وقع القبض عليه الآن،

وهو ونصرانى آخر على يد ابن عمنا مولاي الكبير بن محمد بن سليمان،
ووصيفنا الطالب بوغزى السريفي أحد خلائف سوس، وخدمنا القائد محمد بن
الطاهر الدليمي قائد الارحى، فأمرناهم بدفعه لعامل تزيت يوجهه لخليفة أكادير
يوصله لعامل السويرة يمكنه بيد قونصوهم، بعد أخذ خط يده بتوصله به،
والاسترعاء عليهم بأنهم إن عادوا لمثل ذلك فأصيبوا في أموالهم أو نفوسهم،
فدركهم على رءوسهم وخسارتهم بهم خاصة ومصيبتهم عليهم قاصرة وأعلمناك
لتكون على بال من ذلك فتعلم به الباشادور وتسترعى عليه بنحو ما شرح صدره،
والسلام فى ٢٩ جمدى الثانية عام ١٣٠٠».

ونص الخامس عشر فى القبض على صاحبي المذكور وتوجيه الأوقات
لسوس وإنشاء مرسى بها:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر خدمنا القائد أحمد بن محمد العيوى السريغنى أن
كرطيس وجه صحبة صاحبيه الحاج محمد بوشىخه الصويرى والجيلانى بن على
الصويرى كتابا لقبيلة اصبويا ومستى بأن يشدوا عضده ويقفوا فى كلمتهم معه
ويحفظوا ما تركه بالزربية المدورة بالحجر التى كان جعلها بمرسى اركسيس حتى
يقدم عليهم بحرا، فقبض عليهما وأحصى ما بتلك الزربية ووجه لحضرتنا الشريفة
زمامه الواصلة إليك نسخة منه طيه، فأمرناه بتوجيه المسجونين المذكورين لأخينا
مولاي عثمان يجعلهما بالسجن، وبحيازة ما تضمنه الزمام المذكور على وجه
القطربنض.

وأعلمناك لتكون على بال من ذلك وتعجل بما قدمناه لك من اکتراء مركب
وتوجيهها لمرسى اركسيس واسقة للألف خنشة من الشعير، ومثلها من البشنة من

مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء الصادر أمرنا الشريف لخدامنا الأمناء بهما بأن يشتري كل منهم نصف العدد المذكور ويوجه معه نائبه يبيعه بالمحل المذكور يدأ بيد لا بالطلق بالثمن الذي يجعلونه له على نسبة ما اشترى به وما صبر عليه، بحيث لا يربح فيه المخزن شيئاً زائداً على رأس ماله الذي دفعه فيه، ولا تقع له خسارة فى شىء منه كما تعجل أيضاً بأمر المرسى المراد إنشاؤها هناك المتقدم لك الكتب فى شأنها، وتجعل ذلك كله من أهم الأمور وأكدها، وتصرف إليه وجه الاعتناء لينقطع به التشوف لتلك المراسى، وتحصل السعة للقبائل المجاورين لها لكونهم لا زالوا فى غاية الاضطرار للقوت وغيره .

وقد أمرنا خديمتنا العبوبي بأن يعجل لتيسير محل صين متصل بمحل نزوله باركيس لوضع القوت المذكور فيه وجعل العسة عليه والوقوف مع نائب الأمناء المذكورين فى بيعه مناجزة، وأعلمناك لتكون على بال، وأيضاً فلا بد أخبرنا بما كان من أمر ما اشتهرت من الاسترعاء على الذاهبين لنواحى سوس افتياتا وهل كتب فى تواريخهم وظهر له أثر أم لا، لنكون على بال من الكلام فيه أو عدمه مع الدول، والسلام فى ١٠ رمضان المعظم عام ١٣٠٠» .

ونص السادس عشر فى إبطال دعوى قانونية تجاره مع سوس :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور النجليز كان تكلم معك فى شان كرطيس زيادة على ما فى كتابه الذى وجهت من أن كباية سوس أخبرت دولتهم بأن إنزال كرطيس القوت بمرسى اركسيس كان بموافقة وصيفنا بوعزة السريفي، وأن المتوجه من حضرتنا الشريفة لتلكم النواحى عام أول لم يتعرض لكون تلك التجارة مخالفة للقانون، وقال لكرتيس فيما ضاع له هناك حيث أنزله على الوجه المذكور، وأن

الحاج حمدان والجيلانى نائبي كبانيتهم اللذين وجهتهما لسوس يقبضان ديونهما وقبض عليهما لا درك عليهما يوجب قبضهما، حيث هما عند أمر الكبانية وأنه يطلب تسريحهما فلم يقبل منه ذلك، وأجبتة عنه بما شرحته، فأكد فى البحث فيما تقول على المذكورين، ذاكرًا أنه إذا لم يصدر البحث فيه يتبدل نظر دولته فى كون نزول كرتيس هناك خارجا عن القانون حسبما فى كتابه المذكور وطلبت أمرنا به وإعلامك بما ينتجه لتجيبه به .

أما خروج كرتيس بمرسى اركسيس وإنزاله القوت بها فلم يكن بموافقة بوعدة السريفي قطعاً وإنما كان بموافقة فساد قبيلة آيت بو عمران كالسباعى وأضرابه، وبنفس خروجه ووضع القوت بها طير لنا الإعلام بذلك السريفي، فأمرناه بالاحتيال عليه وقبضه وتوجيهه للصورة على يد عامل آكدير، ولما سمع أعيان آيت بو عمران وكبراؤهم بخروجه توجهوا لعنده وطلبوه بإذننا الشريف له فيه، فاستظهر لهم بكتاب مزور بأننا أذنا له فى جلب القوت وبيعه لتلك القبائل فسكتوا عليه .

وبحثوا فى ذلك الكتاب فألفوه مزورا وهموا بالفتك به، بمن معه، فخشى السريفي من درك ذلك لتأكيدنا عليه فى عدم النداء فى القبيلة بترك التعرض له وعدم مسه بسوء، فظنوا أن ذلك بإذننا وتأخروا عن الإيقاع به وبمن معه، وطير لنا الإعلام بذلك، فأصدرنا أمرنا الشريف له ولقبيلة آيت بو عمران بالضرب على أيدي أولئك الفساد المجتمعين عليه والقبض عليه وتوجيهه لعامل الصورة على يد عامل آكدير، ووجهنا من حضرتنا الشريفة الموجه المشار إليه وأمرناه بالاحتيال عليه حتى يحصله .

ولما سمع بقدمه فرّ للبابور حتى يذهب ويرجع للبر، فكان من جملة احتيال الموجه عليه حتى حصله قوله كن مظمئن البال، وهذا بعد أن قدمنا لك

الإعلام وللباشادور بخروجه ووضعه للقوت بتلك المرسى، وبما عزم عليه آيت بو عمران من الفتك به، وأمرناك بالاسترعاء على الباشادور، فوجهت لحضرتنا الشريفة نسخة من استرعاءك عليه، وأخرى مما كتبت به للتاجر فلمنك ليجعله بالكازيطة بالوندريز، وذكرت أن الباشادور أجابك بأنه غير موافق على فعل كرتيس، وأشار بإلزام أولئك الناس بالإتيان به للصورة، وفهمت من كلامه أن هذا الأمر خاص بأوامر المخزن، وأنهم لا يكونون حراسا لسواحل سوس التي هي من هذه الإيالة حتى يمنعوا نزول الكطربنض فيها.

وأن المخزن يجعل الحراس مثل ما هو في غير تلك السواحل، ومن عثر عليه هناك مشتغلا بالكطربنض أو غيره فيحاز الكطربنض ويدفع المشتغل به لقونصوه، ليجرى عليه الحكم الواجب يمقتضى الشروط، ومكاتيبك بذلك مع مكاتيب الباشادور ونائبه بعدم موافقتهما على توجه كرتيس لتلك السواحل السوسية، وتكليفهما قونصوهم بالصورة بالاسترعاء عليه تحت اليد.

والحاصل فادعاء كرتيس موافقة السريفي له على إنزال القوت باركسيس وإشارة الموجه له بما ذكر واضح البطلان، لا يحتاج إلى بحث ولا إلى إقامة دليل وبرهان، ومراده بالادعاء بذلك ستر خرقة للشروط بالخروج للمرسى المذكورة وتعاطيه التجارة بغير إذن المخزن، والتلبس على الكبانية، وتغطية تضييعه لمناعها ببيعه بالطلق لأناس بلغت فيهم الفاقة والخصاصة حدها لا ترضى ذمتهم في قيراط، فإن المخزن الذى له الحكم عليهم لم يبع لهم بالطلق، وإنما باعه لهم يدا بيد.

وحتى لو فرضنا أن السريفي له فى ذلك وكذلك الموجه، فإن وسق القوت للمراسى المستخدمة لا يكون إلا بإذننا الشريف لا بإذن الولاية وأخرى المراسى الغير المستخدمة التى بطرف الإيالة ومن أذن له فى الإتيان لهنالك قبل أن ينزل وأما

المذكوران فيهما اللذان حثا كرطيس على التوجه لسواحل سوس، وطمعاه ودلياه بغرور وتوسطا بينه وبين فساد آيت بو عمران ولاقيه معهم وتوجهها معه، وكان يبيع الكطربنض على يديهما، ولم يقتصر عليه، بل حرصا غيره من التجار وطمعاه حتى توجه لتلك السواحل ولم يحصل على طائل ومشتغلان بالخوض في أمر المعادن التي بتلك السواحل، وهذا هو موجب القبض عليهما، والباشادور ودولته لا يوافقان على تسريحهما حيث هما على هذا الوصف.

وعلى كل حال فقد قبلنا شفاعة الباشادور - في تسريحهما على شرط ضمانته أن لا يعودا لما كانا عليه من إدخال الكطربنض والخوض في أمر المعادن والسعى في الغيار بين الدولتين، وأن لا يتوجهها لتلك الناحية وإن وقع ونزل وتوجهها لها يقبض عليهما ولا يتكلم فيهما الباشادور، والسلام في ٧ ربيع الثاني عام ١٣٠١».

ونص السابع عشر في شأن سلوك قنصل البلجيك بالبيضاء:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به في شأن اشتغال قونص البلجيك بالدار البيضاء بإدخال الناس في الحماية، وذكرت أنك كلمت باشدوره في ذلك وتغير منه وكتب للقونص المذكور بالتوبيخ على ما صدر منه وأمره بالوقوف عند حده، وترك الخوض فيما لا ينبغي له، وذكر لك أن الأناص المذكورين ليسوا في الحماية ولا يقبلهم، وأن مخالطتهم مع الترجمان من جملة مخالطة الرعية على العادة، وصار ذلك بالبال أصلحك الله ورضى عنك والسلام في ٧ جمدى الأولى عام ١٢٩٦».

ونص الثامن عشر فى مطالب سفير أميركا مع أجوبتها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك فى شأن دعوى سرقة دار نائب الماركان بأنك استكتبت فيها الباشدورات ٤ الذين سميت لدولهم لتكتب فى شأنها لدولة المذكور، فكتبوا لدولهم على وفق مرادك عدا باشدور الألمان تأخر عن الكتابة لدولته للمصلحة التى تبينت، فقد أصبت فى مباشرتك لذلك معهم أعانك الله، وبأنك تحققت أن صاحب الدعوى مراده الضرر لبحثه فى الدعاوى التى لا بال لها المينة بطرته، وادعائه أن عدم تيسير ما يطلبه من ذلك كله إهانة له ولجنسه، ومن جملة ما يطلبه ما قدمت الكتب به لجانبنا العالى بالله من الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران كغيرها من الدول المنعم عليها بذلك، فأما ما يحاوله من المضرة فوقاية الله تقى شره، وعنايته سبحانه تكفى أمره، وأمر كل ذى سعاية فى الإضرار والإذابة.

وأما دعوى المسجون الذى عند المديونى فقد كتبنا له بيان موجب قبضه عليه، وهل تقدمت له مخالطة مع خليفته كما زعم أم لا، وعلى فرض أنها تقدمت له فهل كان قبضه عليه فى حالها أو حتى افترقا ولم تبق بينهما مخالطة ليظهر ما يكون فى ذلك.

وأما دعواه التى بالعرايش فبينها لنا ليقع البحث فيها، وإن ألفيت ثابتة بموجب تفصل.

وأما دعوى غنم عبد الله الشبلى فقد كتبنا لخديمنا عاملى الغرب بيان موجب حيازتها وبردها له إن لم يكن موجب لها.

وأما عدم تيسير أختينا مولاي إسماعيل والعمال الأمور التي كتب لهم عليها فقد أصابوا في ذلك لأنهم لا إذن عندهم في مكاتبتهم ومباشرة الأمور لا معه ولا مع غيره، وإنما الإذن عند العمال في الكتابة لك فيما لهم من الدعاوى بآيالاتهم، وحيث خالف القانون في ذلك وهو الكتب لك بتلك الأمور لتكتب لهم أو لحضرتنا الشريفة بها وكتب لهم هو في شأنها فذاك جزاؤه.

وأما الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران، فقد كنا وجهنا لك ظهرا به طى جوابنا الشريف لك عن ذلك الموجه لك في مهل جمادى الأولى الفارطة على يد خدامنا أمناء مرسى الجديدة، وها نظيره يصلك طيه فادفعه له إن لم يصلك الأول، وإلا فرده إن وصلك، وبأنك غير متساهل في أمر هذا النائب لتخبرك بورود مكاتيب له من دولته تعده فيها بتوجيه ما ذكرته للوقوف على دعاويه أخذ الله بيدك، وجعل إعانته وعنايته من عددك، وبأنك تطلب من الله أن يكفى شره وشر غيره فأقول اللهم آمين آمين والسلام في ٣ جمادى الثانية عام ١٣٠٠».

وهذه الدعاوى الميينة بطرة الظهير الأصلي:

«دعوى مسجون عند المديوني هذه نحو الأربع سنين كانت له مخالطة مع خليفة نائب المركان بالدار البيضاء.

١

ودعوى للنائب المذكور بالعرايش كتبت بفصالها مرارا وذكر الآن أنها لا زالت لم تفصل.

١

وشفاعته في عبد الله الشبلى المعروف بشويبة الملازم باب داره مدة تقرب من الستين الذي ذكرت أن غنمه حيزت بغير سبب وكتبت في شأنه لحضرتنا الشريفة ولعمال الغرب مرارا.

١

وأمر كتب عليها لأختينا مولاي إسماعيل وللعمال فلم ييسروها له». ١
٤

ونص التاسع عشر فى إباحة وسق الثيران من المغرب لأميركا وشروطها
الأربع :

«يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره . وأعز أمره . وجعل فى الصالحات طيه
ونشره . أننا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران فى
كل سنة لعسكرهم ومراكبهم مثل ما أنعمنا به على بعض الأجناس ، على أن يؤدوا
فى صاكتها مثل ما يؤديه غيرهم وهو خمسة ريال لكل رأس ، وعلى شرط أن
يكون وسقها من مرسى طنجة ، وعلى شرط أنه إن كملت السنة وبقي لهم شىء
من الستة آلاف يلغون وسقه ويتركونه أصلا فى السنين التى بعدها ، وعلى شرط
أن يسقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم يبيعون ويشترون فيه ، فنأمر خدامنا
أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة والسلام فى ٤
جمادى الثانى عام ١٣٠٠» .

وقد كان بعض الأجناس تقدم للحضرة الشريفة بطلب هذا الوسق ، فوجهت
الاستشارة فى ذلك لخواص الأمة من أهل فاس علمائها وتجارها ومرابطيها
وغيرهم ، فأجاب كل بما أداه إليه نظره حسبما أفصح عن ذلك هذا الظهير الشريف
الصادر لباشا فاس جوابا عن كتابه فى المسألة وهو العشرون مما سبق :

«وصفينا الأرضى الأنجح الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصل جوابك عما أصدرناه استشارة لأهل فاس ، فيما استظهرنا
المساعدة عليه لبعض الأجناس . من تطبيق وسق ما طلبوه على ما قرر لكم من
الشروط ، التى اعتبار المصلحة فيها بقاء الاختبار منوط ، شارحا ما ظهر منهم عند
عرضهم عليهم من الاضطرار الدال على تخليص مناهلهم من كدر الاغترار ،
ومعلما بتوجيه الرسمين المضمن أحدهما لجواب كل عصابة من طوائفهم المتيامنة ،

والآخر لجواب أهل الزاوية الكبرى مع الزراهنه، مع تقييد فى ذلك خاص لعلماء فاس إلى آخره فأما تقييد العلماء فوصل، وبإقبال نظرنا السديد اتصل، وقد أدوا فيه الواجب تذكيرا ونصحا، وصدعوا من الحق بما شيدوا به فى منهج الهداية صرحا.

وأما الرسمان فطولع بهما علمنا الشريف كذلك. واستوعب النظر فيهما بطرق الاستقراء ما هنالك. فأعربا عن مضمن المشهود عليهم بوجه يستوفيه ومزر حكم اهتمامهم بنتيجة الاستشارة فأما أهل... فقد أحسنوا فى إشارتهم بأن يكون وسق ما أشير له من المراسى فقط، دون المدن والبوادي مع عدم التمكين من... لأحد وأدوا بذلك واجب النصيحة، عن عزائم صحيحة، ولا غرابة فى ذلك، إذ ليس من رأى كمن سمع، فجزاهم الله خيرا، وكذلك المرابطون والتجار مع من خص إحصاره من أهل الحومات الذين نَحَوْا نحو أهل... مع استظهار المرابطين نصب وكيل بالمراسى، وعدم الضرب على يده وزيادة التجار عدم التمكين من الحيوان مطلقا، واستدراك البعض منهم تحديد ما يوسق من الحب بمقدار لا يجاوز حده، وتنبية الحاج أحمد المراكشى على تقييد التسوق فى أشهر العام، بحيث يكون غير مجحف بالرعية فجزى الله الجميع خيرا. وعاملهم بمقتضى نياتهم سرا وجهرا.

وأما الشرفاء العلويون ومن بعدهم من أهل النسبة مع المقدم الرامى ومن تلاهم من الأمين المقرى، والحاج أحمد الرايس وأرباب البصر ومن نحا نحوهم فى رد الأمن إلينا فيما أبدينا استظهاره والموافقة والاقتصار عليه من نتيجة استشاره، فقد أدوا فى ذلك من الواجب بعضه. حيث لم يشيروا بمقتضى سبر الأمر مع مسهم نبضه.

وأما أهل زرهون. فمن قبيل هؤلاء غير أنهم معذرون. إذ لم يبلغوا مبلغهم فى الذكاء. والحدق والدهاء.

على أننا ما زلنا ولا نزال بحول الله نصرّف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن الرعاية عقربها بسمك راح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنيننا عن أقيستى التدبير والاستعداد، أمين.

وها جواب العلماء عما كتبوه يصلك صحبته والسلام فى الثانى والعشرين من رمضان المعظم عام ثلاثة وثلاثمائة وألف».

وقد كان جواب العلماء يقضى بعدم الإسعاف والإسعاد مع تفويضهم له وتصريحهم بأنه: ليس لهم بين يديه كلام، ولا لهم مع وجود عزته جواب ولا خصام، وأين عقول سائر الرعية من عقله، وذكاؤها من ذكائه ونبله، وأمضاه منهم نحو الستة عشر منهم، وهو أولهم أبو محمد جعفر الكتانى، وأبو عبد الله حميد بنانى، والمولى عبد الهادى الصقلى، وأبو العباس ابن الخياط، وأبو عبد الله محمد ابن رشيد العراقى، والفقيه المختار بن عبد الله وغيرهم وجوابهم بخطوطهم بخزانتنا.

فلما اتصل جوابهم بصاحب الترجمة بعث لهم بالجواب عن ذلك بما نصه وهو الظهير الحادى والعشرون:

«الفقهاء الأرضيين المبرزين من القضاة والعلماء بفاس، الحماة الهداة الذين للعامّة من مصباح مشكاتهم اقتباس، وفر الله جمعكم، وصان من كدر الحوادث نبعمكم، وشكر سعيكم، وأدام لصالح العمل هديكم، وسلام الله عليكم ورحماته، وتحياته وبركاته.

أما بعد: فقد وصل ما قيدتموه فيما استشرتم فيه من تسريح ممنوع الوسق وذكر أن الحيوان لبعض الأجناس المقررة لكم شروطه المبنية من الاختبار والاحتياط على أساس، ناهجين فى ذلك منهج حكم الكتاب وصحيح الأخبار، على سبيل

الخبر من اهل بيت الحسين عليه السلام ... في هذا الخبر ...

جواب علماء فاس لمولای الحسن فی قضية الوسق

الإطلاق الذى لا يخلو فيه لقيود المصلحة اعتبار، مستظهرين كون منعهم من ذلك إن اقتضاه النظر أولى من الإسعاد، ولو أفضى لعقد مدة تنقضى لتمام حصول القوة والاستعداد، لصدور ذلك منكم عن عقائد أمسك الإيمان زمامها، وعزائم جردت بيد التوكل حسامها، فأوريتم بذلك زنادا، وناجيتم به فى مسرح الضمائر مرادا.

إذ هو فى الحقيقة إفصاح منكم بالواجب، وصدع بأمر الله الذى ليس للعزائم عنه حاجب، فقمتم فيه بلازم الوظيفة، وتخلصتم ببثه من وعيد الكتمان المقرر بالذكر المحكم والحديث الشريف، وأديتم بذلك واجب النصيحة التى هى عنوان صدق العقيدة، وعضد الإيمان الذى به يمنح المفاز مقلیده.

على أن النصيحة شرط فى البيعة وفرض على كل مسلم، فكل قلب خلا من كوكبها المنير مظلم، لما أخرجه الشيخان عن جرير، قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت أبايعك على الإسلام فشرط على و النصح لكل مسلم... إلخ. وقوله ﷺ فيما أخرجه الطبرانى «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»، وتنبهكم على الحمل على مراجعة الدين، والتفصى مما ينافى سنة سيد المرسلين، أتيتم فيه بحق التذكير والموعظة، وطرده سوام التوانى عن الهمم المستيقظة.

إذ التساهل فى اتباع السنة رأس المهالك، وداعية النوائب التى تضيق بها المسالك، لقوله ﷺ لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت شرته إلى ستنى فقد اهتدى، ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك، على أن من صلح فبهداية الله، ومن أساء فذلك فى الحقيقة ابتلاء بطريق العدل من مولاه، فكلا العاملين بإلهامه وتوفيقه، وكل يعمل على شاكلته وطريقه، لقوله تعالى: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس الآية ٨] ولقوله ﷺ: فيما أخرجه الطبرانى: «اعلموا فكل ميسر لما خلق له، من خلقه الله لواحدة من المنزلتين وفقه لعملها».

وإننا لمزيد عنايتنا بالرعية وشفقتنا عليهم لتتحمل السهر لثنام أجفانهم، ونرضى بطول الكد لتستريح فى الآجل ولدانهم، ولا نألوا فى إرادة الخير بهم جهدا، وإقامة معالم السنة فيهم هديا ورشدا، حيث استودعنا الله إياهم، واسترعانا صغراهم وجلاهم.

وفيما أخرجہ الإمام مسلم: ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة. فلا نهمل فى تدبيرهم نصحا ولا نهمل بحول الله ما يثمر لهم نجحا، ويمرد لهم من قوارير العزة صرحا.

وقد أخذتم فى اهتمامكم بالمتعين، إحكاما لعمل وظيفكم المعتاد وأداء لما طوقتموه من شد عضد الهداية والإرشاد.

هذا ولما كانت المصلحة فى هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه، وأوجبت بطريق النظر تسكين ما ينافيه، قدمناه ريثما تقترن طواع العزم إن شاء الله فى بروج سعده، ويأتى الله بالفتح من عنده، وما زلنا ولا نزال بحول الله نصر فى العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنيننا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد، والسلام فى ٢٢ من رمضان عام ١٣٠٣».

وقد أحسن فى تأييد ما فعله المترجم العلامة الحسن بن عبد الرحمن السمالى فى كتابه الفتوحات الوهبية، فى سيرة مولانا الحسن السنية، وأبدى فى ذلك فكرةً اقتصاديةً ماهر إذ يقول: فمن تأمل ما عمله أمير المسلمين من موافقته لبعض أجناس النصارى على ما طلبه منه من تسوق الحبوب، وذكر أن المباح من الحيوان ومساعدته له مدة محدودة بثلاثة أشهر فى السنة على شرط الخصب بعد بذل جهده نصره الله فى المدافعة خمس سنين فأكثر، ومخالفة رأى من أشار له بالمنع تأمل منصف مرید لجماعة المسلمين خيرا وجد ما عمله نصره الله أسد الآراء

وأصوبها وأنجحها وأصلح لأهل الإسلام وأنفع بكل اعتبار بل ببعض اعتبار يكون واجبا لمصلحة عامة لما فيه من جبر ما نقصه العدو من شقيق الروح الذى هو المال بالخرابات التى لا تعود على من استعملها إلا بالندامة، ولا ترجع لفائدة، والمال هو الذى تقوم به الدول ولا غنى للمملكة عنه والمسلمون لا سبب لهم يردون به ما خرج من يدهم إلا بذلك، وذلك يخلف ويعوض فى كل سنة عادة عودها الله لخلقها.

فأنشى الحيوان منها ما تلد مرتين فى السنة وهى النعجة والمعزة ومنها ما تلد مرة وهى البقرة.

والحبوب تخلف كل سنة إلا فى المسغبة وهى قليلة، ومع قلتها لا تعم، فإذا أجدبت جهة تخصب أخرى دعوة سيد البشر ﷺ لأتمته بقوله: دعوت ربي أن لا تصيب أمتى سنة عامة فأعطانيها، فالعاقل من يدفع ما يخلف ويعوض فيما لا يخلف ولا يعوض إلا من الخارج، إذ لا معادن للمسلمين ولا للعدو المجاورين لهم، وإنما يجلبون الذهب والفضة من السودان أو فى البحر فى المحل البعيد الموضع الذى يقال له «لفرن» وفى عدم سعى المسلمين فى رد ما خرج من يدهم من المال الذى هو أعز الأشياء وأعظمها ضرر كبير على أهل الإسلام وذويه ونفع كبير لأهل الكفر... إلخ.

ولما أبيع لفرنسا وسق قدر من القمح إغاثة للمجاورين من أهل وهران كتب سفراء الانجليز والاطليان والألمان يطلبون مثل ذلك لهم حسبما جاء فى هذا الظهير المرسل لبركاش فى جوابهم وهو الثانى والعشرون:

«وبعد فإن نواب الأجناس الثلاثة النجليز والاطليان والألمان، كتبوا يطلبون تسريح وسق قدر من القمح لتجار رعاياهم كما سرح للفرنصيص، متمسكين بشرط التساوى فى الإنعامات ذاكرين أن ما أنعم به على الفرنصيص لم يخرج على

الوجه الذى نفذناه به من إغاثة المضطرين له من إيالة وهران المجاورة وإنما تصرف فيه التجار، وبعد وصوله لوهران صرفوه لمرسيلية وريحوا فيه ربحا طائلا.

وقد أجبوا بالمدافعة عن ذلك بما مضمناه أننا إنما سرحناه للفرنسيين للضرورة الفادحة، وإغاثة الجار المضطر، وحيث وسق فى البحر لم يبق لنا عليه سبيل، وإن ذكروا أن لنا عليهم سبيلا فى ذلك فليبينوه ويبينوا وجه الكلام مع الفرنسيين فى ذلك ليكون معه الكلام، فإن ثبت الحق على الفرنسيين فلا كلام لهم معنا، وإن ثبت علينا فيظهر ما يكون على أن الأجناس المحبين عندنا فى الإنعامات سواء، كل من حصلت له الضرورة مثل هؤلاء، واستغاث بنا نغيثه بما تيسر لنا إن كان الخير موجوداً ولا يحصل بذلك الضرر للرعية.

وزيد للنجيز فى جوابه بأننا إنما أقدمنا على ذلك اعتمادا على إشارته لأننا نوافق إشارته ونستحسنها لاسيما فى أمور البحر، وأعلمناك لتكون على بصيرة وتعرف كيف تدافعهم عن ذلك بالتى هى أحسن، وقد كنت شافهت حضرتنا العالية بالله بما رتبته من وجوه التفصى منهم فى ذلك، فاعمل جهدك حتى تدافعهم عن طلب ذلك بما أمكن، والله يعينك وتصلك المكاتيب التى كتبها لك فى هذه القضية ووجهوها ل حضرتنا العالية بالله».

وكما أباح الوسق من المغرب سوغ جلب الأقوات إليه لما اضطر أهل سوس لذلك واشتدت فاقتهم، فكتب للنائب بركاش بالكلام مع سفراء الدول فى الإذن لتجارهم فى جلب القوت لمرسى أكادير ووضعها بها بعد أن يؤدوا صاكنته لأمناء مرسى الصويرة لكون المصلحة اقتضت أن يكون التعشير بها لا بأكدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير، وبأن تكون صاكة ذلك عشرة فى المائة لا خمسة فى المائة، لأن ذلك مخصوص بما يجلب للصويرة ويوضع فيها، ومما أصدره لبركاش فى هذا الشأن وهو الثالث والعشرون مما سبق:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الأجل المجمعول للتجار فى جلب القوت لأكدير وهو ستة أشهر
حان انصرامه وفصل الدراس لازال بعيدا، وأهل القطر السوسى لازالوا مضطرين
للقوت، فاقضى نظرنا الشريف لأجل ذلك التوسعة عليهم إلى الفصل المشار إليه
بزيادة ثلاثة أشهر للتجار على الأجل المذكور المجمعول لهم يجلب ذلك لأكدير
بالصاكة المعتادة التى يعطونها عليه، وهى عشرة فى المائة، وعليه فنأمرك أن تعلم
البشادورات بذلك ليعلموا به تجارهم والسلام فى متم جمادى الأولى عام
١٣٠٠».

ونص الرابع والعشرين فيما كتبه للنائب المذكور مما يتعلق بإشارة بعض
السفراء إلى استنهاض الهمم للحرث والزرع:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما تكلم به معك باشادورات النجليز
والصبنيول والفرنسيس والطلبيان وإشارتهم بالحض على العمال فى إعانة الرعايا
على الحرث واستنهاضهم لها بكل الوجوه وتسليف الزريعة لمن ضعف عنها لما
بلغهم من قلة الحرث فى هذه السنة فى البكرى، ووصل كتاب من كتب لك منهم
فى ذلك وصار مضمن ذلك بالبال، فجازهم على لساننا على تنبيههم واهتمامهم
بالمصالح العائدة بالخير على البلاد والعباد، ونحن بصدد ذلك إن شاء الله، وسنأمر
العمال أهل الجد والفائدة بذلك ونؤكد عليهم فيه لما فى ذلك من مصالحنا ومصالح
رعيتنا والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وشبيه بهذا فى شفقتة على رعاياه ورحمته بهم ما أصدره فى شأن المكترين للأراضى المخزنية ونصه وهو الخامس والعشرون:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد اشتكى الحارثون ببلادات المخزن التى بدكالة على يد عمالهم بتضررهم من أداء جميع الكراء الواجب عليهم فيها معجلا وطلبوا التوسعة عليهم فى بعضه فساعدناهم لادعائهم الضعف، وعليه فنأمرك أن تجعل معهم سدا فى أدائه منجما عند كل فريضة قدر معلوم يؤدونه إلى انتهائه بحول الله والسلام فى ٩ صفر الخير عام ١٣٠٤».

ونص السادس والعشرون فيما يتعلق برفض أصحاب السفن قبول (الورديات) بمرسى العرائش:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تشكى خديمنا الطالب محمد بن على العرائشى بأن المراكب التى تنزل الصبورة بساحل المرسى امتنع أصحابها من قبول الورديات للحضور على ما ينزلونه ولا يخفى أن روجانهم فى المحل البعيد من السعة فيه عرضة للآفات، فنأمرك أن تتكلم مع النواب بأن يلزموا خلائفهم بالعرائش بأن يقبلوا حضور الورديات على ما يطرحونه بذلك المحل ليبعدوا من التغيرير بأنفسهم ومن فتح باب الكطربنض والسلام فى ١١ صفر عام ١٢٩٤».

ونص السابع والعشرين فى إبطال ما يسمى (الكرنتينة) أى الحجر الصحى وقد صدر هذا الظهير حاد اللهجة:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد عددنا لك الكتب فى إبطال ما بلغنا من أمر الكرنطيلة التى
أحدثتموها هناك على يد النصارى، ثم إنه لم يظهر منك أثر للتنفيذ حتى رجع
المخازنية الذين كنا وجهناهم مع المال فأخبروا أنهم حصروا عن الدخول للمدينة
وأقاموا هناك مدة، وحيزت منهم مكاتينا الشريفة وتصرف فيها النصارى بالشق
والتبخير وغير ذلك، ورجعوا من هناك من غير دخول.

وما كنا نظن أن يبلغ بك مساعدة النصارى هذا المبلغ حتى تمكنهم من
التحكم علينا فى بلادنا والتصرف فى مكاتينا، ومنع أصحابنا من تبليغ أوامرنا
الشريفة، حتى أفضى بك الحال إلى تفريق الأوامر على المراسى بمساعدتهم على
تحكمهم، فساعدك من استهواه ذلك وأنف منه من عنده مسكة من عقل وامتنع،
ورد الأمر لعلى جانبنا فأمرناه بعدم القبول وحتى حيث ظهرت لك مساعدتهم
بطنجة فما كان ينبغى لك أن تأمر به فى غيرها من المراسى، وتحيلهم على استئذان
جانبنا العالى بالله فإنها أقرب منا ونحن أعرف بما نقرهم عليه، وما نمنعهم منه.

وقد طالعنا ما أوجب به من الأعذار الغير المقبولة والأقوال المعلولة ولا يقبل
منك عذر فى ذلك ولا يلتفت فيه لما ذكرت من اضطرار الضعفاء لما يجلبونه من
القوت فإن رزق المسلمين بيد الله يأتيهم من حيث كتبه الله لهم من أبوابه
الواسعة، وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك افسخ ما عقدته فى ذلك من غير توقف
ولا مشاورة، وقد أمرنا المخازنية الحملة بأن يدخلوا بمجرد وصولهم ولا يتوقفوا فى
ذلك على إذن ولا غيره والسلام فى ٢٤ شوال الأبرك عام ١٢٩٥».

ونص الثامن والعشرين فى شأن التدليس والتحليل الذى يقع فى التعشير
على الصادر والوارد من السلع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أنه كثر وسق العدد الكثير في مرسى العدوتين من الحنابل والزرابى والبطنيات والبلغة ونحوها لمرسى طنجة اعتمادا على ما فى الشروط، من أن ما يوسق من مراسى الإيالة بعضها لبعض، لا يعطى عنه أعشار لكن كان ذلك مع القله أما الآن فتفاحش جدا، مع أن مقصود واسقيه به وهران كما كثر ورود المراكب من بر النصارى موسوقة بالأقوات لبعض المراسى، ومعها بطائق أمناء طنجة بأنها دفعت أعشارها بطنجة حتى إنه ورد لمرسى العدوتين قريبا خمسة مراكب وأربع بابورات من بر النصارى موسوقة بالأقوات ولم يعشر فيها حتى الثلث، زاعمين أنها عشرت بطنجة.

مع أنه لا ينزل بالمرسى من المراكب وإنما ينزل أصحابها من المراكب ويصبحون بطائق الأمناء بأنها أدت هناك وفى بطاقة واحدة منها نحو الثمان عشرة مائة خنشة، مع أن ما فى الشروط ما مضمنه من أنزل سلعة فى مرسى وعشرها ولم يجد فيها بيعا وأراد وسقها لا يعطى عليها شيئا آخر، وكذلك إذا أراد إنزالها بمرسى أخرى لا يعطى عليها، وهؤلاء لا ينزلونها أصلا حتى قل مدخول بعض المراسى بسبب ذلك، وفيه من التلبس والتخليط ما لا يخفى، وعليه، فنأمرك أن تتكلم مع نواب فى هذه المفسدة واسع فى حسم مادتها بترتيب ذلك على أن تعشر كل سلعة فى المرسى التى وسقت فيها أو وضعت وينسد باب التدليس فى ذلك والخيانة، واجعل ذلك من أهم أمورك حتى يرتب أحسن ترتيب والسلام فى ١٥ محرم الحرام عام ١٢٩٦».

ونص التاسع والعشرين فى قضيتى اليهود ومسألة محمى :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: وصل كتابك بأن يهود دمنات أخبروا من أشاع هناك عند النواب أن عاملهم بعد ما توجه له أمرنا الشريف فى شأنهم جدد عليهم ما كانوا يشتكون منه وزاد على ما كان عليه معهم .

كما شاع هناك أيضا أن يهود فاس أمروا من قبل عاملها بخلع النعال، ومن كان منهم محميا يلبس الكسوة الإفرنجية لىتميز بها .

وأشيع أيضا ثمة أن الوجدى أهين وضرب من أناس من طرف المخزن، وبعد ما قبض الفاعلون به ذلك سرحوا فى الحين بإذن من جانب المخزن، وإلى الآن لم يأتك ذلك على وجه الشكاية . . . إلخ ما ذكرته وصار بالبال .

أما ما ذكرته فى شأن يهود دمنات فلم يبلغنا من غير الذين منهم هنا المتقدم لك الإعلام بأنهم بعد ما حازروا الظهير برفع جميع ما تضرروا به من العامل الذى وجهت لك نسخة منه مع نسخ مما كتب به لعاملهم ولقاضى دمنات وأمين مستفادها فى شأنهم، وعين للتوجه معهم الوصيف البشير بن بريك الحبشى، ونحن بمكناسة الزيتون تغيبوا، وكان ذلك آخر العهد بهم، ولو كان حقا ما تشكوا به من العامل ثانيا لكتب به من كلفاناها بأمرهما زيادة على العامل، وهما قاضى دمنات وأمين مستفادها وبمجرد دعوى أولئك اليهود هنا بذلك عينا من يتوجه معهم لعند عاملهم زيادة على الوجه المذكور، ولا زالوا يترددون ولم يتمحض توجههم من عدمه وإن تمحض عدمه يحاز منهم الظهير المشار إليه ويوجه به المعين لجامعتهم مع المكاتب فى القضية للعامل وغيره .

وأما يهود فاس فقد كان وقع بينهم وبين قاضى فاس الجديد شتآن على حكمه على بعضهم بالسجن حتى يتفصل مع خصمه فى حق ثبت له عليه وتسريحهم المحكوم عليه بذلك من يد أعوانه، وعلى منعه بعض المحتممين منهم من الدخول عليه بنعليه لمحل الشرع، ولما قبض باشاهم على الواقع منهم ذلك ورد أهلهم لحضرتنا الشريفة بمكناس يتكلمون عليهم، فألفوا أعيان تجارهم وأساقفتهم بحضرتنا العالية بالله فتشفعوا فيهم لجانبنا المعتز بالله فقبلنا شفاعتهم فيهم، وسرحوا بعد أن شرط عليهم التوفية بالعهود وترك ما يؤدي إلى إضرار المسلمين بهم كلبس النعال، فقبلوا ذلك وأشهد عليهم به.

فإذا به لما حللنا بفاس ظهر من بعضهم ما يخالف ذلك من لبس النعال فى المحال المعظمة التى يخلعها فيها المسلمون فكلموا بأن لا يخلعها من كان منهم متزيبا بزى النصرارى لابسا لباسهم، ومن كان لابسا لباس اليهود فيخلعها، فامتثل من لا حماية لهم وخلعوها، وغيرهم ترددوا فى ذلك حسبما قدم لك الإعلام به.

وأما ما وقع للوجدى فلا خبرة لنا به إلى أن ورد كتابك به، وقد وقع البحث فيه فتبين أن الواقع فيه هو أن وصيفا من الوصفان العساكرية منحاشا لكبير العسكر كان مارا فى ازدحام الناس بالرصيف ليلة عيد الأضحى وهو راكب على بغلة محمولا عليها كبشان فى شوارى، وكان محاديا له الوجدى، فعلقت كسائه بقرن أحد الكبشين اللذين بالشوارى وتمزقت ووقع الهرج بينه وبين الوصيف على ذلك، فقال المارون بتلك الطريق للوصيف إن هذا الرجل صاحب الفرنصيص فسبه، وسب الفرنصيص غشمية منه فرفعه الوجدى لعامل المدينة فرباه وسجنه ثم وقعت الشفاعة فيه للعامل فسرحه فبلغ لكبير العسكر أن الوجدى لازال لم يسامحه فرده للسجن، وبقي به أياما حتى سرحه الوجدى على يده، ووصفان السوادن لا يخفأك أنهم لا يفهمون الخطاب فضلا عن أن يعرفوا الصواب، وأنهم بمنزلة العجماءات والسلام فى ٣ المحرم فاتح عام ١٣٠٢هـ.

ونص الثلاثين فى قضية سليمان بن قدور المشاغب بالحدود وابن عمه قدر
ابن حمزة:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك مخبرا بأنه وصلك من شارل اكار كتاب فى شأن
سليمان بن قدور يخبرك فيه بأن دولته كلفته بعلاج داء المذكور، وأنه أخبرك بأنه
كتب لحضرتنا العالية بالله فى شأن من ذكر على وجه السر ووجه لك نسخة مما
كتب به وأنه طلب منك أن تكتب لحضرتنا الشريفة إعانة له على ذلك الدواء،
ووجهت كتابه لك مع النسخة المذكورة وأشارت بأنه ظهر لك أنهم حيث عينوا
الدواء وطلبوا المساعدة على درء ما يتولد منه الضرر فلا بأس بذلك، لأنه إذا لم
تقع مساعدة وحصل من ذلك عيب لم يبق ما يدافعون به وصرنا من ذلك على
بال.

فالدواء الذى طلبه اكار هو الكتب لقدور بن حمزة وسليمان بن قدور
مباشرة بأن يأتيا فى الأمان ويواعدان بالبرور والإكرام ومزيد الإحسان، والكتب
لهما بذلك مباشرة لا يناسب لما فيه من خروجهما عن طورهما ومن حل عرى
الترهيب، والذى يظهر فى علاج ذلك الداء هو أن يكتب الظهيران الشريفان
للشريف المذكور بالترغيب والترهيب والوعد والوعظ والأمان ويتحمل لهما من
قبلنا وبكون سليمان بن قدور يرجع لمكانته عندنا من غير زيادة ولا نقصان، بشرط
الوقوف عند الشرط المشترط عليه قبل من كونه يسكن مع إخوانه بالحوز كما هم
الآن به، ويترك التوجه للغرب قطع عدوتى الرباط ويشتغل بما يعينه، وأنه إذا
ظهرت مخايل الغدر والهروب والتهور وانطماس البصيرة، أو تلبس بما يناقض
العهد فإنه يعامل بما يناسب بعد بحول الله وقوته، حتى يكون الإتيان به مبنيا على
أساس صحيح، وأن قدور بن حمزة يأتى فى الأمان ويواعد بالبرور والإكرام على

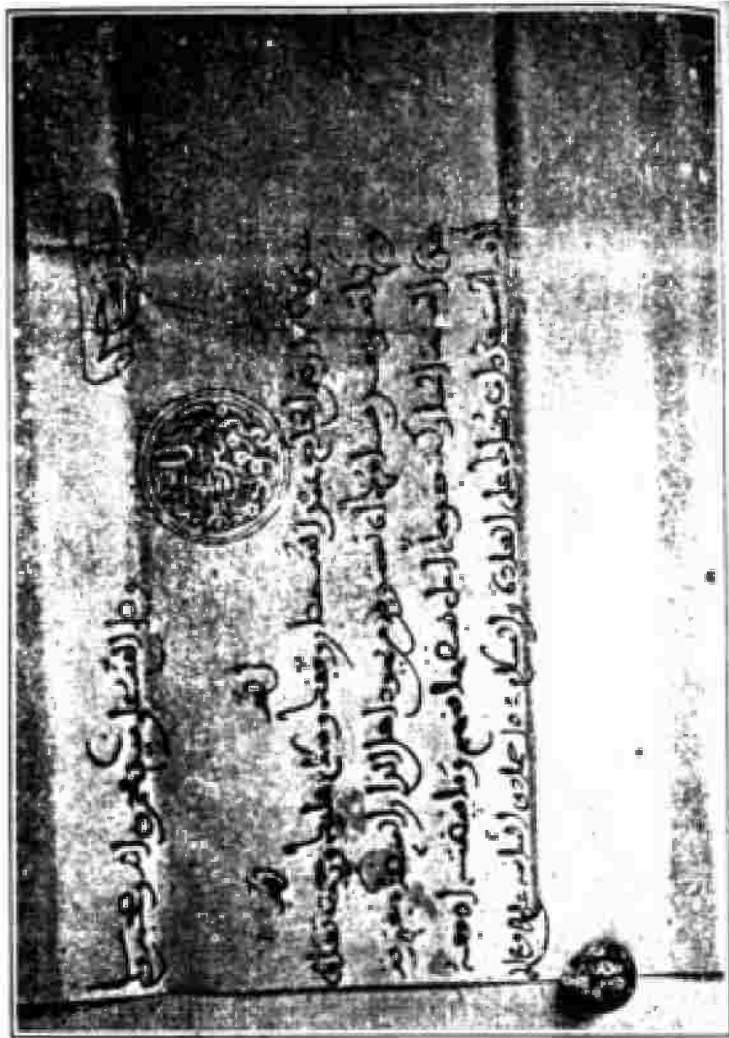
نحو الشروط المذكورة، غير أن سليمان بن قدور لا عهد له ولا ميثاق، ولا عقل له سفيه طائش، ومجيئه على يد الشريف المذكور قبل هو من جملة الأسباب المانعة من القبض عليه زيادة على ما كان يخشى توقعه من تمرد أقاربه وتشيطانهم بالصحراء، فإذا ورد بهذا الاعتناء وهذه الأبهة يزداد في حمقه وطيشه أكثر من المرة الأولى التي كنا معه فيها كمرىي الطفل الأبله.

وربما يتركنا حتى نكون عنه في شغل ويعلم الاستغراق فيه كهذه الحركة التي فر فيها، ويتحين خروج ضال من إخوانه هنالك لكونهم كالدجاجيل لا ينقطعون من تلکم الصحارى ويفر لكونه يتلون ويتقلب وينقض عهده في كل مرة وتكون له هذه ثلاثة ثلاثة: الأولى في حياة سيدنا رحمه الله والثانية والثالثة في مدتنا والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

وكل من سمع بأن ذلك السفيه يفعل ذلك مع جنابنا العالی بالله يظن بالجانب بحسب الظاهر الغفلة وعدم التيقظ وغير ذلك مما لا يناسب، مع أنه لو اطلع على باطن الأمر من كونه يؤتى به في الذمة والأمان والوساطة بالشفاعات ونحو ذلك مما يقضى بغض الطرف عنه مع تركه لحثالته أوباش قرابته للشيطنة بالصحراء ينظرون من يسمعون عنه، لم يظن ذلك الظن السيئ ويعرف الأمر بحقيقته.

والدولة إذا صدر منه شيء في هذه المرة الثالثة لا تعذر ويكون لها الحق علينا لكونها صبرت وقابلت بما يناسبها فهي مجازاة بما يجازى به أمثالها العظام فنحتاج إلى أن نسلک في إتيانه سبيلا لا تنبنى عليه تلك المفاسد، ولاسيما وقد عرف حاله وغدره.

وقد بلغنا أنه أراد أن يتشيطان في الحدادة، فكتبنا لأولئك القبائل وبصرناهم في أمره، وأعلمناهم بأنه هرب من حضرنا العالی بالله ولم يتوجه عن إذن كما



ظهیر للحاج عبد اللہ حصار فی استیفاء الجزیة من یهود الدار البیضاء

يموه ويقول لهم، وعرفناهم بأنه فتان وبأن من تبعه تلحقه الدعوى وترهقه البلوى، وواعدناهم مع ذلك على تحصيله بالدراهيم الكثيرة.

ولما بلغه ذلك وتحقق به انتقل إلى هذه الإيالة وأكثر المكاتبة مع البعض من قبائلها ويطمعهم بالكيل، فطفق كل من كتب له كتابا يوجهه لحضرتنا العالية بالله، ومضمن تلك المكاتب لا يصدر إلا من أحقق فتان.

فكتبنا لهم فيه بما يتعين حتى صاروا منه على بال، ولما ضاق عنه الفضاء، بلغنا أنه يريد التعلق بمن يأتي به لحضرتنا العالية بالله في الأمان فغضضنا عنه الطرف قصدا حتى يذعن، ويكون بحيث إذا أتى تأتي تائبا مدعنا مطأطئ الرأس ملتزما الجلوس عند حده والاشتغال بما يعنيه، فإذا بك كتبت في شأنه بما كتب به اكار.

وعليه فإن كان الشريف المذكور يأتي به على الشروط المذكورة فتحمل به، وبما يكون له من البرور وكذا لابن عمه المرابط الطالب قدور بن حمزة على الشروط المذكورة التي فيها صلاح الدولتين، وكان قيذاً لازماً في مجيئهما حسبما بعضه مذكور في مكاتبتهم في شأنه، ولا يريان بحول الله منا حينئذ إلا ما يسرهما.

والظهيران المشار إليهما يصلانك طى هذا مفتوحين لتطالعهما وتدفعهما لاكار يدفعهما للشريف المذكور لقضاء الغرض بهما على يد اكار وما ذكره في كتابه من أنه يتكلف لمن يأتي به من عند الدولة، فهم مجازون عليه بالخير غير أن مثل من ذكر لا يحتاج له إلى ذلك، ويكفى فيه نحو خمسمائة ريال والسلام ١٥ قعدة عام ١٢٩٨».

ونص الحادى والثلاثين فيما أصدره فى جزية اليهود:

«خدمنا الأرضى الحاج عبد الله حصار، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته، وبعد:

فنامرك أن تستوفى من يهود أهل الدار البيضاء جزية هذه السنة المباركة فقد حل أجل قبضها منهم، وما قبضته ادفعه لأمين المستفادات هناك على العادة والسلام ١٥ جمادى الثانية عام ١٢٩٤».

ونص الثانى والثلاثين فيما أصدره فى شأن قبض الزكاة:

«خدمنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوى، وفقك الله، وسلام

عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإن الزكاة ركن من أركان الدين، أمر بها سبحانه عباده فى كتابه الذى شرع فيه الشرائع وصانه وزكاه فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة: ٤٣] وأوعد مانعها بعذابه الأليم. فقال فى كتابه الحكيم: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. وقال ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. الحديث. وقال ﷺ: تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطأه بأخفافها وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقاً تطأه بأظلافها وتنضح به بقرونها.

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لو منعونى عنقا كانوا يؤدونها

إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها.

وعليه فنامرك أن تستوفى من إياتك ما أوجب الله عليهم من الزكاة التى

هى معلومة بالضرورة من الدين وجاحتها لم يدخل فى ربة الإسلام وشعار



ظهیر مولای الحسن للحاج محمد بن سعید

المسلمين، وأن تقوم على ساق الجد في حملهم على أذائها فوراً، وأن لا تقبل من أحد في التعجيل عذراً، لأنها من حقوق الله التي تجب إليها المبادرة بقدر الإمكان، ولا سيما هي من أعظم دعائم الإسلام وأجل الأركان والسلام في ٢٠ شوال الأبرك عام ١٣٠٤هـ».

مؤنهر مدريد ووفقه

ولما اجتمع المؤتمر الدولي بمدريد للنظر فى مسألة الحماية بالمغرب وجه له النائب الشهير السيد محمد بركاش الرباطى لمزيد معرفته وخبرته وممارسته لمثل هذه الأمور فى الدولتين المحمدية والحسنية، وزوده بما يقتضى اعتماده نائبا عنه، وتوجه معه بقصد الاستشارة وشد العضد الحاج عبد الكريم بريشة التطوانى، وإليك ما راج بين الحضرة الشريفة ونائبها فى المؤتمر المذكور وأولها:

«خديمينا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك فى شأن سفرك لمديد للحضور فى الجمع على قضية الحماية، وذكرت أنك لا تجد انفكاكا منهم بخاطرهم إلا بمدافعة من جانبنا العالى بالله لكونهم يذكرون أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض، غير أنه تخيل لك من كثرة إلحاحهم عليك فى التوجه أن لهم فى ذلك شيئا مع مشاهدتهم لمرضك وملازمتك للفراش، ولولا أخذ ولدك بيدك لتعذرت عليك مباشرة الأمور مع كثرة الصائر على شئونك وعلى ما هو واجب على المخزن، وكون سفرك يلزمك فى صائره على نفسك فيما لا بد منه نحو الألف ريال فى تعداد الكساوى لك وما يناسب لأصحابك والفراش والمحوت وغير ذلك، مما تظهر أبهة الإسلام وراتبك لا يكفيك لصائر بطنجة فضلا عن صائر بالرباط.

وكان سيدنا رحمه الله يعينك بتنفيذ ما تدفعه فى مثل ذلك وينفذ لك غير ذلك مما تحصل لك به الكفاية، وكانت تحصل لك بذلك قوة وإعانة على الخدمة ووجاهة على الأجناس، وطلبت الإنعام عليك بما تجبر به ما خرج من يدك فى

هذه المدة، وما تتقوى به على الخدمة، وإن اقتضى نظرنا الشريف أن تتوجه للمحل المذكور حين تحصل لك الراحة وتقدر على السفر تتوجه وصار ذلك بالبال.

فأما توجهك للمحل المذكور فقد تقدم لك كلامه وما أخبرت به من أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض هو الذى توسمناه وهجس فى الخاطر والباطن، ولذلك شرح الله صدرنا للإذن لك فى التوجه وكتبنا لك به آخرًا بعد ما خيرت أولاً فالعمل عليه، وإذا عزمت فتوكل على الله.

وأما ما تخيل لك من أن لهم فى توجهك شيئًا فخذ فى ذلك بالحزم واحتط ما أمكنك ولا توافقهم على ما فيه ضرر أو شبهة أو مخالفة للشرع فإننا لا نقبله ولا نوافق عليه أصلاً إذ المقصود من هذا هو التطهير من هذا الرجس لا إيداله بما هو أقرب وأفطع فى المثل، كما غسل دما بدم أو بزيادة آخر عليه فى المثل جاء يطب فأعمى، وفيه أيضا جاء ليستفيد قرنين فرجع بلا أذنين.

وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوى أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك كقضية أعراب الحدادة والصبنولى المقتول وما كنت تفاصلت به فى قضية إعطاء أهل الحماية فى الإمكاس ينفذ لك وهلم جرا.

ولو أخبرت بغير ذلك مما يجب لنفذ لك كأمثاله إذ لم يعهد لأحد من المكلفين الذين عندهم ما يصيرون منه أن المخزن يكلفهم بالصائر عليه من عندهم وأحرى غيرهم الذين يعانون من جانب المخزن.

وعليه فبين ذلك الواجب المخزنى الذى صيرت عليه من عندك ليظهر، وبين لنا نظيره الذى تقدم الصائر عليه حياة سيدنا رحمه الله ومن أين كان يصير عليه.

وأما ما ذكرته من كون راتبك لا يكفيك لصائرِكَ بطنجة فضلا عن صائرِكَ بالرباط، فإننا نعرف ذلك ونعتقده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك، وكل ما يعطى لك فى محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان ولا يخفأك ما نخرجه كل شهر فى مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها.

وأما ما ذكرته من كون سيدنا رحمه الله كان يعينك . . . إلخ فلم يتقدم منك إعلام بذلك قبل الآن، ولو أعلمت به لوقع النظر فيه وأقررت عليه كما أقررت على غيره كالمشاهرة وتجديد ظهائر الخدمة ونحو ذلك، وعليه فبين لنا ذلك وبكم كان يعينك وعلى يد من كان ينفذ لك، وكم من مرة أعانك ومن أين كان يخرج لك ذلك لنرى فيه، وأما تصيير الألف ريال فيما تتوقف عليه لسفرك فلا بأس به والسلام فى ١٤ ربيع الأول عام ١٢٩٧».

الثانى وفيه الكلام على ما راج فى إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك فى أحد اجتماعاتك مع نواب الأجناس كنت تتكلم معهم فى إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، لكون ذلك خارجا عن مقتضى الشروط، فذكروا لك أنهم إذا أسقطوهم يقع عليهم الترامى، والحكام لا يبالون ويقع عليهم الظلم والحيف بسبب حقدهم عليهم حيث كانوا فى الحماية، وأنت تذاكرت مع باشادور الإنجليز فى كيفية الخروج من ذلك فاخترتم أن نجعل لهم عهداً بأن لا يقع لهم ظلم ولا حيف وكل من يسقطونه من الحماية فى ذلك الوقت ويصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه فيعلم القونصو

الذى كان حاميه ليحضر على الحكم ولا يتكلم بشيء إلا أنه ينظر هل يقع له ظلم .

وأنت اخترت ذلك ليكون عاملنا هو الحاكم وهو أحسن من أن يكون القونصو هو الحاكم وأن باشادور النجليز حتم عليك الكتب إليهم بذلك لتسد أفواههم عما يدعون به من الظلم عند دولهم، وظهر لك أنه مصلحة، ووجهت لحضرتنا الشريفة نسخة مما كتبت لهم به ومع ذلك فلم يقبله الطليان . . . إلخ .

فقد عرفنا ذلك وصار ببالنا الشريف والذى اقتضاه نظرنا الشريف هو ما قدمنا لك صحبة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة، من أن نكتب لمن يخرج من الحماية ظهائرتنا الشريفة، ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجنابنا العالى بالله على وجه أوفق وأليق، ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحه جانبنا الشريف والعزبان والشركة .

ومن كان منهم من أهل المدن نستعمله فيما يناسب من خدمتنا الشريفة، حتى يكون جميعهم فى حوزة جانبنا العالى بالله ولا يجد العمال إليهم سبيلا، ولا يجدوا هم أيضا سبيلا إلى التشكى والتظلم بأمر يلحقهم، ويبقى الكل فى فسحة .

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم به فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحقق الأمر فيه معهم، واجعل ذلك فى زمام، وأعلمهم بأنه إذا ادعى البعض على أحد بعد، أنه منهم ولم يشمل ذلك الزمام فهو رد .

نعم اليهود المحميون إذا تآتى لك إدخالهم فى الضابط المذكور فلا تقصر فيه، وإذا لم يتأت لك ذلك فأجر عملهم على حضور القونصو مع العامل وقت الحكم عليه، بخلاف المسلمين، فإن العمل فيهم هو ما قررناه لك من جعل

الظهائر لهم، فامض عليه وجد في حيازة عددهم كما قدمناه لك أصلحك الله
والسلام ٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

الثالث وفيه الكلام على تعيين وقت انعقاد المؤتمر والبت في مسألة النائب
المغربى به ومستشاره:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك كنت قدمت الإعلام لجانبنا الشريف بما
كان أخبرك به نائب الصبنيول مما كتب له به وزيرهم في شأن الجمع بمدريد على
قضية الحماية، وأنه ظهر لهم أن يكون في خامس عشر مايه الموافق نحو خامس
جمادى الثانية الآتى مواليا لشهر تاريخه، وأنت كنت وجهت نسخة من كتاب
الوزير وترجمته، وأنت لما رأيت فيه وقوع الاتفاق على عدم حضور أحد من
النواب الذين بطنجة، وتخيل لك أنه ربما يكون شاملا لك طلبت من النائب
المذكور الاستفهام عن ذلك فكتب على طريق السلك هذه نحو الخمسة أيام من
تاريخ كتابك الذى هو عاشر شهر تاريخه، وإلى الآن لم يرد له جواب عن ذلك،
وإنه لا ينبغى السكوت عن شئوننا.

وطلبت من جانبنا الشريف أن نوجه لك ظهيرا لسفرك إن كان النظر لم يزل
على سفرك. وكتابا لعظيم الصبنيول بالإعلام بذلك، وتسمية من هو متوجه من
جانبنا الشريف، وأن نعين لك من يرافقت ويشد عضدك، وتستشير معه فى
الأمر، ومن يكون على يده الصائر.

كما طلبت أن نعين لك من ينوب عنك بطنجة مدة سفرك لكون ولدك لا
غنى لك عنه فى التوجه صحبتك، ولكونك لم تزل نقها حديث عهد بمرض،

ولياخذ بيدك ويكون لك معينا فيما يتعلق بما أنت بصدده، وذكرت أن ما كنا أمرناك به من أن تستنيب عنك من كان ينوب عنك وقت سفرك للرباط وهو الطالب عبد السلام أحرضان، إنما كانت نيابته عنك في الدراهم التي ترد ليديك لأمانته ومروءته .

وأما أمور خدمتك مع النصارى فإنهم يكتبون لك أينما كنت كأنك بطنجة، وأنت خاطبت الطالب عبد السلام المذكور بالنيابة عنك فى ذلك مرارا، فاعتذر بأنه لا يقدر على ذلك لعدم اتساع صدره، وكونه لا يقدر على شأن ولا محاوره، فقد عرفنا ذلك كله وصار ببالنا الشريف .

فأما الكتابان لك ولعظيم الصبنيول فهما يصلانك، وأما من يرافقتك فقد عيناه وهو خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة لما قام به من الأوصاف الموجبة لذلك، أو إما ولدك فلا بأس بتوجهه معك، وأما أحرضان فاستنبه وحتى إن اعتذر فالمسافة بحول الله قريبة والسلام فى ١٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧» .

الرابع: وفيه ضابط الخارجين من الحماية الذى تحفظ به حقوقهم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد أشار بعض الناس فى شأن من أخرجتهم الشروط والقوانين من الحماية بأن يجعل لهم ضابطاً لا يتأتى معه وقوع ضرر لهم من العمال بسبب كونهم كانوا محميين، وهو أن من ارتكب منهم ما يوجب حكم العامل عليه فالعامل يطلب من القنصو الذى كان حاميه أن يحضر فى وقت حكمه عليه ليعرف أن ليس مراده مجرد ظلمه من جهة كونه كان محميا، وهذا الضابط هو عين الحماية، فإذا جعل يكون كأنهم لا زالوا فيها مع عدم وجود من يقف معه من العمال ويعمل بمقتضاه، لأن منهم أولى العقل والذكاء والفتانة والذين لا زالوا

على فطرتهم وبدأوتهم لم يجربوا الأمور، ولم يعرفوا القوانين وهم يترامون عليهم الآن.

والحالة أنهم لا زالوا في الحماية كسمسار النجليز الذى ترامى عليه المديونى، وكصاحبى المركان الذين ترامى عليهما الحريزى والمزمزى ونحوهم، والذى اقتضاه نظرنا الشريف هو أن تجعل مع نواب الأجناس تأويلا مناسباً فى أمر أولئك الخارجين من الحماية يسان به عرضهم ومروءتهم ويحفظ به مالهم، وهو أن نكتب لهم ظهائر شريفة ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبنا العالى بالله على وجه أوفق وأليق.

ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحه جانبنا الشريف والعزبان والشركة.

ومن كان منهم من أهل المدن نستعمله فيما يناسبه من خدمتنا الشريفة حتى يكون جميعهم فى حوزة جانبنا المعتز بالله ولا يجد العمال إليهم سبيلا، ولا يجدون لهم أيضا سبيلا إلى التشكى والتظلم بأمر يلحقهم، ويبقى الكل فى فسحة.

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم عليه فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحقق الأمر فيه معهم، وأعلمهم بأنه إذا ادعى أحد أنه منهم عند جريان الحكم عليه ولم يشمل ذلك الزمام فهو رد، وكذلك اليهود المحميون إذا تأتى لك إدخالهم فى الضابط المذكور فلا تقصر فى ذلك، وإذا لم يتأت لك ذلك يجرى عملهم على ما أشار إليه البعض من حضور القونصو مع العامل وقت الحكم عليه، بخلاف المسلمين فإن العمل فيهم هو ما قرنا لك من جعل الظهائر لهم فلا بد جد فى حيازة عددهم منهم أصلحك الله وأعانك والسلام ٢٢ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

الخامس وفيه الكلام على تغيير اتفاق السماسرة المنعقد مع فرنسا وإسبانيا
سنة ١٢٨٠:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنه لا يخفى على دول الأجناس أن مرادنا تسهيل أمور التجارة،
وتيسير طرقها وأسبابها، حتى لا يحصل لسماسرة التجار سواء كانوا من الأجناس
أو من الرعية ضرر ولا منع من أمورهم من جهة عمال البوادي ولا من غيرهم.

غير أن الاتفاق على السماسرة المجمعول مع الفرنضيص والصبنيول وغيرهم
بطنجة عام ثمانين ومائتين وألف قد اختبر فألفى فيه الضرر لهذه الإيالة، ولا سيما
إذا طلب مثل ذلك تجار جميع الأجناس من باب المساوات فيتضاعف ضرر الرعية،
لأن التجار إنما يختارون السماسرة من أشياخ البادية وكبرائها فيتعصبون ولا
يسمعون كلام المخزن فى الأمور المتعلقة بهم، وإن خوطبوا بأمر يجيبون بأنهم
مشتغلون بالبيع والشراء مع أصحابهم، ولا حكم عليهم لأحد إلا لقنصوات
المراسى، وهم وإن كانوا فى حيز القلة الآن لكن حيث يطلب ذلك تجار الأجناس
يكثر عددهم، ويصير فى كل قبيلة أكثر من مائتين، فتفسد الأحكام، ولا يبقى
لعامل مع من يتكلم وعليه فنامرك أن تتكلم على ذلك فى المجلس، وتنبه على أن
الاتفاق المذكور الذى وقع على السماسرة ليس من الشروط المطبوعة من جانبى
الدولتين العظيمنتين فلا تقبله فيما يستقبل، والدول من كمال عقولهم لا يوافقون
على بقاء ذلك لما فيه من الضرر الذى اتضح أمره ولم يكن فى حساب، ولا يتخيل
لهم أنه إذا ترك هذا الاتفاق لم يوقر العمال نواب سماسرة التجار ويمدوا يدهم فى
أمتعتهم وأموالهم ويظلمونهم.

فإن ذلك أمر لا نوافق عليه بحول الله ومن فعله من العمال نعاقبه ونزجره عليه، نعم هؤلاء السماسرة ينبغي أن يكونوا من المراسى لا من البادية، وكل واحد يكون بيده رسم مطبوع بطابع القنصوات وعامل المرسى يتضمن التعريف به، وأنه سمسار التاجر فلان، ولأولئك السماسرة الحرية لا يتعرض لهم أحد في بيعهم وشرائهم بأسواق البادية وغيرها.

وإذا وقع من السمسار ما يوجب الحكم عليه في البادية يقبضه عاملها، وإذا ظهر له أنه ظالم لا يعاقبه، ولا يحوز له شيئاً من أمتعه وأمتعته التاجر صاحبه ولا يقبض منه سخرة، لكن يجعل في اليوم الذى يقبضه تقييداً شاملاً لكل ما عنده من متاعه ومتاع التاجر بعدلين، وإذا كان السمسار المقبوض يخس الكتابة يعطى للعامل خط يده بأن متاعه ومتاع التاجر هو الذى قيده العامل بالعدول ويوجه العامل السمسار لعامل مرساه ليخبروا القونصو بذلك وليحضر معه فى إجراء الحكم عليه، فإذا شهد العامل والقونصو بظلمه يسقط من زمام السماسرة ويجرى الحكم عليه، ويبدله التاجر بسمسار آخر، وإذا اختلف العامل والقونصو فى ظلمه بأن قال العامل إنه ظالم وقال القونصو إنه ليس بظالم، يرفع الأمر لوزيرنا فى الأمور البرانية بطنجة وهو يفاضل مع منيسطر دولة التاجر، وإذا وجده العامل والقونصو برىء الساحة يخبرنا بواسطة وزيرنا بطنجة ليقع الكلام مع عامل البادية الذى ظلمه.

وهؤلاء النواب يجب عليهم للمخزن كل ما هو جار بالقانون، ويدفعون ذلك لعامل المرسى على يد القونص، وإذا ترتب على أحد من السماسرة حكم لا يقبض عليه عامل المرسى إلا بعد إعلام القونصو بالدعوى، وبأنه يقبض عليه وعلى ما ذكرنا فوضنا لك فى جعل اتفاق جديد فى شأن هؤلاء السماسرة على خلاف الاتفاق المجعول فى التاريخ المذكور، مع من ذكر حتى يرجعوا لأصلهم

القديم الذى كانوا عليه قبل ذلك الاتفاق من غير اقتراح شىء بسبب إزالته، مما لم يكن قبله جعله، والسلام فى ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

السادس وفيه تعيين وقت سفر الوفد المغربى وما يتعلق بذلك :

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما قدمناه لك من أمرنا الشريف بالتأهب للسفر للحضور بالجمع بمدريد مع الأجناس لما أطلعت علمنا الشريف بكتاب وزير الصبنيول، وأنت كنت قدمت لنا أن سفرك لهنالك يكون يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر تاريخه، وإن تأخر فيوم الخميس، وأنت كنت طلبت من جانبنا الشريف أن نوجه لك كتابا شريفا لعظيم الصبنيول وظهرنا شريفا لك، وأنت لم تزل فى انتظارهما، وطلبت تعجيلهما لقرب الوقت، وأشرت بأن السفير المتوجه للتهنئة من جانبنا الشريف لا يضر تأخيره عن هذا الأمر الأكيد المحدود بالأجل مع جميع الأجناس، كما أخبرت بأن كتابنا الشريف وصلك فى شأن توجيه التاجر حفيد برادة لإعانة البلغيشى، وأخبرت بذلك بأشدر الفرنضيص إلى آخر ما ذكرته .

فأما الكتابان الشريفان اللذان أحدهما لعظيم إسبانيا وثناهما لك بالأمر بالتوجه فقد وجهناهما لك صحبة خديمتنا الحاج عبد الكريم بريشة، مع المكاتب التى اقتضاها المقام بتاريخ ثانى عشرى شهر تاريخه الذى هو يوم الاثنين وصار بالبال ما عدى ذلك والسلام فى ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

السابع فى حسم الروابط التى يمكن أن تكون بين الخارجين من الحماية، والذين كانوا حامين لهم:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمما ينبغى التنبه له والتهيؤ في أمره كون المحميين إذا خرجوا من الحماية ربما لا تنحسم المادة بينهم وبين من كان حاميهما لما عسى أن يبقى حكم الحماية منسحبا بعد خروجهم منها ظاهرا لانطواء ضمائرهم على ذلك من الجانبين، فيدعى الحامى أن المال الذى بيد الخارج من حمايته هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما يقتضى إبقاء الرابطة بينهما، وقد أشار بعض الناس لما استشير فى ذلك إلى كيفية التكلم فيه بأن يقال المحمى إذا خرج من الحماية فحاميه لا يمكن أن يتوصل لحمايته بسبب، ككون المال الذى بيده هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما لا ينفك به عن وصف الحماية، مع أن الفرض أنه خرج من الحماية، ولأجل ذلك تجرى عليه الأحكام على وجه الحق.

وعليه فتكلم فى ذلك مع نواب الأجناس عند انعقاد الجمع هنالك، وبأشرف علاج على وجه منضبط تنحسم به تلك المادة، حتى يكون الخروج عن الحماية حقيقيا لا صوريا فقط، والسلام فى ٩ جمادى الثانية عام ١٢٩٧».

الثامن وفيه الكلام على الخارجين من الحماية، وموقف نائب فرنسا عند طرح مسألة تغيير اتفاق السماسرة فى المؤتمر:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت أطلعت به علمنا الشريف ما دار بينك وبين النواب فى أحد اجتماعاتك معهم فى شأن إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، من أنهم ذكروا أنهم إذا أسقطوهم يقع الترامى عليهم،

واخترت أن يجعل لهم عهد بأن لا يقع لهم ظلم، وكل من يصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه يعلم القونصو الذى كان حاميه ليحضر على الحكم كما بينت ذلك لجانبا السعيد سابقا.

ثم وجهنا لك صحبة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة ما اقتضاه نظرنا الشريف من أن يكتب لمن يخرج من الحماية ظهائر شريفة متضمنة ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبا العالى بالله، حتى لا يجد العمال إليه سيلا، ولا يجدوا هم سيلا إلى التشكى والظلم، وأمرناك بالمفاوضة معهم فى ذلك والتكلم به فى مجلس الأحكام، كما أمرناك بإجراء عمل اليهود المحميين على حضور القونصو إذا لم يتأت إدخالهم فى الضابط المذكور، وأنه إذا تأتى فلا تقصر فيه، بخلاف المسلمين فتمضى فيهم على الضابط المقرر.

وعرفنا ما ذكرته من أنك أشرت بذلك على البعض تستشير معهم هناك فأشار إليك بعدم ذكر ذلك فى الجمع، ذاكرا أنهم لا يقبلونه لما هو ثابت عندهم من عدم الثقة بالعمال، ولكونهم لا يعرفون هذه السياسة.

وأنت لما رأيت ذلك جعلته على صنف آخر تفهمه عقولهم حسبما وجهت نسخة منه لحضرتنا العالمة بالله طى كتابك، وذكرت أنك لم تدر هل يقبلونه أم لا، كما عرفنا ما ذكرته من أنا لو علمنا على ما صدر من الفرنصيص فى الجمع الواقع فى الرابع عشر جمادى الثانية فى أمر السماسرة لقضينا منه العجب، وذلك حين حاولت منه طرح القانون المجمعول عام ١٢٨٠، ولولا وزير الصبنيول عالج ذلك ولم يقصر فى الوقوف فى جانبا السعيد لكان الأمر أشد، وأن من جملة ما ذكر لك باشدور الفرنصيص أنك تريد القباحة مع جنسه وعنده الإذن أن لا يتكلم فى ذلك، فتكلم معه وزير الصبنيول بكلام لطيف، وطلب منك ترك الكلام الذى

تكلمت به فى المجلس حتى يستشير مع دولته على طريق السلك، وتشرعون فى غير ذلك ريثما يأتىه الجواب فأحبيته لذلك وأجاب هو كذلك .

ووقع كلام كثير ظهر لك منه على ما بيدك من أوامرنا الشريفة، أنك لا تحصل على طائل، لأن الذى كان فى بالك فى هذه الوجهة هو التحفظ على عدم وقوع ريبة فى ديننا والتحفظ على جانبنا العالى بالله، وعلى الرعية وجلب الخير لبيت المال، وما زاد على ذلك من أمر الحماية كله ربح، وأن الرثيل اليهودى النجليزى قدم لهنالك وصار يفد عليك ما تحاوله حتى صاروا يتكلمون فى وزير الصبنيول بما بينته وكثر الكلام فى الجوازيط وغيرها .

وذكرت أنك لازلت طامعا فى أن تحفك عناية الله تعالى وسعادتنا فى التحصيل على نيل المطلوب، وصار جميع ما ذكرته بالبال، فقد وصلت النسخة ولا بأس بجعل ذلك على الوجه الذى ذكرت أنه تفهمه عقولهم، إذ المقصود هو الوقوف فى ذلك مع الشروط والقوانين القديمة فى أمر الحماية وترك الزائد عنها كيفما تأتى .

وأما ما صدر من الفرنصييص كفانا الله شره وشر كل ذى شر ورد كيده فى نحره .

وأما اليهودى الإنجليزى انتقم الله منه عاجلا ولا بلغه مناه .

وأما ما ترتقبه من حفوف عناية الله تعالى وسعادتنا بك فى نيل المطلوب كمل الله بخير وأصلحك، وأخذ بيدك آمين والسلام فى ٢٨ جمادى الثانية عام ١٢٩٧ .

التاسع وفيه الكلام على مسائل مما راج هنالك وموقف نائب إيطاليا فى المؤتمر :

«خديمتنا الأَرْضِي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه بتمام الكلام في أمر النظر لزسيون، وأن محصل ما أدركتم فيه أن ما فات فلا رجوع فيه، وما يأتي يجعل له ترتيب وهو أن من عنده رسم النظر لزسيون من جنس من الأجناس إذا رجع لإيالتنا يعد له قدر المدة التي جلسها في بلاد الأجناس لقبض الرسم المذكور، ثم بعد ذلك إما أن يخرج من إيالتنا وإما أن يدخل تحت حكم ولاتنا، وما أدركتم هذه إلا بمشقة لما في ذلك من معارضة شرائعهم، وبشروعكم في الكلام في تنحية الحماية الخارجة عن القانون وإفساد باشدور الطليان الذي هناك لكم كل ما علمتم وصدور كلام طويل منه في المجلس فيما يجلب الضرر للمغرب، فأجبت به بما يناسب كلامه واسترعت على الأمور الساقطة فلم يقبل منك ما أجبت به، فطلب منك باشدور إسبانيا أن تسقط بعض الفصول التي تكلمت بها فأجبت بأنه إذا أسقط الطليان فصلا تسقط جوابه، فتكلم مع الطليان في ذلك فأسقط البعض فأسقطت جواب ما أسقطه فلم يقبل الطليان ذلك أيضا، وتكلم معك وزير إسبانيا في ذلك فأجبت بأنه إذا أسقط جميع ما ذكر تسقط أنت ذلك كله، وبقي الأمر موقوفا على هذه الحالة.

ثم شرع وزير إسبانيا في الكلام على تحديد الحماية، فقبل المجلس التحديد ولم يكن كلام فيما فات والدي هو مقيد وخارج عن القانون يبقى على حاله ومن مات تسقط حمايته ولا تورث، ولا تبقى حماية في المستقبل إلا ما هو مذكور في الشروط والوقف والطليان لم يقبل ذلك.

وأراد أن يستمر على إعطاء الحماية لمن شاء كيف شاء فأجبت بأنك لا تقبل ذلك، ولما رأيت عدم تقصيره في الكلام بعدم المساعدة ووزير إسبانيا وباشدور

الفرنسيص أبذلا المجهود معه فلم يساعدهما، استرعت على جميع من فى المجلس بأنهم إذا لم يحددوا الحماية وتركوها على حالها فلا طاقة لك على الوفاء بما هو فى الشروط من الأمان والحفظ للأجناس ولأمتعتهم، لأن الحكام لم تبق لهم حرية فى تبليغ الحقوق، فقال رئيس المجلس للحاضرين به: هذا ما أردتم أن تسمعوا، والحق معه فى ذلك، فسكت الفرنسيص ولم يجب بشىء، وظهر منه استحسانه ذلك ثم انفصل المجلس وكتب وزير إسبانيا لباشدورهى الذى بإيطاليا وكذلك بعض النواب ليعينوا على المساعدة، ولما أعددتى المجلس وسألتم باشدور الطليان عن جواب دولته فأجاب بأنه لا زال لم يرد عليه، واعتذر بأن الكلام فى السلك يقع فيه الغلط، وأنه لا زال على كلامه الأول، فحينئذ جعلت الاسترعاء المذكور كتابة لتتكلم به على وجه مخزنى لكون كلامك به أولا كان على غير الوجه المخزنى، واتفق أهل المجلس فى تأخير الجمع حتى يأتى الجواب للطليان من دولته، وهذا كله سببه باشدور الطليان الذى بطنجة وصار ذلك بالبال.

فأما التأويل المذكور المجمعول فيما يأتى من النظر لزييون فى المستقبل فلا بأس به، وأما عدم الرجوع فيما فات منه وبقاء المحميين الخارجة حمايتهم عن القوانين والشروط وكذلك وفق السماسرة ففهم ضرر كبير بين، فإن كان المحيد عنه فهو الأولى، وإن لم يكن فالخير فى الواقع والله المستعان، إنما أشكوا بئى وحرزنى إلى الله.

وأما ما صدر من باشدور الطليان فقد كان فى غنى وسعة عن تصديه لهذه الإذاية، الله حسيبه ووكيل عليه، ويده سبحانه فوق يده لأنه لا داعية له لذلك لولا الشهوة والغرض، ولقد كان أعظم فى العين أن يتكلم فيما لا يعنيه ولا نفع عائد عليهم منه، ويسعى فى فتح الأبواب وخرق القوانين والإضرار، والله يعينك ويصلحك ويأخذ بيدك والسلام فى متم رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٧».

العاشر وفيه تتمة الكلام على ما سبق فى الذى قبله وانتهاء أعمال المؤتمر :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، سددك الله، وسلام عليك ورحمة

الله وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت قدمت الإعلام به من إتمام أمر النظرزيس بعد مشقة، ونبهت على محاولتك الاسترعاء على الطليان فى المجلس حيث امتنع من جعل الحد للحماية، وعرفنا أن دولته أجابته بأن يستشير مع باشدورههم بطنجة الذى قدم إلى مدريد، وهو يتمم الكلام فى النازلة، وأن وزير الصبنيول تلاقى مع باشدور طنجة وبقي يتردد معه فى ذلك، وإلى أن أذعن للحد وهو إذا خدم أحد من رعية سيدنا أعزه الله خدمة غريبة نادرة الوقوع لجنس من الأجناس فيستحق الحماية، لكن لا تزيد على اثنى عشر، بحيث إذا زاد الثالث عشر فليس محميا عنده عدا اثنى عشر إلى أن يموت واحد منهم .

وعلمنا أن المحميين المقيدىن فى الزمام الخارجين عن القانون تعذر عليك إسقاطهم ولم تجد له سبيلا، ومن مات منهم يسقط، وحين تلاقيت مع وزير الصبنيول فى ذلك عرضه عليك وبين لك أن ليس فى يدك شىء أكثر من ذلك، ورغبك فى عاقبة المساعدة فجنحت إليها وتمتم الجميع، وتأهبت إلى النهوض إلى طنجة بعد حيازة الكواغد المشتملة على ما جاز فى المجالس الأخيرة ليحمل ذلك كله خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة عند وصولك إلى طنجة، ويتوجه بقصد المشافهة بما ليس بمكتوب ليتحقق الأمر لجانبنا العالى بالله، وفهمنا أن الأمور خرجت طيبة بعد أن توقعنا ما تستغرب السلامة من آفات، حسبما يشرحه الخديم المذكور، فقد صارت الإشارة منا على بال أصلح الله دينك ودياك، وأحمد مسعاك وأوبتك، والسلام فى ٨ شعبان المعظم عام ١٢٩٧» .

والحاج عبد الكريم بريشة المذكور فى هذا الظهير الشريف والمتوجه مستشارا فى الوفد للمؤتمر، هو الذى أسلفنا لك سفارته لإسبانيا فى الكلام على العلائق

السياسية مع إسبانيا، وذكرنا لك فى الترجمة الأحمدية سابقا سفارته لإسبانيا سنة ١٣١٢ لإدخال إصلاحات وتعديلات على الآفاق، وما وقع له فيها وذكرنا غرق البارجة الإسبانية الخصوصية التى أوصلته لطنجة بعد نزوله منها وشروعها فى الرجوع، وقد وقفنا على ظهير سلطانى عزيزى فى التعزية بمصابها رأينا استدراكه هنا قضاء للفوائت ونصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح:

«إلى المحب المفخم. المحترم المعظم. سلطان دولة إسبانيا الفخيمة المعترف، السلطان ألفنس الثالث عشر.

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو المبدئ المعيد، العزيز الحكيم الفعال لما يريد، والدعاء لكم بسلامة النظام، والبقاء بخير على الدوام، فقد اقتضى حق ما بين الجانبين من المحبة، والمودة والصدقة الممتازة والصحة، إعلام رفيع حضرتكم بأنه بلغ لشريف علمنا أن إحدى فلكاطاتكم الحربية ذات الإتقان والرونق والبهجة، لما أنزلت خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة بثغر طنجة. رجعت منه لحمل عدد كثير من العسكر من قالص فصادفت فى طريقها له أكف الريح أزعجت مياه البحر من وكرها. ونبهت اللجج من سكرها، فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها.

وغلب البحر على الفلكاطة غاية التغلب، بكثرة الهيجان والثوران والتقلب، فلم يظهر لها خبر. ولم يقف لها على عين ولا أثر، وكنا نظن أنها إنما أخذت بالحذر، من ذلك الهول الذى لم يبق ولم يذر، وتستررت ببعض الجهات، عسى أن تسلم من الآفات، وترتقب ورود الخبر بأنها نجت وسلكت، فإذا به ورد بأنها غرقت وهلكت، فساء هذا الخبر وكدر، ووقع منا موقعا عظيما وأثر، وتأسفنا غاية الأسف. على ما أصابها من التلف. وعظم ضياعها ومصاب من كان فيها من النفوس لدينا، حتى كأنها لنا ومن أصيب بها إلينا. لأنكم عندنا من أخص الدول

المحيين، ومن الجيران الملحوظين المعتبرين، يسرنا ما يسركم، ويضرنا ما يضركم، ونحب لكم الخير والسلامة، والعافية المستدامة.

وليهدون هذا الحادث لديكم، وقوعه لعدد كثير من مراكب غيركم. وعدم اختصاصه بمركبكم. فإن المصيبة إذا عمت، هانت وخفت، وكون الله تعالى حفظ عسكر قاص وحاطه. بعدم الركوب في الفلكاظة، ولا يستبعد وقوع مثل هذا في البحر ولا يتغرب، فالفناء أدنى إليه من البقاء وأقرب، داخله مفقود، وخارجه مولود، ومن حل في سفين فكأنه دفين، فلا حل بساحتكم بعد هذا آفات. ولا رأيتم إلا ما يسركم في جميع الأوقات. وختم في ١٩ من شوال عام ١٣١٢هـ.

وإليك نص عقد المؤتمر المجتمع بمدير مصادرا بإمضاء الحضرة الشريفة له بعد الحمدلة والحوقلة والطابع الشريف بداخله «الحسن بن محمد الله وليه» وبداثرته: ومن تكن برسول الله نصرته، البيتين. ثم عن يمين الطابع بخط الجلالة السلطانية: حسن بن محمد:

«يعلم من هذا أننا طالعنا ما اتفق عليه نائبنا الأنصح، الخديم الأصلاح، الطالب محمد بركاش مع جماعة نواب الدول الفخماء المحيين بمدير عام سبعة وتسعين ومائتين وألف تاريخه من الفصول الثمانية عشر المذكورة أسفله المتعلقة بأمور الحماية التي أولها: والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط النجليز. وآخرها: وهذا الوفق سيثبت، وتصفحنها من أولها إلى آخرها وأمضيها، وأوجبنا العمل بمقتضاها، ولا نألوا جهدا في عدم موافقة من رام خرقها ونقضها بحول الله، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه. ويقف عند حده ومنتهاه. صدر به أمرنا المعتز بالله في ٢٥ من ذي القعدة عام ١٢٩٧هـ.»

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه،

حضرة سلطان المغرب، وحضرة سلطان الألمان ملك البروسية، وحضرة سلطان النمسا ملك أونكرية، وحضرة سلطان البلجيك، وحضرة سلطان الدنمرك، وحضرة سلطان إسبانيا، وسعادة البرزيطنط المركان، وسعادة البرزيطنط الربوبليك الفرنسوى، وحضرة سلطنة كرننت بريطان وارلاندة، وحضرة سلطان الطليان. وحضرة سلطان ألانضا، وحضرة سلطان البرتقيز، وحضرة سلطان السويد حيث اعترفوا باحتياج نصوص ثابتة متساوية لإجراء حق الحماية فى المغرب وترتيب بعض القضايا المتعلقة بها عينوا لهذا المقصود فى الجمعية الواقعة بمديرى المفوضين الآتى ذكرهم: حضرة سلطان المغرب الطالب السيد محمد بركاش وزيرها فى الأمور البرانية وسفيرها المخصوص. حضرة سلطان الألمان ملك البروس الكمت ابرهوط دسلمس سنولد، له نيشان من الرتبة العليا من النسر الأحمر من ورق البلوط هو كبالير الصليب الأحمر إلخ، الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان النمسا ملك اونكرية الكمت منويل لدلف من أهل المشورة وله النيشان من الرتبة العليا من ليويلض هو كبالير الأول للمصباح الأحمر إلخ الموجه المخصوص، ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان البلجيك موسى دورند انسبخ فسيال نيشان ليويلض متوجهها المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان إسبانيا ضون انطون كنبس دكستيليو كبالير النيشان الأعظم الطيسون المذهب إلخ ووزيرها الأعظم، وسعادة البرزيطنط المركان موسيوا الخنرال السيس فيرشيل الموجه المخصوص الوزير المفوض قرب الحضرة، وسعادة البرزيطنط الربوبليك الفرنسوى مسيوليس الميرال جوريس عضو الولى وله نيشان ليجون دنور من المرتبة الثانية إلخ، وباشدور الربوبليك الفرنسوى قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطنة كرننت بريطان وارلاندة المنستر وليونيل سكول ويست الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب

الحضرة الكاثليكية وهو مأمور أيضا بالنيابة عن حضرة سلطان الدينمرك، وحضرة سلطان الطليان الكمت يوسف كربى له نيشان قريس مورسى ولسو من الرتبة العليا وكذلك من المصباح الطليانى إلخ الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان ولانضا موسيو ليجون كيموريس ذى الدوير له نيشان من السبع السلطانى من الرتبة الثانية هو كبلير مصباح البلوط إلخ ووزيرها القاطن قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان البرطقيز الكمت قسل ريبلو شيخ المملكة وله نيشان المسيح من الرتبة العليا إلخ الموجه المخصوص ونائبها المفوض قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان السويد ونرويكه موسيو نرى اكر من له نيشان واسع من الصنف الأول والرتبة الثانية إلخ وزيرها القاطن قرب الحضرة الكاثليكية. وهؤلاء على مقتضى تفويضهم المعروف فى وجه صحيح ومقبول اتفقوا على التراتيب التى سيأتى ذكرها:

الفصل الأول

والشروط التى تقبل بها الحماية هى المقررة فى شروط الإنجليز والصينيول مع دولة المغرب والوفوق الواقع بينهما وبين الفرنسيس والأجناس الأخر عام ١٨٦٣ سوى التراتيب التى ستقع فى هذا الوفق.

الفصل الثانى

ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختاروا ترجماناتهم وخدامهم من المسلمين أو غيرهم، وهؤلاء محميون لا يلزمهم رؤساء المحل جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما هو مقرر فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الثالث

والقناصل وبس قنصلات والاختنطس قنصلات الذين هم رؤساء المستقرين

بإيالة سلطان المغرب لا يمكن له أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزنى واحد ومتعلمين من رعية السلطان إلا إذا احتاجوا كاتباً عربياً، وهؤلاء لا يلزمهم حتى جزية ولا غرامة، ولا ما يشبه ذلك سوى ما رتب فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الرابع

إذا نائب من نواب الأجناس عين واحدا من رعية السلطان اخنط قنصل بإحدى المراسى هذا الاخنط يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين، ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما اشترط فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر، ولكن لا يقدر أن يحمى أحدا من رعية السلطان إلا عياله فقط، وله الحق ليكون عنده مخزنى محمى وبس قنصلات من رعية هذه الإيالة يتصرفون فى وقت خدمتهم فى الحقوق مثل الحقوق التى للاخنط قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس

الدولة المراكشية اعترفت للباشدورات والمنسطورس ونواب الأجناس بالخصوصية التى عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناص لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم دون الأشياخ أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية، مثل العسكر والمخازنية إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم، ولكن لا يقدرّون يستخدمون حتى واحدا من رعية مراكش عليه دعوى، ومعلوم أن الدعاوى الشرعية المبديّة قبل الحماية تتمم أمام المجالس التى بدئت فيها ولا يجدون مانعا فى وفاء الحكومة، نعم الولاية المراكشية يجب أن يخيروا حيناً بالحكم الصادر للكسيونس والقنصلات أو الاخنطس قنصلات الذين كان منهم ذلك المحمى والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبديّة قبل خروجهم من الحماية فدعواهم يكون الحكم فيها

فى المجلس الذى بدئت به، ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولالة البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

الفصل السادس

أهل المحمى داخلون فى الحماية أيضا وله التوقير والاحترام فى داره، ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره، والحماية لا تورث سوى استثناء واحد فى شأن أهل بن شمون من حيث هو مقرر فى وفق ١٨٦٣، وبهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب.

نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء آخر فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق فى طلب مثل ذلك.

الفصل السابع

نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة لسلطان حين يختارون متوظفا ويدفعون فى كل سنة للوزير المذكور تقييدا اسميا من الأناس المحميين الذين يحمون الاخنطس فى إيالة المغرب وهذا التقييد يوجه لولاية البلد ولا يحسبون محميا سوى ما هو مذكور فيه.

الفصل الثامن

والاخنطس يمكنون فى كل سنة لولاية البلد الذين هم ساكنون بها تقييدا مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم والولاية المراكشية يعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها، وينظر هل هى غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة والفسيال القنصلية يجب عليهم يخبرون فى الحين بجميع التبديل الذى يقع فى الأناس المحميين من قنصلاتهم.

الفصل التاسع

المتعلمون والفلاحه والمتوظفون الآخرون من رعية مراكش الذين هم فى خدمة كتاب العربية والترجمات المراكشيين ما لهم حماية، وكذلك المتعلمون والخدام لرعية الأجناس، لكن فولاة المسلمين لا يقبضون متعلما أو خادما لأحد فى خدمة اللكسيون أو القنصلات أو رعية الأجناس أو محمى دون إعلام لحاكم جنسه، وإذا يوجد أحد من رعية هذه الإيالة فى خدمة أحد من رعايا الأجناس قتل أحدا أو جرحه أو هجم عليه فيقبض فى الحين، ويقع الإعلام لنائب دبلمتك أو لقنصل جنسه عاجلا.

الفصل العاشر

لا يقع تبديل فى شىء من أمر السماسرة بما هو مقرر فى الشروط وفى وفق ١٨٦٣ إلا ما يترتب فى شأن الوظائف فى الفصول التى ستأتى بعد.

الفصل الحادى عشر

حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة فى شريعة البلد، وجميع النوازل التى تقع فى هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانية كما هو مقرر فى الشروط.

الفصل الثانى عشر

رعية الأجناس والمحميون الذين لهم الملكية فى الأرضين، أو يكونون اكتروها والسماسرة الذين تكون عندهم الفلاحة يبتغون الزكاة والأعشار وفى كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييدا صحيحا بما يملكونه ويدفعون بيده ما يجب عليهم

من الزكاة والأعشار والذي يشهد بالزور يؤدي ذعيرة مرتين الأعشار الواجب عليه شرعا في هذا الشيء الذي سكت عنه، وإذا وقع منه هذا مرة أخرى فثني له الذعيرة المذكورة، والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الأمور الخارجية للحضرة الشريفة .

الفصل الثالث عشر

رعية الأجناس والمحميون والسماصرة الذين عندهم بهائم الحمل يؤدون ما وجب في الأبواب والقدر، وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون في ذلك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس في طنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة، وهذا القدر لا يزداد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس .

الفصل الرابع عشر

لا يقبل توسط الترجمات وكتاب العربية والمخازنية الذين هم لبعض اللكسينس والقنصوات في أمور الناس الذين لم يستحقوا الحماية من اللكسينس والقنصوات، إلا إذا جلبوا بيدهم رسما بخط يد نواب الأجناس أو القنصوات .

الفصل الخامس عشر

جميع الرعية المراكشية الذين أخذوا النظرلزيس من الأجناس ورجعوا للمغرب واجب عليهم بعد مدة من استقرارهم فيه قدر المدة التي احتاجوها شرعا للحاق هذا النظرلزيس أن يختاروا إما أن يدخلوا تاما تحت حكم شريعة الإيالة أو يلزم عليهم الخروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النظرلزيس لحقه بإذن الدولة المراكشية والنظرلزيس الذي لحقوه الرعية المراكشية إلى الآن على مقتضى الشرائع الجارية في كل بلد، يبقى مستحفظا في كل وجه من غير نقص .

الفصل السادس عشر

حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى فى المستقبل والولاية المراكشية لا يعرفون أبدا حماية أخرى من أى وجه كان دون هذه الحماية الخاصة التى اتفق عليها فى هذا الوفق، ولكن إجراء حق حماية كنستدبير وهى الحماية المعتادة تستحفظ فى صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشى لإحدى دول الأجناس أو لأسباب آخر غريبة الوقوع، وكيفية هذه الخدمة ونية جزائهم بالحماية يقدم الإعلام بها لوزير الأمور الخارجية بطنجة ليتمكنه عند الاحتجاج أن يعرض مراعاته والفصال المتمم تستحفظه الدولة التى وقعت لها الخدمة، وعدد هؤلاء المحميين لا يمكن أن يجاوز اثنى عشر لكل جنس، وهذا العدد المعين هو الأعلى إلا إذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مقتضى العوائد التى أصلحت فى هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعيالهم على السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

الفصل السابع عشر

دولة المغرب اعترفت لجميع الأجناس التى نوابها حاضرون فى هذا المجلس ليجرى لهم جميع التفصيل الذى يعم به لجنس من الأجناس.

الفصل الثامن عشر

وهذا الوفق سيثبت والتثبيات يتبدلون بطنجة فى مدة عن قريب يمكن أن يكون وبرضا مستثنى من الأجناس المتفقة ترتيبه يجرى من يوم ختمه بمدريد، ولثبوت ذلك المفوضون المذكورون وضعوا خطوط يديهم فى هذا الوفق وطبعوا بطابعهم وجعلوا ثلاث عشرة نسخة وحرر بمدريد فى ٣ يليه عام ١٨٨٠ الموافق ٢٤ من رجب عام ١٢٩٧».

ومما يتعلق بالحماية ما كتبه قنصل امريكا بطنجة فى الموضوع بلفظه :

«الحمد لله فسينة الميكان فى طنجة لمراكشة تاريخ ٢٥ أبريل عام ١٨٨٧ سمع قونصو المريكان وأن أناسا ليسوا من جنس المريكان وفى زمان قبضوا حامية المريكان وبسببها عملوا قبيحا لعمال المخزن يظلمون الناس ويأكلون أموالهم بسببهم حمايات والآخرون غير حمايات وهذا بخلاف قوانين دولة المركان .

والآن قونصو المركان يعطى الإذن وأن كل من هو محمى وله ورقة من قبل هذا التاريخ وهو من أول يوم فى يونيو عام ١٨٨٧ لا تنفعه فى ذلك اليوم ولا بعده، ومن هنا إلى الأمام لا تعطى حماية المركان إلا لمن يستحقها ليحصن بها نفسه وماله .

الشروط كما هم مكتوبون أسفله :

كل من هو نائب قنصل دولة المركان فى مراسى السلطان نصره الله يقدر أن يطلب الحمية على ١ مخزنى ١ ترجمان ١ كاتب ٢ متعلمين .

نائب القنصل إذا كان من رعية السلطان نصره الله يقدر أن يعمل الحمية على مخزنى واحد .

كل من مركان أو كمبانية المركان فى البيع والشراء فى سلوع كثيرة داخل وخارج فى إيالة مراكش يقدر أن يطلب الحامية على اثنين سماسير آخرين فى كل دار بالمراسى إن كان لهم فيها بيع وشراء .

هذه التى ستذكر أسفله لا بد منها :

١- لا بد من له الحمية من المذكورين أعلاه تكون له حين يكتب عليها القنصل فى طنجة لأنه هو الذى يقدر على إعطائها .

٢- لابد التاجر الذى يطلب الحماية على السمسار متاعه يرسل كاغيط باسم السمسار وعدد سنه وكم عدد الخدمة وما هى الخدمة التى يعملها السمسار، ويكون مكتوبا بخط يد التاجر .

٣- وإذا كان الذى يريد الحماية ساكن معه أحد فى داره من أقاربه لابد يذكر أسماءهم وعدد سنهم وما نسبتهم منه .

٤- ولا تكون الحماية لأحد من خدام السلطان نصره الله ولا لمن له دعوة عند الشرع وهو ظالم دون ما ذكرنا على ورقة الحماية القنصل فى طنجة يقدر على إعطاء ورقة فيها فلان هو خادم فلان المحمى، ليكون له التحصين والحفظ لأموال المحمى لا غير، والقنصل يعمل هذا ليحصن الأموال والكسب والحراثة للناس الذين هم من جنس المركان والناس الذى لهم الحماية، وهذه الورقة تعريفا للمخزن بأن فلانا لا يظلم ولا يظلم وإن كان عليه حق لأحد فيدُ المخزن عليه طويلة» .

هذا ولو تتبعنا ما لدينا ما حوته مكتبتنا من الأوراق الرسمية والظهائر المولوية الراجعة للعلائق السياسية بين الدولة المغربية الحسنية والدول الأوربية لجاء فى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله .

وقد أتينا لك أيها المطالع بالنصوص المتبادلة بين نواب الدول الأجنبية ونواب الحكومة الشريفة فى المؤتمرات السياسية والاجتماعات الرسمية على ما فيها من علل التركيب وركاكة الإنشاء وعدم التنظيم محافظة على نص الأصل وعدم تغييره واعتمادا على همة القارئ اللبيب الذى لا تعزب عنه الحقيقة وسترى بقية من ذلك بعد هذا بقريب .

على أننا بذلنا الوسع والجهد المستطاع، واستعملنا ما فى الإمكان لحشر مواد غزيرة فى الموضوع أمام نظر المطالع الكريم، ربما تستحيل عليه مطالعتها فى غير

هذا الكتاب، فيرى مثالا لكيفية ابتداء المخابرة أولا بين الحكومة المغربية والدول الأوربية، ثم المحور الذي دارت حوله تلك المخابرات إلى أن بعثت السفارات وقامت بفصل القضايا المراد فصلها، لا يخفى ما فى ذلك من فائدة إظهار الحقيقة وتفهمها.

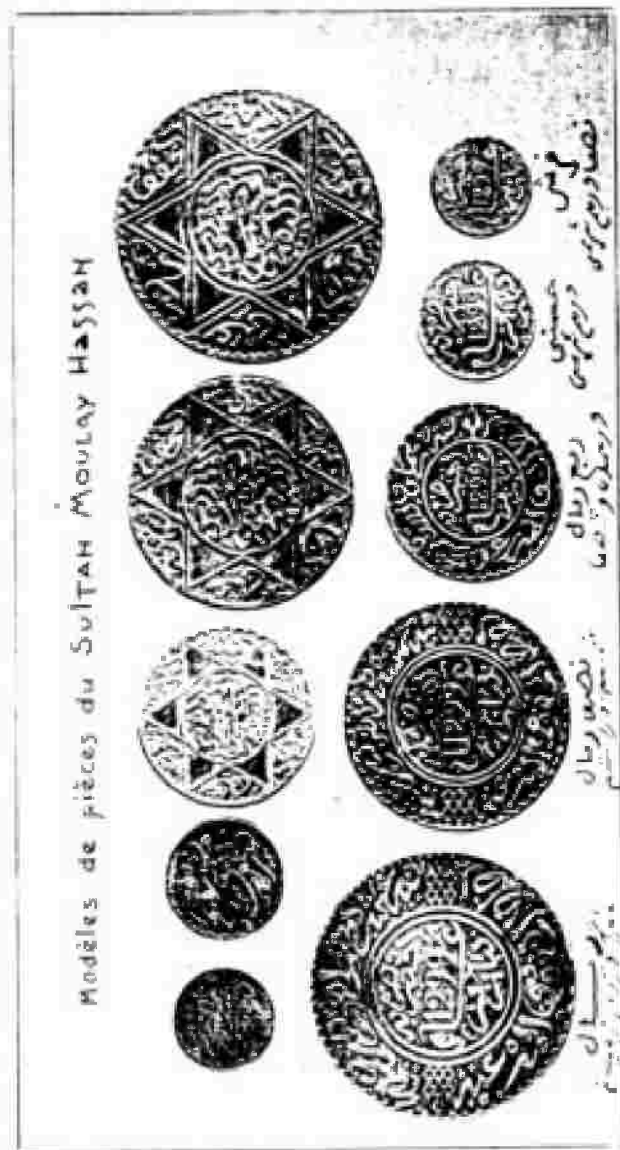
ضربه السكة الحسنية

ومن أهم أعماله وتنظيماته قيامه بضرب السكة الحسنية التى لا زال الناس يتعاملون بها فى بعض أرجاء المغرب إلى الآن حسبما هو مفصل بالظهير المولوى الصادر فى ذلك الصدد للنائب السلطانى بطنجة السيد محمد فتحا بركاش، وإليك نصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، خديمتنا الأراضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا فى إيالتنا السعيدة وتكون على كيفية مخصوصة وعمل خاص موافق للشرع، مبنى أصلها على الدرهم الشرعى الذى كان فى أيام جدنا الأكبر مولاي إسماعيل رحمه الله، وجدنا الأقدس سيدى الكبير نعم الله روحه، والمنصور السعدى، وأبى الحسن المرينى، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله جارية على عرف البلد الجارى بين الناس فى المعاملات والزكاة والقسامات والفرائض والبيوعات والشراءات ونحو ذلك، وأن يضرب منها مقدار عشرين مليوناً من الفرنك الفرنصيصى.

فإنمرك أن تعقد كطردها مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال فى ذلك وترضى ذمتهم ويقبلها باشادور الفرنصيصى بطنجة ووزير الأمور البرانية



النقود الفضية الشرعية الحسنية

بدولته، سواء كان التاجر جراميل بونى الفرنصيصى الذى تقدم الكلام معه فيها بالوسائط أو غيره.

وقد فوضنا لك فى جعل ذلك على يد المخزن أو على يد التاجر، ثم إن اقتضى النظر أن يكون على يد التاجر فلا بد من موافقة من ذكر وزير الأمور البرانية ونحوه، نعم من اتفقت الآراء على عقدها معه لا من المخزن ولا من التاجر حتى التاجر المذكور يكون عقدها معه على شروط: وهى أن يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليوناً من الفرنك المذكورة ريالاً وزنه عشرة دراهم شرعية يكون مائلاً لريال الفرنصيصى فى المعيار والصفاء، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال وزنه خمسة دراهم شرعية يكون مائلاً للفرنك الفرانصيصى فى المعيار والصفاء، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب ربع ريال وزنه درهمان شرعيان ونصف درهم شرعى يكون مائلاً أيضاً للفرنك الفرنصيصى فيما ذكر، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب عشر ريال وزنه درهم شرعى مائلاً للفرنك المذكور فى المعيار والصفاء، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال وزنه نصف درهم شرعى يكون كالفرنك الفرنصيصى فى المعيار والصفاء.

وأن يكون طرف هذه السكك مشروطاً وكتابته من الجهتين على المثال الواصل إليك، وأن يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور، ولم يكن ممنوعاً فى شرعنا، وأن يعين المخزن أو التاجر الذى تعقد معه كمنظرة ذلك نائباً عنه بطنجة يكون يحوز منك المال الذى يوجه لك من حضرتنا الشريفة بقصد الضرب، ويحوز ما يرد منه مضروباً من باريز ويدفعه لك لتوجهه على يدك لحضرتنا الشريفة.

وبعد عده وتقليبه واختباره بالوزن وغيره وقبول الصافى ورد غيره إن وجد وأن يسقط المعقود معه ذلك المطالبة بجميع مصاريف ضرب السكة المذكورة،

ويسامح له فى مقابلتها فى الرىح الذى يتتج من ضرب العشرين مليونا المذكورة، وأن يسبق له مقدار مليون واحد من الفرنك يشرع منه ضرب السكك المذكورة لثلا يقع تعطيل فى الضرب .

وبعد ضرب التاجر المعقودة معه كنطردة ذلك تسعة عشر مليونا من العشرين مليونا من الفرنك المذكورة، وتوجيهها لخصرتنا العالية بالله يضرب المليون من الفرنك المسبق له ويوجههم لخصرتنا السعيدة على يدك كذلك، وأن يوجه بعد مضى أربعة أشهر من تاريخ كنطردة ذلك التى تعقد على يدك مقدار سبعمائة ألف وخمسين ألفا من الفرنك مضروبا من السكة الجديدة المذكورة ويحوز بدله لويزا أو ريبالا فرنصيصا أو درهما أو ارحاء ذهب أو فضة أى نوع تأتى من الأنواع بعضها أو مجموعها، وأنه إن كان بدلها درهما أو ارحاء ذهبا أو فضة فيذاب ذلك هنا ويصفى على ميزان سكة الفرانصيص ما يجعل ريبالا على نسبة معيار ريبالهم، وكذلك ما يجعل أجزاء الريال على نسبة أجزاء ريبالهم، ويضمن الجميع ويدفع نائب التاجر المعقود معه ذلك على يدك موزونا مئنا موقوفا على المعيار المذكور .

وبعد توجيه التاجر مقدار السبعمائة والخمسين ألفا من الفرنك من السكة الجديدة يكون يوجه مثله كل شهر ويحوز بدله على نحو ما ذكر والسلام فى ١٢ جمادى الثانية عام ١٢٩٨» .

وعلى مقتضى ما ورد فى هذا الظهير المولوى انعقد الاتفاق على ضرب هذه السكة الفضية بباريس، ونص ظهير شريف مما أصدره للنائب المذكور فى شأن المليون من الفرنك الذى يسبق لأرباب الضرب بعد الحمدلة والصلاة والطابع :

«خدیمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: وصل كتابك بأنك لما حللت برباط الفتح بحثت عن مشاهرة النجليز هل توجهت أم لا فوجدتها لا زالت لم تتوجه، وسألت الأمانة هل هي تحت أيديهم فذكروا لك أن ليس تحت أيديهم إلا درايم تركها الأمين ابن جلون على وجه الحفظ والأمانة، وطلبت إصدار أمرنا الشريف بتوجيهها وتوجيه المليون من الفرنك الذى يسبق لأصحاب كنطرة السكة وصار ذلك بالبال، فأما المشاهرة فميسرة وبمجرد خروجنا من زعير بالسلامة والعافية بحول الله توجه فى الأمان. وأما المليون من الفرنك الذى يسبق لمن ذكر فموقوف توجيهه على الأمينين المكلفين بأمر السكة كما علمت، وقد كتبنا عليهما وأنت بحضرتنا الشريفة، وبمجرد وصولهما أو أحدهما يوجه ذلك على أيديهما ليقبى الأمر مضبوطا فيها على نحو ما أسس والسلام فى ٦ من رمضان عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه فى شأن سبيكة فضة وجهت بدلا من السكة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل جوابك بوصول الرفقة الثالثة من سبيكة الفضة الموجهة لك بقصد بدل الدفع الثانى من السكة الجديدة السعيدة المبين لك عددها ٦٥٧٩ ووزنها ٤٨، ٤، ٣٤٥٠ صافيا من الطارة بميزان النجليز وحيازة أمينى السكة لها واختيارهم عددها ووزنها، فألفوا عددها موافقا ووزنها هناك بميزان نجليزى محقق ناقصا عن وزنها هنا المشار إليه بثلاثة وثلاثين رطلا وأربع عشرة أوقية وستة أثمان الأوقية حسبما بجوابهم الذى وجهت.

وأنت لا زلت فى انتظار جوابنا الشريف بما يكون عليه العمل فى السكة المذكورة، لكون نائب أصحاب كنطرة السكة وجه لك على يد نائب الفرنصيص الاسترعاء الذى وجهت، فقد توجه لك الجواب عن ذلك أولا فى أواخر المحرم، وثانيا فى الخامس من شهر تاريخه بأن تثنى السبيكة المذكورة بسبعة عشر ريالا

للرطل فيه بخس لكونها مصنوعة من الدرهم، والشروط المعقودة مع أصحاب الكنطرة فيها دفع بدل السكة الجديدة لوزا أو ريالاً فرنك أو درهماً أو ارحاء ذهب أو فضة، وبأننا لما علمنا أن هذه السكة تسلك في أجزاء الريال الشرعي ويحصل فيها الربح لهم لكون عيارهم أحسن من عيار الفرنك المشروط ممثلة عيار الأجزاء المذكورة له، تركنا التعرض لثمنها، ولو علمنا أنها لا تسلك وعيار الفرنك أحسن منها لأشرنا عليك ببيعها بالثمن الذي تقبله فيها بحيث إذا ساوته فذاك وإلا فترد بأن تتكلم مع نائب أصحاب الكنطرة وتعرفه بذلك وتسايس معه، حتى يحوز السبيكة المذكورة بثمان الريال الفرنك ويصوغها أجزاء الريال الشرعي، بحيث لا يقع فيها كسر، لأن هذا القدر منها بالنسبة للعدد الذي يضرب سكة جديدة كلا شىء.

وحتى إن طلبوا الأجرة على صوغها أجزاء حيث ربحه قليل، فتعظاهم ارتكاباً لأخف الضررين، على أنه لا ضرر عندنا فيه لا من جهة الصرف ولا من جهة الشروط حيث عياره موافق لعيار بعض المسكوك الذي في الشروط، وفي المستقبل يوجه لهم غيرها، أو تتفاوض معه في ضربها أجزاء الريال الشرعي زيادة على العدد الذي عقدت معهم الكنطرة على ضربه بحيث يضربونها على حدتها ممتازة عنه بأجرة مناسبة.

وإن قبل منك أحد الأمرين المذكورين فذاك، وإلا فالأمناء يوجهونها لبيت المال عمره الله بفاس على يد أخينا مولاي إسماعيل وتطالع علمنا الشريف بذلك ليوجه لك بدلها، وأمرناك بأن تنظر أنت وأمينا السكة في ذلك وما ظهر لكم فيه المصلحة فيه العمل، وبأن العمل في وزنها على ما حققوه هناك حيث الذي هنا غير محقق، فامض على ذلك سدك الله والسلام في ١٧ من صفر عام ١٢٩٩.

ونص الرد الشريف على جواب النائب عن الكتاب المذكور:

«خدمنا الأَرْضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك فى شأن سبيكة الفضة الموجهة على يدك لطنجة وفى شأن المائة والخمسة والعشرين درهما الموجهة لك لتدفعها لأمينى السكة، وتبين لهم أن الريال الشرعى فيه عشرة منها، وذكرت أنك بصدد توجيهها لهم وإعلامهم بذلك، ونبهت على أن السبيكة المذكورة إذا خرجت من طنجة قبل ورود بدلها يكون بدل الدفع الأول والثانى من السكة الجديدة لا زال لم يرد مع فوات وقته، وأنه حيث حصل الضيق فى المحل بها تأذن للأمينين المشار إليهما فى توجيهها لأمناء بيت المال بفاس ليفرغ محلها، وحيث تقع الموافقة فى قبولها تطالع علمنا الشريف لنامر بردها لطنجة .

وطلبت إصدار أمرنا الشريف لأمينى السكة بحياسة دفع السكة الجديدة بعد عدّه ووزنه وتقليبه ليفرغ محله، وعلمنا ما أشرت إليه من تأخير استعمال السياسة مع أصحاب الكنطرة فى حياسة السبيكة المذكورة إلى تمام نحو النصف أو الثلثين من العمل، وحيث تستعملها معهم، وإن قبلوها فذاك، وإلا فتخاطبهم بالأجرة حسبما أشرنا، ومن توجيهه البديل عينا عن جميع ما ورد من السكة الجديدة ليرتفع لهم الإشكال ويقع الدفع والقبض، كما علمنا ما ذكرته من أنك كنت وجهت الأمثلة الموزونة من الفضة الموجهة لك من حضرتنا الشريفة، لمخزن الفرنسيس لتدفع لكبير دار السكة، ويكون العمل عليها فى الوزن، وإن كانت الدراهم ١٢٥ المذكورة موافقة لها فى الوزن فذاك، وإن كان بينهما خلاف فلا حجة عليهم لأنهم شرعوا فى العمل على الأمثلة المشار إليها، وإن خالفوها فالحجة عليهم، على أنهم لا يخالفونها ولا تأتى السكة إلا على مثالها .

فأما ما ذكرته من أنك بصدد توجيه الدراهم المذكورة لأمينى السكة وما نهبت عليه فى شأن خروج السبيكة من طنجة قبل ورود بدلها فصار كله بالبال .

وأما ما أنت بصدده من الإذن لأمينى السكة فى توجيه السبيكة لأمناء بيت المال بفاس ، وما طلبته من إصدار أمرنا الشريف لهما بحياسة البدل الجديد بعد عده ووزنه وتقليبه ، فقد أجبتك عن ذلك فى غير هذا .

وأما ما أشرت إليه من تأخير استعمال السياسة معهم فى حيازة السبيكة المذكورة علمناه ومن توجيه البدل عينا عن جميع ما ورد من السكة الجديدة فقد وجهنا لك ثلاثمائة ألف ريال من قبل بدل الدفع الثالث والرابع من السكة الجديدة ، ومائتين ألف ريال من قبل بدل العدد من السبيكة المذكورة الموجه لك بقصد بدل الدفع الأول والثانى من السكة الجديدة ، والمائة ألف ريال الباقية لكامل بدل السبيكة المذكورة فى الأثر تصلك ، وقد قدمنا لك الكتابة بهذا .

وأما ما نهبت عليه فى شأن الأمثلة المذكورة ، فقد أحسنت فى التنبيه عليه أصلحك الله ، وتلك الأمثلة كنا اتكلنا فى تحقيق وزنها بميزان الدرهم الشرعى على من لهم معرفة بذلك من جهة الشرع ومن جهة الوزن ، فإذا به لما نهبت عليها أمرنا الأمناء والقضاة والفقهاء بإعادة وزن نظير الأمثلة المشار إليها الذى كان بقى بحضرتنا الشريفة ، فألفوا ناقصا من مثال الريال نصف درهم شرعى ، ومن مثال نصف الريال ربع درهم شرعى وربع ربه ، ومن مثال ربع الريال ثمن درهم شرعى ، ومثالا الدرهم الشرعى ونصفه ألفوهما موافقين لوزن الدرهم الشرعى ونصفه ، وقد أجبتك عن ذلك فى غير هذا صحبة خديمنا الأمين الطالب بناصر غنام والسلام فى ٢٥ من صفر عام ١٢٩٩ .»

ونص ما أصدره فيما يتعلق بالسكة المضروبة على أمثلة غير محققة الوزن:

«خدمنا الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه جواب نائب أصحاب كنطرة السكة لك بأنه ضرب الطلكراف لأصحاب الفبركة بتوقيف ضرب السكة إلى أن توجه لهم الأمثلة المحققة الوزن، وتوقف فيما هو مضروب منها، ولا زال بباريز قبل وصول الطلكراف لهم، كما توقف الأمانة في حيازة ما هو تحت يده بطنجة ودفع بدله لكونك كنت وجهت لهم نسخة من كتابنا الشريف المذكور وفيه: أن ما كان على الأمثلة التي كانت وجهت لك قبل، يحاز على مقتضى الشروط، وذكروا لك أن الأمثلة المذكورة ليست تحت أيديهم ليحوزوا على مقتضاها، فبينت لهم الميزان الذي كنت بينته لجانبنا العالی بالله، وأذنت لهم فى الحيازة، ودفع البدل وأجبت النائب المذكور عما توقف فيه من السكة المضروبة التي لازالت بباريز بأن أمرها متوقف على اطلاع علمنا الشريف به.

وبأنك أذنت الأمانة فى حيازة ما هو منها بطنجة ودفع بدله، وصار ذلك بالبال.

فأما تبينك الميزان للأمانة وإذنتك لهم فى الحيازة ودفع البدل فالعمل عليه، وأما السكة المضروبة التي لازالت بباريز فإن كانوا يقبلونها مشاهرة تدفع لهم أو تدفع لهم على نحو ما يقع به الفصل عما هو منها بطنجة، لأن دفعه من هناك على كلا الوجهين أولى من توجيهه لطنجة ورده من وجوه التي من جملتها المصاريف والسلام فى ٢٢ من ربيع الأول النبوى عام ١٢٩٩».

ونص ما كتبه فى توجيه السكة الجديدة للحضرة الشريفة وما يتعلق بذلك:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك أجبت جانبنا العالى بالله عما أمرناك به من توجيه ما كان ورد لطنجة من السكة الجديدة الأولى صحبة المخازنية الموجهين لك للإتيان بها بما فى النسخة التى وجهت بحرا لنكون على بصيرة فيما ذكرته فيها ريثما يصل المخازنية لحضرتنا الشريفة بأصلها برا، فقد وصلت، وعلمنا ما ذكرته فيها من أن كتابنا الشريف كان وصلك مؤرخا بالعشرين من صفر الماضى بأن تأذن لأمينى السكة فى حيازة ما ألفاه الحال وصل لطنجة من السكة الجديدة على نحو الشروط المعقودة مع أصحاب الكنطرة، فأذنت لهما فى حيازة ذلك فحازاه ودفعنا بدله غير أنه حيث كان بصد الرجوع لباريز بأمرنا الشريف الصادر لك بدفعه لنائب أصحاب الكنطرة فى المشاهدة على حكم الشرط المقرر فى ظهورنا الشريف المعقودة الكنطرة على مقتضاه، وإن لم يقبله تتفاصل معه على ضربه بأجرة مناسبة مع عجز أمينى السكة عن التدويق لعدم معرفتهم به لم تقع مبالغة فى التدويق لكونها بصد الرجوع، واكتفاء بما ذوقه خديمنا الأمين غنام بطنجة منها، ومن الفرنك الفرنصيصى فوجد عيارها أفضل من عيار الفرنك بشىء تافه وأنت وجهت لحضرتنا الشريفة الدراهم التى كانت وردت فى سكة أنصاف الريال وقدرها ٢٨٠٠٠٠ مائتان ألف ريال وثمانون ألف ريال فى صناديق ٢٨٠ ميزان ما بداخل كل صندوق منها بميزان الفرنصيصى سبعة وعشرون كيلو وستة وثمانون اكرام يجب فى ميزان الجميع سبعة آلاف كيلو وخمسمائة وأربعة وثمانون اكرام وهو ميزان الريال ١، ٣٠٣٦٣ الذى دفع أميننا السكة فى بدل ذلك حسبما هو مبين فى كتابهم لك الذى وجهت.

وطلبت تغليب ذلك هنا وتدويقه، وإن وجد غير موافق للفرنك الفرنصيصى نعلمك لتتكلم معهم فى رجوع ذلك وتبديله، ولا يكون فى حساب المشاهرات أو ضربه بالأجرة، ويكون من حساب الكنطرة، وأن الحال اقتضى أن لا تحرك ساكنا

فيما هو مضروب من ذلك ولا زال بباريز حتى يقدم نائب أصحاب الكنطرة من سفره لكون نائبه بطنجة يسألك كل يوم هل ورد جوابنا الشريف عن المائة والستين صندوقا من السكة المعادة فتسوفه إلى أن يرد عليك جوابنا وصار ذلك بالبال .

أما عجز الأمناء عن التدويق واعتذارهم بعدم معرفته حيث هو من شغل المعلمين الصواغة فلا مفهوم له، إذ هو روح عملهم ومركزه، وعليه مداره، وهو أول شرط في خدمتهما بل معتمد شروطهما، إذ ليس كل من أمن على شيء يكون هو حرفته بل تكون عنده الملكة فيه حتى لا تتمشى عليه حيل أهل حرفته فيه وما وجهوا لهنالك إلا بقصد ذلك، وإلا فالعد والقبض والدفع يعرفه كل أحد، ومن كلف به يقوم به .

وأما مثال أنصاف الريال من السكة الأولى الذي كنت وجاهت، فقد ذوق هنا على يد المعلمين ثلاث مرات، فخرج مماثلا للفرنك الفرنصيصى من غير زيادة ولا نقصان، ولم يوجد أفضل من عيار الفرنك المذكور كما ذكر الأمين غنام .

وأما المائة والثمانون ألف ريال من أنصاف ريال السكة الجديدة التي وجاهت مع المخازنية الذين ذكرت فلا زالت لم تصل، وحيث تصل تجاب عنها .

وأما ما ذكرته من أن الحال اقتضى أن لا تحرك ساكنا الآن لما بقى من السكة بباريز لأجل ما ذكرته، فلا بد من توجيهه لحضرتنا العالية بالله كما قدمنا لك به أمرنا الشريف، إذ لا معنى لإبقائه بباريز، وإلا يحسب عليهم فى المشاهرة، فعجل بالجواب عنه بأحد الأمرين .

وأما المائة والستون صندوقا من السكة المعادة، فقد قدمنا لك الجواب عنها فى أوائل شهر تاريخه بأن تأذن لأمينى السكة فى حيازتها بعد التقليل الذى

تقتضيه الشروط، ودفع بدلها من السيكة التي تحت يديهما، وتوجيهها لحضرتنا الشريفة فالعمل عليه والسلام في ٢ من ذى القعدة عام ١٢٩٩».

وإليك ما أصدره للنائب المذكور في شأن ضرب الفلوس وأمثلتها ووزنها وأنواعها:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد كنا وجها لك أمثلة من نصف الفلوس ١ والفلوس ٢ والفلوسين ٣ والأربعة افلس ٤ والموزونة ٥ وأمرناك بأن تجعل أمثلة عليها محققة الوزن على نسبة خمسة وعشرين ٢٥ ربحا في المائة فقط وفق ما كنت أشرت، وزدناك هذا تذكرة وتأكيدا في ذلك، وعليه فعجل بجعلها واجلب من كل مثال منها من بلاد البلجيك أو غيره نحو الخمسة والعشرين مثالا متقنة التقطيع محكمة الوزن على نسبة الربح المذكور لا نقش فيها ولا تاريخ عدى ميزان ما في كل مثال منها من الاكرام أو السنطيم فينقش في أحد وجهيه، ووجه ذلك واصلا لحضرتنا الشريفة لتقطع الفلوس على ميزانه وتجعل له الطوابع هنا، ويشرع في ضرب الفلوس لكون الناس في شدة الاحتياج إليها للمصارفة، ونحن نتظر منك ذلك يسمى أو يصبح، وعليه فقدم شغله على كل شيء ولا بد والسلام في ١٩ شوال عام ١٣٠٠».

ونص ما بعثه للنائب في مسألة الريال الناقص الوزن:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن أصحاب كنطدة السكة أخبروا بأن الثمن الذي يقبلون به عيار سكة الريال الناقص الوزن هو مائة وأربعة وستون فرنك للكيلو

يجب فيه كسر ٧٠، ٢، ٣٢٧٠١ اثنان وثلاثون ألف ريال وسبعمئة ريال وريال وفرنكان وسبعون سنطيمًا وفي كسر أنصافه بسوم مائة واثنين وخمسين فرنك ونصف فرنك للكيلو ٨٠، ٣، ٩٤٩٩١ أربعة وتسعون ألف ريال وتسعمائة ريال وواحد وتسعون ريالًا وثلاثة فرنك وثمانون سنطيمًا الجميع ٧٠، ١، ١٢٧٦٩٣ مائة ألف ريال وسبعة وعشرون ألف ريال وستمئة ريال وثلاثة وتسعون ريالًا وفرنك وسبعون سنطيمًا.

حسبما هو مبين في تقييد أميني السكة الذي وجهت وذكرت أن هذا باعتبار سوم الفضة الآن، ويمكن أن يزيد أو ينقص في وقت الدفع بشيء يسير وصار ذلك بالبال، وقد قبلنا دفعها لهم بالسومين المذكورين فادفعها لهم حيث يحل أجل دفعها على القاعدة من دفع البدل وحياسة المبدل منه يدا بيد بالعد والوزن والتدويق، ولا تنتظر تمام الكلام في شأن قبول دولتهم روجان السكة التي أرادوا ضربها بإيالتها ليجدهم الحال إذا لم تقبل ذلك دولتهم قبلوا تلك المشاهرات ٤ وضربوها على نحو السوم الذي تفاعلت به معهم، وتكفى كلفة مدة تعطيل آخر وتسقط، وإذا قبلته تقبض منهم المشاهرات المذكورة مضروبة ريالًا من النوع الذي طلبوا ضربه، وتختبر وتدفع لهم في مشاهرتهم، ولا يلزم فيها كسر ولا أجرة ضرب حسبما اتفق عليه معهم الخديم الزبدي والسلام في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١».

ونص ظهير شريف آخر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل جوابك بأن السداد الذي ظهر للخديم الزبدي في شأن السكة فيه ترك الكسر وربح ثلاثة في المائة ومصلحة ثانی لتجار هذه الإيالة، توجيه تلك

السكة لبر النصارى فى ثمن السلع البحرية، لأنها إذا كانت مساوية لسكة الفرنضيص وزنا وعبارة مقبولة بإيالته تكون مقبولة فى إيالات أخرى مثل سكتته، ولم يظهر لك فى ذلك ضرر، إلا أنه لابد من استفهام دولة الفرنضيص أولا هل تساعد على قبول روجانها بإيالتها أم لا؟ وصار ذلك بالبال.

وحيث كان لا ضرر فى السداد المشار إليه وفيه المصلحة التى بينت، فقد ساعدنا عليه على نحو ما عمله معهم الخديم الحاج محمد الزيدى من ضرب العشرة ملايين من الريال وأجزائه، الريال على وزن ريال الفرنضيص، وعبارة وأجزائه على وزن أجزاء الريال الفرنضيصى وعبارة فى اسم المخزن ودفعتهم من عندهم جميع ما يلزم لذلك من شراء الفضة وطوابعها وصوائرها وخدمتها ولا يلزم جانب المخزن شىء من الأشياء التى تتعلق بها لا ما قل ولا ما جل.

وطلب المخزن من دولتهم ضرب العدد المذكور بمحل ضرب سكتهم بباريز وقبول المصارفة بها فى إيالتهم وإعطائهم للمخزن ثلاثة فى المائة، وتقديمهم له نصف ما يجب فيها وهو مائة وخمسون ألف ريال عند شروعهم فى العمل، وإسقاطهم جميع ما يطلبونه من الضرر والانطريس بسبب تعطيل المشاهرات، وإتيانهم بما يضربونه منها كل شهر لثغر طنجة ويوضع بيت مالها ويحسب على يد الأمناء على القاعدة وبعد تسليمه يرد لهم يتوجهون به لبلدهم ويتصارفون به مع التجار إلى أن يتم العمل، ولا يلزم جانب المخزن شىء وضربهم السكة الناقصة الوزن من نوع الريال الذى يطلبون ضربه ولا يلزم المخزن فيها كسر ولا أجرة ضرب، وإتيانهم بها بعد ضربها بقصد الاختبار ثم تدفع لهم فى مشاهرتهم ويضربون النصف من العشرة ملايين ريالا أو أكثر، عدا ما ذكره الخديم المذكور من كون روجان هذا الريال الذى يضربونه يكون بثمانية دراهم وثمان.

فإن أمكنك إسقاطه من الكنطرة فهو الأولى، لأن وزن هذا الصرف اختبر

فنقص عن وزن الفرنك بنصف درهم غير جزء من أربعين جزءاً، أو تعقد الكنطرة على روجانه بما في وزنه من الدراهم.

نعم ارتكب الحزم وانتهاز الفرصة في دفع الأربع مشاهرات من السكة الناقصة الوزن لهم على قاعدة دفع المشاهرات، ثم باشر أمر قبول دولتهم لروجان تلك السكة بإيالتها، بحيث إذا قبلته تقبض منهم المشاهرات الأربع على الكيفية المذكورة أعلاه، وإذا لم تقبله يجدهم الحال قبلوها وضربوها على نحو السوم الذي تراضيت معهم عليه وقبلوه فقد وافقنا عليه، وتكون كلفة مدة تعطيل آخر سقطت والسلام في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١».

ونص ما أصدره للأمين السفير الزبدي فيما وقع من الكلام مع سفير إنجلترا في شأن سكة النحاس:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك لما تلاقيت مع باشدور النجليز تكلم معك في شأن سكة النحاس التي كان تكلم فيها وهو بحضرتنا الشريفة، وذكر لك أننا أمرناه بالمذاكرة معك في ذلك وأطلعك على كناش صغير بعض أوراقه مطبوعة بسكك الأجناس النحاسية، مظهراً أن تلك السكك كلها مضروبة عندهم في فبركة مخصوصة، وأنه تكلم مع صاحب تلك الفبركة ومع أرباب السلف باللندريز، وطلب منك أن تتلقى مع نائب أرباب السلف الذى بطنجة فسوفته، وظهر لك عدم الملاقاة به والتنصل إن وجدت السبيل لذلك، وأعلمت بهذا لنكون منه على بال، وحين ترجع لحضرتنا الشريفة تشافه بما ظهر لك في ذلك وصار ذلك بالبال والعمل على ما ظهر لك في ذلك والسلام في ٤ صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه الحاج السلطاني للزيدي المذكور في مفاوضته مع نائب
سفير فرنسا في شأن السكة:

«محبتنا وأمين سيدنا الأعز الأرضي السيد الحاج محمد الزيدي، سلام
عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك تلاقيت مع خليفة باشدور الفرنضيص
شارل اكار في شأن السكة عملا بما قدمناه لك من الإذن الشريف في ذلك،
وتفاوضت معه في ضربها على ثلاثة أصناف بين ذهب وفضة ونحاس.

وبعد أن تأملت في أمرها وخضت معه بالقاعدة فيها والوجوه التي لا بد من
الكلام فيها، ظهر لك أن ضربها متعين من وجوه بيتها، وأن الربح في ضربها
الآن ظاهر لبيت المال في الحال والاستقبال.

وقيدت ما دار بينكما فيها في ورقة خاصة وجهتها ووجهت التقيدين
المتضمنين للوجهين في عقد الكنطرة فيها أحدهما بما يجب لجانب سيدنا أيده الله
وعليه فيها والثاني كرجة لا يعرف سيدنا أعزه الله إلا السكة، وما يجب لسيادته
من الربح من غير شيء يلزمه ووقع اختيارك على الوجه الثاني لما فيه من السلامة
والدفع يدا بيد، بحيث لا نقدم لهم من عندنا مالا ولا يلزمنا في توجيهه ولا على
ما يأتي من عندهم مضروبا صوائر، وتقديم الربح أولا.

وذكرت أن ذلك تيسير من الله بسعادة سيدنا نصره الله نعم ذكرت أن
الدرهم المضروب عند سيدنا أيده الله لم يقبله لأجل تلك الزيادة الزائدة فيه على
عيار افرانصة وغيرها من الأجناس، فقد أطلعنا بذلك كله علم مولانا نصره الله
فتأمله واختبره ورأى أيده الله عدة ما تضمنه من الملايين، فقال أعزه الله: وجود
الشرط وهو عدة الملايين مفقود فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط والمقصود هو

صوغ الدرهم والحلى الموجود تحت اليد هنا رايالا وسكة مختلفة شيئا فشيئا، ومع طول المدة يوجد العدد المذكور بحول الله من غير شرط ولا حصر، هذا جوابه نصره الله بلفظه الشريف وعلى المحبة والسلام فى ٤ ربيع الأول ١٢٩٨ .

أحمد بن موسى لطف الله به» .

ونص ما كتبه سفير الانجليز للزبيدى فى شأن السكة النحاسية التى أراد السفير أن تضرب ببلاده الانجليزية فأحالتة الحضرة الشريفة على خديمها المذكور، والكتاب بنصه ولفظه وقد أمضاه بخطه العربى، لأنه كان يعرف العربية .

«إلى الخديم النصيح للحضرة الشريفة الأمين الرضى المحب السيد الحاج محمد الزبدي، إنا نسأل عنك ومحبة أن تكون بخير وعافية وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، بدوام الخير وتمام العافية .

وبعد: فوقت كنا فى الحضرة الشريفة فى إبان الربيع الفارط كنا أطلعنا العلم الشريف بالضرر الصادر للعامه فى رواج سكة النحاس القبيحة التى كل واحد قادر على تزويرها، ويسعى بذلك الربح لنفسه، ويركب أخلاطها كمثل ما يجعله المخزن، فهذا التدويب لهذه السكة النحاس يجعل فى بعض المواضع والصرف فى كل يوم فى الزيادة، فبيت المال والتجارة وأهل الإيالة يصدر لهم الضرر الكثير من ذلك، فقد كنا أشرنا على السلطان أيده الله يجعل أن تضرب فبريكة سكة النحاس فى مدينة برمنك هام، كما جعل ذلك دولة كريت ابريطن، وكثير من دول الأجناس .

فنتطلب أن يجدد النظر فى التقييد الذى مكناه للحضرة الشريفة فإن السلطان أيده الله كان أجابنى بأنه استحسن نصيحتنا وعزم على العمل بمقتضى إشارتنا وقت الإمكان وذكر لنا اسمكم بأنكم أنتم إن شاء الله مكلفون بتأمل هذا الأمر . . .

فوقت كنا فى بلادنا وقصدنا تمكنا بزيادة الإعلام فى هذا الأمر، لنعلم بذلك السلطان أيدى الله توجهنا بأنفسنا لمحل فبركت مصرص هيلى فى المدينة المذكورة، ونظرنا إلى الأشغال الكبار التى فيها ألوف الخدامين . . . فأرباب السلف مستر فلمنى ونائبهم مستر سميد هنا كانوا مشوا معى إلى المكان المذكور، فنظرت إلى سكة النحاس والفضة التى تضرب ح والتى ضربت لبعض من دول الأجناس، ونظرنا شهادات تلك الدول المقررة بأن ذاك أتى على وفق مرادهم لفبركت مسز مستر هيلى المذكور، وكنا تحققنا من جميع ما نظرنا وما سمعنا وما أخبرنا به أن هؤلاء أرباب الفبركة المذكورة الذين هم أهل ثروة وأهل أموال كثيرة هم أهل ثقة وصدق، ومروءة تامة كما تشهد بذلك دولتنا وغيرها، ورب الفبركة مستر هيلى أخبرنى أن مستر فلمنى الذى من أرباب السلف هو نائبهم وحيث مستر سميد الذى هو مستقر هنا هو نائب أرباب السلف وله الإعلام التام فى هذه القضية وبميدى كناش متولى السكة مع شهادات من بعض السلاطين والدول الذى مراده يمكن لك ذلك لإعلام السلطان أيدى الله، فنطلب منكم رفعه للسلطان أيدى الله، وتخبر جانبه الشريف أن هذا هو بمطلوبنا ومرادنا به خيرى أيدى الله، وتذكر لسيادته أنا طلبنا منكم الملاقات بهذا نائب الفبركة المذكورة فى غد فى السعة عشر من النهار بقصد الإعلام لسيادته بصحة الخبر وثمره هذا الأمر المهم . . . ونطلب منكم لما ترفع هذا الأمر للحضرة الشريفة تجاوبنا بما اقتضى نظره فى ذلك . . . فترجمان هذا اللكاصيون فى الأمور السرية مستر هارون امنسور يصحب مع مستر سميد المذكور . . . وحيث سمعنا بأن قصدك ترجع للحضرة الشريفة نريد نجدد لك كتابة ما به طابت نفسنا وفرحت له من كونك عينك السلطان لفصال أمور الحسابات فنحن محققون بنصيحتك فى الخدمة الشريفة لكمال عقلك وثمره تدبيرك .

والحمد لله الذى تفاصلت الأمور فى شأن الحسابات بالجد والحق كما مراد
الجانبين، فالحمد لله على ذلك حيث لم يبق تعليق فى الحسابات الذى كان يحصل
الغيار لأهله ولدولتنا أيضا والسلام فى ٢٠ مارس عام ١٨٨١ موافق ١٩ ربيع
الثانى عام ١٢٩٨ .

جان هى در منض هى» .

ونص ما كتبه الوزير الأكبر الجامعى للزبيدى فيما كان يدور من الكلام فى
أمر السكة مع نائب سفير فرنسا:

«محبنا الأرضى الأمين السيد الحاج محمد الزبدي، سلام عليك ورحمة الله
عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فأمر السكة الذى كان يدور بيننا وبين نائب باشدور الفرنضيص، كنا
بصدد المفاوضة فيه فى عشية اليوم، فإذا بك حيث لم تطلع لدار المخزن لم نتبعك
بالتوجيه عليك ودفعتنا الظهير الذى يطلبه النائب للكبانية فى ذلك والزمنا الرجوع
لها لسيدى مأمون، وشافهنا بما ينهيه إليك فى ذلك فنحكى ببارك الله فيك أن
تتقصى الأمر فى ذلك وتمعن النظر فى أحوال ذلك، وما ينبى عليه حالا ومآلا،
فإن أمكنك الطلوع بكرة غد فى الخامسة ونصف ومعك ما نشفى به الغليل فى
ذلك فهو المراد، وإلا فوجه ذلك فى الوقت المذكور لدار المخزن ليدنا ولا بد ببارك
الله فيك، وعلى المحبة والسلام ٢٤ جمادى الأولى عام ١٢٩٨ وذلك عن أمر
مولانا نصره الله .

محمد بن العربى خار الله له» .

ونص الكتاب السرى الذى وجهه سفير الإنجليز للزبيدى فيما بلغه من ضرب
السكة النحاسية بفرنسا مع أولوية بلاده بالقيام بذلك وما وصله من خرق الترجمان
الفرنسى لمعاهدة مدريد ببيعه الحماية ليهود مكناس:

«خديم الحضرة الشريفة الفقيه المحب الأمين النبيه الرضى السيد الحاج محمد الزيدى، إنا نسأل عنك غاية ومحبة أن تكون بخير وعافية مع السلام التام.

وبعد: فقد أخبرنا بوجه السر أن ترجمان الفرنضيص الذى هو الآن بالحضرة الشريفة خاطب بأن يسلف من جهة دولة الفرنضيص عدداً من المال ليجعل بها سكة النحاس بافرانصة، لكن السلطان لم يقبل ذلك فإذا السلطان أيده الله يفعل ما كنا أشرنا به فى سكة النحاس فمنسطر الفرنضيص أو الترجمان أشاروا بذلك، فجوابهما قريب، وهو أننا كنا أشرنا بهذا هذه مدة سنين، وحتى إن ذلك كان منا للسلطان المقدس وجددناه للسلطان مولاي الحسن مدة كنا بالحضرة الشريفة هذه مدة من عام فعليها نحن الأولى بذلك الظاهر لنا أن هذه الإشارة ليس هى من جهة دولة الفرنضيص، وإنما هى من كبانىة للفرنضيص الذين يريدوا يسلفوا المال لكى يربحوا فى هذه الفدلكة . . . فالكبانىة الانجليزية التزموا أن يجعلوا مثل ذلك للسلطان

فحتى الفرنضيصى بمرسيلية مستر اسميط يجعل له القوالب لذلك كما تجدوه فى ذلك الكناش الصغير، ويجعلوه أرخص وأرفق من إيالات أخر بحيث نحن تكتبوا لك هذا الكتاب سرا نريد نزيدوا لكم لإعلام السلطان أنه وصل خبر هنا أن ترجمان الفرنضيص سائر يبيع الحمىة ليهود مكناس، فإذا فعل ذلك فهو خرق للشرط السادس عشر من شروط مدريد الذى نصحب لكم نسخة منه .

فاذكر للسلطان أيده يجعل جهده ليفضح هؤلاء الناس الذين يطلبون الحمىة ويحضرهم لدى العامل وقت خروج الترجمان الفرنضيص من هناك وحين يذكروا أنهم حمىة الفرنضيصى يسألوا عن السبب الحامل لهم لذلك، وحين يستظهروا بالكواغض فإن وجدوا تاريخ ذلك بعد الاتفاق بمدريد فى شهر يوليوز من السنة الماضية، فتحاز منهم ويوجهوا بها للفقيه السيد محمد بركاش مع شكايه من ذلك

الفعل، نعم إلا إذا كانوا سماسير معينين من التجار... فهؤلاء الناس ح لا تكن لهم عقوبة ولا ضرر إلى فصال القضية...

فإذا هذا الترجمان الفرنضيص أعطى كواغيض الحمية فهو قد خرق الشروط ويستوجب العزل من دولة الفرنضيص بأن تصدر الشكاية به، فلا بد أن السيد محمد بركاش أن توجد منه زعامة ليفضح هذا ويورى ويظهر هذه الكواغض للغير... فالناس الذين بيدهم هذه الكواغض لا بد أن يلحقهم لا تهديد ولا ضرر قط...

فقد سمعنا أن الترجمان الفرنضيص ذكر بأنه محب على وجه السر لدى البرزذنت ولغيره من كبار الفرنضيص فهذا هذيان وإفك، نعم إنما هو قائد بزمام المنسطر الفرنضيص فعليها يستطيع أن يفعل ما يريد...

فهذا الكتاب لا نحبه يقع بيد أحد إلا بيد السلطان أيده الله... فيمكن أن هذا الخبر الذى وصلنا أنه غير صحيح لكن على كل حال ظهر لنا أن نعلم به السلطان على وجه السر... بقى إلى الآن لم يرد شىء من مال السلف، فمن اليوم إلى ما أقل من شهرين يحل دفع ستة أشهر فليترك هذا التغافل وهذا عدم القانون فى أداء المال المذكور والسلام فى ٢٦ ابريل عام ١٨٨١ موافق ٢٦ عام ١٢٩٨.

جان هي در منض هي».

«استدراك إذن هذه كواغيض الحماية المعطاة من الترجمان اكار تاريخهم بعد شروط مدريد فح يوجه منها نسخ للفقيه السيد محمد باركاش والأصل يبقى تحت أيديهم، أى تحت يد دار المخزن والنسخ يطلع بها المنسطر الفرنضيص لأنه إذا مزقت النسخ يبقى الأصل تحت الأيدي شاهد والسلام.

هي».

ونص ما كتبه السفير المذكور للأمين المتقدم الذكر ليلغى الحضرة السلطانية سرا فيما بلغه من عدم مساعدتها فيما أرادته هو من ضرب السكة النحاسية بإيجاز:

«حضرة المحب الفاضل المبجل الأمين الرضى السيد الحاج محمد الزبدي رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد: فوقت رجوعنا إلى طنجة منذ أيام قلائل القونص مستر وايط طالعنى بكتابكم المؤرخ بـ ٨ من ج ٢ ذاكرا لنا أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوض الفلوس الزائفة التى من معدن ردىء، والسلطان أيدته الله أمر ترجمان الفرنصيص بمقتضى مطلوبه ليجعل عشرين مليونا فرنك سكة فضة ولم يساعد أيدته الله الترجمان المذكور فى أربعين مليوناً فرنك من سكة الذهب والفضة والنحاس .

فقد عزى بى حيث سمعت أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوضاً عن سكة النحاس الزائفة الحاضرة اليوم هنا إما أولاً بعد ما يصنع العدد الكثير منها من معدن فيذوب مثل ما يصنع لدى المخزن، فدايماً يزورون ذلك ويتورث منه صعود الصرف والضرر لبيت المال والتجارة ولجميع خلق الله . . .

فلا نحتاج نحدد ونقول فى هذا الكتاب النفع الشهير الثابت الذى يكون للسلطان كما سبق منا لك، وهو عدد كثير من الفضل لبيت المال حين يتم الأمر .

وهذه السكة الفاسدة يجمعها ويبيعها وأرباب فبريكة سكة النحاس يجعلون الفلوس لبلادنا وللطليان ولعدد دول أخر هذه مدة سنين معددة بدون شكايه من أحد لا من حيثية المعدن ولا من السكة كما يقع عند الغير، والسلطان يكون مطمئن البال أن لا يصدر ضرر له من هذا، وأيضا ذكرنا لسيادته إذا لم يكن عنده

مال موجود يعطيه على هذه السكة، فيأخذ سلفا بوجه مناسب من عند أرباب السلف... راج على ما ذكر لمنفعة السلطان ورعيته أن سيادته يجدد التأمل ويرجع عما قال أولا، ولا يعز بالفرنصيص ذاك حيث أننا كنا أشرنا بذلك قبل منهم هذه سنين...

وفى شأن سكة الفضة فلم نكن أشرنا بها قط حيث سكة الفرنصيص والصبنيول هما رائجان فى هذه الإيالة بكثرة، حيث كنا ظننا أن لا وجود فى بيت المال عدد ليخلص عن هذه السكة الجديدة، وإذا وقع سلف كثير فيتورث منه مصاريف كبيرة ويصدر منه الضرر أيضا، ويجعل السلطان ودولته فى منزلة صعبة إن لم توف شروط الدفع فى وقته...

فلو كان فى بين المال عشرون مليونا وهذه سكة الفضة تكون صافية جيدة مثل ما عند الفرنصيص والصبنيول يكن لنا الغرض ننظر مثل السكة القديمة فى هذه السكة المذكورة مثل ما عمل ذلك فى بر الترك وفى إيالات أخر، فحيث يصدر الضرر الكثير فى منفعة لسلطان وللتجارة، نعم يتمول من يعمل ذلك ومن أكد على السلطان بقبوله.

والسلطان أيده الله ح يجعل نفسه غريما لأحد الدول بدون احتياج والظاهر لنا أن ذلك ليس على وجه الأدب، حيث يستطيع منه مطالب عن ساق الجد والدخول الذى يصدر منه المحاكمة والمشاحنة...

فتقدر تطلع بهذا السلطان أيده الله بوجه السر وتذكر أن هذا الرأى صدر من محب صدوق بدون طمع... هأنا نكتب لك بهذا ولا للوزير ولا للسيد محمد بركاش، حيث إن سيادة السلطان أمرك بالكتابة لنا فى أمر السكة والسلام فى ١٤ يوليو عام ١٨٨١ موافق ١٦ شعبان الأبرك عام ١٢٩٨.

جان هى درمنض هى».

ونص ما كتبه الوزير الجامعي للزبيدي جوابا عن كتابه إليه في شأن ما دار بينه وبين فرنسا من الكلام في أمر السكة:

«محبنا الأعز الأرضي وأمين سيدنا الأعز المرتضى الخير البركة السيد الحاج محمد الزبدي، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وافانا كتابك في الرابع والعشرين من شهر تاريخه في شأن ما يطلبه أصحاب كنطرة السكة على التعطيل وبنفس وصوله أطلعنا به شريف علم مولانا نصره الله، وعلم دام علاه ما شرحته فيه مما دار بينك وبين باشدور الفرنضيص في ذلك وما حاججته به حتى قال لك وهل المشاهرات الست موجودة عندهم، فأجبت به بأن أربعا منها هناك حاضرة وباقيها في الأثر، فقال: وهل تدفعون المشاهرات التي بعدها كل شهر؟ فأجبت بأنها موجودة بما تساويه الفضة وفق شرط الكنطرة.

كما علم أعزه ما ذكرته من أن الأمر لا يتم إلا بخير بحول الله مع التعجيل بالمشاهرتين من مكناس وبالسكة الناقصة الوزن بأثرهما لتقطع حججهم، ولا يبقى لهم ما يقولون، وسر نصره الله بذلك واستبشر وعلم أنه نبه لهذا الأمر عمر وقال نصره الله ما نصه: لا شك أنه مفتاح خير، وفيك نظرة سيدنا جده وسيدنا والده قدسمهما الله، ودعا لك أيده الله بخير تقبل الله من سيادته آمين.

وأمر دام علاه بأن تزيد في سياستك وتلطفك حتى تفصل معهم مدة التعطيل الثاني على نسبه العشرة آلاف ريال التي كان وقع الفصل بها معهم على يد السيد محمد بركاش في مدة التعطيل الأول التي قدرها سبعة أشهر أو بخمسة في المائة، وهي غاية ما يكون لي إن لم يقبلوا ذلك.

وأما المشاهرات فقد وجهت ثلاث من مكناس ولا تكون اليوم إلا وصلت لطنجة وكذلك السكة الناقصة الوزن صدر الأمر الشريف بتفسيرها لطنجة ولا تكون إلا سافرت اليوم وعلى المحبة والسلام في ٢٩ صفر عام ١٣٠١.

محمد بن العربي بن المختار خار الله له.

وألحق بطرته «وما أشرت به فى شأن لأخ ولدك البار علمناه فكلامك مقبول والاعتناء به من الأمور الواجبة علينا وطبعا ومن جهتك بالخصوص وبالاستحقاق من وجه الله صح».

ولما أراد إبراز هذه السكة الجديدة للناس للتعامل بها وجه بأمثلة منها أولا لأبواب السادة الكرام حسبما ينبىء عن ذلك هذا الظهير المولوى المختوم بالختم الكبير، الذى بعثه لأمناء ثغر آسفى للحضور مع عاملها عند وضعه ذلك بضريح الشيخ أبى محمد صالح:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى آسفى حرسها الله، وفقكم الله، وسلام ورحمة الله.

وبعد: فقد شرح الله صدرنا لنشر أعلام السكة الجديدة الميمونة ذات الصفة المحمودة الشرعية المسنونة والإذن بالصفق بها بإيمان المتاجر وتعمير الأسواق الرابحة بها، بحول الله فى الأضحى والهواجر، وقاد الإلهام الإلهى إلى إيداعها بالزوايا العظام والأسفار بغرتها أول ما تطلع بسماء أبواب السادات الكرام، ومنهم: الولى الصالح ذو الضريح الأنور النافح سيدى أبى محمد صالح.

وعليه فقد وجهنا للعامل ٥٠ خمسين ريالاً منها على التفصيل الذى يذكر فمن الريال الصحيح ثلاثة عشر، ومن أنصافه ثلاث ريالات ونصف ريال، ومن أرباعه عشر ريالات وربع، ومن دراهمه عشر ريالات وربع ريال أيضاً، ومن أنصاف الدرهم ثلاثة عشر ريالاً.

وقد أمرناه بأن يضعها بريعة السيد المذكور بيده ويدكم بمحضر عدلين فلتحضروا معه على ذلك، ثم تفرق على أولاد السيد المذكور وعلى سائر أرباب الوظائف وكل من له نفحة من هاتيك العوارف كالإمام والمؤذن والحزابة والذكارة

والمصلين على النبي ﷺ، وكل من له قيام بوظيف، أو له عمل عائد نفعه على ذلك المقام الأنور المنيف، والله سبحانه يسعد بها الرعية، ويبلغ بها الأمانة، ويجعلها من الكسب الطيب والعمل المتقبل الرائع والمتجر الرابع والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٣٠٢».

وقد وقفت على كنطرة تتعلق بالسكة الفضية المذكورة إليك نصها:

«الحمد لله، بيان وإلحاق بكنطرة السكة الفضية الشرعية المعقودة على يد باشدور الفرنصيىس يوم الاثنين الحادى عشر رمضان المعظم عام ١٣٠٨ الموافق ٢٠ من ابريل الفرنجى سنة ١٨٩١:

قد وقع الوفق على أن ما يخرج من الزيادة والنقصان فيما يضرب من السكة الفضية الشرعية بدار سكة مخزن الفرنصيىس على يد التاجر قف الفرنصيىسى، من حيث إن مساواة أعدادها فى تحقيق الوزن لا تعقل يحصر فى خمسة فى الألف من أنصاف الريال وأرباعه، وفى سبعة فى الألف من أعشار الريال، وفى عشرة فى الألف من أنصاف أعشاره.

فالمشاهرة الى تدفع مضروبة من أنواع ٤ السكة الشرعية أنصافا وأرباعا وأعشارا أو أنصاف أعشار وزنها كما بالعقد الواقع مع التاجر المذكور عليها على يد باشدور جنسية ثمانمائة وثلاثة وثلاثون كيلو وثلث الكيلو ٣، ١، ٨٣٣، وجب فيها من الريال الشرعى ثمانية وعشرون ألفا وستمائة وخمسة وعشرون ريالا . ٢٨٦٢٥.

فإذا كانت من الأنصاف وزاد عددها على ما ذكر فتقبل إلى أن تبلغ الزيادة فيها مائة وثلاثة وأربعين ريالا وثمان ريال ٨ / ١٤٣١ بحسب نهاية الزيادة لخمسة فى الألف، فإن زاد عدد المشاهرة على ذلك فترد ولا تقبل، وإن نقص عددها عما ذكر فتقبل أيضا إلى أن يبلغ النقصان العدد المذكور فإن نقص أكثر فترد كذلك ولا تقبل.

وإذا كانت من الأرباع فتكون مثل الأنصاف فى القبول زيادة أو نقصا .

وإذا كانت من أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ الزيد أو النقص مائتين ريالاً وثلاثة أعشار الريال وثلاثة أرباع العشر ٧٥ ، ٣ ، ٢٠٠ نهاية لزيادة أو نقص سبعة فى الألف ، فإذا كانت الزيادة أو النقصان أكثر من ذلك فترد مشاهرتة ولا تقبل .

وإذا كانت من أنصاف أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ ذلك مائتين وستة وثمانين ريالاً وربع ريال ٢٨٦١/٤ انتهاء للفرق فى عشرة فى الألف ، فإن كان أكثر من ذلك زيادة أو نقصا فترد مشاهرتة ولا تقبل .

هذا والبدل مع ذلك كله لا يدفع إلا على مقتضى العدد الخارج فى المشاهرة مطابقا لضابط الزيد والنقص أعلاه ، زاد الخارج فيها على القدر المعين لها أعلاه أو نقص عنه .

وافق على ذلك وسلمه الواضعان اسمهما عقب تاريخه الفقيه الوزير السيد محمد المفضل غريط نيابة الجانب العالى بالله والكبير لويس خليفة باشدور الفرنصيص وختم بفاس فى جمادى الأولى عام ١٣٠٩ .

وكيفية ورود السكة الجديدة من طنجة إلى العواصم الداخلية أنه كانت تأتى السكة من باريز كل شهر بواسطة النائب السلطانى بطنجة والأمناء المكلفين فيها فى صناديق منمرة مع ورقة تتضمن بيان موازينها بالكيلو والاكرام والإرشاد على الطارة والصافى وبيان أنواع السكة والتنبيه على اسم الشهر وتاريخ اليوم والسنة ، وكل صندوق وما بداخله من ريال وأنصاف ريال وأرباع الريال وأعشار الريال وأنصاف أعشار الريال ، ويكتب لأمناء القوس والمكلف المخزنى معهم كتاب مضمي من

النائب والأمناء المذكورين بطنجة بالبيان الشافى طبق الورقة المذكورة، واسم الحمار الحامل لتلك الكمية، ويعزز الحمار بنائب المكلفين المذكورين وأصحاب عامل طنجة إلى أن يصل كل لمحله وتسليم الصناديق للمكلفين بذلك، وهم عامل البلد أو الخليفة السلطاني والأمناء ثم يحمل للقوس المعد له ويحضر العدول والعامل بمفتاحه والأمناء بمفاتيحهم ووصيف الدار العالية بمفتاحه، ويفتحون القوس ويدخلون إليه المال ويقيد بشهادة العدول فى كناش خاص معد لذلك.

ثم بعد الإشهاد بذلك كما يجب يضع كل من أصحاب المفاتيح المذكورين خط يده بحضوره والمصادقة على الكمية، ثم يضع إمضاءه ويوضع ذلك الكناش بالقوس، ثم يعلقون ويتوجه كل بمفتاحه، ويجيبون نائب المكلفين بطنجة بالتوصل وعلى هذا كان العمل جاريا كل شهر، ولم يزل معمولاً به إلى آخر نفس من الدولة العزيرية فبمكثبتنا عدة أوراق شاهدة لذلك وإليك نص أحدها بلفظه:

«أدام الله بمنه مجادة سيدنا وخليفة مولانا الأسعد مولاي عرفة أمناك الله وسلام تام على سيادتك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: يوصلك فى حفظ الله صحة الحمار المختار العلامى وأصحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى أحمد بنيس مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر تاريخه فى تسعة وعشرين صندوق مشتملة على ثمانية وعشرين ألف ريال، وستة مائة وثمانية وعشرين ريال ٢٨٦٨ سكة ربع الريال الشرعى، وبطيه توافى سيادتك ورقة تتضمن بيان موازنها على العادة فى ذلك وعلى خدمة سيدنا الشريفة طالبين من فضلكم صالح الدعاء والسلام قيده فى ٢١ قعدة الحرام عام ١٣١٨.

محمد بن العربى الطريس لطف الله به

محمد بنيس لطف الله به

محمد الزكارى لطف الله به

ونص ثانيها:

«الحمد لله وحده بيان مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣١٨ وهى سكة ربع الريال فى تسعة وعشرين صندوق نمر ٣٤٥٤ إلى نمر ٣٤٨٢، قدرها ريال ٢٦٨٢٨ المتوجهة لخليفة سيدنا مولاي عرفة ولامين القوس السعيد صحبة الحمار سيدى المختار العلمى وأصحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى الحاج أحمد بنيس بتاريخ ٢١ قعدة عام تاريخه .

نمر صناديق	كرام بط	كيل بط	كرام صافى	كيل صافى	ريال
٣٤٥٤	٧٧	٣٣	٩٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٥	٢٧٢	٣٣	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٦	٩٤٥	٣٢	٧٥	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٧	٨٢٢	٣٢	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٨	١٦٠	٣٣	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٩	٨٧٢	٣٢	٨٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٠	٩٣٧	٣٢	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦١	٢١٠	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٢	١٧٢	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٣	١٨٢	٣٣	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٤	٩٨٥	٣٢	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٥	٣١	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٦	٧٢	٣٣	٨٥	٢٩	١٠٠٠

1. . . .	29	80	32	970	3477
1. . . .	29	80	32	827	3478
1. . . .	29	89	33	22	3479
1. . . .	29	88	33	190	3470
1. . . .	29	88	32	980	3471
1. . . .	29	88	32	970	3472
1. . . .	29	84	33	223	3473
1. . . .	29	70	33	007	3474
1. . . .	29	79	32	802	3470
1. . . .	29	84	33	210	3476
1. . . .	29	83	33	92	3477
1. . . .	29	91	33	17	3478
1. . . .	29	89	32	970	3479
1. . . .	29	83	33	202	3480
1. . . .	29	90	33	274	3481
728	18	274	22	340	3482
<hr/>	<hr/>	<hr/>			
28728	832	703			

والقوس المذكور عبارة عن بيت كبير يدخل فيه ما هو معد للصوائر اليومية والشهرية، أما بيوت الأموال فلا يخرج منها شيء، وإذا عمرت تغلق غلقا محكما وربما بنى على أبوابها، وللقوس مفاتيح أربع يكون أحدها عند الباشا، والثاني عند أمين العتبة وآخر عند أمناء الصائر وآخر عند كبير عبيد الدار، ولا يخرج منه شيء إلا بمحضرهم أو من يقوم مقامهم ومحضر الشهود، ثم يشهدون على ذلك فى كناش أعد لذلك، وبخزانتنا كناش قوس مكناس ذكر فيه ما يخرج منه وما يدخل له من المال من ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٠٥ إلى ١٤ حجة الحرام ١٣٢٧، ومما يصرف فيه الخارج منه الصائر السعيد والبناءات السلطانية والصلات والإعانات وشراء الأملاك التى تحاز لجانب المخزن، وشعير العلف، ومنه ما كان يبعث لبيت مال فاس .

وأما الداخل إليه فكان مما يبعثه أمين الداخل الحاج على بن الحاج من الصناديق المكتوب عليها عدد ما فيها أو مما يأتى من بيت مال فاس أو من قوسها أو مما يجتمع فى غلة الأجنة السعيدة أو مما حيز من بعض الأفراد فى العهد العزيزى، كالقائد ابن العلام والوزير أحمد بن موسى، وإليك أمثلة مما بذلك الكناش ونص أوله :

«محضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه من الأمناء وغيرهم أخرج من القوس السعيد ستة آلاف ريال وخمسمائة ريال عين عنها يجب بحسب ٨ / ٨١ ريال ٨٠٠٠ وحازها معاينة أمين الربيعة السعيدة السيد الطاهر التازى بقصد الصائر السعيد عرف قدره وبأتمه وعرفه، وفى التاريخ أعلاه عبيد ربه تعالى فلان وفلان. المهدي بن عبد الرحمن الحلو وفقه الله. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعز بن العربى لطف الله به .

وصيف المقام العالى بالله حم بن الجليلى وفقه الله .

ونص آخر:

«بمحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أدخل للقوس السعيد على يد الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطواني ما يذكر:

صناديق ٤٣ بها ريال بحسب ألفى ريال فى الصندوق ٨٦٠٠٠

صناديق ١٣ بها درهم جديد بحسب ٥٠٠٠ سوم ٨ / ٨١ يجب ريال ٢٠٠٠٠

صناديق ٠٧ بها درهم قديم بحسب ٥٠٠٠ سوم ٨ / ٨١ يجب ريال ١٠٧٦٩

صندوق ١ به ريال ٢٠٠٠ درهم قديم ٠٢٠٠٠

١١٨,٧٦٩

الجميع مائة ألف ريال وثمانية عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وتسعة وستون ريالا وربع ريال فى أربعة وستين صندوقا على شدها، من غير فتح ولا عد مرقوم على كل صندوق اسم الأمين المذكور، والعدد الذى فيه بخط يده عرف قدره وبأكملة وعرفه فى رابع عشرى شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثمائة وألف عبيد ربه تعالى فلان وفلان بناصر بن محمد. محمد بن بوعز بن العربى لطف الله به. نائب الوصيف بنعيسى لطف الله به.

الحاج قاسم الديورى لطف الله به».

ونص ثالث:

«بمحضر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج من القوس السعيد مائة صندوق وثلاثة عشر صندوقا منها اثنان وثمانون

- صندوقا بها ريال عين يجب ١٥٩٥٢٠
 وسبعة صناديق بها ريال عين فرنصيص ٠١٣٢٠٠
 وصندوق واحد به ذهب يجب ريال ٠٢٦٦١٨
 وصناديق ٢٣ من سكة الدرهم القديم يجب ريال ٠٤١٩٦٠

٢٤١٢٩٨ :

اجتمع من ذلك مائتا ألف ريال بالثشنية وواحد وأربعون ألف ريال ومائتا ريال بالثشنية وثمانية وتسعون ريالا ونصف ريال وحاز الجميع الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطواني، وقائد الرحي القائد أحمد بن المكى الشرقى بقصد التوجه بها لبيت المال عمره الله بفاس، وعرفا قدره وبأتمه، وعرفهما فى ٢٦ محرم عام ١٣٠٦ عبد ربه محمد... وعبيد ربه محمد المنونى... بناصر بن محمد وفقه الله. نائب الوصيف حم بن الجيلانى لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به».

ونص رابع:

«بمخضر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه ادخل للقوس السعيد خمسة آلاف ريال فحسب ٨ / ٨١ الواردة من القوس السعيد بفاس بقصد شراء الشعير للعلف وقيد فى تاسع عشر حجة الحرام عام ثمانية بيم وثلاثمائة وألف عبيد ربه محمد... وعبيد ربه محمد المنونى. ابن عبد الرحمن التراب لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به، بناصر بن محمد وفقه الله.

ونص خامس:

«بحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج عن القوس السعيد ستة عشرة ألف مثقال وستمائة مثقال وثمانية وتسعون مثقالا وأوقية، وحازها معاينة الأمين الناظر الأرشد السيد الحاج محمد بن الطالب المرحوم السيد عمرو الصنهاجي من المدرك الذي له على صائر البناءات السعيدة عن شهر صفر المتصل الفروط وقدره سبعة عشر ألف مثقال وخمسمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالا وثلاث موزونات: ١٧٥٨٣٠، يبقى مدركا له ثمانمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالا وخمسون أوقية عدى موزونة: ٨٨٤٩٠، إلى أن يستوفيها من الجانب العالى بالله لكون القوس السعيد لم يبق فيه شيء من مال البناء عرف قدره وأشهد به بأتمه وعرفه فى التاريخ أعلاه... وعييد ربه محمد... ومحمد بن عمرو الصنهاجي أمنه الله بمنه. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به. قاسم الديورى لطف الله به».

اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها

يدل على ذلك ما كتبه لنائبه السلطاني بطنجة فى شأن قدوم المهندس سيليه الانجليزى لاختبار بعض المعادن بقرب مراكش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد دعت الحاجة لقدوم المهندس سيليه الإنجليزى الواقف على بناء أبراج طنجة لحضرتنا العالمة بالله بحرا على طريق الجديدة بقصد اختيار بعض المعادن بقرب مراكش، وقد كتب لنائبهم هناك فى شأن قدومه على شرط أن يساعد عليه وأحلتنا فى توجيهه عليك وأعلمناه بأن أمور سفره منقذة له على يدك، وأمرنا خدامنا أمناء مرسى طنجة بإركابه للجديدة وأمناء الجديدة بإنزاله

والقيام بمؤنثه التى يمان بها أمثاله مدة استراحته وتوجيهه وعاملها بتمكينه من فرس بسرجه جيدين لركوبه .

ومكاتينا الشريفة لهم بذلك تصلك فإن ظهر لكم توجيهه فادفعها لهم، وإلا فردها لحضرتنا الشريفة وإذا توجه وكان لا بد من إبقاء نائب عنه هناك فى مقابلة البناء المذكور فأمر الزبير سكيرج بالإتيان من الدار البيضاء لطنجة للنيابة عنه فى ذلك فى ٢٤ قعدة الحرام عام ١٢٩٩» .

ونص ما أصدره للنائب المذكور فى المعدن الذى عثر عليه بالنجرة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل جوابك بأن القبطان ورن النجليزى عثر على معدن فى قبيلة آنجرة بين طنجة وتطوان، وذكر أنه على مسافة نحو خمس ساعات من طريق تطوان ونحو إحدى عشرة ساعة من طنجة، ودار بينك وبينه وبين الباشدور ما شرحته، ولما رأيت غاية الأمر إنما هو بيع تراب ووسقه من إحدى المراسى ظهر لك أن ذلك لا بأس فيه، فطالبتهم بجعل ابلانات متعددة ليدفع لكل واحد من النواب مثال منها، وحيث وصلت للرباط كتب لك الباشدور مخبرا بأنهم يسروا المثالات المذكورة وألح عليك فى الكتابة للنواب فى ذلك حسبما فى كتابه الذى وجهت بطى غير هذا فكتبت لهم بإشهار ما ذكر على مقتضى ما أشرنا به، وجعلت لذلك الشروط المبينة فى النسخة من كتابك لهم التى وجهت، وصار بالبال، فقد وصلت وسلمت والعمل على ما باشرته مع النواب فى ذلك وعلى الشروط المذكورة، نعم إن ظهر لك أن تزيد فيها أن يكون دفع الواجب المشتري به مشاهرة كل شهر يحوز المخزن من المشتريين وجيبته بمجرد انسلاخه زيادة على ما يدفعونه تسبقا يحسب

لهم من واجب آخر المدة حسبما أشرت بذلك فى الفصل السابع مما كتبت به للنواب فهو الأولى والسلام فى ٥ ربيع الثانى عام ١٣٠٢».

ونص ما كتبه الوزير الجامعى للأمين الزيدى فى المعدن الصالح لصنع الصوانى والبراريد:

«محبنا الأرضى وخديم مولانا الأمين السيد الحاج محمد الزيدى سلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصل كتابك فى شأن المعدن الذى يصلح لصنع الصوانى والبراريد وعرفنا ما شرحته من أمر من ورد لاشتراء قدر منه وما دار بينك وبينه فى ذلك إلى أن حصل الوفاق على ما بينت إلى آخر ما ذكرته، وأطلعنا به علم مولانا وصار ببالة الشريف، إلا أنه كان من حقا أن تبين القبيلة وعاملها والمحل الذى هو فيه من سهل أو جبل، وهل أهله تنالهم الأحكام أم لا إلى غير ذلك من الأمور التى لا بد منها.

ومع ذلك فلم يستحسن سيدنا أيدى الله ذلك قائلا ما دام أمر معدن الفحم الذى الكلام فيه هذه مدة من ثلاث سنين لم يصف فلا يحسن الكلام فى غيره، نعم إن تم كلامه وشرع فى خدمته فحيثئذ ينظر فى أمر هذا المعدن.

وأما الفصول التى جعلتها مع من ذكرت فكلها لا بأس بها، وفيها نفع لبيت المال، وذلك دليل على رجاحة عقلك، ومبالغة نصحك وعلى المحبة والسلام فى فاتح جمادى الأولى عام ١٣٠١.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له».

ومما كتبه العلامة اكنسوس للحاجب أبى عمران موسى بن أحمد فى هذا الموضوع:

«الأخ الفاضل الناسك المرابط الفقيه. الذى يحفظه الله ويقيه. وزير الحضرة العالمة وحاجبها. وقهرمانها الأكبر وكاتبها، أبو عمران سيدى موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله وبركاته بوجود مولانا نصره الله، وأدام عزه وعلاه.

وبعد: فقد بلغنا كتابك الأعز المتضمن لأمر مولانا المنصور بالله بتصفح الكتاب الموضوع فى شأن المعادن وما يناسبها، وقد تصفحت الكتاب المذكور من أوله لآخره فلا شك أنه من الذخائر والنفائس الملوكية لا ينبغي أن لا تخلو منها الخزائن السلطانية التى تعدها عظماء السلاطين، لا سيما العلماء منهم والأساطين، لأنها لا بد أن يوجد فيها ما ينتفع به فى الجملة، ولكن كنت أظن أنه قد بين فيه ما يتوقف عليه الأمر من بيان كيفية استخلاص المعادن من مقارها والذى لا بد منه فى ذلك من الآلات والعقاقير والتناكير التى تسيل القاسى منها وما يخرج متعاصيا عن السبك والذوبان، فإنها كثيرا ما تخرج كذلك فيظن أنها مجرد تراب فيزهد فيها كما ذكر ذلك من جربه، مع أنها إنما تحتاج إلى تنكار أو عقار مخصوص فتجيب إلى ما يراد منها من الانسباك والانتفاع بها فى الأعمال الضرورية على السبيل الأسهل دون مشقة كثيرة، ولا كبير عمل، هذا هو المطلوب الأهم.

وأما كون الحديد أو النحاس مثلا تكون منه سبائك وشبابك وأوانى كذا وثمانه كذا ويوجد فى البلاد الفلانية كثيرا والخارج المستفاد المحصل منه فى كل عام كذا ونحو ذلك من هذه الأخبار فلا فائدة فيه ولا كبير جدوى، وهذا هو القدر الذى عليه مدار هذا الكتاب، على أنه لو ذكر ما هو الأهم الذى أشرنا إليه فإنه لا بد من حضور شخص عارف قد باشر تلك الأمور بيده، فتؤخذ منه الكيفية كفاحا عيانا، وأما العلم المجرد عن العمل فإنه لا يفيد قلامة ظفر كما قال الإمام ابن رشد الحفيد رحمه الله:

العلم فى الرأس وفى العينين لكن تبقى صنعة اليدين

وأما ما ذكره هذا المؤلف في هذا الوضع من إصلاح المزارع والمغارس فالظاهر أن ذلك خاص بالبلاد الشديدة البرد الكثيرة الثلوج كالجزر المتوغلة في الشمال بدليل أن المعتمد عنده في ذلك هو التبغير بالجير والجبس والأملاح المستخرجة من أبوال الأدميين وغيرهم، ونحن إذا غبرنا موضع الحرث بالجير لا ينبت شيئاً بالمشاهدة والله أعلم، والله يديم لنا عز مولانا نصره الله ويبارك في عمره ويحفظ به نظام هذا الدين آمين والسلام.

محمد بن أحمد اكنسوس لطف الله به.

سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية

وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية

ولم تقف هممة المترجم عند هذا الحد، بل فإنه لما نظر إلى الأمم الراقية وما أفادها العلم الرياضى والطبيعى من القوة والسلطان والشفوف على الأقران فى معترك الحياة، أراد أن يزج ببلاده فى ذلك الميدان الواسع، فعضد إرسالية الشبان المتخرجين من مدرسة والده وتوجهوا لعواصم أوربا لتتميم دروسهم، فعين لكل فريق رجلا من أهل الدين والعلم لمرافقتهم وصيانتهم، وأجرى عليهم النفقات الكافية.

ولما زاولوا دروسهم وملئوا بكل نافع حقائقهم يمموا بلادهم ليثوا فيها ما ينفع مستقبلهم، فلم يعدموا معاكسا وقف فى سبيلهم، وحرّم البلاد والعباد وما كان يرجى من فوائد معارفهم بفتح المدارس وسلوك هذا السبيل كما سلكه أهل اليابان، لذلك العهد الذين رافقوهم فى دروسهم، فكانت النتيجة أن تقدم اليابانيون وتأخرنا ولله فى خلقه شؤون.

ففى سنة ١٢٩١ انتخب خمسة عشر من الطلبة لتهديبهم وتدريبهم وتعليمهم ما يستطيعون به خدمة أمتهم ودولتهم، ووجه جميعهم لثغر طنجة تحت رئاسة

كبيرهم السيد محمد الجباص الذى صار بعد ذلك وزيرا صدرا، فأخذوا بها مبادئ الحساب واللغات الإفرنجية، وأقاموا فيها ثلاث سنين وفى سنة ٩٣ توجهوا على نفقة المخزن لأروبا لإكمال دروسهم متفرقين فى مدارس إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا لكل واحدة منهم بعثة تشتمل على طلبة ثلاثة:

فالتوجهون لإنجلترا هم الجباص المذكور، والسيد الزبير سكيرج مدير الأملاك المخزنية بتطوان حالا، والحاج إدريس بن عبد الواحد الشاوى أحد كبار الطبجية ذهبوا لتلقى متنوع العلوم فى صف ضباط الإنجليز بمدرسة (شاطم) وهى مدينة هناك تبنى بها المدرعات الحربية، فأقاموا فيها ثلاث سنوات حصلوا أثناءها على الإجازة فى الفنون التى أتقنوها، وبعد مشولهم بين يدى الملكة فكتوريا قفلوا راجعين للحضرة الشريفة سنة ٩٦ وفيها توجه سكيرج المذكور مع الوفد الغربى لمؤتمر مدريد.

والتوجهون لفرنسا هم السيد محمد بن الكعاب الأودى، والسيد قاسم الأودى، والسيد محمد بن الحاج الأودى.

والتوجهون لألمانيا هم السيد عبد السلام التولى، والسيد الميلودى الزيادى الرباطى، والسيد محمد النجار السلوى.

والتوجهون لإيطاليا هم السيد المختار الرغاي والسيد محمد بنانى الفاسى، والسيد عبد السلام عينوس الأودى.

والتوجهون لإسبانيا هم الحاج أحمد بن شقرون الفاسى، والسيد عبد السلام الفاسى لقبا الرباطى أصلا، والسيد محمد الشدادى الرباطى.

وكل بعثة منهم رجعت للحضرة الشريفة بعد أخذها من لغة الأمة التى ذهبت للتعلم بمدارسها وتلقى الدروس الرياضية عندها وكان مكوثهم هناك نحو خمسة أعوام.

وفى سنة ١٢٩٢ وجه لجلبل طارق بعثة عسكرية تشتمل على خمس وعشرين من الجنود برياسة السيد على بن بله المراكشى فأقاموا هناك نحو السنة وتعلموا فيها من الفنون الحربية والحركات العسكرية ثم رجعوا للحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٣ عين بعثة عسكرية أخرى للتوجه للجلبل المذكور تتركب من خمس وثمانين من الطلبة سبعون من الجنود وعشرة من الطبجية وخمسة من أطباء الجيش، وهم: القائد الجليلى بن التهامى الشرادى الزرارى قائد الشراذة كافة سابقا، ومولاي أحمد الزواق العلوى المراكشى، وإدريس بن المكى الشرادى، ومحمد المدعو حمان الجامعى، والجيلالى بن العربى البخارى فتعلم هؤلاء الأطباء الطب وأخذ الطبجية الفنون المدفعية وتلقى الجنود الحركات العسكرية وبقوا هناك نحو العام ثم رجعوا للحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٤ أوفد بعثة عسكرية ثالثة لجلبل طارق بها مائة سبعون من الجنود يرأسهم الحاج محمد الزروالى الفاسى تعلم فن المدفعية خمس وأربعون منهم، وأخذت بقيتهم الحركات الحربية وأقاموا هناك كالبعثتين الحريبتين قبلهم نحو السنة ثم يموا الحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٥ اتفق مع حكومة إيطاليا على إرسال بعثة علمية تتركب من ثلاثة عشر من الطلبة من أبناء بعض المراسى للمدرسة الدولية بمدينة طورين بقصد تعلم اللسان والفنون العسكرية والملاحة فتوجهوا فى شهر ربيع النبوى من السنة، ومكثوا هناك عاكفين على التعلم خمسة أعوام .

وكان منهم من الرباط السيد أحمد الجبلى، والسيد محمد بن الحاج على بن طوجة، والسيد محمد بن سالم، والسيد محمد بن العياشى، والسيد محمد البهالى وكلهم أخذوا الفنون البحرية، إلا أولهم فإنه أخذ المدفعية .

وكان منهم من سلا السيد الحسين الزعرى الذى صار بعد خليفة لباشا سلا ثم قائدا لزعرير - أخذ علم السياسة، والسيد العربى حركات، والسيد عبد الله التيال، والسيد محمد بن حيمى، والسيد محمد بن إسماعيل، وكان منهم من العرايش السيد فضول بن صالح، والسيد مصطفى الأودى والسيد على السوسى .

ثم وجه بعثة حربية لفرنسا وبلجيكا فمكثت هناك سبع سنوات، أربع منها بفرنسا وثلاث ببلجيكا تخرجت فيها فى صناعة الذخائر الحربية، ثم عادت للمغرب سنة ١٣٠٥ فلحقت بالحضرة الشريفة برباط الفتح، وأتت معه مكناسة الزيتون وأقامت بها ستة أشهر ثم توجهت لفاس لتطبيق العلم على العمل.

فدخلت للعمل فى دار السلاح الآتى الكلام عليها، وكانت هذه البعثة تتركب من: الطاهر بن الحاج الأودى رئيس العملة بدار السلاح، ومعه من فاس محمد المنقرى رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار، ومحمد بن على الحداد ومن مكناس عباس بن قاسم رئيس قسم صناعة الجعاب بالدار المذكورة، والمعلم أحمد ابن صالح وإدريس بن الحداد، ومحمد بن أحمد المدعو المشطون، والمعلم حمان، ويو سلهام بن حم، ومحمد بن العباس وكلهم نجحوا فى علومهم واستخدموا بدار السلاح.

وفى سنة ١٣٠١ وجه بعثة حربية تتركب من أربعة أفراد من طابور الحراية إلى بلاد الألمان، ووجه معهم خديمه الحاج محمد بركاش نجل النائب السلطانى، وقد وقفت على الظهير السلطانى الصادر لسلطان الألمان فى هذا المقصد الحميد دونك لفظه بعد البسملة والحوقلة والافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم، المحترم المفخم، الشهير الخطير ذى المآثر والمزايا والمفاخر، حامل راية السياسة، الحائز قصبات السبق فى ميادين الرياسة. المميز بملاحظ الأثرة والاعتنا، المقصود بين السلاطين العظام بلسان الثنا. ملك الألمانية وسلطان البروص الأصعد الأزهر السلطان كليوم.

أما بعد: فإن المحبة والصحة والصدقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه أشخاص نجباء أختيار من هذه الإيالة لبلادكم الرفيعة المصونة، بقصد الزيادة فى تنقيح ذكائهم، وتهذيب أخلاقهم بأداب السياسة العلانية، والعلوم

العسكرية والطبجية، وما فى معناهما التى ففتم بها وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها.

وانتخبنا من يتوجهون معه، وهو خديمنا الأرضى الأنجد الحاج محمد بن خديمنا الأرضى الأنصح الأرشد الخير النائب محمد بركاش ونحن على يقين من أنكم تقابلونه بزائد القبول، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول، ويحظى من معه من المتعلمين المشار إليهم من جانبكم الرفيع بتمام القبول، والبرور والاعتناء حتى يحصلوا فى أقرب مدة على المراد، كما ينبغي ويراد، ودمتم كما تحبون مخصوصين بمزيد الاعتبار، مهنيين بالمراد فى الإيراد والإصدار، وحرر فى ٢٤ من المحرم فاتح ١٣٠٢».

ثم بعد ذلك بعث بعثة حربية أخرى لبلاد الألمان تتألف من عشرة من الجنود لأخذ ما عندهم هناك من الفنون الحربية وأقاموا ثم نحو العشرة أشهر ثم قدموا على الحضرة الشريفة.

ومن الوثائق الرسمية والظواهر السلطانية فى هذا الباب ما أصدره للنائب السلطانى فى شأن الطلبة الذين كانوا بطنجة ثم توجهوا لأوربا ونصه:
«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك بأنك اختبرت الطلبة الذين كانوا وجهوا لطنجة لتعلم اللسان والقلم فألفيت فيهم من لا يقبل التعليم أصلا وثقيل الفهم مع أجنيته من التمدن وبينت كلا الفريقين بطرته ومن عداهم نجيب يحصل المراد منه فى المستقبل، وطلبت إبدال من لا قابلية فيه بغيره، وزيادة نحو الخمسة على الاثنين المبدلين لما فى زيادتهم من المصلحة التى ذكرت، ويكون الجميع من صغار أبناء

الحاضرة النجباء فقد أمرنا خديمتنا الطالب عبد السلام السويى بانتخاب سبعة من أبناء أهل الرباط على الوصف المذكور وتوجيههم على يدك للمحل المذكور والأمناء بأن ينفذوا لهم ما يتوقفون عليه لسفرهم، واللذان لا قابلية فيهما وجههما لحضرتنا العالية بالله والسلام فى ٢٠ محرم ففتح عام ١٢٩٣».

وما أصدره للنائب المذكور فى شأن نفقة المتعلمين بفرنسا:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك بأن نائب الفرنضيص طلب منك مشاهرة المتعلمين الذين بباريز عن تسعة أشهر وقدرها خمس عشرة مائة ريال وأربعة وستون ريالاً، وطلبت تنفيذ ذلك له، وإصدار أمرنا الشريف للأمناء بدفع واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، فقد أمرناهم بتنفيذ العدد المذكور له، وبأن يكونوا يدفعون واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، وكتابنا الشريف لهم بذلك يصلك طيه والسلام فى ٧ رمضان عام ١٢٩٧».

وما أصدره له فى العزم على بعث طلبة لتعلم الفنون البحرية:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس لتعليم ترايست والمكينة وعلم البحر وأن يفرقوا على نواب بابورات الإنجليز والفرنضيص والصينيول والألمان والطلينان، وعددهم ستة لكل جنس واثنان من الستة المذكورين يخصصون بتعليم ترايست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر، وأربعة لتعلم علم البحر وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ويكون صائرهم على

جانب المخزن، إذ المقصود هو تعلمهم وعليه فكلّم نواب الأجناس المذكورين فى ذلك وتفاوض معهم فيه، وأعلمنا بجوابهم لك فيه لنأمر بما يكون عليه العمل فى ذلك وعجل ولابد والسلام فى ١٠ رجب عام ١٢٩٩»

قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية

وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية

واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة المغربية

وقد كان له اعتناء عظيم واهتمام كبير بتحسين الثغور وبناء أبراجها وإقامة معداتها، وجلب لذلك مهرة المهندسين من الأجانب ألمان وإنجليز وعين أخيراً بكل مرسى مهندسا لتفقد قوتها وبيان أحوالها، وأنفق على ذلك أموالاً، ولم يأل جهداً فى الاستعداد وأخذ الأهبة والاحتياط فاشتري لطنجة ستة من كبار المدافع العظام من معامل (ارم سطرונك) من بلاد الإنجليز وأمر بإصلاح أبراجها وبناء خزائنها المعدة للذخائر وتركيب مدافعها، وكلف بذلك المهندس الإنجليزى (ضولان) ثم (إدوارد سيلبه) ثم مساعده السيد الزبير سكيرج، وجلب لها ما تحتاج إليه من المقومات الحربية من بارود وكور وغير ذلك حسبما تشرحه لك الظهائر المولوية والرسائل الوزيرية الصادرة فى هذا الموضوع.

وإليك نص أحدها وهو ما كتبه الحاجب السلطانى للأمين الزيدى فى شأن تقرير المهندس الكبير الذى قدم من جبل طارق لتفقد حالة طنجة الحربية:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل المرتضى السيد الحاج محمد الزيدى، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما ذكرته فى شأن المهندس الكبير الذى وجهه قائد جبل طارق من طوافه بأبراج طنجة كلها وبسورها، ونظره البناء الذى

فيه ورجوعه لجبل طارق ليبين ما تستحقه الأبراج من تجديد بناء أساسها، والمخازن لإقامتها وغير ذلك، وتوجيهه بعد ذلك تقييد ما ذكر الموجه تعريبه مع كتاب الباشادور، كما علمنا ما أشار به الباشادور من إجابته بما تضمنه التقييد الذى وجهت ليطلع به قائد جبل طارق والكرنيل المهندس، فقد أجبناه بما تضمنه وها الجواب يصلك، وقد وصل كتاب زوجة العباس امقشد وأطلعنا به المعلم الشريف فأمر سيدنا أيده الله بإحضار زمام متروكه وبحثنا عنه هنا فلم نعرثر عليه، فإن كان على يدك فوجهه، وأما تعريب تقييد المهندس الكبير فقد أحاط سيدنا نصره الله علما بما فيه وأجبنا عنه الباشادور وعلى المحبة والسلام فى ٩ شعبان عام ١٢٩٤ .

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص الظهير الصادر للنائب السلطاني فى شأن تعطيل العمل فى الأبراج:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد أخبر باشادور الإنجليز أن الخدمة فى إصلاح الأبراج هذه مدة وهى معطلة مع قرب ورود المدافع التى تهيأ لأجلها وقد كتبنا للأمناء وأمرناهم بالقيام على ساق الجد فى أمرها وأن يجعلوها من الأكيد المهم، فلا بد أكد عليهم فى ذلك، وليكن عملهم فى أمر الصائر عليها أن يكون كله بموافقة المهندس ضولان الإنجليزى الواقف على مباشرة إصلاحها وعلى يده، سواء فى ذلك ثمن الإقامة وأجرة العملة ويقيده عنده فى كناشه ذلك الصائر ويعطى نسخة منه للباشادور لينضبط ذلك على ما ينبغى، فقف معهم حتى يرتب ذلك على الوجه المذكور ولا بد والسلام فى ٩ ربيع الأول عام ١٢٩٦» .

ونص آخر فى جلب آلة جر المدافع:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من جلب آلة جر المدافع الاثنى عشر المجلوبة على يد باشادور الفرنضيص، وذكرت أنك كلفته بذلك فأجاب بأنه يكتب بالسؤال عن ثمنها أولا لثلاثأتى بأعلى الثمن، ثم بعد ذلك يكتب عليها، وقد أحسن فى ذلك وهو عين الصواب والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص آخر فيما يتعلق بالأبراج:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا باشدور الإنجليز أن الأمناء هناك يعاكسونه فيما يشير به عليهم من الصائر على الأبراج والأمور المهمة لورود المدافع المكلف بجلبها على يده، وبعد ما يكون عندهم من الوفير ما يصيرونه فى ذلك يدافعونه بالأعذار الواهية، وإذا طلب منك الكلام معهم تعتذر له بعدم الإذن وعليه فنأمرك أن تكون تشد عضده عليهم فيما يشير به من الأمور الأكيدة فى ذلك التى إن أخروها يتعذر تداركها أو تبنى عليها مفسدة فى ذلك، ويجعلون بناء الأبراج والصائر على ما يتعلق بها من جملة الأمور المهمة التى يقدمونها كمثونة الطبجية والعسكرية والملازم التى لا مندوحة عنها ولا بد والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص الظهير الصادر للزبيدى وفيه الكلام على المدافع والأبراج:

«خدمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبيدى، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بالإعلام بأنك لما حللت ثغر طنجة تلاقيت بخديمتنا الطالب محمد بركاش، وبعده مع باشدور النجليز، وتكلمتم في أمر حساب السلف وحساب المدافع والأبراج، وأنكم تفاوضتم في تقديم الأهم فالأهم، ووجدته حريصا على المبادرة بحساب السلف لكون مشاهرتة حلت، وعزم على توجيه نائب أرباب السلف لأعمال الحساب معك فيه، وأنت أجبتة بأن أول ما يقدم أعمال المحاسبة مع خديمتنا بركاش في جميع ما وصله منه من المراسى وغيرها مرتبة على التواريخ، وحيث يصفوا معه يقع الحساب مع نائب أرباب السلف فساعد على ذلك وافترقتم، وأنت بعد ذلك شرعت فيه مع بركاش على ترتيب التاريخ والمقابلة وأنكم مجتهدون فيه، غير أن بركاش في بعض الأوقات لا يمكنه الوصول إليك لما يعرض له من الأشغال، كما أعلمت أن التسعة عشر ألف ريال التي هي من حساب المدافع وردت من الجديدة، إلا أنك أخرت بركاش عن دفعها للباشدور حتى تجدد معهم الحساب وتبحث في آلات المدافع كلها المقيدة عندكم من مكاتبهم وحساباتهم لتعرف ما وصل منها وما لم يصل، فالواصل يؤدي له ثمنه، وما لا فلا، وكذلك الإقامة المجلوبة للأبراج وصار الكل ببالنا الشريف.

فأما ترتيبك للحساب مع من ذكر على التواريخ واجتهادكم فيه فذلك هو المراد منك، وقد أحسنت فيه أصلحك الله، وأما كون خديمتنا بركاش تعرض له أشغال فهو معذور والله يعينه ويسدده، وأما ما فعلت من تأخير دفع المال الوارد من الجديدة للباشدور إلى أن تجدد الحساب معه فالعمل على ذلك سددك الله والسلام في ٢٠ حجة الحرام خاتم ١٢٩٧».

ونص ظهير آخر فى الأبراج ومعداتها من بارود وكور:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزيدى، وفقك الله، وسلام عليك
ورحمة الله وبركاته.

وبعد: وصل كتابك أخبرت فيه بتوقفك فى حساب السلف على ورود بعض
حسابات اللندريز وأخذك فى حساب ما يتعلق بالمدافع، ووجه لك باشدور النجليز
نائبه ويده حساب ٢ ورد من أرباب الفبركة باللندريز مدركا على جانبنا العالى
بالله فيه ابرات / : ٧٨٩٠١١ فعربتموه، فألفيتم فيه صوائر قدرها ابرات /
١٤٣٥١٠ ليست عندك فى الحساب منها ما ذكروه صار ومنها ما قدروه لما بقى
عندهم هناك فطلبت منهم بيان ما ورد من آلات المدافع وما بقى منها فبينوه،
فألفيت قدر ثمن الباقي هناك ابرات / : ١٣٠٦، ١١٣٣١، ومن هذا الباقي الكور
والبارود وغيرهما حسبما فى ورقة الحساب الذى وجهت لحضرتنا الشريفة.

ثم بعد ذلك وجه لك الباشدور نائبه أيضا بحساب ٣ ثمن الإقامة التى كانت
وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغيره مضمن جميعها ريال ٤٠١٠ كبير
بزيادة الربح فحزته منه لتطالعه وتلاقيت مع الباشدور وتذاكرت معه فى حساب
الندريز بما هو محسوب على جانبنا الشريف فيه ولم تأت، فأجاب بأن سبب
تأخيرته هو عدم محل نزوله وإن أردنا إنزال البارود بدار البارود والكور بأحد
المخازن إلى أن يتهيأ محل نزول ذلك ويأتى فسكت عنه، ثم قال لك: هذه التسعة
عشر ألف ريال التى وردت من الجديدة وهى تحت يد الأمناء يدفعون منها ثمن
الإقامة المجلوبة للأبراج فإن أربابها يترددون فى طلب ثمنها وطالت مدتها حتى
حسبوا عليها ما ذكر، والباقي يبقى تحت يد الأمناء حتى يكمل عليه ما بقى
لأرباب الفبركة.

فظهر لك أن ذلك هو الصواب فأجبت له لدفعها، ووقع الكلام مع الأمانة بعد ما اعترفوا بوصولها وحازوا حساب أربابها ودفعوه وأثبتوه داخلا وخارجا في صائر الأبراج حسبما في الورقة التي وجهت ملخصا فيها صائر الأبراج كل شهر، وما صار فيه مع بيان زيادة السكة فيه من ابتداء الخدمة فيها إلى منسلخ الحجة الفارط متمم عام ٩٧، كما وجهت أيضا ورقة حساب المدافع بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز مبينا في وجه منها ما كان مقيدا عندك من مكاتيب الباشادور ونائبه وفي الوجه المقابل له نسخة من حساب اللوندريز، لنعلم منها الفرق الزائد.

وفيها أيضا بيان ما بقي باللوندريز وما بقي يخصهم لتمام المال بعد حسابك فيه ما هو تحت يد الأمانة من مال الجديدة، وقدر ما بقي يخصهم ريال ٢٥١٤٢ كبير.

ووجهت لحضرتنا الشريفة حساب اللوندريز وورقة تعريبه وورقة حساب إقامة الأبراج وما معها، وإن اقتضى نظرنا الشريف نزول البارود المذكور بدار البارود والكور بأحد المخازن نأمر بالتوجيه ٤ على ما بقي منهما باللوندريز وبأداء ٥ ما بقي يخصهم لتمام المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنتان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه.

فأما توقفك ١ في حساب السلف على ورود بعض حسابات اللوندريز وأخذك في حساب ما يتعلق بالمدافع فصار بالبال، وقد وصلت الحسابات التي وجهت وعرفنا مضمونها، فأما الحساب ٢ الوارد من أرباب الفبركة فقد علمنا منه ما زاد به على الحساب الذي توجهت به من هنا وهو أربع عشرة مائة ابرة وخمس وثلاثون ابرة وشلن وأحد عشر بنك مع ما زيد في ثمن البرود بعد حط ثمن السلسلة منه، فبقى منه مائة ابرة وثمان وثلاثون ابرة، وأن هذا العدد المزيد مصروف في مسائل ليست في حسابنا حقا كما ذكرت وأن الستة آلاف ابرة،

والثلاثمائة ابرة، والخمسة عشر شلین مندرجة فى الحساب وبقيت مدركة علينا من جميع المسائل .

وأن هذا المثلث الذى قسطوها عليه لم يفهم إلا تقديرا كما ذكرت لا حقيقة، وهى أن تلك الأثمان المقسطة عليه هى أثمانه بعينها وأما حساب ٣ الإقامة التى وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغير المتضمن جميعه أربعة آلاف ريال وعشرة ريال التى أوجب الباشدور لدفع مضمونه المذكور والتسعة عشر ألف ريال الواردة من الجديدة علمناه ونظر سديد كما علمنا أنه فضل من التسعة عشر ألف ريال المذكورة أربعة عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وخمسة ريال باندرج صرف السكة فيها، وهو ستمائة ريال وخمسة وستون ريالا، وأن هذا العدد إذا حط مما بقى من ثمن المدافع وهو تسعة وثلاثون ألف ريال وثمانمائة ابرة والتسعون ابرة المذكورة أعلاه، يبقى يخصهم من ثمنها خمسة وعشرون ألف ريال ومائة ريال واثنان وأربعون ريالا حسبما تضمنته ورقة حساب المدافع التى بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز .

وأما التوجيه ٤ على ما بقى من البارود والكور وإنزال البارود بدار البارود والكور بأحد المخازن فنعم يوجه عليه، وأما أداء ٥ ما بقى يخصهم لكمال المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه فقد أمرنا الأمناء هنا كم بأن يدافعوا لكم مما تحت أيديهم من دين أولاد الدكالى، سبعة آلاف ريال وستمائة ريال وتسعة عشر ريالا وثلاثة أرباع الريال ٧٦١٩١ / ٣، وبأن يدفعوا لكم أيضا الأربعمائة ريال والثمانية والستين ريالا ٤٦٨ الباقية عندهم من الخمس والعشرين مائة ريال التى كانوا استسلفوها، وأمروا بالتصيير منها على الأبراج فقد راجع أمناء أعتابنا الشريفة حساب صائر الأبراج فألفوا مدركا علينا من الخمس والعشرين مائة ريال المذكورة ألفين ريالا واثنين وثلاثين ريالا، وباقيا عندهم منها الأربعمائة ريال والثمانية والستون ريالا المذكورة، كما يدفعون لكم الخمسة آلاف ريال، التى كنا قدمنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى أسفى بتوجيهها لهم

وأصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى العدوتين بأن يوجهوا لكم مما تحت أيديهم من الوفر اثني عشر ألف ريال وأربعة وخمسين ريالاً وربع ريال ١/١٢٠٥٤، يصير الجميع خمسة وعشرين ألف ريال ومائة ريال واثنين وأربعين ريالاً.

لكن ينبغي لك أن تحوز خطهم بأنه لم يبق لهم صائر على شيء من المدافع لا سابق ولا لاحق، وأن صائرهما تم، واحسم مادة ذلك معهم، وكذلك صائر الأبراج فإنه لا يجلب في المستقبل شيء لبنائها من بر النصراري، وإنما تبنى بما هو موجود في البلاد من الآجر والجير، ولم يبق صائر إلا على الأجرة والإقامة البلدية فقط والسلام في ١١ صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضي الأمين الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى».

وبعد: وصل كتابك وبطيه ورقة حساب مال السلف مبينا فيها جميع ما دخل على خديمنا الطالب محمد بركاش إجمالاً ومضمن ما دفع لأرباب السلف إجمالاً كذلك وما بقى منه وأصل مال السلف وما وصلهم منه وما تحصل فيه بعد حط صائر جبل طارق والندريز من الأبراب بزيادة الربح إلى أن بقى لهم مائة ألف ريال وستة وسبعون ألف ريال ومائتان ريالاً وثمانية وخمسون ريالاً، وذلك بعد مراجعة حساب الندريرز ومناقشة فرينسية الصرف مرتين مع نائب أرباب السلف إلى أن أوقفتموه على حقيقته، وأفردت لهذا الحساب كناشاً خاصاً ورتبته على فصول ثلاثة على سبيل التفصيل لتصحبه معك لحضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال.

وقد أمرنا أمناء أعتابنا الشريفة بمقابلة الحساب المذكور مع الذي تحت أيديهم فأخبروا أنهم قابلوا ما هو مقيد بالكاناش من مال السلف الموجه مع اعتراف خديمنا

بركاش بوصوله له من ذلك، فألفوا ما اعترف به ناقصا عما هو مقيد بالكناش المذكور بخمس وستين مائة ريال وواحد وثمانين ريالاً ٦٥٨١، وفاضلاً تحت يده إحدى وثلاثين مائة ريال وستة وتسعين ريالاً ٣١٩٦ مصيراً منها على الطلبة المتعلمين ببلاد النجلىز ثمان عشرة مائة ريال وستة وثلاثون ريالاً ١٨٣٦، والباقي وهو ثلاث عشرة مائة ريال وستون ريالاً زائف ونحاس ١٣٦٠، كما ألفوا اثني عشر ألف ريال ومائتين ريالاً وستة عشر ريالاً ١٢٢١٦ مصيرة بطنجة وجبل طارق والوندريز .

فأما العدد المذكور الذى نقص به ما اعترف خديمنا بركاش بوصوله عما هو مقيد بالكناش هنا فنأمرك أن تتلاقى معه وتحقق سبب هذا النقص .

وأما ما صير على الطلبة المتعلمين من الفاضل المذكور فقد أصدرنا أمرنا الشريف للأمناء بتصويره مما عهد دفعه منه ليقبى أمر السلف مضبوطاً لكون إدخال ما ليس منه فيه وإخراجه منه يؤدى إلى التخليط .

وأما ما هو زائف ونحاس فلا بد من بيان الوقت الذى وجد فيه ذلك، فإن كان فى هذه المدة فقد كان فى كل مشاهرة يرجع منها ما هو زائف ونحاس ويوجه بدله، وإن كان قديماً فيحقق ويبين من كان توجه على يده ومن حسبه هنا، فإن ذلك مبين على ظهر الفئات والبطاقات التى بداخلها .

وأما ما صير بطنجة وجبل طارق والوندريز فلا بد من معرفة هل هذا الصائر مشروط من أول الأمر أو حادث وهل هو فى المدة من أولها إلى آخرها أو فى بعضها وفى أى شىء صير؟ فحقق ذلك تحقيقاً وبينه بيانا شافياً لا لبس فيه ولا إجمال أصلحك الله والسلام فى ١٤ من صفر الخير عام ١٢٩٨ .»

ونص آخر فى ثمن المدافع الكبار المجلوبة:

«خدمننا الأرضى الأمين الطالب محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك
ورحمة الله تعالى .

وبعد: فقد اعتذر أمناء مرسى العدوتين عن الاثنى عشر ألف ريال والأربعة
والخمسین ریالا والربع ريال التى قدمنا لكم الإعلام بأننا أمرناهم بتوجيهها لكم مما
تحت أيديهم من الوفر على يد أمناء طنجة من قبل ثمن المدافع الكبار بأن المحصل
تحت أيديهم خارجا عما بالذمم هو تسع وأربعون مائة ريال وواحد وأربعون ريالاً
وربع ريال مندرجا فيها اثنا عشر مائة ريال وتسعة وسبعون ريالاً وثلاثة أرباع الريال
تحصلت من غير الوفر، وأن بعض ذلك من سكة الدرهم فأمرناهم بأن يوجهوا
لكم على يد الأمناء ما هو ريال من ذلك، وما هو من سكة الدرهم يبدلونه هناك
ريالاً، ويوجهونه لكم إن تيسر لهم إبداله ثمة، وإلا فيوجهونه لحضرتنا الشريفة
ليوجه لكم بدله ريالاً .

ونص كتاب الوزير الجامعى فى شأن ثمن المدافع والبارود والكور والأبراج:

«محبننا الأعز الأرضى، الأمين الحازم السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك
الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصل جوابك عما كتبنا لك به عن أمر مولانا أعزه الله من أن
تبنى الأمر فى ورقة حساب السلف التى وجهت على التحقيق واليقين حتى لا
يتطرق لما تؤسس فيه احتمال وهم أو غلط أو نحو ذلك مما يضاد المراد من حسم
مادة المطالبة بعدما أخبرت بأنك قد بنيت ما كان بينك وبين أرباب السلف على
أساس مع نائبهم بعد ما عملت جهدك وطاقتك مرتين، فالحساب الأول معه بعد
ما أثبتته فى الكناش وسطرته بقيت فى قلبك الحزاة ولم يسلمه خاطر فوجهت
عليه ثانيا، وقلت له: هذا الحساب غير مسلم فلا بد من مراجعته، وجلستم له

أيضا نحو ستة أيام لأن حساب الكنبي صعب لا يدركه ويحققه إلا من ومن فأتج لك الحساب الثاني اثني عشر ألف ريال وزيادة ربحاً، وكلاهما مسطران عندك في الكناش الأول والثاني وسلمه، وبعد ورود جواب سيدنا على حساب المدافع وورود المشاهدة كتبت لبرقاش في شأن الملاقاة مع باشادور النجليز لتمام الكلام معه في أمر شأن السلف والمدافع، وحتمت على برقاش يحضرها.

وبعد الملاقاة معه بينت له بمحضر برقاش أن الباقي لهم من السلف مشاهرتان، وعينت له قدرهما، وأن ما كان بقي لهم من ثمن المدافع نفذه له سيدنا أعزه الله بعد ورود ٥٠٠٠ ريال من آسفي، وأن سيدنا نصره الله أمر بإتيان ما بقي بالنديز من البارود والكور وغيره وتم الأمر بينك وبينه بوجه جميل والحمد لله بسعادة سيدنا.

ثم إن الخزائن ببرج الريشة المعدة للبارود والكور قد تم عملهم بناء وقبوا وتلبيسا، وما بقي في برج الريشة إلا شيء يسير وذلك في غاية ما يكون من الإتقان والتوثيق، وهذه هي الآثار التي تذكر بها الملوك على ممر الأزمان.

وبرج القصبه خزائنه ما بقي لهم إلا القبو وإقامته التي تكفيه من الأجور وغيره موجودة فيه إلا أنه اليوم لا خدمة عندهم فيه لقصر النهار، وكثرة الأمطار، بخلاف برج الريشة فالخدمة فيه لا تبطل، لكنها بصائر يسير، وقد شرعوا في تجليد بيوته بالخشب لنزول ما يرد من الكور فيهم إذا ورد ومدافعه سيركبونها في محلها فيه بعد أيام قلائل، وإن هذه حسنة عظيمة في صحيفة سيدنا أعزه الله وعرفنا ما ذكرته في ذلك وصار بالبال، وبعد أن طلعنا به العلم الشريف دعا لك أعزه الله بخير وأمر بأن تأتي معك بصورة الأبراج والخزائن وما كمل بناؤه منها وما لم يكمل بناؤه فاصحب معك ذلك ولا بد عن أمره الشريف أسماء الله وعلى المحبة والسلام في ١٣ من ربيع ١ النبوي عام ١٢٩٨.

محمد بن العربي بن المختار خار الله له»

ونص آخر:

«خدمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: وصل كتابك جوابا عما أنتجته مراجعة أمناء أعتابنا الشريفة ورقة
حساب مال السلف التي وجهت لحضرتنا العالية بالله من نقصان ما اعترف به
بركاش عما قيد بكناش بريال ٦٥٨١ وبقاء ريال ٣١٩٦ فاضلا عنده مصيرا منه
على الطلبة المتعلمين ببلاد النجليز ريال ١٨٣٢ والباقي ١٣٦٤ في زائف ونحاس
وتصيير ريال ١٢٢١٦ بطنجة وجبل طارق واللوندريز .

وذكرت أن أمر الفرق محقق عندك ومثبت في الكناش الذي رتبت هناك،
وأخرت الكلام فيه كتابة بقصد المشافهة به، وبعد ما وجهت ورقة الحساب على
الإجمال علمت أننا نجيبك ببيان هذا الفرق وعرفنا ما ذكرته من أن سببه وقوع
الخطأ عندكم في مشاهرتين إحداهما عثرت عليها مقيدة عند خدمنا الطالب محمد
بركاش بتاريخ صفر عام ٩١ وردت له على الصورة قدرها ريال ١٠ ، ٧ ،
٢٩١٥١ كبير وليست مقيدة عندكم في كتابكم فأثبتها في محلها، والثانية لما بلغت
في المقابلة للمشاهرة التي توجهت له من مكناس بتاريخ ١٢ من شعبان عام ٩٦
قدرها ريال ٣ ، ٣٥٢٣٨ كبير عن شهور ٣ والتي تليها مقيدة عندكم في كناشكم
بتاريخ ٢٩ شوال عام ٩٦ مثلها ذكرتها لخدمنا بركاش، فأنكرها وذكر أنها لم تكن
فحاججته فيها، فأجابك بأن حججتك لا تقوم عليه إلا بجوابه عنها على العادة
بتاريخ القعدة عام ٩٦ .

ثم أدلى بحجته وهي مكاتيبنا الشريفة مصرحا في أولها وآخرها وتاريخ
توجيهها في المحرم حسبما في النسخة منها التي وجهت بتاريخ وقت الكلام فيها
بينك وبينه، ووجهت على كناش صائر المرسي فيه على مئونة الواردين بها من

الخيل والحمار على العادة فلم تقف فيه على شيء في ذلك التاريخ، وليس عندك حجة تحتج بها عليه سوى جوابه عنها، وحيث لم تقف في كناش المرسى على ما ذكر تحققت بعد إتيانها في ذلك التاريخ، وأنها تأخرت إلى شهر المحرم حسبما هو مصرح به في كتابنا الشريف وتقييدها عندكم بتاريخ ٢٩ شوال خطأ منكم.

وتأملت في سبب تقييدها فتذكرت أن السؤال كان وقع على حلول وقت المشاهدة في آخر شوال، وأجبت بأنها تحل في أول القعدة وقيدتها على أنها خارجة، فتأخر خروجها وبقيت مقيدة عندك سهواً، وبعد ذلك أمرناك بإعمال حساب السلف تفصيلاً فأعملته وقيدت من جملة المقيد بعد بحثنا لكم فيها مرتين فلم يحصل لكم شعور، فأمرناكم بتقييد ذلك في كناشنا فقيدت فيه كذلك خطأ ونسياناً، وكان خصه على يد أمناء دار عدليل في مشاهرة محرم عام ٩٢ ريال ٣٢٢ وفي مشاهرة جمادى الأولى عامه ١٦٧ وفي جمادى الأولى عام ٩٣ على يدهم أيضاً ريال ١٤، حسبما في الورقة التي وجهت.

وعلمنا أن صائر الطلبة باللوندريز أضيف للمشاهرة التي وردت لخدمنا برকাশ ودفع معها، والزائف والنحاس الذي على يده من المشاهرات التي كانت توجه قبل أبدال البعض منها والباقي لا زال بيت المال وقدره ريال ٥٥٥ بين خاص ٣ ونحاس ١٣ وزائف ٥٣٩، وأن هذا الزائف لا خسارة فيه وستصحبه معك ويدفع في الصائر.

وسألت الأمناء الذين كانوا يتولون حساب ذلك عن البطائق فذكروا أن بعض الخناشي يجدون فيها البطائق وجلها لا يجدونها فيها، وأن الصائر على المال بطنجة وبجبل طارق واللوندريز ليس بمشروط في الكنطرة التي كانت على يد العاجي، ولما تولى برকাশ دفع المشاهرة من أول الأمر قال لهم: إنما لكم علينا سكة الابرة فعينها فييدل الريال بالابرات باللوندريز وتدفع لهم هنالك يطالبوه بالصائر على

توجيهه فيما يلزمه من كراء وطرقه البحر وكموسيون، فأجابهم لذلك ليتوصل إلى ما يفضل من الربح بعد الإبدال المجرد بالورقة التي وجهت، ولولا ذلك لما توصل لذلك الربح.

وطلبت إصدار أمرنا الشريف لبركاش بأن يدفع لك أصول حسابات اللوندريز تصحبهم معك لحضرتنا الشريفة، لأنك طلبتهم منه فظهر لك منه أنه يريد بقاءها عنده، والأولى بقاءها بحضرتنا العالية بالله وصار ذلك بالبال وعرفنا أن الفرق وستين مائة ريال واحد وثمانين ريالاً بين الحساب الذى وجهت وبين الحساب الذى سبب وقوعه هو ما شرحته.

غير أن الأمانة لما راجعوا حساب هذا السبب الذى بينت ألفوا خاصاً لكمال العدد المذكور ٥ خمسة ريال، كما ألفوا عدد الزائف والنحاس الموجود فى المشاهرات السالفة ثلاثة عشر مائة ريال وأربعة وستين ريالاً، وعليه فنأمرك أن تصحبها معك مع بيان تاريخ كل مشاهرة وعلى يد من توجهت من الأمانة والعدد الموجود فيها من ذلك، كما تصحب معك أيضاً ٥٥٣ ما وجد زائفاً ونحاساً فى هذه المشاهرة الموجهة آنفاً، وقد كتبنا لخدمنا بركاش يدفع أصول حسابات اللوندريز لك لتصحبها معك لحضرتنا الشريفة إن لم يبق له غرض متعلق بها والسلام فى ١٦ ربيع ١ النبوى عام ١٢٩٨».

ونص آخر فى شأن ثمن المدافع:

«خدمنا الأرمى الأمين الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أصدرنا أمرنا الشريف لأمانة العدوتين بتوجيه ما تحت يدهم من الوفر لأمانة طنجة بقصد أداء ما بقى من ثمن المدافع حسبما تقدم لك الإعلام

به، وقد أخبروا بأنهم وجهوا لأمناء طنجة من الريال الكبير ٢ ألفى ريال وتسعمائة ريال وأربعة ريال ونصف ريال ومن الصغير ألف ريال وثلاثمائة ريال واثنين وعشرين ريالاً.

ووجد تحت يدهم من سكة الدرهم أربعة آلاف مثقال ومائتى مثقال وجهوا ذلك لحضرتنا الشريفة بقصد إيداله بالريال، وقد أبدل فى عدد من الريال قدره ألف ريال ومائتا ريال واثنان وتسعون ريالاً، وها هو يرد عليكم صحبته والسلام فى ٢٩ من ربيع النبوى عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه المهندس سكيرج للزبدى ترجمة لتقرير معلم الطبجية الانجليزى ليرفعه للحضرة الشريفة:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه التنزيه السيد محمد الزبدى.

أما بعد: فقد طلب منى حاكم الطبجية الانجليزى ومعلمهم أن أترجم له المكتوب الانجليزى حوله إلى العربية وأسلمه لسعادتك لتطالعوا عليه العلم الشريف، وهو مشتمل على ما استحسنته المعلم الموما إليه وما تقتضيه المصلحة إجراء وهذا ملخصه لدى.

يرى المعلم المشار إليه من المستحسن أنه لا بد من إمعان النظر فى إجراء أمر مهم لا غنى عنه أبداً بوجه، حسب ما تقتضيه الحالة الحاضرة وذلك تقوية الجند بهذا الشجر المبارك المهم، فهو لا شك أمر ضرورى بلا خلاف، فمن المعلوم أن المدافع الجديدة متوقفة ومفتقرة على من يقيم بواجباتها حق القيام، ولو فرضنا أن هذه المدافع كلها مركبة بمحلاتها على التمام دون من يقيم ويحق خدمتهم بالتحقيق والتدقيق فهم حينئذ والوجود والعدم على حد سواء.

فيلزم إذن لذلك انتخاب عدد وافر من الرجال قادرين على الخدمة الشاقة ليقوموا بواجباتهم ويلتزمون طول المدة والمواظبة في التعليم، ليعلموا كيفية استعمال المدافع الجديدة تماما، وإلا فيقتصرون على واجبته وتعدم النتيجة ولا ريب أن تعلموا كيفية خدمته كانوا قادرين على تعليم غيرهم وقد قدر ذلك العدد الوافر المذكور أن لا يكون أقل من ١٠٠ رجل و ٧ قياد ليقوموا بواجبات المدافع الستة، ويستحسن زيادة ٢٠٠ عسكر و ٨ قياد للإعانة عندما تمس الحاجة إليه وتأذن لى الحضرة السنية أن أعلمهم حرب الرجولية وبعده حرب المدفع القديم حتى يتمرسوا فيه، فيكون قادرين على مساعدة الطبجية فى أى عمل من الأعمال المطلوبة، فلا يخفى ما يحصل للجانبين من النفع الجزيل، لأن الطبجية يزدادون علما بتعليم العسكر المذكور، ويتمرنون فى أعمالهم أكثر مما أدركوه فى حالة تعليمهم سابقا، وكذا العسكر يكون قادرا على استعمال سلاحه وعلى خدمة المدافع القديمة، وعلى مساعدة الطبجية فى مباشرة المدافع الجديدة، وزيادة على ذلك النفع العام الذى هو أحق بالانتباه إلى غير ذلك مما يطول شرحه بهذا الموضوع الجليل.

أما المدافع الجديدة منزلة قرب محلاتها فبمجرد الفراغ منها تركيب على محاورها وفى مدة شهر ونصف تركيبا مدفعى برج دار البارود واطلب من الحضرة العالية أن ترخص لى بزيارة أعتابها الشريفة بعد تركيب المدفعين فى المدة المذكورة وهذا ما حرره الطبجى الإنجليزى وباللله التوفيق قيد فى ١٢ مرص الموافق ١١ ربيع الثانى ١٢٩٨ .

محرره خديم الأعتاب الشريفة الزبير بن

عبد الوهاب سكيرج آمنه الله»

ونص كتاب سكيرج للزبدى فى شأن الإنعام السلطانى على المهندس المكلف بالأبراج وما وصل إليه العمل فيها:

«وعلى جناب أمين الحضرة العالية الفقيه النزيه عوض الوالد سيدى ج محمد الزبدى، السلام التام، ورحمة الله عن خير مولانا دام بالله نصره.

أما بعد: فقد شرفتنى سعادتكم بمكتوبها الوارد على يد نائب سيدنا المعظم الفقيه السيد محمد بركاش فاستدعانى لمحله حيثئذ، وكذا المهندس، وسلم إلى المكتوب المومى إليه، وأخبر المهندس أن سيدنا أيده الله أنعم عليه بكسوة مثل ما أنعم بها على الحراب بجبل طارق، فشكر فضل الحضرة السنية وكذا فضلكم، فإن شكر الوسيطة واجب. وعندما انصرفت من منزله قرأت كريم مكتوبكم وفهمت مضمونه ووضحته للمهندس فحصل له سرور كبير، ولنا أكثر منه، فلولا الوسيطة لذهب كما قيل الموسوط، فلا طاقة لى على مجازة عالى همتمكم فى الأمر الذى أنهت سيادتكم للحضرة السنية ووعدتكم بالخير إن شاء الله فى شأنى وقد قيل أنجز حر ما وعد.

ثم نعلم سيادتكم عن التعطيل الذى أنشئ للطبج فى تركيب المدفع الثانى الفقانى من برج الريشة خلاف ما وعد به، وهو أن إقامة المدافع الجديدة وردت من إنكلترا فكان وزنها . . . طونا منها ٤٤ طون من البارود والباقي من الكور ومكينات أخرى المعدة لتعمير المدفع فجعل البارود المشار إليه فى خزنة دار البارود الكبيرة بعد ما أصلحها المهندس، وباقي الأقيام فى برج المرسة وطبانه وفى برج الريشة، وقد حاول هذه الأيام فى تركيب الآلات التى يتركب بها المدفع وسأخبر سيادتكم عن ذلك إن شاء الله عما قليل.

وأما البناء فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف الدائرة من المدفع الفقانى، فلا يمكن بناؤه قبل تركيب المدفع حسبما ظهر للطبج، وأمور فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف للطبج، وأمور أخرى كالتجصيص وتلبيس بعض المحلات وتركيب أبواب الخزانات القديمة، وكذا باب البرج وأمر ذلك سهل قريب.

وأما التراب قد أنجز العمل فيه في الجمعة الماضية، وما أحرنا عن إتمامه قبل الوقت المذكور إلا شدة الأرياح التي صدت الناس عن الخدمة فيه، ثم إن مكينة الوزن قد ركبها المهندس بالدوانة وترشح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار، وأن البناء مستمر ببرج النعام، وكذا برج طبانه في تعمير التراب وتخصيص أرضه وعلى محبة سعادتكم والسلام في ١٣ رجب عام ١٢٩٨.

عوض ولدك الزبير اسكيرج لطف الله به»

ونص كتاب المهندس المذكور في الموضوع:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه النزيه السيد الحاج محمد الزبدي، أسأل عن صالح أحوال سيادتكم أجزاها المولى وفق ما تريدون، هذا وقد تشرفت بكريم إعلامكم أن سيادتكم قد أنهت أمرى لسيدنا أعزه الله فيما أنى عليه من الحزم والاعتناء في بناء الأبراج وبحسن وسيطتكم العظماء أنعمت على الحضرة السنينة بكسوة جندية، فعلمت حينئذ بدون شك أن سيادتكم افتكرتني عند حضورها مع الباب العالي وشرفت اسمى في ذلك المنزل الفخيم وذاك بذكر جميل جزيت سيادتكم خيرا فقد حصل لى من السرور الكبير وتقوية بحسن صنيعكم الجليل.

ثم أعلم سيادتكم أن تعمير التراب ببرج الريشة قد انتهى العمل فيه في الجمعة الماضية وأن برج النعام متقدم في الخدمة، وبرج طبانه في تجهيز حفر الأساسات، وأن مدفع برج الريشة الثانى لم يتركب إلى الآن والعائق عن ذلك ورود إقامة المدافع الجديدة الستة من إنكلترا وأن مكينة الوزن ركبها بالدوانة وهى توزن الآن على التمام ومن جملة تحقيقها ترشيح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار وهذا ما وجب به الإعلام في ٣ رجب ١٢٩٨.

عن اذن المهندس المكلف ببناء الأبراج

إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمينة»

ونص توصية المذكور بمساعده سكيرج :

«استدرك خير فقد خصصت هذا لسعادتكم لأطلب من كريم فضلكم وعظيم تأثيركم أن لا تنسوا خدمة خليفتي السيد الزبير اسكيرج، فلا يخفى سيادتكم من ما فيه من الحزم والنجابة والمواظبة على التعليم، وأظن أن سيادتكم على بصيرة من ذلك وشاهدته بهذا الطرف ولا ريب أن خدمته ستكون نافعة جدا للخدمة السلطانية، فلهذا أشكر جميل أوصافه وأوصى به خيرا لسيادتكم، وفي الوقت نفسه أعلمه هنا ما يمكن تعليمه وأرجوكم السلام في ٣ رجب عام ١٢٩٨ .

عن اذن المهندس المكلف ببناء الأبراج

إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمينة»

هذا وقد بنى صاحب الترجمة برباط الفتح خارج باب العلو على ساحل البحر برجا عظيما هائلا يسمى بالبرج الكبير أو البرج الألماني لقيام بعض مهندسي الألمان ببنائه وتخطيطه وجلب مدافعه من بلادهم، وقد تولى مساعدة المهندس المذكور في بنائه منذ سنة ١٣٠٣ السيد الزبير سكيرج المهندس المغربي الذي تولى قبل ذلك مساعدة المهندس الإنجليزي في أبراج طنجة .

وكان القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شئونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك الأمين الصدوق الوطني الغيور السيد الحاج عبد الخالق فرج محتسب الرباط وناظره، وبقيت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظي، وفي سنة ١٣٠٧ وجه

المترجم بعثة لألمانيا للمفاوضة فى شراء المدفعين العظيمين البالغ وزن كل منهما ثلاثين طنا اللذين أراد جلبهما من معامل كروب الشهيرة باسن من تلك الديار وتركيبهما بالبرج المذكور، فتوجهت متركبة من الأمين الحاج محمد الزكاوى، والمهندس سكيرج، والمهندس الألماني وفى سنة ١٣٠٨ وجههم صحبة بعض رجال العسكرية من كبار الطبجية، وهم الحاج إدريس بن عبد الواحد، والقائد محمد الشديد، والقائد محمد سباطة الرباطيان إلى مدينة مبين من بلاد الألمان لحضور اختبار المدفعين المذكورين، ثم رجعوا وطرحوا نتيجة عملهم على البساط العالى.

الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية

واهتمامه بالإطلاع على المخترعات العصرية

وما كان على عهده بالعدائر والهواتر المخزنية

ومما يتعلق بجلبه الذخائر الحربية من الديار الأوروبية غير ما سلف ما أصدره
لنائبه السلطاني بطنجة في شأن البارود المجلوب من إنجلترا ونصه:
«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته

وبعد: فقد أخبر مولاي أحمد الصويرى كبير الطبجية بحضرتنا العالية بالله
أن سيدنا المقدس بالله كان كلفك بجلب خمسمائة قنطار من البارود النجلىزى،
وكنت وجهت عربونه وقلب وسلم، وأمرت بجلب العدد المذكور منه ولم يدر فى
أى مرسى من المراسى وضع ذلك حين ورد، وعليه فلا بد بين لنا المرسى الموضوع
فيها ذلك والسلام فى ١٥ من ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وما بعثه له فى شأن حبة التلحيق المجلوبة من بلجيكا ونصه:
«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله.

وبعد: وصل كتابك بأن المليون من حبة التلحيق الذى أمرناك بجلبه ورد
وأنزل بالدار البيضاء وحازه أمناؤها فى عشرة صناديق وطلبت أمرنا الشريف لهم
بتوجيه ذلك لحضرتنا العالية بالله، وتنفيذ ثمنه لباشادور البلجيك لوروده على يده
وقدره ثمان وأربعون مائة وتسعة وتسعون من الفرنك ٤٨٩٩ حسبما بحساب
المكلف بجلب ذلك الذى وجهت، فقد أمرنا الأمناء المذكورين بتوجيه ذلك
لحضرتنا الشريفة وأداء ثمنه للبشادور المذكور على يدك، وكتابنا الشريف لهم
بذلك يصلك والسلام فى ٤ المحرم فاتح عام ١٢٩٩».

وما كتبه قنصل البلجيك للأمين الزبدي فيما يتعلق بجلب الذخائر من
معامل بلاده ونصه بلفظه:

«إلى حضرة المبجل المعظم المنتخب الأعز الأحب الأود الفقيه المصيب اللبيب
سيدي الحاج محمد الزبدي، بعد السؤال عن كافة أحوالك المرضية الزكية وأنفع
السلام وأجله على سيادتك المعظمة المحترمة، ومحبة أن تكون بخير وعافية ونعمة
شاملة مرضية، ليكن في كريم علمكم أيها المحب أنه قد أخبرني محب الجميع
السيد بوبكر أنك على خير وعافية وذلك هو بغيتنا دائما وأبدا... هذا وإنما لما
نعرفه من منزلتكم المعظمة لدى السلطان أيده الله، هأنذا نكتب لك اليوم على شأن
أمر أوقعني في غبينة كبيرة وهو أنني كنت هذه مدة من عام كتبت كتابا للوزير
السيد محمد بن العربي ولم يكثرث به ولا رد لي جوابه إلى الآن، وحتى الآن وها
بطي هذا نسخة منه تنظرها... حيث كان ظهر لي ما هو منفعة للسلطان أيده الله
وأنه يقبل ذلك الكلام المعروف من صاحب فبركة الحرب ببلاد الياج بلاد البلجيك
الذي هو عين الصواب غاية، ويكون عند السلطان الحرب الجيد الرفيع الذي يقرب
أن يكون جديدا وثمنه موافق كثيرا على الذي بسواه الحرب الجديد إذا لم يرسل
في مرة واحدة عدد ٥٠٠ لبلجيك فيقدر يرسل مائة أو مائتين يجرب بها، وبعده
ينظر إذا وجد ذلك يعني هذا الإصلاح يليق يكمل يرسل الباقي...»

فنحن عندنا غرض وشهوة كثيرا أن السلطان يقبل هذا الأمر ويعمل هذا
التبديل الذي يعرضه صاحب الفبركة، لأنني تغيرت كثيرا لما سمعت أن السلطان
أيده الله ليس هو على خاطره من أجل هذا الحرب الذي هو من بلادى بعد ما
عملت جهدي وكتبت لصاحب الفبريكة الذي هو منتخب ومن أعلى أصحاب هذا
الشأن غاية...»

فأنتم أعزكم الله الذى عندكم العقل التام وسافرتم لبلاد أروبة، لا تخفى عليكم جميع الأمور، إذ تعرفوا أن هذه أمور الحرب هى مسألة نحيفة لطيفة، وأن جميع الدول يقع فيها الآفات فى مبادئ تخديم الحرب الجديد. . . فنعلمك على وجه السر أن عندى أمارات أثبتت لى أن القائد مكليين لا يعجبه هذا التبديل، لكن الذى يظهر لى أن المنفعة للجانب الشريف تقدم قبل كل شىء، وهو الذى نرتضيه لسيادته كما فى اعتقادى، إذا يوافق السلطان يعمل تجربة فيقدر يرسل المكاحل مغلقة مربوطة للتاجر ردمان خليفة البلجيك الجديدة، وإنا نكتب له يرسلها لبلجيكة قاصدة لكيلا يلزم على ذلك كثرة مصاريف فنطلب أن يبيكم الله على خير وعافية وطول عمر فى الخير والهناء ودوام محبتنا، لأننا دائما نتفكر ما كنا فيه متباسطين ونتحلى به غاية ودمتم بخير وعافية والسلام وفى ٦ إبريل عام ١٨٨٣ موافق ٢٧ ج لى عام ١٣٠٠ .

عن إذن منسطر البلجيك بإيالة مراکش

انرسط دلوان»

ونص كتاب وزيرى فى تكليف سفير فرنسا الكندى درينى بجلب المدافع الجبلية من بلاده على يد حكومته بعد الافتتاح:

«وبعد فقد أمرنى مولانا نصره الله بالكتابة لك أيها المحب بأن تطلب من دولتك الفخيمة أن تأذن لوزير الحرب عندها فى أن يشتري على يده لجنابه الشريف بطريتين من مدافع الجبل ذات فرمة أربعة تكون تعمّر من أفواهما وفق ما كتب عليه الحراب الطبجى الفرنصيصى الذى هنا للوزير المشار إليه، وتكون مع كل بطرية من هاتين البطريتين إقامتها المبنية بطرته وروضاتها من الحديد، فإن ما جلب ويجلب على يدها من ذلك جيد متقن العمل والصنعة لا محالة جزيت خيرا على اعتنائها وبقيت كما تحب والكتاب الشريف لأمناء مرسى طنجة بقبول البطريتين

المذكورتين ودفع ثمنهما لك مع ثمن إقامتها المذكورة الذى ذكره الحراب المذكور وهو خمسة آلاف ريال، وثمان الرويضات من الحديد التى تجعل لها بدلا عن رويضات العود الذى تبينه لهم: يصلك طيه ودمت بخير وختم فى ٨ صفر عام ١٣١١».

ونص المكتوب بطرته المشار لها:

(سنة وستون صندوقا للعمائر يجب للبطريتين معا من الصناديق ١٣٢ صندوقان للإقامة والماعون.

سنة وأربعون بردعة

وخمسمائة عمارة لكل مدفع)

ونص الكتاب الشريف لأمناء طنجة المشار له:

«وبعد فقد كلفنا باشادور الفرنصيص بجلب بطريتين من مدافع الجبل التى تعمر من أفواهاها ذات فرمة أربعة مع إقامتها المبنية بطرته فأنمركم: أن تقبلوها منه وتجعلوها مع إقامتها فى محل صين لا برودة فيه وأعلمونا، وأن تدفعوا له الخمسة آلاف ريال الواجبة فى ثمنها وثمان إقامتها مع ما يجب فى ثمن رويضات من الحديد كلف بجعلها لها بدلا عن التى من العود الذى بينه لكم وأعلمونا به والسلام فى ٨ صفر عام ١٣١١».

ومن استعداداته الحربية وتنظيماته العسكرية استقدامه من أوروبا الحراية الإنجليز والفرنسيين والإسبان واستخدامه إياهم فى تدريب جيشه وجنوده على الحركات المستحدثة والتمارين الجديدة، زيادة على إرساله البعثة تلو البعثة من ذلك الجيش لأوروبا بقصد الاقتباس من فنونها العسكرية كما مر بك قريبا، ومما يتعلق بهذا الموضوع ما أصدره لثائبه السلطانى بطنجة فى عقد شروط الحراب الإنجليزى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه جواب الإنجليزى الحراب العسكر بحضرتنا العالية بالله عن الشروط التى كتبت له بها، وذكرت أنه قبلها كلها إلا العقدة عن سنة واحدة لم يقبلها، وذكر أنه إذا استغنى عنه عند تمام السنة يعطاه ألف ريال لضرورياته ويتوجه، وقد وصل خط يده الملتزم فيه أنه إذا طلب التوجه هو بطيب نفسه بعد السنة فلا يطلب شيئاً من ذلك، وقد قبلنا ما شرطه من ذلك على الوجه الذى بينه والسلام فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤» .

وما أصدره له فى أمر الحراية الفرنسيس :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك من حلول إبان ما كنت تذاكرت فيه مع جانبنا الشريف فى شأن الحراية إن صح ما بلغنا من تبديل الفرنصيىص إلخ، وذكرت أن الأمر أشكل عليك ولم تدر هل المراد بذلك حتى الحراب الفرنصيىص الذى بحضرتنا الشريفة أو الحراية الفرنصيىصون الذين بالرباط، وطلبت بيان ذلك لتكون على بصيرة فيما تتكلم به، فالناقل لنا ذلك على لسان كبيرهم الذى هنا ذكر أنه هو المقصود لا غيره والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠» .

ولما أشرف نجم حياته على الأفل استغنى عن أولئك الحراية لكون العسكر الذين وردوا بقصد تعليمه حصل له التعلم، وكتب لسفراء دولهم بذلك ليبلغوه حكوماتهم، فتأذن لحرايتها فى السفر لبلادهم فى الوقت الذى تعينه لهم الحضرة الشريفة، وكان ذلك على اللسان الوزيرى قبيل وفاته بنحو الشهرين .

وقد مر بك فى العلاقات السياسية مع إسبانيا أن من جملة المطالب التى ذهبت لأجلها سفارة القائد عبد الحميد الرحمانى طلب الإذن للحراية الإسبان فى الانسحاب مما هم فيه للاستغناء عنهم لتعلم المعسكر ما فيه الكفاية، وجواب إسبانيا عن ذلك بأنها تساعد عليه بمجرد سفر غيرهم من الحراية من أجناس أخرى .

ومن أهم استعداداته وأعظهما إنشاؤه دارا لصناعة السلاح بفاس داخل باب الساكمة، وصرفه همته إليها حتى أسسها على أبداع طرز، وأرقى نظام، وأنفق عليها أموالا طائلة، وجلب إليها العملة والصناع من الديار الأوربية، وكان ابتداء العمل فى بنائها سنة ١٣٠٥ وانتهاه سنة ١٣٠٨ وكتب بأعلى بابها:

دار السلاح

منشئها الأمير مولاي الحسن

وكان الذى تولى تخطيطه هو المهندس الإيطالى (نوطيرا) الذى وجهته حكومة الطليان مع غيره إجابة لطلب الدولة الشريفة، وقد وقفت على نص كتاب وزير الخارجية الذى أجلب به سفير إيطاليا عن توجيه حكومته البعثة المذكورة، وفيه بيان مكانة أفرادها فى بلادهم وأنهم أخرجوا من معامل الأسلحة هناك، وذكر ما رتب لهم على مراتبهم ومن عين لمرافقتهم، ثم طوافهم على بعض المعامل كمكينة العدة التى بفاس ومعمل السكر والقرطوس اللذين بمراكش وغير ذلك ولفظه:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين مينسطر دولة الطليان الفخيمة الكبلير المعتر روميو كنطاكلى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، وصلنا كتابك بأنك وجهت لحضرة سيدنا العالى بالله

الفسيايات الثلاثة الموجهين من قبل دولتك الفخيمة بقصد الفبركات المعلومة صحبة الكبلير جتيني، وأن هؤلاء الفسيايات انتخبوا من مهرة فسياالاتكم وأعقلهم وأخرجوا من فبركات الأسلحة ببلادكم، وبينت اسم كل واحد منهم ومرتبته وأشرت بالاستيحاء خيراً بهم، والثقة بهم في جميع الأمور، وتنفيذ المسائل لهم التي يتوقفون عليها لخدمتهم المكلف ببيانها، والوقوف على تمكينهم منها الكبلير جتيني، وذكرت أن جميع ما يوافق عليه من أمور خدمتهم توافق عليه وتقبله لكونه ثقة عندكم، ومن أهل المحبة في الجنب الشريف.

فقد أطلعت بكتابك شريف علم مولانا نصره الله وعلم مضمونه ووصل الفسيايات المذكورون صحبة الكبلير جتيني ورحب بهم وبه مولانا أيده الله، وأنزلوا وأنفذ لهم مولانا دام عزه مراتبهم الشهرى وقدره أربعمئة ريال للكونيل، وثلاثمئة ريال للماجور، ومائتان وأربعون ريالاً للمهندس، وحازوا ما وجب لهم فى مرتب شهر شعبان الفارط، كما نفذ لهم أعزه الله المحل بنزولهم بالمحل الذى يتوجهون له، والخييل لركوبهم والبهائم لحمل حوائجهم والخزائن لسفرهم وأربعة من العساكرية للأخذ بأيديهم، وأحد الطلبة الذين كانوا يتعلمون بإيطاليا لترجمة، والعلف لخييلهم.

وكلفنى أعزه الله بمباشرة أمرهم، وهم إلى نظره الشريف وفق ما أشار به الكبلير جتيني وهم بصدد السفر لفاس لرؤية مكينة العدة التى بها وسرد آلاتها واختيارها والتطوف بوادى فاس ورؤية المحل منه الذى يصلح لفبركة الأسلحة وبعد ذلك يتوجهون لمراكش لنظر المحل بنواحيها الذى يصلح لمكينة الأسلحة، ورؤية فبركة السكر والقرطوس واختبارهما، وكما أن جتيني ثقة عندكم فكذلك عند الجنب الشريف ومعدود عند سيادته من الأجباء النصحاء الساعين فى الخير، وقد أمرنى مولانا نصره الله بإجابتك بما ذكر ومجازاتك بخير على وقوفك واعتنائك

بأغراض جنابه الشريف، كما أمرني دام تأييده بالكتابة لك بأن تنوب عن سيادته في مجازاة دولتك الفخيمة على ما ظهر منها من دلائل المحبة والصدقة بوقوفها واعتنائها بأموره المولوية وسعيها في الخير لإيالته السعيدة سرا وعلانية ودمت بخير .

وختم في ١٠ رمضان عام ١٣٠٥ ومنه: ومرتبهم المذكور عن شهر رمضان وما بعده أمناء مرسى طنجة يكونون يدفعونه لهم فقد صدر لهم الأمر الشريف بذلك صح به محمد المفضل بن محمد غريط الله له»

ونص كتاب وزيرى آخر قبل ذلك فى الموضوع:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين نائب دولة الطليان الفخيمة الكلبير مايسى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد وصل كتابك بأن المحب الباشدور الصائر إلى ما تصير إليه كل نفس كان أخبر سلطانكم المعظم بما طلبته الحضرة الشريفة من جلب مهندسين طليانيين . . . بقصد النظر فى أمر جعل فبركة الأسلحة وغيرها فأذنت دولتكم الفخيمة فى توجيه ثلاثة فسيالات مهندسين من الجيش الطليانى للحضرة الشريفة، وأن هؤلاء الفسيالات يطلبون أن يسبق لهم الجناب الشريف العدد الذى بينت من قبل صائر سفرهم من إيطاليا لطنجة واشتراء ما يحتاجون من الحوائج لقدمهم، وأشرت بإنهاء ذلك لشريف علم مولانا نصره الله ليأمر أيدى الله بتنفيذ العدد المشار إليه لهم إن اقتضى نظره الشريف المساعدة على مطلبهم، وذكرت أنهم حيث يردون لطنجة يكون صائرهم على المخزن والمال المسبق لهم لا يحسب عليهم، لكونه من قبل صائر السفر، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا فرحب نصره الله بالفسيالات المذكورين وقبلهم وأثنى على دولتك الفخيمة ودعا لها بمزيد الضخامة والشامة والثروة والفضامة .

وأمرنى أيده الله أن تحييكم بأن تجازيها خيرا على لسانه الشريف على اعتنائها بأمره الدال على محبتها وصدقتها وبأن تجيها عن الفسيالات بأن المصلحة اقتضت تأخير توجيههم فى هذا الوقت إلى أن ينصرف من هنا الفسيال المحترف بمثل حرفتهم، لأنهم إذا وردوا قبل انصرافه يجعل ورودهم سببا للإقامة هنا وعدم الانصراف، وحيث ينصرف يصدر لك الإذن الشريف بالتوجيه عليهم فمرحبا بهم وبكل من يأت من دولتكم المحبة، وينفذ لهم أيده الله صائر سفرهم على يدك ودمت بخير وختم فى ٢ ربيع الأول عام ١٣٠٥هـ.

وقد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا وبلجيكا السالف الكلام عليهم قريبا وكان رئيسها الكولونيل الإيطالى بريكليف وكبراؤها السيد محمد الصغير والسيد المختار الرغاي والسيد محمد بن الكعاب والسيد إدريس الفاسى والسيد الطاهر بن الحاج الأودى الذى لا زال حيا يرزق الآن، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل من فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلوان وغير ذلك.

وكانوا ينقسمون إلى أقسام لكل قسم قائد مائة ومقدم وملازم وأجرتهم اليومية من اثنى عشر مثقالا إلى مثقال واحد والعشرة مثاقيل تساوى بحساب صرف اليوم ثلاث فرنكات ونصف وعشر سنتيمات - وكان يصرف لهم اللباس سنويا، وكذلك اللباس الذى يباشرون به العمل، وكانوا لا يخرجون منها إلا بإذن الكولونيل رئيسها، وقد وقفت على إذنين أصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه ونص أولهما:

دار السلاح بفاس

تسريح المتعلم علال بن العربي لصلة الرحم بمكناس على عشرة أيام فاس
فى ١٣ شعبان عام ١٣٠٩ يوافق ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

كبير الفبريكة الكرنيل

الطليانى»

ونص ثانيهما بلفظه:

«الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله

فى ١٤ ذى الحجة عام ١٣١٠

الواضع خط يديه تحته أنه وجه صاحبه السيد محمد المكناسى بن الحسن
لداره بمكناسة الزيتون ويبقى بداره سبعة أيام هناك بقصد صلة رحمه مع أهله
ويرجع لمحل خدمته بحول الله وقد آذنته بالسفر والسلام.

أمير الفبركة بفاس عن إذن سيدنا أعزه الله

الكرنيل الطليانى بريكليف»

وكان عدد ما يقبضه الأمانى من مصنوعات الدار فى كل جمعة صندوقين
داخل كل واحد منهما ثمانية عشر بندقية بحرابها، وبلغ عدد ما كانت تدفعه من
القرطاس شهريا ثلاثمائة ألف وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج (بوحفرة)
وبالإفرنجى (مرطنى).

ولما توفى منشئها المترجم ذهب المهندس نوطيرا المذكور لحال سبيله وجاء
بدلا عنه المهندسان الإيطاليان (اطرونيللى) و (كابا)، ثم جاء بعدهما (بابونى) وبقي
العمل مستمرا بها إلى حدود سنة ١٣٢١ وتقلبت بها الأحوال بعد ذلك إلى أن
صارت الآن بالكراء ليد شركة (لادورسبو).

هذا ما وقفت عليه مما يتعلق بمعمل السلاح الفاسى وأعيان العملة به وتلقيته من بعض الرؤساء المتخرجين من فرنسا فى الترجمة والهندسة الذين كانت لهم الرياسة فى المعمل المذكور.

وقد ضربت بهذا المعمل السكة النحاسية (الصولدى) على عهد المترجم سنة ١٣١٠ ثم فى دور خلفه من بعده سنة ١٣٢١ و١٣٢٢ ولا زال التعامل به إلى الآن بقلة وندور، وكان بمراكش دار معمل القرطوس ودار معمل لصنع البارود المزدج، ودار معمل لصنع سكر القالب، غير أن منشئ هذه الأخيرة والد المترجم واستعملها ولده المترجم وكان القالب يخرج منها أحمر، وقد مر بك ذكر بعض هذه المعامل فى كتاب الوزير غريط لسفير إيطاليا.

أما القوة العسكرية التى كانت عنده فإنه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة من الوصفاء الأقوياء الذين كان كبيرهم الوصيف الشهير ابن المزوار، ومن أهل سوس الأقوياء الذين كان كبيرهم الحاج منو الشهير، ومن غيرهم كطابور الحاج عزوز بن الفتوح، والحاج محمد الزروالى وغيرهم: أصدر أمره الشريف لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم، وعين ح وزير العسكر الفقيه السيد محمد الصغير الجامعى للتوجه لدكالة للإتيان بما فرض عليهم وهو ألفان والله أعلم.

ومن الشاوية كذلك، ومن الرحامنة كذلك، ومن حاحا كذلك، ومن قبائل الدير ما عين لكل قبيلة منها زيادة على عدد الطبجية الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة، وبالأخص عند تحرك الركاب الشريف لكل ناحية من إيالته الشريفة، زيادة على قوة خيل القبائل ورماتها التى كانت ترد أفواجاً أفواجا.

وقد كان مهتما بأمر رعيته وتحسينها وقوتها العسكرية، فقد كان يتفقد أبراج المراسى بنفسه ويأمر بالاهتمام بشأنها، وقد عين أخيراً بكل مرسى مهندساً لمقابلة

قوتها والطواف عليها والإخبار بواسطة الشريف مولاي أحمد الصويرى كل حين بالصالح منها والمفتقر للإصلاح.

وعندما يصل الإعلام بذلك يصدر الأمر الشريف بتنفيذه حالا، وكان رحمه الله له اهتمام كبير بفابركة السلاح بفاس يتفقدتها فى غالب الأوقات بنفسه.

وقد أبدى قدس الله روحه فى وجهته السوسية الأخيرة التى وصل فيها إلى اركسيس وآصاكة الجرتين ما لا يزيد عليه من الاهتمام، وأبدى من أفكاره الصائبة ما لم ييده أحد من أهل العقول الراجحة وكذا بحركة تفيلالت والحركة الجبلية وغيرهما.

كما كان رحمه الله له اهتمام كبير بالاطلاع على الاختراعات الوقتية، فقد جلب له أحد السفراء وهو بمراكش آلات للضوء الكهربائى فركبها المهندسون الأهليون مع بعض المهندسين الواردين مع السفير المذكور حتى أثار الضوء بأماكنه المنيفة بالقصير (بالتصغير)، كما جاء له بعض السفراء بالسكة الحديدية وعرباتها ونصبت بأكدال بمكناس وياشر نصبها بعض المهندسين الأهليين ومن كان معهم من الأجانب واستخدمها وركب بها حاشية المخزن الشريف.

وبعد استيفاء الغرض منها جمع الجميع بخزائن الأروى، كما جاء له بعض الأجانب بآلات للكلام من بعد فكان يستخدمها المهندسون بحضور جلالته الشريفة.

وكانت إنكلترا قد طلبت من حضرته الشريفة جعل بابور البر ومد السكة الحديدية ببعض النواحي المغربية، كما طلب غيرها إدخال غير ذلك من الاختراعات العصرية، فكان يجيبهم بالشكر لهم على الاقتراح مع إرجاء تنفيذه ببعض الأعدار، أو الإشارة إلى عدم تيسر ذلك فى الوقت أو نحو ذلك.

وكل هذا كان اتقاء منه لما يؤدى إليه ذلك من التداخل الأجنبى والتنافس الدولى، وكان هذا دأبه معهم دائما فى كل أمر له مندوحة عنه رأى فيه مَسًا ما

باستقلال المغرب وسيادة سلطانه وشريعته، وإليك مثالا ما كان يصدره في مدافعتهم عما يريدون وكم له من نظير:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشدور النجليز لك بما أشار به من استخدام آلة الشمس التى لجانبا الشريف بطنجة للناس بالخلاص كما بينه فى تقييد صحبة كتابه المذكورة، وصار بالبال، فدافعه عن ذلك بما أمكنك فإنه لا يخفك ما ينشأ عن ذلك من تشوف الغير، سيما والصنينول يطلب جعل الطلكراف من طنجة لطريف بحرا، وحتى إن كان لابد من استخدام الآلة المذكورة فيكون بداخل إيالتنا وخدمتها من رعيتنا والسلام فى ٢٣ شوال الأبرك عام ١٣٠٠».

وأما العذائر المخزنية والهوائر السلطانية فى عهده فكثيرة.

ومنها عذير المليحا بالمرجة قرب العرائش وكان فيه فى أوائل عام ١٣١١ من البقر الأهلى المؤلف ٢٨٠٠ ومن الوحشى تقديرا ٢٤٠٠ ومن الحجر وهى أنشى الفرس بما معها من التناج تقديرا ١٤٠٠.

وكان بعذير مشرع الحضرم من البقر المؤلف نحو ١٨٠٠

ومن إناث الفرس وما معها من التناج نحو ٧٠٠

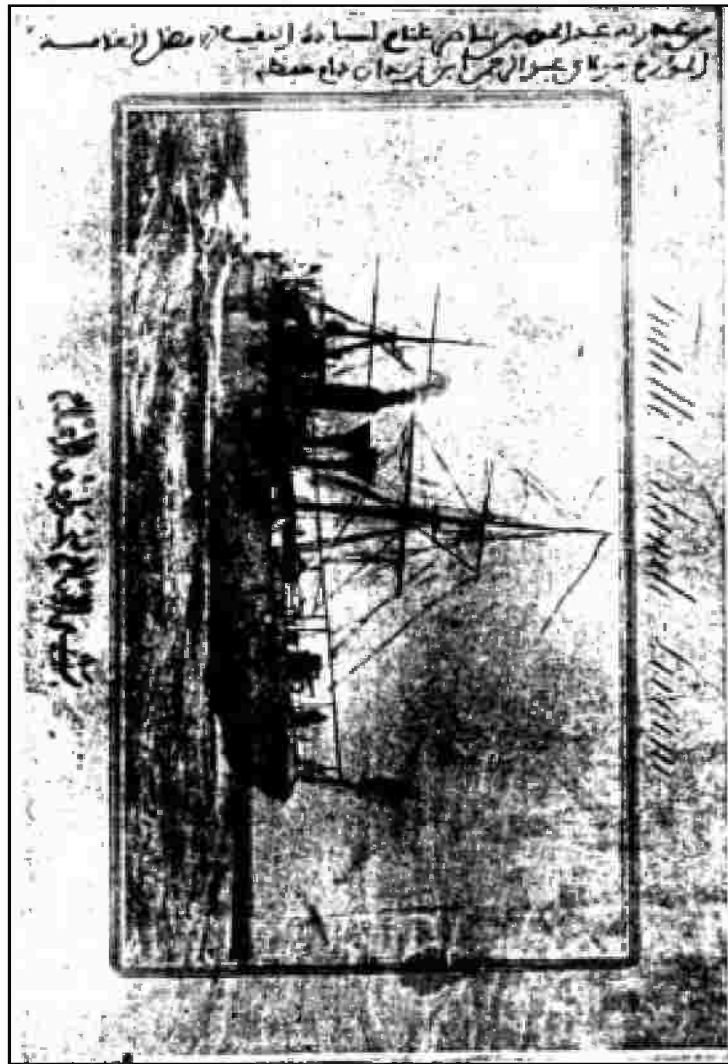
وكان بعذيرى الشراردة وأولاد مروان من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذائر الصوير (تصغير صور) وشرق العقاب والخذقيين بين طنجة

وأصيلا من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذير تجينه بنى حسن من البقر نحو ٧٠٠

وكان بعذير جربة نحو ٣٠٠



بشير الإسلام بخوافق الأعلام

وكان بعذير الرميعة نحو ٢٠٠

وكان بقرب الجديدة عذير الشياظمة والحويرة بهما نحو ٤٠٠

وأما هوائر الخيل والبغال وعزائبها وهي التي يصرف إليها ما يستغنى عنه من ذلك بعد أخذ المحتاج إليه للحمل في الحركات والتنقلات وغير ذلك، فقد كانت مفرقة في نحو خمس وثلاثين قبيلة لحفظها وصيانتها، ومن أتلف شيئاً منها فعليه غرمه وسائر البغال المخزنية يكون موسوماً بميسم خاص وقد كان منها بالحوز عدد كثير.

فمن خصوص الموسم من البغال بصورة الثمانية مزدوجة نحو أربعة عشر ألف بغلة، وهي إلى نظر قائدها القائد محمد بن علي، وبعده القائد العربي الهاللي.

ومن المطبوع بصورة ثمانية نحو العشرة آلاف وهي إلى نظر قائدها القائد سيدي عبد السلام الحياتي.

ومن المطبوع بصورة الثلاثة وهي إلى نظر قائدها القائد محمد الشاوني نحو العشرة آلاف.

ومن المطبوع بصورة منه روام العيال السعيد ومراكبها وهي إلى نظر القائد بن القائد العربي السوسي والقائد العربي الطفور، وهي نحو الثمانية آلاف وقد أصبح الكل اليوم في خبر كان.

ومن خيل الأروى السعيد ما يناهز العشرة آلاف، والمراد من خيل الأروى خيل الغرض والخيال التابعة للمراكب لا المراكب، فإنها لا تخرج قط. ومن خيل الفراجية ما يقرب من ذلك.

وكان عند تأهبه لسفر ما يكون خارج علفه يومياً ما يناهز العشرين وسقاً.

استعداده البحرى

واتفق مع حكومة إيطاليا على صنع مركب حربى للدولة الشريفة بطرسخانة «الأخوات أورلانضو» الموجودة بـ «ليفورنو» من تلك البلاد وسمى هذا المركب البحرى الماخر ببشير الإسلام، بخوافق الأعلام.

ومما يتعلق بصنع هذا المركب الحربى ما جاء فى كتاب وزير الخارجية الحسينية لوزير الخارجية الطليانية «إكريسى» بتاريخ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ أنه: وصلنا كتابكم بأن المركب الحربى الذى تصنعه دولتكم الفخيمة على يدها للحضرة الشريفة أعزها الله يكون فى كفالة الله وكفالة دولتكم المحبة، ويكون استخدامه على يدها، غير أنه لا يمكن أن يبقى دائما مسافرا فى البحر، ولا بد من توجيهه للساحل حين يكون فى البحر الهيجان، وجعل مرسى حربية له يكون فيها أمان من ذلك وغيره وهذه المرسى التى تجعل له يكون يتوجه إليها المركب والمراكب الشريفة لتجديد الفحم وقوت البحرية وركوب الدائرة الشريفة منها التى تريد السفر فى المركب المذكور.

وأن دولتكم صرفت همتها لهذا الغرض لما فيه من المصلحة الواضحة ولكون هذا المركب فى كفالة الله وكفالتها ورياسه طليانيون واستخدامه على يدها وعهدته عليها، ولا يمكن جعل هذه المرسى البحرية على وجه حسن إلا على يد من لهم المعرفة التامة بمثل ذلك كالمهندسين الطليانيين وأن الكبليز جتيني ينوب عنكم وعن المنسطر كنطاغلى فى بيان المسائل للحضرة الشريفة المتعلقة بهذا الغرض، وأشرتكم بتصديقه فى ذلك وقبوله منه لكونه صدوقا محبا فى الجانبين.

وأطلعت بكتابكم شريف علم مولانا نصره الله فاعترف أعزه الله باعتنائكم الدال على محبتكم ومحبة دولتكم الصادقة، وقد بين الكبليز جتيني للحضرة

الشريفة المواضع التي تصلح لجعل المرسى الحربية بها التي نهتم عليها، وأشار بأن يكون يصنع للحضرة الشريفة ما تريده من المراكب الحربية فى المستقبل ببلادكم، فأمرنى مولانا نصره أن نجيبك عن ذلك بأن المصلحة الوقتية اقتضت عدم الاشتغال ببناء التحصينات الحربية كما لا يخفى على العقلاء أمثالكم حسبما شافهت به حضرته الشريفة نائبكم المذكور.

وأما المراكب الحربية فأجاب عنها سيدنا أيده الله بأن الذى يمكن سيادته ويعطيكم القول به هو أن لا يصنع مركب آخر قبل وجود هذا الذى يصنع على يدكم، وإذا كمل ووجد ولم تحصل به الكفاية يصنع ما يراد من ذلك حيث يشاء الله ويختار، إذ لا اختيار للعبد مع مولاه.

وتصلكم سكين مذهب من عمل هذه الإيالة السعيدة على يد المحب المنسطر الكبير كنطاغلى إكراما لكم من الحضرة المولوية.

وإليك نص ظهير شريف عزيزى يتضمن الأوامر المولوية لرجال المركب المذكور بالقيام بوظائفهم الدينية والبحرية نقلا عن كناشة الفقيه السيد محمد بن المعطى بنونة الرباطى الكاتب الأول بالمالية فى العهدين الحسنى والعزيزى والكاتب العام للوفد المغربى فى مؤتمر الجزيرة بعد ذلك.

«يعلم من كتابنا هذا لا زالت سفائن الصلاح به فى بحار السعادة جارية، وكواكب الإقبال منه للمسترشدين هادية، أننا بحول الله شامل الطول والإنعام، وجاعل الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام، أسندنا النظر لخدیماننا الأرضى النائب الحاج محمد بن العربى الطريس فى أمور مركبنا الحربى السعيد. المحفوف بريح الظفر والتأييد، المسمى بشير الإسلام بخوافق الأعلام، وكلفناه برد البال لجماعة المسلمين المرتبين فيه من رؤساء وأعيان ونوتية، وعسكر وخدام وبحرية، وأمرناه أن يلزمهم القيام بما كلفوا به من العمل ورتبوا عليه، وامثال أمر كبيرهم فيما يدعوهم

بحكم المصلحة إليه، وأن يحملهم على الواجب عليهم من إقامة شعائر الدين، والاعتصام بتقوى الله التي هي سنن المهتدين، والتحفظ على الصلوات في أوقاتها، والتمسك بطاعة الله ورسوله والتعرض لنفحاتها، وعدم التهاون بعمل من أعمال الديانة، وترك التكاسل في كل ما يقتضى النصيحة والأمانة، حتى لا يدخلهم تفريط في أمر من قواعد الإسلام ولا يشينهم اختلال عمل في طاعة وصلاة وصيام، وليبقى حزيهم بكمال الإسلام منعوتا، ويكونوا موفين بقوله تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝﴾ [سورة النساء: الآية 103]. ففي الحديث الشريف: موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد، وعن عبادة بن الصامت قال: أوصاني خليلي ﷺ بسبع خلال قال. لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدًا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا.. الحديث.

وفي حديث البيهقي: إن من حفظ إقامة الصلاة قالت له حفظك الله كما حفظتني وإذا لم يتم ركوعها وسجودها ولا القراءة فيها قالت له: ضيعك الله كما ضيعتني.

وأن يحضهم على ضبط أوقات الطاعة. ليحتفظوا على سنة الأذان ويلازموا صلاة الفرائض جماعة، فقد جعل الله أوقات الصلاة مقارنة لحركة الشمس، فعند زوالها يجب الظهر وعند صيرورة ظلها مثل القائم بعد ظل نصف النهار يجب العصر، وعند غروبها تجب المغرب، وعند ذهاب حمرة شعاعها الباقي تجب العتمة وعند ابتداء حمرة شعاعها بالمشرق يجب الصبح.

وليحتاطوا في الاستدلال على القبلة بالعلامات الراجحة، والأدلة الواضحة، وليستقبلوا القبلة في الفريضة والنافلة معا لكون الاستقبال شرطا مع الذكر والقدرة

ويدوروا مع القبلة فى حال صلاتهم إن دارت بهم المركب لغير جهتها، إلا إذا تعذر عليهم الدوران ولم يمكنهم لحصول مشقة، فيتمادون على صلاتهم حيثما توجهت المركب بهم.

وإذا صلوا مرة إلى جهة اجتهادهم ثم تبين خطأهم فى القبلة فإن كان تحريمهم مع ظهور العلامات أعادوا فى الوقت إن استدبروا أو غربوا أو شرقوا، وإن كان مع عدم ظهورها فلا إعادة.

ولا يخالفون الجهة التى أداها الاجتهاد إليها عمداً فإن خالفوها بطلت وأعادوا أبداً، وأن لا يتهاونوا فى الفطرة الدينية من النظافة والطهارة بعدا وقربا، والتوقى من كل ما يحرم أكلا وشربا. وأن يحرضهم على حسن السيرة مع بعضهم لبعض بدوام الأخوة والائتلاف. والتعاون على الخدمة والنصيحة وتوطئة الأكناف، حتى يبقى سلك ألفتهم مأمونا، وعقدتهم بحفظ الديانة والطاعة مصونا.

ومن الواجب المتعين عليهم أن يكونوا على الدوام آخذين بالحزم والحذر، والتلبس بهيئة الاستعداد الذى هو من وسائل الظفر، مع زيادة التمرن فى سير البحر ومعرفة قواعده، والتمهر فى كيفية مصادر المركب وموارده، وضبط أحوال سكون البحر وهيجانه، وأوقات اضطراب الموج واطمئنانه، وحفظ حصته الضابطة لمدته وجزره، والساعات المناسبة لإقامة المركب أو سيره.

أخذنا بالأسباب المشروعة العادية، مع اعتقاد التوكل على عناية الله المتوالية، وكذلك ممارسة علم الجهات الأربع، واستدلال عليها بالقطب وكرة الثوابت أو بالآلة التى دلالتها فى ذلك تنفع، فقد قال تعالى فى الكواكب الزهر ﴿... لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ...﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٧] وأن يلزمهم الاشتغال بما يعينهم فى أوقات فراغهم على أن يكونوا دائما مستحضرين عناية الله ورسوله. ومعتقدين تيسير لطفه ومطمئنين على حصوله، وليعرفوا أنهم مستخدمون فى آية

كان فضل الله بها على عباده جزيلا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة
الإسراء: آية ٧٠].

ولا يغفلوا عن الاستمسك بذكر الله والاعتصام بحبله، إذ هو ربكم الذى
يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله، وليستروحووا فى حركاتهم مواهب
التوفيق التى فاز من تلقاها، تالية ألسنتهم قول الله تعالى: ﴿... بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا
وَمُرْسَاهَا...﴾ [سورة هود: آية ٤١] وليشاهدوا السلامة من الله بعين
الانتباه ويعترفوا بحمده امتثالا لقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله، وليعلموا أن هذه تبصرة لا يسعهم إغفالها، وأوامر مؤكدة
لا يمكن المؤمنين إهمالها، والله سبحانه يقضى بهم كل غرض، ويحرس الظرف
والمظروف من كل آفة وعرض، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم ﴿... وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ
هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠١].

كما نأمر خديمتنا المذكور بالتأكيد على أهل المركب فى قراءة حزب البحر
مساء وصباحا لما تضمنه من أسرار الابتهاال الكفيلة بنيل الإجابة سلامة ونجاحا،
وعلى الواقف عليه أن يعلم منطوقه وفحواه، ويعمل بمصدوقه ومقتضاه والسلام.

صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله تعالى فى تاسع عشرى رجب الفرد الحرام
عام ١٣١٧هـ.

هذا وبالجملة فمن تأمل أعمال هذا السلطان الجليل بان له سفه الرأى الملتصق
بجانبه ما لا يليق القائل بعدم قيامه بأعباء المملكة كما ينبغى، وإهماله للاستعداد،
فقد رأيت أنه لما تولى لم يأل جهدا فى تمهيد البلاد، وتطمين العباد، وتدارك
الخلل، وإزاحة العلل، ونشر الأمن بين القبائل والخلل، وتدريب الجيش وتحصين
الثغور وجلب الذخائر، وإنشاء المعامل وبعث الطلاب، وتفقد المغرب من أقصى

حدوده، والجولان فى أنحاء المملكة ودواخلها وتنظيم جباية المال، ومراقبة أعمال الموظفين والعمال، ومكافأة المخلصين من الرجال، والإصغاء للشكايات والاهتمام بالعلم والعلماء واستشارتهم - وهم خلاصة الأمة - فى كبار النوازل والمسائل وبعث السفارات للدول العظمى لفصل القضايا ورفع ذكر هذه المملكة فى الآفاق والدعاية لها وغير ذلك من جلائل الأعمال التى صدرت عنه على قيام العقبات الداخلية والخارجية فى وجهه.

فقد وجد مداخل المراسى مرهونة، والديون الأجنبية متراكمة، وبيوت الأموال فارغة، وأحوال الرعية مضطربة، وأعين الدول متطلعة مترقبة والامتيازات الأجنبية قائمة وأصوات المحتمين بالصخب مرتفعة، والثائرون فى كل جهة، كلما أخذ ثورة واحد منهم اشتعلت ضده أخرى، والمجاورون من الأوروبيين ملحون فى مسائل الحدود وغيرها إلى غير ذلك مما يظهر للمنصف ولا يخفى إلا على المتعسف.



ضبط أوقاته وتنظيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته

كان قدس الله روحه مقسما أوقاته النهارية والليلية تقسيما عجيبا بحيث لم يضع له وقت، فكان له جماعة مكلفون بالتوقيت وضبط الأوقات لا يبرحون من أعباه حضرا وسفرا ولهم رئيس من علية رءوس أهل الفن وفي كل يوم يجعلون له حصة بمعرفة الأوقات تدخل إليه كل صباح، وكان له عبد من عبيد داره (الطواشين) مكلف كذلك بضبط الأوقات ورصدها وإعلام السلطان بها.

كان إذا بقى للفجر ساعتان أعلم الموقت الوصيف المذكور بواسطة العساس من أصحاب الضوء فيعلم ذلك العساس الطواشى ويعلم الطواشى إحدى الإماء المعينات للقيام بذلك فتعلم المترجم، وقلما تجده في ذلك الوقت غير متصل أو ذاكر، ولم يزل يتهدد إلى أن يطلع الفجر فيصلى ركعتى الفجر ويخرج، وبمجرد وصوله لباب المسجد يقوم الموقت لإقامة الصلاة ويتقدم الإمام فيصلى في جماعة من حاشيته الداخلية كأنجاله وبنى عمه المستخدمين في حنطة السجادة.

وهذه الحنطة عبارة عن جماعة مخصوصة ذوى هيئة جميلة تحمل سجادته للصلاة كما سيأتى، ولم يترك المترجم الصلاة فى الجماعة سائر أيامه إلا لعذر، فإذا صلى الصبح جلس فى مصلاه إلى أن يفرغ من الباقيات الصالحات، ثم يفتح الحزب ويقرأ فيه مع الحزابين بعض آيات نحو الثمن.

ثم يقوم ويدخل قصره العامر، فيجد الفطور مهيبا فيفطر ثم يتناول أشغال الوزراء ويوقع على المكاتب ثم يدفعها لوصيف الدار فيوصلها للحاجب - وهو فى صدر مملكته حاجب والده أبو عمران موسى بن أحمد، ثم بعد وفاته ولى مكانه ولده أبو العباس أحمد مار الترجمة، ووظيفته الرسمية القيام بشئون السلطان

الداخلية وأموره الخاصة به، وأموره دوره وعائلته وطبع المكاتب المولوية، ويده مفاتيح الخزائن، وإليه النظر في أصحاب الوضوء والفراش والسجادة والماء والأتاي وصاحب السكين والجزار وصاحب الأروى والمحفة، وهؤلاء المذكورون هم الخناطى الداخلون - ثم الحاجب يوجه بواسطة صاحب الوضوء لكل وزير شغله المتعلق به، وذلك بعد أن يضمن تلك المكاتب جميعها بدفتر خاص كما يقيد التواقيع السلطانية بدفتر خاص يحفظان عنده كما يقيد كل وزير ما ذكر بدفتره الخاص ثم تختتم تلك المكاتب وتسلم لقائد المشور ليوجه بها لأربابها.

ثم يخرج المترجم ويجلس على أريكة ملكه بالمحل المعد لمقابلة الوزراء، لابسا كساء بدون برنوس وعمامة متقنة التصنيف محكمة اللّي، فيمر أولاً بحنطة الشويردات (الأطفال الصغار من أبناء الجيش) فيجدهم مصطفىين فيؤدون له التحية الملوكية بأصوات عالية جدا، ثم يمر بحنطة أصحاب الوضوء وهم جماعة من الوصفان يبلغون عنه أوامره إلى الوزراء مشافهة وكتابة فيؤدون له التحية كذلك، ثم بحنطة أصحاب الأتاي، ثم بحنطة الجزارة ثم بحنطة أصحاب الفراش، ثم يجلس على أريكة ملكه، فإذا جلس خرج أحد الفراجية وهم جماعة من العبيد مكلفون بحراسة أبواب داره وبناء قببه في سفره، فيتطوف على بنائق الوزراء قائلا سيدي قعد فيقول الوزير مجيبا له جلوس عز وسلامة إلى أن يعلم الجميع بذلك.

ثم ينادى أحد أصحاب الوضوء قائد المشور قائلا كلم سيدي يا فلان باسمه من غير سيادة، فيدخل قائد المشور ويدفع للسلطان المكاتب والأجوبة الواردة من النواحي مختومة، وتقيد الوفود الطالبين مقابلته وما بأيديهم من الهدايا، فيوقع بالإذن في مقابلة من اقتضى نظره مقابلته ويرجع له التقيد فيخرج لمباشرة أشغاله.

ووظيفة قائد المشور هذا قبض سائر المكاتب الصادرة والواردة ممن كانت ولمن كانت، فيقيد المكاتب الواردة للجلالة السلطانية ويبين عددها والمحل الذي وردت منه، ثم يقدمها مع التقيد للجلالة المولوية مختومة.

والسلطان هو الذى يتولى فض ختامها بنفسه ويستوعبها قراءة ثم يوقع عليها، ثم لما مرض عام ١٣٠٤ و صار يشق عليه الفض والاستيعاب أمر الحاجب بفض ختامها واستدعاء كاتبين من مكتب الصدارة لمكتبه بقصد تقييد مضمن المكاتيب الواردة لجلالته الكريمة، ثم بعد تقييد المضمن على ظهر نفس الكتاب يقدم الحاجب ذلك للجلالة الشريفة فيستوعب المضمن، وربما استوعب الكتاب إن كان ذا أهمية ثم يوقع على تلك المكاتيب ويردها للحاجب ليوزعها على الوزراء كل وما يرجع إليه .

ثم يستدعى السلطان الوزير الصدر بواسطة قائد أصحاب الوضوء تمييزاً له بذلك فيدخل عليه ويأشر أشغال مأموريته، ثم يخرج ثم يستدعى وزير المالية فيأشر أشغال مأموريته، ثم يستدعى وزير الخارجية فيأشر أشغال مأموريته، ثم يدخل قائد المشور بمن أذن لهم فى مقابلة الجلالة السلطانية .

فإذا فرغ من ذلك دخل داره وأزال الكساء والعمامة ولبس جلابة وقلنسوة، ثم يتغدى ثم يتطوف على البنائين والخياطين والنساخين والذمين السكاكين، فإذا حان وقت الظهر تهيأ للصلاة، فإذا أدى المكتوبة رجع لقصره العامر للاستراحة وربما نام .

ثم إذا حان وقت العصر تهيأ لصلاته فإذا أداها جلس على أريكة ملكه، فيكون شأنه مساء كشأنه صباحاً، ثم إذا حان وقت المغرب دخل المسجد فصلاها، ثم صلى بعدها ست ركعات، ثم رجع لداره فتعشى، ثم خرج للمسجد فصلى به العشاء، ثم يرجع لداره فيستدعى بأشغال الوزراء فيستوعبها مطالعة ثم يوقع على كل شغل بما اقتضاه نظره، ثم يطالع من كتب السير والسياسة وتاريخ الأمم السالفة ما شاء الله، ثم ينام إلى نصف الليل الآخر، ثم يستيقظ ويتبتل ما شاء الله ويصلى ركعتي التهجد اللتين هما من شروط ورده الكنتى .

وكان فى كل جمعة يستدعى أعمامه وإخوانه وأصهاره وأعيان الشرفاء للغداء بجامع الصلاة من قصره العامر، ويفرق الطعام فى ذلك اليوم على سائر الوزراء وأعيان الجيش حضرا وسفرا، وذلك بعد الفراغ من صلاة الجمعة.

وكان له ولوع بحليب النوق، وكان يفرقه على ذوى الخصوصيات لديه، وكان فى كل عيد مولد يفرق الكسى على الأقارب والأباعد كل وما يناسبه.

وكانت ذخائره وآلاته الملوكية التى زادت أضعافا على ذخائر أسلافه الكرام مضبوطة مصونة مرتبة فى أماكن خاصة مقيدة بكناش صغير لا يفارقه غالبا، ولا يمكن اختلاس شىء منها، وكذلك أمواله الخاصة به ذهبية وفضية، وعدد جيوشه القديمة والجديدة النظام، وعدد خيله وجماله وبهائمه وآلاته الحربية من مدافع ومكاحل وبارود وقرطوس مثبتة بذلك الكناش اللطيف الجرم الرقيق الورق.

وكانت رواتب جيوشه وكتبته وخدامه ومؤن عسكره مياومة ومشاهرة مضبوطة، وكذلك صوائره اليومية، وكانت صوائر أبنيته لا يدخل فيها شىء من بيت المال، وإنما كانت من المستفادات وغلل الأملاك المخزنية.

وكان محافظا على العوائد فى إنعاماته وحفلاته الرسمية وسائر تصرفاته، بحيث كان خرق عادة من العوائد عنده من الخطأ العظيم، حتى إن بعض الوزراء سها فنفذ لأولاد البقال الكسوة والصلة معا، وكانت عادتهم قبض الصلة فقط، فلما اطلع السلطان على ورقة الصائر وجد فيها ثمن الكسوة المذكورة فلم يسلمه وألزم بأدائه من خاص ماله عقوبة له على خرق العادة.

وكان النظر فى أمور داخلية ومباشرة أشغاله مسندا إلى وزراء وأمناء كل واحد منهم مكلف بأشغال لا يتعداها، ولا يدخل معه غيره فيها:

فالوزير الصدر - وهو فى أول إمارته وزير أبيه الفقيه السيد إدريس بوعشرين، ثم استعفى فأعفى وتصدر مكانه الحاجب أبو عمران موسى بن أحمد،

ثم توفى وولى بعده الفقيه السيد محمد بن العربي الجامعى، ثم مرض مرضه المزمّن فولى بعده بحكم النيابة الفقيه السيد محمد الصنهاجى، ثم توفى السلطان المترجم وحل به ما تلى عليك - مكلف بالنظر فى أمور الولاية من قضاة ونظار ونقباء وباشوات وعمال وبتنفيذ الإنعامات والصوائر وكتابة الظهائر السلطانية كيفما كانت، وإقطاعات وولايات وعزل وغير ذلك، وإبلاغ الأوامر لقائد المشور بما اقتضاه النظر السلطانى فى الحركات، وتسيير الجيوش من الجهات وتقدير المؤن والنفقات وله المراقبة فى الجملة على أعمال غيره من الوزراء.

ووزير الشكايات (العدلية) - وهو فى أول إمارته الفقيه السيد محمد بن عبد الله الصفار، ثم بعد وفاته ولى الفقيه السيد على المسفيوى ولم يزل على وظيفة إلى أن توفى المترجم - وظيفة النظر فى الشكايات بأنواعها وإصدار الأوامر فيها بما اقتضاه النظر السلطانى مع موافقة حكم الشرع فيها.

والعلاف الكبير (وزير الحرب) - وهو فى أول إمارته الفقيه السيد عبد الله ابن أحمد ثم أعفى وولى مكانه الحاج المعطى الجامعى المذكور ثم لما ولى الصدارة ولى مكانه أخوه السيد المدعو الصغير إلى أن توفى المترجم وحل بالجامعيين ما حل مما مر شرحه - وظيفة النظر فى أمر العسكر ومؤنته ومؤن الجيش المخزنى كلها تخرج على يده وهو المكلف بمباشرتها مع السلطان، وعليه العهدة فى السلاح والذخائر الحربية واختيار من يوجه من فرقه وقواده إلى ما اقتضاه النظر السلطانى لنواحي مملكته واختيار أعداده وتقييدها بقائمة يومية تدفع للجلالة السلطانية بعد إشراف الوزير الصدر عليها وإمضائها باسمه.

ووزير الخارجية - وأول من وليها استقلالاً الفقيه السيد محمد المفضل غريط - مكلف بالنظر فى أمور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم، وكتابة الرسائل إليهم وإصدار الأوامر

للعمال فيما يتعلق بإيالاتهم من دعاوى أهل الحماية ومباشرة أمر كل وافد أجنبي للإيالة المغربية .

وأمين الأمناء (وزير المالية) وهو لأول إمارته السيد محمد التازى الرباطى، ثم بعد وفاته ولى أخوه السيد عبد السلام، ووظيفة النظر فى تعيين أمناء المراسى والأملاك المخزنية والمستفادات .

وأمين الحسابات العام وهو السيد العربى الزييدى، ووظيفة مراجعات الحسابات الواردة من المراسى والأملاك المخزنية والمستفادات وأمناء الرباع والنظار ووكلاء الغياب وإجراء القوانين المؤسسة لذلك طبق المعاهدات والحرص، ومحاسبة قواد القبائل على ما يترتب على إيالتهم من الجبايات المخزنية وعلى العذائر وجميع ما فيها من الماشية المدفوعة فى الحرص والبهائم والأفراس، وتبيين العوائد فى الإنعامات السلطانية ومراقبة الداخل والخارج فى جميع ما تملكه الدولة، وجميع دفاتر الدولة تكون تحت يده، وفى كل سنة يجعل لما راج فيها من الدفاتر برنامج بعد ختمها ثم تجعل فى صناديق ويشرع فى آخر وهكذا .

وكان يحمل فى الظعن مع الركاب السلطانى نحو الأربعين وقرا من الدفاتر لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بدمهم من الزكوات والأعشار، فيقيد المقبوض والباقى فى الذمم، ويختم العمال على ذلك بأختامهم ويحوز ذلك أمين الحسابات المذكور .

وأمين الصائر - وهو اللبأدى ثم السيد أحمد بن شقرون، ثم الحاج عبد السلام الحلو، ثم السيد الطاهر التازى، ثم الحاج بناصر التويمى - مكلف بدفع ما ينفذه الوزير الصدر عن الأمر السلطانى غالبا وغيره نادرا، والإنعامات والصوائر والرواتب المخزنية والعسكرية بعد مصادقة أمين الأمناء عليها .

وأمين الداخل - وهو الحاج على بن الحاج التطواني - مكلف بتنفيذ كل داخل من الهدايا والجبايات والمغارم وحياسة خطوط أيدي العمال بما يبقى في ذمهم من الأموال.

وسياتى ذكر ما لهؤلاء الوزراء والرؤساء والأمناء من الخلفاء النواب والكتاب عند ذكر الهيئة الرسمية وما تتألف منه قريبا.

وأمين الفرقوش - وهو أولا الحاج محمد جنون الفاسى، ثم السيد محمد بن موسى الرباطى، ثم ولده المصطفى - مكلف بالنظر فى شئون خيل المخزن وجماله وبغاله وضبط أعدادها وتخليف ما نقص منها والنظر فى الأمور الراجعة لصياتها من صفائح وأكف^(١) ورباطات وما شاكل ذلك.

وأمين العتبة الشريفة - وهو أولا فى عهد المترجم السيد بوعزة الفشار مار الترجمة، ثم ولى بعد وفاته ولده السيد محمد، ثم بعد وفاته أخوه الأستاذ السيد عبد السلام الفشار - ووظيفته تنفيذ ما يحدث من الزيادة والنقصان فى المؤن الشهرية للدور السلطانية، وتقييد ضحية عيد النحر الموجهة لها والوقوف عليها حتى تصل محلها، والخليع اللازم لها وما يلزم من ضرورياته ودفعه فى إبّانه، وتنفيذ ما عهد لها من عوائد مواسم الليالى الكبار ولمن فى حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدور وغير ذلك من متعلقاتها، ومطالعة الأمناء له على قائمة صائر الدور وإمضاؤه لها باسمه، ويأخذ نسخة منها قبل توجيه الأمناء إياها لشريف الأعتاب وحياسة مفاتيح الخزائن السلطانية، والإشراف على ما يجعل فيها، وحياسة ما يفرض على البرابر من حطب وفحم وخزنه على يده وتنفيذ الزيادة والنقص فى رواتب الجيش البخارى ومن فى حكمه ومؤنته كذلك، والنظر فى أمور البوابين وما أشبه ذلك مما هو راجع للدور السلطانية أو مضاف إليها.

(١) الوكاف: بردعة الحمار.

هذا وعادة المترجم فى تقسيم أيام الأسبوع أنه كان قدس الله روحه يقابل أصحاب المظالم وأرباب الشكايات بنفسه يوم الأحد، يقدم له الوزير المكلف بسماع المظالم وتقييد دعاويهم زمام المشتكين كل باسمه ونسبه ومحل استيطانه وتقرير دعواه، فيأخذ المترجم الزمام وينادى المقيدين به واحدا بعد واحد، ويبحث كلا على حدته بحثا مدققا حتى يأتى على جميعهم، فمن وافق مقاله ما هو مقيد عنه وقع بما يراه نظره الأسد فى إنصافه ممن ظلمه، ومن وقعت منه أدنى مخالفة يتتبع قضيته ويحلل كلامه أدق تحليل حتى يتضح له وجه الحق فيها، فيقضى بما يراه هذا كله ووزير الشكاية واقف بإزاء المترجم وبيده تقييده مثل التى بيد صاحب الترجمة. وفى يوم الاثنين يخرج للرماية بالمدافع ويباشر الرمي بنفسه.

ويوم الثلاثاء يعود فيه لسماع المظالم على نحو ما وصف لك فى يوم الأحد.

ويوم الأربعاء لاستعراض الجيوش أمامه، وكيفية ذلك أنه يصدر أوامره المطاعة لقائد المشور والعلاف يعنى وزير الحرب بتعيين اليوم والساعة والمحل، فيقع الإعلام لكافة الجيش بالحضور فيحضر ويقف كل فريق على حدته، هذا وراء هذا إلى آخره مرتباً وفق ما بالكناش المخزنى، ومع كل فريق عون من أعوان قائد المشور مكلف بإحصاء عدده، وعندما يخرج السلطان يكون راكبا جواده بهيئته الرسمية إلى المحل المعد لجلوسه، فيترجل ويجلس على عرشه، وبعد هنيئة يستدعى وزير الحرب بواسطة صاحب الوضوء ويستلم منه قوائم عدد رواتب الجيش فيطالعها ويأمر قائد المشور بالاستعراض، فينادى قائد المشور بأعلى صوته بهاتين اللفظتين: زيدوا اتسرطوا قال لكم سيدى، فيجيب أصحاب الفريق الأول كلهم بصوت واحد: نعم سيدى.

ويتقدمون إلى أمام السلطان فيعرفه قائد المشور بهم بقوله هذه الفرقة الفلانية نعم سيدى فيطالبه السلطان بالعدد فينادى: العدد قال لكم سيدى فيتقدم الشرطى المكلف لدى قائد المشور، ويقول له: عدد الخيل كذا والرماة كذا فيبلغ ذلك السلطان، فإذا وجده مطابقا للقائمة يدعو لهم ويأمرهم بالانصراف، ويتبعهم من خلفهم طبق ما سطر وإن وجد خلاف ذلك يتباحث مع الوزير المذكور فيه، فإن استدل أو اعتذر بما يقبل فذاك، وإلا فالملامة على رئيس الفرقة، وعند الانتهاء يركب السلطان جواده راجعا إلى قصره.

ويوم الخميس يخرج المترجم لبعض أجنته المتصلة بداره مع حرمه الكريم، فإذا كان بالعاصمة المكناسية يخرج لجنان ابن حليلة الذى صار جنانا عموميا وتضرب القباب بأجدال المتصل به الشهير، ويظل السلطان مع سائر حرمه وحرم العائلة اليوم كله، والناس ما بين راكب وراجل، فإذا كان الغروب رجع الكل للقصور المولوية وربما بات السلطان هنالك مع الخاصة من حرمه.

وفى يوم الجمعة قبل بزوغ الشمس يأتى لباب القصر الفاخر الطبال (المعروف بالكومى) بمزاميره فيضرب إلى أن تطلع الشمس، ثم تعقبه الموسيقى بألحانها العربية الشجية وتدوم نحو ساعة ويذهب الجميع.

وفى الساعة الحادية عشرة تجتمع الهيئة المخزنية بدار المخزن وتصطف العساكر والموسيقى، وعند خروج السلطان يقف كل من الوزراء تحت رئاسة الصدر والمسخرون كل فريق على حدته والباشوات والحناطى البرانيون منهم أصحاب المظلة والمزارق والمكاحل يقفون على الباب الذى يخرج منه ليؤدوا التحية، ويأتوا خلفه وأمامه على عادتهم، وكبير المشور وأتباعه يقفون على الباب الذى يدخل منه لأداء التحية، ثم يخرج السلطان من داره العالية لابساً أجمل الثياب بكساء وبرنوس وعمامة متقنة التصفيف كأنما كساؤه وبرنوسه خيطا عليه من إتقانه

لبسهما، متقلدا تحت برنوسه سيفاً قصيراً، فإذا وصل إلى الباب الأول من الدار أدى له التحية الملوكية وصفان الدار الخصيان وأتباعهم من الصبيان المسمون بالشويردات، ثم يجد الخناطى مصطفىين وأمامهم رئيسهم الحاجب، وخيل القادة بأيدي خدمتها فيؤدى له الحاجب والخناطى التحية الملوكية.

فيجلس فى محل المقابلة ويستدعى الوزير الصدر أو وزير الخارجية فيحادثونه ريثما ترتب الصفوف، ثم يركب فى بعض الأحيان فرسا من تلك الأفراس السبعة ذات السروج الملونة والأسقاط المذهبة، وفى بعض الأحيان يركب عربة فى غاية الزخرفة والزينة يجرها فرس أو فرسان عتيقان، ثم تقاد خيل القادة الستة أمامه، ثم قائد المشور جاعلا مكحلته على عاتقه، ثم الجناح الشريف ثم العربة، ثم الحاجب وراءه الخناطى إلى الباب الأوسط، فيجد الوزراء والكتبة والأمناء مصطفىين صفا واحدا عن يمين الباب، فإذا حاذى الوزراء ومن معهم سلم عليهم بواسطة قائد الأروى فيردون عليه بخفض أعناقهم وهم ساكتون، ثم يحاذى أصحاب المكحلة فيؤدون له التحية الملوكية ثم يصدح أصحاب الموسيقى بما يكون فألا حسنا كقوله:

لك الهنا والسرور دائم يا أيها الطالع السعيد

ثم يؤدى له الباشوات التحية الملوكية، وتكون صفوف العسكر المنظم وراء الجميع ثم يدخل المسجد من باب المقصورة فيصلى تحية المسجد، فإذا أذن المؤذن وخطب الخطيب وقضيت الصلاة رجع راكبا على فرس من تلك الأفراس منشورة مظلته على رأسه، ويصدح أصحاب الموسيقى بالألحان المطربة ويقرع أصحاب الكومى طبولهم وينفخون فى مزاميرهم.

ويكون ترتيب التحية معكوسا بحيث يكون الوصفان الخصيان اللذين كانوا فى التحية أولا هم الآخرون فيها، وبعد دخوله لقصره العامر يقف كبير المشور

ليجيب نيابة عن السلطان كل الجيوش الحاضرين ووزير الحرب يقف لاستعراض العساكر، فإذا كان السلطان بمكناس جلس وزير الحرب لاستعراض العساكر حذاء الباشا بباب منصور العليج والموسيقى أمامه تصدح بألحانها، ثم بعد انتهاء الاستعراض تنفض حفلة الجمعة.

ومن العوائد المقررة فى الأعياد وفود الوفود على الأعتاب الشريفة قبل العيد بنحو العشرة أيام فأزيد لمنافسة العمال فى الحصول على ملاقة الجلالة السلطانية، كل يود سبقيه غيره، إذ العادة جارية بتقديم أول قادم على غيره فيتلاقى ساعة وصوله أو يومه على الأقل، ويقدم أيضا أول قادم على دار المخزن، ولو جاء عدد عديد فى اليوم ومن جاء ليلة العيد فلا حظ له فى ملاقة القدم.

والعادة جارية إذا كان السلطان بالحوز تفد على أعتابه من قواد أهل الحوز من وادى أم الربيع إلى أقصى سوس.

وأما أهل الغرب فلا يوجهون غير الخلائف، وكذلك إذا كان فى الغرب يأتى القواد من أم الربيع إلى وجدة، ويأتى من الحوز الخلائف، فإن رام أحد من عمال الحوز القدم على السلطان للغرب بنفسه لا بد له من الاستئذان، فإن أذن له أتى، وإلا فلا، وكذا بالنسبة لأهل الغرب ومن كانت له دار نزل بها وإلا أنزله السلطان على يد الوزير الصدر، أو قائد المشور، أو باشا البلد كل على قدر مكانته، وما قدمه من الهدايا فيعين لكل محلا مناسبا لمقامه.

فإذا كان العيد عيد فطر يصدر الأمر للشرفاء والقضاة والعلماء بواسطة بطائق ممضاة من الصدارة العظمى وللأمناء والنظار والأعيان والعمال الكبار بواسطة قائد المشور بالحضور لإحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان مع الجلالة السلطانية بالمسجد المعد لصلاة الخمس من القصر الملوكى، وذلك قبيل العشاء، وعند خروج السلطان يصدر الأمر بدخول المستدعين للمسجد بواسطة قائد المشور والحاجب،

فيتولى إدخال المشفعين للمحراب والإخراج منه فى وقت الصلاة، فإذا قرئت عشرة أحزاب دخل السلطان لداره وخرج من المسجد للبنائى ثم تفاض عليهم أنواع الأطعمة الفاخرة والأتاي والحلوى على يد أصحاب الأتاي، وخليفة قائد المشور، وخليفة وزير الحرب وقائد الجزارة، وقائد أفراك، فإذا تسحروا وبقي لوقت الصبح نحو ساعة رجع الناس للمسجد فيخرج السلطان وتختم السلوك إذ تكون وقفت على سورة قل أوحى أو سورة عم.

فإذا ختمت وأديت فريضة الصبح فتح الأمير الحزب وقرأ ما شاء الله ثم يقوم ويدخل لداره، وبعد الفراغ من الحزب يخرج الناس أفواجا طبقات كل جنس ينادى على حدته، فيجدون الحاجب وقائد المشور أمام باب المسجد يدفع الحاجب أو نائبه لكل فرد ريالاً واحداً، ثم يقع الإعلام بالبروز للمصلى على ما سيبين فى عيد المولد، فإذا وصل السلطان للمصلى وقف كل من بها وتقام الصلاة، وإذا تمت الصلاة وصعد الخطيب المنبر لتشنيف المسامع بالخطبة خرج خليفة قائد المشور لترتيب القبائل لأداء التحية للجلالة السلطانية.

فإذا كان عيد الأضحى تقدم السلطان بعد الفراغ من الخطبة لذبح أضحيته بيده، ثم يذبح الخطيب أضحيته.

أما ليلة المولد فإنها تزيد بتوزيع الكساوى فى صبيحتها على العائلة وقواد الجيش وكبراء العمال وبعض الأعيان، كما تزيد هذه الليلة بإحضار المنشدين ذوى الأصوات الحسنة من سائر مدن الإيالة الشريفة ومراسيها، فإذا وصل وقت العشاء خرج السلطان لأداء فريضتها ثم بعد الفراغ منها يصدر الإذن بدخول المذكورين للمسجد بواسطة قائد المشور.

ثم يجلس السلطان يمين المحراب ويجلس خاصة العائلة الكريمة عن يساره والقضاة والعلماء عن يمينه، ثم يستدعى المنشدين فيجلسهم أمام الجلالة، ثم

يستدعى بقية الشرفاء من غير العائلة الملوكية فيجلسون وراء العائلة، ثم يجلس الأعيان والكتاب ومن ذكر معهم وراء الجميع، ويجلس الوزراء وراء الكل، ويجلس الباشوات والعمال ورؤساء الجيش بصحن المسجد.

ثم يجيء الحاجب بمبخرة يضعها قريبا من السلطان بينه وبين المنشدين، ثم يضع فيها قطعة من العنبر، ولا يزال يجدد البخور ما دام الإنشاد ويتناول السلطان مجموعا مزخرفا مشتملا على البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية فينشد المنشدون البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية بأطيب نغمة وأحسن تحليل، فإذا حان وقوفه على قول البوصيري الأمان الأمان نهض السلطان فتقدمه قائد المشور والفرايحية وقائدهم إلى الباب وأدوا له التحية الملوكية ودخل داره.

ثم خرج الناس من المسجد إلى المشور فجلس الشرفاء من العائلة الملوكية بمحل يناسبهم، ثم أخرج لهم الحلويات والأتاي والأطعمة ويخص الشرفاء الأقربون بطعام من طعام السلطان الخاص بعد تناوله منه تناولا لطيفا فإذا شربوا وطعموا وكان الليل طويلا، خرج من كان محله قريبا فرقد به هنيئة ثم يرجع ومن كان محله بعيدا نام بموضعه، فإذا بقى للفجر نحو الساعة ونصف رجع كل إلى محله من المسجد، ثم يخرج السلطان فيجلس يسار المحراب، ثم يأخذ مجموع المديح ويبتدئ المنشدون من حيث انتهوا إلى أن يختموا الهمزية والبردة، ثم يقرءون بانة سعاد، ثم يسردون ما تيسر من مختار القصائد المولوية التي قدمت للجلالة السلطانية من فحول شعرائه بمناسبة تلك الليلة، فإذا طلع الفجر أطلق العسكر عدة طلقات بارودية، ثم يصلى السلطان والحاضرون الفجر.

وبعد الفراغ من أداء فريضة الصبح يفتح السلطان الحزب ويقرأ مع الطلبة ما شاء الله أن يقرأ ثم يدخل داره الكريمة على الهيئة المتقدمة، ثم يخرج الشرفاء

فيجدون الحاجب بالباب فيناول كل واحد منهم ريالا مختوما عليه باللَّك^(١) يكون عمله كذلك مع كل فرد من تلك الجماهير إلى أن يخرج جميع من المسجد .

ويصدر الأمر الشريف لقائد المشور بالإعلام للبروز إلى المصلى، فيعلم بواسطة المشاورية كافة رجال المخزن الشريف وبقية الموظفين وكافة القبائل والعمال، ثم يخرج خليفة قائد المشور في لفيف من أصحابه لترتيب هيئة المصلى فيجد كافة القبائل واقفة فيجعلها صفا واحدا من الباب الذي يكون منه خرج السلطان للمصلى عن اليمين، ويجعل المكلف بالعسكر صفا آخر مقابلا للأول من رماة العسكر وخيلها، تكون منهم قلعة مربعة خالية الوسط في آخر صف الخيل خارجة عن المصلى، ثم بعد ذلك يعلم الخليفة المذكور رئيسه بإتمام تنظيم هيئة المصلى، فيعلم هو السلطان بذلك فيخرج لمحل الاقتبال ويستدعى الصدر الأعظم فيحدثه هنيئة، ثم ينصرف الوزير ويركب بغلته كسائر الوزراء والموظفين وذوى الحشيات .

فيذا أخذوا مراكزهم ركب السلطان فرسه وقدمت أمامه القادة وتبعه الحاجب والحناطى الداخلية وأصحاب المكاحل والمشاورين والقضاة والذكارة، ثم إذا بلغ باب البلد الذى يخرج منه لبطحاء المصلى وجد على اليمين الوزراء والكتاب والشرفاء والكبراء وذوى الحشيات راكبين صافناتهم الجياد وبغالهم الفارهة وبزتهم الرسمية البهية التى تسر الناظرين وتخرس المناظرين، فيحييهم السلطان بالسلام بواسطة قائد الأروى، ثم يردون التحية بانحناء الرؤوس، ثم تصدع الموسيقى بألحانها المطربة ونغماتها المرقصة، فيسير الأمير وأمامه قائد المشور راكبا جواده متقلدا سيفه لابسا برنوسا واضعا بندقته على عاتقه الأيمن، وأمامه فرقة من الجيش يسمون الأربعاويات فى ثياب حمر وخضر وقلانس بدون برنوس مصطفين أربعا أربعا وقائد الأروى بدون برنوس أمامه وباقى أتباعه من أهل حنظته محتفون بالجلالة يمينا وشمالا مسامتون لركابه الشريف .

(١) اللك : صبغ أحمر .

ويصطف المذكورون وراهه و صفوف العسكر خيلا ورماة عن اليمين والشمال، وتكون الرماة العسكريون مما يلي الجلالة ووراء الصفوف العسكرية صفوف خيول القبائل ورماتها، ووراء الجميع خيول (الطبيجية) أصحاب المدافع يجرون مدافعهم فى كراسيها، وتبقى الجهة الرابعة فارغة يدخل المترجم منها للمصلى إن كانت صلاة، وتتقدم منها القبائل والوفود لتهنئة جنبه الكريم إن لم تكن صلاة كعيد المولد، فتحية القبائل قبيلة قبيلة وكل قبيلة تقدمت أمام جلالته يسميها قائد المشور باسمها أو اسم عاملها، فإذا أدت تحيتها كما يجب رفع السلطان أكفه بالدعاء لهم بالرشاد والصالح، وقائد المشور يبلغ ذلك لهم عنه بأرفع صوت، ثم تذهب تلك القبيلة لأخذ مركزها الذى كانت فيه عند خروج الأمير، وتتقدم أخرى لأداء التحية كما ذكرنا وهكذا إلى أن يأتى على تلك الوفود الضافية العدد.

فإذا رام الرجوع تقدمت أمامه أعلام مسخري البخارى وما أضيف إليهم لأداء التحية اللازمة، ومن العوائد أن يكون فى مقدمتهم أحد أعمام الأمير أو أنجاله يرأسهم، جاعلا مكحلتة على عاتقه الأيمن، وبعد أداء التحية يرجعون خلفه، وتكون أمامهم المحفة، ونقيب آل وزان إن كان، ورئيس الزاوية الناصرية، ثم الوزراء والكتاب والشرفاء فى صف خلف أعلام البخارى، ووراءهم بقية الجيش، ثم تتقدم أعلام شراكة، وبعد أدائهم واجب التحية يتقدمون أمام الأمير فإن كان السلطان بالناحية الخوزية تتقدم الرحامنة على من عداها من القبائل لأداء التحية الملوكية، وإذا كان فى الناحية الغربية تتقدم قبيلتنا الغرب وبنى حسن.

ثم بعد الفراغ من استقبال السلطان للقبائل تضرب المدافع وتصدح الموسيقى والطبول والمزامير والولاول، ثم ينقلب فى موكبه الراق إلى قصره العامر والخيل والرماة من عساكر وقبائل مصطفىة عن اليمين والشمال كأنها بنيان مرصوص على

نحو ما وصفنا فى الخروج والتهاتف بالدعاء للجلالة المولوية بالنصر والتمكين حيثما مر، إلى أن يحل ركابه الشريف بداره العالية، فإذا دخل الباب الأول وجد الشرفاء مصطفىين على اليمين فيزدلفون لتقبيل ركابه الشريف، ويهتفون بالعيد المنيف، فإذا فرغ منهم وجد الوزراء والكتاب مصطفىين أمامه فيحييهم بواسطة قائد الأروى ثم يتقدمون واحدا بعد واحد لتقبيل ركابه، ثم إذا دخل الباب الثانى وجد الجزارين مستقبلين له بأوانى الحليب وطيافير التمر فيتناول من ذلك، ثم يوجه به للشرفاء الذين يرأسون العلامات من أعمام وأصناء وقواد الجيش والأعيان والباشوات، وبمجرد دخول السلطان لداره يخرج صلة للذكارة والشرفاء، وتلك عادة جارية كانت لا تتخلف فى كل عيد، ثم يودع قائد المشور الباشوات والقواد والجوش المخزنية ويدعو لهم نيابة عن السلطان وهم يخفضون رؤوسهم ويرفعونها.

ثم تنفض الحفلة ويذهب كل لحال سبيله فرحا مسرورا إلى أن يبقى للعصر نحو ساعة، فترجع الهيئة المخزنية لشريف الأعتاب ويطلع أهل البلد التى بها السلطان لتهنئته بالعيد متأبطين لهداياهم المعتادة، فإذا صلى السلطان العصر استقبلهم.

وقد كانت العادة جارية فى هدية أهل مراكش بتقديم أربعين سرجا، أما الذميون فهديتهم الملف والأثواب القطنية والحرير، ثم يعمر المشور وتقدم تلك الهدايا بصفة رسمية، أما العائلة السلطانية كالأنجال والأصناء والأعمام وبنى العم فمنهم من يتلاقى مع الجلالة عشية يوم العيد نفسه، ومنهم من يتلاقى صبيحة الغد.

كيفية ترتيب الملاقاة

إذا حضر المذكورون من الأشراف وغيرهم بشريف الأعتاب يجعل قائد المشور تقييدا يجرّد فيه أسماء الحاضرين للملاقاة مع الجناب العالى وتعيين وظائفهم، ويقدمه للجلالة السلطانية لتحيط به علما فتستلمه منه وتجعله حذاءها، ثم تأذن له فى تقديمهم إليها فيقدمهم طبق التقييد الذى قدمه إليها، فيتلاقى أولا الخليفة السلطانى ثم الأنجال ثم الأصناء الأكبر فالأكبر، فنقيب العلويين وحده، فدار مولاي عبد الله فباقي العلويين مع النقيب المذكور، فالشرفاء الأدارسة، فالقضاة والعلماء فالشرفاء أهل تلمسان فالبدراويون فالحموميون فأهل وزان، فالأفراد فالباشوات فالاحتسب فالنظار والأمناء، وكل يخاطبه السلطان بما يليق به حتى يصدر الجميع عنه منشرح الصدر طيب الخاطر رطب اللسان بالدعاء والثناء.

وفى ثالث يوم العيد يتلاقى عمال الحوز إن كان السلطان بالغرب، وفى رابع العيد يتلاقى عمال الغرب إن كان السلطان بالحوز والعكس بالعكس.

ويقسم تعمير المشور ثلاثة أقسام: قسم اليوم الأول من أم الربيع إلى أقصى سوس، واليوم الثانى من أم الربيع إلى سلا والرباط، واليوم الثالث من سلا والرباط إلى وجدة.

ولما اتسع النطاق وكثرت العمال وتعددت القواد ووقع التنافس بينهم فى الهدايا التى يقدمونها، صار المشور يعمر سبعة أيام فقسمت تلك الأثلاث أسبعا.

كيفية تعمير المشور

يستأذن قائد المشور للجلالة السلطانية فى الاحتفال بالتعمير ويقدم له زماما فيه أصحاب الهدايا التى تقدم مع بيان الهدية اسما وقدر، وتقسيمها على الأيام الثلاثة أو السبعة، كل يوم وما يقدم فيه.

وقد جرت العادة بأن أول مشور يعمر تقدم فيه هدية أهل فاس تعظيما لمولانا إدريس وتيمنا به، ثم بعد هذا يعزل من العمال من يستحق العزل ويولى من قضت المصلحة بتوليته، ويلقى القبض على أهل الجرائم والمدلسين من القواد وغيرهم ثم تودع تلك الوفود.

أما الخلائف الذين لم ترد عمالهم فتنفذ لهم المؤنة مياومة مدة مقامهم بشريف الأعتاب، وعند إرادة انصرافهم لمحالهم تكتب لهم أجوبة عمالهم وتنفذ لهم الصلة والكسوة على أمناء البلد الذين هم منها أو المجاورين لها.

الهيئة الرسمية وما تتألف منه

الوزير الصدر وله خليفتان، أولهما عن يمينه يستلم الأشغال من الوزير ويفرقها على الكتاب كل وما يناسبه، فإن غاب الوزير ناب عنه فى سائر الشئون المنوطة به، وثانيهما عن شماله وعدد من الكتاب غير منحصر. فمن الكتاب من ينشئ الرسائل المهمة، ومنهم من يكتب ما أنشئ، ومنهم من يختم المكاتب بالملك، ومنهم من يقيد الصادر والوارد فى الكنائش المعدة لذلك، ومنهم من يكتب العناوين، ومنهم من يفصل الكاغد ويطوى المكاتب، ومنهم من يلخص الكتاب ويقيد مضمونه ومنهم من يقيد التواقيع.

قائد المشور وخليفتان عنه ومعاونون ثلاثة.

وزير الشكايات وهو بمثابة العدلية والجنايات اليوم، وكاتب أول بمنزلة خليفة عنه، يقوم بأشغاله إذا غاب وكتاب لكل منهم شغل يختص به غالبا.

ووزير الحرب وخليفة عنه وكتاب.

ووزير الخارجية وخليفة عنه وكتاب.

أمين الأمناء (وزير المالية) وخليفة عنه وكتاب.

الحاجب وخليفة عنه وكاتب أو كاتبان .

أمين الداخل وكاتبان أو ثلاثة .

أمين الصائر وكاتب أول ومعينان .

قواد الجيش العامل لا الاحتياطي

قائد رحى مسخري البخارى، وقائد رحى مسخري شراكة، وقائد رحى مسخري الشراردة سكان ازغار، وقائد رحى مسخري الأودية المغفرة، وقائد رحى مسخري أهل سوس سكان المنشية، وقائد رحى مسخري أولاد دليم، وقائد رحى مسخري الرحامنة ولكل من هؤلاء القواد خليفة وقواد مئين ومقدمون على حسب كثرة جيشه وقلته خيلا ورماة .

قواد الحناطى البرانيين

قائد الشرفاء الفرادى (فرقة من المشاوريين)، وقائد المظل والمزراق، وقائد المكاحل وحنطة هذا القائد تتألف من أبناء الكبراء والقواد المعزولين ومشاورى البخارى والمشاورية سكان فاس، والمشاورية سكان المنشية، والمشاورية الأحرار والإضافات وهؤلاء منهم ينفذ قائد المشور أصحاب الصدر الأعظم وغيره من باقى الوزراء والمكلفين بفتح قبب الوزراء وغلقها وقمها .

قواد الحناطى الداخليين

قائد الأتاي ووظيفة هذه الحنطة القيام بأوانى الأتاي وتهيئتها فى كل وقت، وقائد الفراش ووظيف هذه الحنطة من أعلى الوظائف، بيده مفاتيح الخزائن المولوية وأصحابها هم المكلفون بتنظيف المحال الخاصة بالسلطان وتفريشها، فإذا وجد من كانت فيه نوبة المباشرة لذلك فى حال تنظيفه أشياء متفرقة بالمحل يجمع ذلك ويجعله فى محل خاص، فإذا تم أشغاله رد كل حاجة لمحلها الذى كانت فيه على

الهيئة التي وجدت عليها، وعليه العهدة في الأثقال الخاصة بالسلطان وحرمه في الأسفار، فإذا رام السلطان الظعن يعين قائد الفراش أحد الأعيان النبهاء لتقييد الأثقال كل في كناش خاص يفتح الصناديق ويقيّد سائر ما بداخلها من الحوائج والأثاث والحلى والحلل.

فإذا استوعب التقييد تمام الاستيعاب جعل ورقة جامعة لسائر ما حواه ذلك الصندوق ويضعها فوقه ثم يسده ويغلفه في غشاء وينمره ويقيده في كناشه الخاص بكل إيضاح وبيان، وهكذا إلى أن يأتي على جميع الصناديق وأوعية القش، ثم إذا تم التقييد على نحو ما ذكرنا يجعل قائمة ذات أضلاع ضلع يقيّد فيه عدد البهائم اللازمة لحمل ذلك من بغال وحمال، وضلع يقيّد به المكلفين بذلك القش الذين يسافرون معه.

وتقدم هذه القائمة للجلالة السلطانية وبسبب هذا يتيسر الوصول لما عسى أن يحتاج إليه مما بداخل تلك الصناديق بكل سهولة، ومن يد صاحب الفراش تأخذ سائر الحناطى أشغالها يأخذ صاحب الوضوء الشمع والمناديل وكلما يحتاج إليه في وظيفه ويأخذ صاحب الماء الفواكه والحلويات وصاحب الأتاي السكر والأتاي وكل ما هو من لوازم شغله، ويضاف لهذه الخنطة أصحاب السجادة والموقتون وطبال الكومى، والحلاق، وأصحاب السكين.

قد كانت العادة جارية بأن صاحب السكين هو الذى يحمل بلغة السلطان إذا خلعها، ثم صار يحملها قائد الوضوء أو خليفته إن غاب هو، وربما حملها الحاجب.

وقائد الماء ووظيفته طبخ الماء وتبخيره واستعدابه.

وقائد الوضوء ووظيفته تنظيف الحمام والكنف وإيقاد الثريات والحسك، ويحمل الفنار أمام الأمير، ويأخذ ما فضل من الشمع بعد الإيقاد، أما الذى ينظف

الثريات ويضع فيها الشمع فهو صاحب الفراش وليس له أن يوقدها ولا أن يأخذ ما فضل بها من الشمع، ولا يمكن لصاحب الوضوء الذهاب لتنظيف الحمام والكنف إذا كان مروره إليهما على باب محل مفروش إلا إذا كان صاحب الفراش حاضرا أمام المحل الممرور عليه، كما أنه لا يمكن لصاحب الفراش أن يبارح ذلك المحل ما دام صاحب الوضوء لم يتم أشغاله فإذا فرغ صاحب الفراش والوضوء من التنظيف الداخلى يناول الفرائجى بقية التنظيف الخارجى وما منهم إلا له مقام معلوم.

وقائد الجزارة ووظيف هذه الحنطة ذبح شياه الطعام السلطانى وغيرها من سائر المذبوحات والطبخ والشى، وفتل الكسكوسون مناوبة بيوت أصحاب النوبة بباب قبة الموقت، فإذا بقى للفجر ساعتان أيقظه الموقت فيقوم يذبح ويوقد النار ويوقظ المكلفين معه بالطبخ ليكون الفطور مهيبا بعيد صلاة الصبح، ولا يكون هؤلاء الجزارون إلا من الوصفان الأرقاء كأصحاب الوضوء والاروى.

وقائد المحفة ووظيفه القيام بشئون المحفة والعربة وقائد افراك ولا يكون إلا من الجيش البخارى، أو هو مضاف إليه ووظيف هذه الحنطة حراسة الأبواب وتنظيفها والنظر فى القبب والأخبية السلطانية وتشبيدها فى الأسفار والتفسحات.

وقائد الاروى وله خليفتان أول وثمان ومقدم وعوامون وكناسون ووظيفه النظر فى شئون المراكب السلطانية وصيانتها ومقابلة سائر ما يرجع إليها.

وقائد الحمارة وله خليفة وأعوان عديدون، وهو من مضافات الأروى ووظيفه النظر فى بغال مخصوصين لحمل الأثقال المخزنية جميعها، وأثقال رجال المخزن وموظفيه فى سائر الحركات والتنقلات، وجلب الحطب والفحم من الغابات للخزائن المخزنية، وحمل الأضحية فى العيد وحمل الشعير والقمح من الأمراس السلطانية وإليها، وكانت البغال التى إلى نظره تعد بالألوف، والعادة فيما يستغنى

عنه منها يفرق على العزائب (الهوائ) والغيض فى نحو خمس وثلاثين قبيلة بقصد حفظها وصيانتها، ومن أتلّف شيئاً منها فعليه غرمه وتكون سائر البغال المخزنية موسومة بميسم خاص .

وقائد الجمالين وله خليفة وأعوان، ووظيفه النظر فى الجمال المخزنية المعدة لحمل تموين المحلة وأثقالها وتوزيعها على من جرت العادة بصيانتها لها عند عدم الاحتياج إليها، وكانت هذه الجمال تعد بالألوف أيضا موسومة بالميسم الخاص بوسم دواب الحضرة السلطانية .

ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه

كان إذا رام تلك الرياضة أصدر أوامره بانتخاب الفرسان الماهرين العارفين بركوب الخيل وإعلامهم بالتهيؤ للعب على الخيل فى وقت يعين لهم فتجتمع خيول حناطى الداخيلين والبرانيين المتقدم ذكرهم وخيول العسكر والقبائل، وذلك داخل المشور (محل متسع مستو من مرافق القصور السلطانية) ويرتبون صفوفًا صفا خلف صف تحت رياسة قائد المشور، ويأتى كل لابس لبزته الرسمية السارة للناظرين، فإذا تم الترتيب يخرج السلطان ممتطيا ظهر جواده، وبمجرد ما يلوح سنا بدر محياه المشرق من باب القصر المولوى تصدح الموسيقى بألحانها العربية إلى أن يصل إلى أول تلك الصفوف، فيتناول مكحلته من يد الحاجب ويتلقى من يكون فى صفه من الفرسان الماهرين فى المسابقة من قواد الحناطى وأفراد الحاشية، ثم يفتتح المسابقة وبمجرد ما يطلق عمارة مكحلته يتناولها الحاجب من يده ليمسحها ويعمرها، ثم تقتفى أثره فى المسابقة تلك الصفوف صفا بعد صف وكل من قضى نوبته يرجع لمركزه وليس لأحد كائنا من كان أن يتعداه، ولا أن يحيد عنه إلا السلطان، وكلما سابق حيته المدافع من الأبراج بأربع طلقات والموسيقى وهكذا إلى انتهاء اللعب .

اللباس الرسمى

أما الوزراء والكتاب والأمناء فيلبسون القفطان والفرجية والكساء والبرنس والعمامة والقلنسوة، وأما القواد والحاجب ووزير الحرب والباشوات فلباسهم مثل من ذكرنا إلا الكساء فلا يرخص لواحد منهم فى لبسها، ويقتصرون على لبس البرنس .

ويزيد قائد المشور عليهم بالتقلد بالسيف وأخذ عصا بيده وي زيد قواد اراحي الجيش المسخر وأصحاب المكاحل بقبض مناديل حمر وجعل (الجرافات) أغشية تشبه الجراب وتكون تلك الجرافات بحسب رتب الحاملين لها، فما يحمله قائد الأرحى منها يكون من الموبر المزركش بالحرير، ومحل وضع هذه الجرافات بمنطقة الحزام، وهؤلاء يحملون المكاحل فى الأوقات الرسمية، وليس لأحد من القواد كائنا من كان لبس العمامة إلا بإذن خاص من السلطان، وإنما يلبسون القلانس فقط .

وأما أصحاب الاروى والمحفة فلا يلبسون البرنس فى أوقات ركوب السلطان، وإنما يمشون متجردين فى القفطان والفرجية .

وأما الحمارة فلباسهم القشابة والجلابة من الصوف، وليس لواحد غيرهم لبس الجلابة فى الأوقات الرسمية ولو كان ولد السلطان أو أخاه أو عمه، ولبسها من الكبائر التى لا تغفر فى النظام المخزنى والهيئة الرسمية، كما يمنع بتاتا لبس الأسود .

وأما الأربعاويات فيلبسون القفاطين الحمر بدون فرجيات، ويشدون عليهم الحزم وتكون قلانسهم طوالا، ويحملون على عواتقهم مكاحل طوالا جدا، ويتقدمون أمام السلطان فى الأعياد .

وأما الفرايكية فيلبسون البرنس، إلا فى أوقات السفر أو إذا أضيفوا إلى الأربعاويات فى الأعياد.

ثم الذين يلبسون الكساء لا يسوغ لهم تغطية رءوسهم بالبرنس فى الأوقات الرسمية، إذ تغطية الرأس به من خواص السلطان فى الأوقات الرسمية، ثم إن الذين يقتصرون على لبس البرنس أو الجلابه لا يسوغ لهم أيضا تغطية رءوسهم وكل من افتات أو تجاوز حده المحدود له تجرى عليه الأحكام المخزنية.

كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن

أما قواد الأراحي فتأديهم وعزلهم لابد فيه من أمر السلطان، وأما قواد الحناطى الداخلىين وقائد المظل وقائد المكاحل وقواد المئين والمقدمون فتجرى عليهم أحكام قوادهم إن ثبت عليهم ما يوجب ذلك بغير إذن، وأما مطلق المخازنية فتتألف الأحكام حتى من المقدمين.

كيفية ورود سفراء الدول على السلطان

عندما يرد الإعلام من طنجة من النائب السلطانى إلى المخزن الشريف يأمر بتهيئ من يتوجه للإتيان بالمثل فيكتب الصدر الأعظم لقائد المشور ليفرض لفيها من المحلة لذلك، وللحاجب بتنفيذ الخيل والبغال، ولأمين الصائر بتنفيذ ملازم السفر، ويكتب ظهيرا شريفا لكافة العمال والقبائل الممرور بها بالقيام والتموين وإظهار الفرحة والتلاقى بكل بشاشة فى الذهاب والإياب ويأمر هذا سيرسم بعد بحول الله.

كيفية دخول ممثلى الدول من السفر

صبيحة دخوله تخرج العساكر وتصطف على جانبى الطريق التى يكون مرور السفير بها مع الموسيقى السلطانية، ويخرج قائد المشور ووزير الحرب للقائه فى أبهة

عظيمة من الخيل ووجوه الرجال، وعندما يلتقيان به يسلمان عليه راكبين ويتوجهان به لمحل نزوله.

كيفية ملاقاتة الأجنب مع جلالة السلطان

يقف الترجمان عن يمين السلطان مقاربا له، ويقف الصدر الأعظم ووزير الخارجية عن يساره مقاربين له، ويقف السفير أمام الترجمان وترجمانه أمام الصدر الأعظم ووزير الخارجية، ويقف الملحقون بالسفير وراءه، ويقف أصحاب المكاحل قريبا منهم، ويقف قائد المشور عن اليسار قريبا من الملحقين بالسفير، ثم الحاجب قريبا من قائد المشور، ثم الحناطى الداخليون، ويقف أصحاب المكاحل مقابلين للواقفين منهم عن اليمين، ويقف خليفة قائد المشور عن اليسار أمام صف من المشاورية آخذا من اليمين إلى اليسار.

ويسلم السفير السلام الأول عند هذا الصف، ثم السلام الثانى عند صف أصحاب المكاحل، ثم السلام الثالث عند صف بقية الوزراء والكتاب.

ولما تكون الهيئة المذكورة تامة، يتوجه قائد المشور فى نحو العشرة من أعوانه إلى منزل الممثل ليؤذنه بالطلوع لدار المخزن ويتوجه فى رفقته قائد الرحى المكلف بحراسته فى محل نزوله مع بعض أعوانه، وعند وصوله يكون قائد المشور فى انتظاره خارج الباب ليتقدم أمامه لدى جلالة السلطان ولما يقابل جلالته يودى التحية الأولى بانحناء، والثانية والثالثة كذلك وفق ما تقدم، إلى أن تكون الهيئة موافقة لما ذكر، وعند انقضاء الحفلة يتوجه على الكيفية التى أمر بها.

كيفية تقديم هديته للسلطان

بعد المقابلة فى اليوم نفسه عشية تحمل الهدية إلى دار السلطان، ويتوجه الممثل فى هيئته بعدها فتخرج من صناديقها، وتوضع فى محل جلوس السلطان

أمام صاحبها فيخرج السلطان بغير الهيئة الرسمية حتى تعرض عليه الهدية ويقبلها،
وينصرف كل واحد لحال سبيله .

زيارة السلطان للأولياء

عند حلول السلطان بأى بلدة وعند خروجه منها يقع الإعلام لقباء ومقدمى
الأضرحة بيوم الزيارة ليتهيئوا، وفى صباح اليوم يتوجه عريف الجزارة بالقدر
المأذون له فيه من رءوس البقر ويوزعه على عدد الأولياء، ويبقى كل فريق فى
محله إلى أن يأتى السلطان، وعند دخوله للضريح المزور يتقدم كبير الجزارة
بالحضرة السلطانية ويتولى أمر الذبح إلى انتهاء الزيارة، وفى تلك الهيئة لا يستعمل
السلطان المظلة بل تكون محمولة صحبته .

حركة السلطان من بلد إلى أخرى

عندما يشتد عزمه على الحركة يأمر الصدر الأعظم لكل من جرت العادة
باستدعائه للحركة، فتكتب المكاتب الشريفة وتسلم للحاجب ليختمها بخاتم
السلطان، وبعد ذلك يطلعه عليها ليسلمها بعلامة التسليم، وترجع للصدر الأعظم
لتجعل فى أغشيتها وتسلم لقائد المشور ليوجهها صحبة أعوانه لأربابها من قواد
القبائل والمدن والمراسى .

وعندما يحين وقت قدوم الحراك يأمر السلطان بإخراج الافراك ويعين يوم
نصبه فينصب بأبهة عظيمة يحضرها أكابر علماء البلد والقضاة وأعيان الشرفاء
وقائد المشور ووزير الحرب والباشوات وكبار الجيش وقواد العساكر، وهؤلاء هم
الذين يتولون نصبه بأيديهم مع إعانة المكلفين به وهم الفراجية وقائدهم ويحضر
الطعام الخاص من عند السلطان للقضاة والعلماء مدة مبيتهم بقبة السلطان بقصد
قراءة صحيح الإمام البخارى بعد أداء الفريضة، وقراءة القرآن، وهى ثلاث ليال

كما كان ينتقى المسنين من أهل الفضل والصلاح لقراءة اسم الله تعالى (اللطف) ١٠٦٦٦ كل ليلة من الليالي المذكورة، ويفتتحون ذلك بعدد من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك من محكم العوائد حتى صار أصحاب اللطف علما بالغلبة على تلك الجماعة المعدة لذلك.

كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيش

تكون قبة السلطان الكبرى وسطا ويحاط بها قبب ووثاقات ويدار بالجميع سياج يسمى افراك، وتكون الأروى عن يمين افراك، ثم محل الحاجب ثم محل الحناطى الداخلية، ثم محل الصدر الأعظم وبالقرب منه محل الجيوش الرماة القائمين بالعسة الداخلية ليلا، وخيلهم تقوم بالطواف على المحلة من بعد صلاة العشاء حتى الصباح، ثم محل بقية الوزراء، ويكون أمام افراك محل جلوس وزير الحرب ثم الخيمة حذاءه، وهى محل جلوس الصدر الأعظم وغيره من الوزراء وقائد المشور.

ويكون بمقربة منها مخيم قائد المشور ثم خليفته ثم الحناطى البرانيون.

وبمقربة منهم محل عسة العسكر القائمة ليلا ونهارا، ويكون عن يسار افراك محل الحمامة، ثم مسجد الصلاة، وبقربه الصيوان، ثم المدافع وبقربها محل جلوس المشاورية فالقيام بالعسة فى أوقات عمارة المشور.

وبمقربة منه محل عسة الوطن وعلى سمتهم مخيم القبائل وعندما يجتمع الحراك، ويتحرك السلطان قاصدا وجهته تتلقاه القبائل على حدود ترابها بالألعاب والأفراح وأقداح الحليب تفاؤلا والهدايا وفق عوائدها فى ذلك.

كيفية خروج السلطان يوم السفر

فى اليوم الذى قبل يوم السفر يتوجه أحد المهندسين مع الموقت لينظرا المحل الذى يصلح لنزول المحلة وقدر المسافة، ويجعلا بذلك تقييدا لجلالة السلطان يدخل على يد الحاجب ليوقع عليه السلطان بما يظهر له من الاستحسان أو عدمه، وفى صبيحة يوم السفر يتقدم من ذكر صحبة قائد الافراك ليعينا له محل النزول، وتخرج جميع الأتقال المخزنية والأروى ثم عيال السلطان، ثم يخرج السلطان بعد وداعه لأهل البلد بدار المخزن، ثم يخرج الجميع خارج البلد مع عامله وقضاته وعلمائه وأعيانه حتى يمر الموكب المخزنى أمامهم.

كيفية نهوض السلطان من المحلة

يقع الإعلام ليلا بالرحيل لولاية الأمر، وعند الفجر لما يسمع طبال (الكومى) الخاص بالسلطان الذى هو علامة الرحيل يشرع الناس إذ ذاك فى الرحيل، فيخرج السلطان بعد أداء فريضة الصبح ويجلس على عرشه مسندا ظهره للمحففة وهو ينظر للافراك حتى يجمع، ثم يأمر قائد المشور بأن يأمر الجيوش الميين تفصيلها بجمع القبة على ما جرت به العادة من أخذ كل فريق منهم حبالا من حبالها الوثقى المعبر عنها بالكمنة، ثم بعد جمعها فى أقل من عشرين دقيقة لكثرة الجيوش مع كبر القبة واتساعها تحمل على البهائم.

ثم يأمر قائد المشور بأن يأذن لهم فى التوجه نحو الأمام، فيأذن لهم بعد أدائهم ما يجب من تقديم الاحترامات للسلطان، فيتقدم نصف الجيش وهو الجيش الشرقى بقواده وأعلامه فيتبعهم قائد الافراك بأعلامه وخيله أمام قبة السلطان، ثم القبائل قبيلة فقييلة، ثم يأذن السلطان المخزن بالركوب فيركب ويصطف الجميع ثم يركب السلطان جواده.

كيفية مسير السلطان فى السفر

عندما يركب السلطان يتقدم أمامه بعض من أهل القبيلة التى هو بها أدلاء على الطريق حتى يخرج من ترابهم، ثم يتقدم غيرهم من أهل القبيل الذى حل به، ثم تتبعهم فرقة من الطبجية بمدافعهم محمولة على الدواب، ثم الموسيقى، ثم خليفة قائد المشور مع الراية الخاصة والطرادة البيضاء فى شردمة من الخيل حاملين للسلاح، ثم المراكب الستة المعروفة بـ (الكادة) ثم قائد المشور وأصحاب المزاريق، ثم جلالة السلطان محوطة بعبيد الأروى وقائدهم، ثم صاحب المظلة متأخر قليلا عن السلطان، ثم الحاجب وراءه، ثم أصحاب المكاحل محيطين بالجميع، ثم الفرس الحامل لصحيح الإمام البخارى محوطة بأعلام جيش البخارى وقواده، ثم الوزراء يتقدمهم الصدر، ثم بقية الجيوش وراء الكل مع المال المحمول فى رفقة السلطان، الذى من عادته فى الحركة أن يكون تحت حراسة الجيش البخارى، وكذلك المساجين .

كيفية دخول السلطان للمحلة

عندما يقرب للمحلة تكون جميع خيل القبائل مصطفىة عن اليمين، وخيل العسكر عن الشمال، فيؤدون له التحية ويحييهم قائد المشور إلى أن يدخل السلطان لإفراك .

خروجه للأحكام فى السفر

إن كان مقيما يخرج صباحا ويجلس على كرسى ملكه بالصيوان مباشرة الأشغال، فيدخل عليه قائد المشور بغير استئذان ليسلم له المكاتيب الواردة من الإيالة مع لائحة ببيان المحال التى وردت منها تلك اللائحة بتاريخ اليوم والشهر الذى قدمت فيه، وبعد خروجه يستدعى السلطان الصدر بواسطة صاحب

الوضوء، ثم بقية الوزراء أفراداً، ثم أمين الداخل، وأمين الصائر، وعند الزوال ينهض متوهجاً نحو المسجد لأداء فريضة الظهر.

ومن العوائد التي لا تتخلف اتخاذ مسجد للسفر تقام فيه الصلوات الخمس جماعة، ثم إذا فرغ السلطان من الصلاة يتوجه لإدارة الشؤون واستقبال الوزراء طبق ما شرحنا، فإذا حان وقت المغرب وأدى فريضتها بالمسجد يتوجه لفسطاطه الكريم فيتناول العشاء، ثم إذا أذن المؤذن العشاء خرج لصلاتها بغير الهيئة الرسمية التي يخرج بها نهاراً وكذلك لصلاة الصبح.

ومن العوائد المقررة في سائر أسفار السلطان إتيان الطبالين بطبولهم ومزاميرهم والموسيقى والمغنيين أصحاب الملحون كل يوم بعد صلاة العشاء لباب الفسطاط السلطاني فيضرب كل من المذكورين برهة من الزمان، ثم يعقبه الآخر ويدوم ذلك مدة من الزمان ثم ينصرفون.

وأما باقى أصحاب المحلة وفرقها فكل يعمل على شاكلته، فمن تال ومن ذاكر ومن متبتل ومن مغن ومن ومن إلى انشقاق الفجر أو ما يقرب منه، كما أن العادة جارية بضرب الطبول والمزامير والموسيقى والدفوف خلف موكب السلطان كل صباح عندما يظعن ويدوم ذلك نحو الساعة.

كيفية تموين المحلة الشريفة

عندما تنزل المحلة يأذن قائد المشور أعوانه بالتوجه مع الحمارين وأصحاب الماء ليستقوا ويأتوا بالكلاً للبهائم والحطب للإيقاد، فإذا انتصف النهار يأتي أهل تلك القبيلة بعدد وافر من الشعير والدقيق والسمن وراءوس الضأن، وعدد وافر من الدجاج ويقفون خارج المحلة حتى يستأذن عليهم قائد المشور، فيوجه من قبله مكلفاً بتقييد فيه بيان كيفية تفريق ذلك حسب العادة المقررة فيه، أولاً الكشينة

المولوية، ثم الأروى، ثم الوزير الصدر، ثم قائد المشور، ثم وزير الحرب، ثم وزير الشكايات، ثم وزير الخارجية، ثم الحاجب، ثم أمين الأمناء، ثم خليفة قائد المشور، ثم كبير المحلة، ثم يوزع الباقي على سائر من بالمحلة.

كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة السعيدة

الجيش البخارى وأصحاب الأعيان، المنشية، ابن سالم، شراكة، جيش أزغار، مسخروهم، جيش المغفرة، مسخروهم، الفرايكية، المشاورية الطلبة وأصحاب الفراش، أصحاب الأتاي، أصحاب الماء، أصحاب الوضوء، الجزارة، أصحاب الأروى، أصحاب المحفة، الشاونى، مزور الجمالة، الشرفاء، الطبخية والموسيقى، الحاج امنو، الحاج أحمد، الوصفان، الخيالة، الحاج عزوز، مكانة، الغرناطى، الحاج عمر، آيت يمور، آيت الربع.

كيفية وصول الجناب السلطانى إلى المحل المقصود بالإقامة

يتقدم الإعلام لأولى الأمر بتعيين اليوم والساعة لدخول السلطان ليأخذوا فى التهيؤ والتأهب لاستقبال جلالته المعظمة، فإذا خيم ركابه الشريف بضواحي البلد خرج العامل فى أعيان أتباعه، وكذا جل الموظفين والأعيان لاستقبال جلالته وتهنئته بسلامة القدوم.

فإذا أسعدهم الحظ بالمثل بين يديه وأدوا واجب التحية والتهنئة، منهم من يئوب إلى البلد ومنهم من يبيت مع الجلالة السلطانية بمحلته السعيدة ليلة أو ليلتين، فإذا كانت صبيحة يوم الدخول تسابق الناس على اختلاف طبقاتهم إلى خارج البلد، ثم تصطف العساكر ويخرج عامل البلد مع الموظفين والأعيان ويقفون على حد الباب الذى يكون منه دخول السلطان، وهو باب منصور العليج بالحضرة المكناسية، ويقف الشرفاء العلويون وفى مقدمتهم نقيهم أمام ضريح جد العائلة

السلطانية الأكبر مولانا إسماعيل، والقضاة والعلماء، والعدول بالعقبة التي فوق الضريح الإسماعيلي، ثم ليف من المخازنية ثم الشويردات، وتتصل الصفوف إلى باب قصر المدرسة العامر، وبداخل باب القصر يكون بعض أفراد العائلة الذين لا زالوا تحت ثقاف الحجر وأمين العتبة والعييد المقيمين بضرورات من بالقصر من الحرم، وبداخل الباب الداخلى يكون وقوف عبيد الدار (الطواشين) ثم العيال الشريف، والسلطان يحيى كل طائفة وفريق بما يناسبه ويليق به ويرفع أكفه بالدعاء لهم، إلى أن يدخل لقصره العامر.

وبعد حلوله البلد بنحو ثلاثة أيام يصدر أوامره بالإعلام بالزيارة والتطوف على أضرحة الأولياء، فيعلم عامل البلد والموظفون من نقباء وأمناء ونظار، فيأتون للأعتاب الشريفة فى الوقت المعين لهم، ثم تخرج الجلالة السلطانية ممتطية متن جوادها وتسير فى موكبها الزاهى الزاهر بعد أن تقدم أمامها عددا من البقر للضعفاء الملتجئين بالأضرحة المزورة والسدنة القيمين بها، وكذلك يفعل عند إرادته النهوض من البلاد التى أقام بها وتلك عادة كانت لا تتخلف.

فإذا كان السلطان ابتداءً فى زيارته بضريح البضعة الطرية مولانا إدريس الأكبر دفين جبل زرهون، فيحتفل سكان ذلك الجبل وبالأخص القاطنين بالزاوية الإدريسية لزيارته بقدر إمكانهم، فيزور ويرجع من يومه غالبا، وربما قدم زيارته فى بعض الأحيان على دخول مكناس.

وأما أضرحة صلحاء العاصمة المكناسية فيتدئ بزيارة أبى زكرياء الصبان، ويختم بضريح جده الأكبر مولانا إسماعيل، وضجيعه جده دنية مولانا عبد الرحمن بن هشام، وعندما يدخل للضريح المذكور يجد الشرفاء والطلبة مصطفين أمام المحراب فى انتظاره، وبمجرد ما يلوح عليهم سنا بدر محياه يفتتحون قراءة سورة: إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

وعند ختمهم إياها يصلهم بنحو ألفى فرنك ويمنح المقدمين به بما يقرب من ذلك، ثم يتوجه لقصره العامر، وألسنة الضعفاء رطبة بالدعاء له والثناء عليه بما أفاض عليهم من سجال العطايا.

العادة فى الولائم السلطانية

إذا أراد السلطان جعل عرس أو ختان، أمر خاصة بنى عمه وأقاربه وذوى الحيشة من رؤساء جيشه بإدخال أبنائهم للختان أو بناتهم للتزوج، وأمر عامل البلد بتعيين أبناء الضعاف الذين لا يستطيعون الاحتفال بعرس أولادهم أو ختانهم، ويعين لهم اليوم فيأتون ويختنون وينفذ لوالديهم أو من هم إلى نظرهم ما يكفيهم لجعل وليمة كل على قدر منصبه ومكانته، وهكذا فى العرس ويصدر الأمر بالاستدعاء للعمال والموظفين على اختلاف طبقاتهم فى سائر أنحاء الإيالة، فتأتى عمال المدن والقبائل بالهدايا الضافية وتفاض عليهم فى أيام الوليمة أنواع الإنعامات، فإذا تمت الوليمة ودعوا ونفذت لهم الكساوى كل وما يناسب حاله وينصرفون فرحين مبتهجين.

كيفية العقيقة

إذا كانت عند السلطان عقيقة أو عند أحد من بنيه أو أقاربه الذين بداخل قصره، يأمر قائد مشوره بجعل قائمة بأسماء الذين يحضرون فى تلك العقيقة، وعندما يقدمها يوقع عليها بالتسليم، ويلاحظ على من تجرى العادة بإحضاره فيقدم أولاً أصناؤه ثم أعمامه وأصهاره ثم النقباء فوجهاء عائلته فالقضاة والعلماء فكبراء الزوايا وباشا المدينة وبعض الأعيان والموظفون من كتاب وأمناء ونظار ثم قواد المسخرين والعسكر والجيش.

نزهة شعبانة

فإذا كانت العشر الأواخر من شعبان أمر السلطان وزيره الصدر باستدعاء الشرفاء والعلماء والأعيان والباشوات والقواد، فيكتب لهم بطائق الاستدعاء للحضور بشريف الأعتاب بقصد حضور وليمة شعبانة مع الجناب العالى، فتضرب الأخبية والفساطيط بأحد أجنة المخزن وتعين المحال للمستدعين كل وما يناسبه، وتفاض عليهم أنواع الأطعمة الشهية والحلويات والأتاي، ويكون المطربون بينهم مناوبة وذلك كل يوم من الصباح إلى العشى، وربما خرج السلطان إليهم بنفسه ورحب ويدوم ذلك سبعة أيام آخر يوم منها هو آخر يوم من شعبان، أما الوزراء والكتاب فإنهم يستدعون مشافهة بواسطة الوزير الصدر.

العادة فى الجنائز

إذا كانت الجنازة من ذوى الأقدار العالية يحضرها جميع الوزراء والقواد وأصحاب الهيئات، ويحضرها السلطان بنفسه ويقع الإعلان بالنداء لعامة أهل البلد فيحضرونها ومن تخلف يعزر، وإلا بأن كانت الجنازة من مطلق الحاشية فيحضرها الحاجب أو خليفته وعامة أهل البلد.

بيان تموين الدار العالية بالله بمكناس

مياومة ومشاهرة ومسانهة

فمن لحم الضأن مياومة أربعة قناطير، وست وسبعون رطلا، ومن الخضر المختلفة ستون قفة.

ومن الدقيق مشاهرة مائة قنطار، وأربعة وأربعون قنطارا، وسبع وعشرون رطلا ونصف الرطل.

ومن السمن المذاب سبعة قناطير وسبع وسبعون رطلا.

ومن الصابون ستة قناطير وستون رطلا .
ومن الفحم خمسمائة قنطار وسبعة أرطال .
ومن الحطب خمسمائة حمل وأربع وخمسون .
ومن السكر تسعون قالبا .
ومن الأتاي تسع وعشرون رطلا .
ومن الشمع خمس وعشرون ابرة .
ومن الفلفل الأسود ست وأربعون رطلا .
ومن الفلفل الأحمر أحد عشر رطلا .
ومن الكمون أربعة عشر رطلا .
ومن القرفة خمسة أرطال .
ومن أثمان الزعفران مائة وسبعة عشر ثمنا .
ومن الزيت خمسمائة وثمانية عشر رطلا .
ومن الملح أربعون مدا .
ومن الشطاطيب ثلاثمائة وخمس وخمسون شطابة .
ومن الشراويل (نعال النساء) تسعة وتسعون شرييلا .
ومن البلاغى (نعال الرجال) اثنا عشر .
ومن الدراهم نحو الخمسة عشر مائة فرنك .
ومن الخليع مسانهة مائة وثلاث وعشرون ثورا وثمانية عشر قنطارا وخمس
وأربعون عنها ثمانية وعشرون ثورا .

ومن الشحم ثمانية عشر قنطارا وخمس وأربعون رطلا .

ومن الزيت لتقلية الخليج مائتا قلة واثنان وثمانون قلة كل قلة كيلها عشرون ليتر وما يكفى لذلك من الثوم والكمون وزريعة القزبور .

ومن رءوس الضأن للأضحية فى عيد الأضحى نحو الثلاثة آلاف، وفى أول خميس من رجب خمسة عشر قنطارا وخمسة أرتال من الحلواء، وخمسة عشر مائة طير من الدجاج، ونيف وكذلك فى النصف، وفى السابع وعشرين من الشهر المذكور، ومثل ذلك فى منتصف شعبان، ومنتصف رمضان والسابع والعشرين منه، وفى يوم عاشوراء، ويزاد فى هذا اليوم على ما ذكر خمسون حملا من أنواع آلات اللعب والطرب للصبيان والنساء، ومن القمح لزكاة عيد الفطر أربعة أوسق .

ومن الشعير لعلف إناث الخيل التى بأجدال بقصد الإنتاج وعددها خمسمائة وسبعون فرسة من أعتق موجود وفحولها وعددها ستة وعشرون أوسق تسعة وأربعون وستة وعشرون مدا مشاهرة .

ومن شعير علف النعم ثلاثة أمداد مياومة .

ومن شعير علف ذكور الضأن المعدة للشواء للجناب السلطانى عندما تكون جلالته بالعاصمة المكناسية ستة عشر مدا فى كل يوم .

وفى أيام الشتاء ينفذ للدار العالية بالله عدد وافر من الشكلاط وقدر السكنجبير المرقد فى السكر والعسل ومعاجين التفاح والإجاص^(١) والسفرجل^(٢)، ويخص الأعيان من الشرفاء والشريفات بالعنبر .

(١) الإجاص: شجر من الفصيلة الوردية، ثمره حلو لذيد، يطلق فى سورية وفلسطين وسيناء

على الكمثرى وشجرها، وكان يطلق فى مصر على البرقوق وشجره .

(٢) السفرجل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية .

وفى كل عاشوراء يوجد عدد وافر من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف فرنك، يوزع على من بالدار العالية حتى وخش الرقيق صلة.

كما تنفذ للدار العالية ومن فى حكمها الكسوة السنوية صيفاء وشتاء الطبقة الأولى تقاصيص خمس من الملف الرفيع فى كل تقصيصة أربعة أذرع ونصف، وخمسة أطراف من رفيع الكتان، وعشرة شقق من ثياب الحرير والقطن، ومائة وخمسون فرنكا.

الطبقة الثانية ثلاثة تقاصيص ملفا، وثلاثة أطراف كتان، وستة دفائن من القطن ومائة فرنك.

الطبقة الثالثة تقصيصة من الملف وطرف من الكتان وطرف من الشيت (كتان غليظ مزوق بالألوان) وكلما ورد السلطان من أسفاره ينفذ لمن ذكر الصلة بقدر صلة الزكاة المذكورة عادة محكمة لا تتخلف.

وليس ما بين قاصراً على مكناس بل يعم سائر الدور السلطانية وما هو مضاف إليها ومحسوب عليها بفاس ومراكش وتافيلالت، ولم يكن لهذا القدر حد ممدود بل من طلب شيئا من السباني أو حزم الزردخان أو الفلوس أو الكسوة ينفذ له.

أما باقى العائلة من الشرفاء القاطنين بالدار الكبرى والستينية فقد كان لهم من الخبز فى كل يوم مائتان يقتسمونها بينهم، وفى كل عاشوراء ألف ريال، ومثلها فى عيدى الفطر والأضحى، وكذلك فى عيد المولد النبوى.

وكذلك ثلاثمائة رأس من ذكور الضأن أضحية لهم فى كل عيد أضحى، والكسوة للأرامل والأيتام، ودار مولاي عبد الله، وحزابة الضريح الإسماعيلى ومن فى حكمهم كل سنة.

ومن أراد أن يتزوج أو يعق أو يجعل ختانا ينفذ له ما يكفيه فى وليمته مع الكسوة لعائلته .

ولم يزل العمل جاريا بجميع ما سطرناه إلى آخر نفس من الدولة العزيرية، أما الآن فإن مؤنة الدور السلطانية والعائلات الملوكية صارت تدفع نقودا، كما أن الخليع والكسوة السنوية والصلوات الاعتيادية قد أبطل العمل بها، كما عطل استعراض السلطان جيوشه بنفسه، وكذلك جميع الجيش السلطانى لم يبق منه اليوم عدا نحو المائتين والخمسين بضميمة الإضافات والملحقات كما أنه لم يبق اليوم سوى (طابور العبيد) المسمى بالحرس الملوكى .

وليس مستندنا فى ذلك مجرد السماع بل المشاهدة والعيان والحياسة للواجب من ذلك من الصنف الأول وبمكتبتنا من الأوراق الرسمية التى هى أكبر دليل وأوضح برهان عليه ما لو تتبعنا بعضه من جلب النصوص لاحتجنا إلى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، وما عندنا بالنسبة لما غاب عنا قل من كثر، فإن الكنائش المعدة لتقييد ذلك وضبطه من العصر الإسماعيلى إلى آخر الدولة العزيرية فرقته أيدى سبأ، كم أوقدت به من فرن وسختت به من حمامات الشىء الذى تخر له الجبال هداً .

وقد ألم محبنا وابن محبنا ومحب سلفنا القائد المصطفى بن يعيش رئيس مشور الخليفة السلطانى بتطاوين ببعض هذه الفصول فى كناشته المتفرعة من كناشتى والده وجده، وهما ممن كانت له رياسة قيادة المشور وتربى فى الخدمات السلطانية منذ نعومة الأظفار إلى أن شب وشاب .

مشيخته: منهم صاحب شكاياته أبو الحسن على المسفيوى وستأتى ترجمته، وأبو العباس أحمد بن الحاج السلمى الفاسى محشى المكودى والأزهري على الآجرومية، ومؤلف التاريخ المسمى بالدر المنتخب المستحسن، وأبو عبد الله محمد ابن عزوز الرباطى الأصل المراكشى الدار .

بنياته: قد أتينا على ماله من المآثر بالعاصمة المكناسية عند تعرضنا لما للملوك فيها من الآثار، وقد أنفق في ذلك أموالاً كثيرة حسبما يدل لذلك كناش قوس مكناس المحفوظ بخزانتنا، كما قدمنا قريبا ذكر ما شيد وجدد من الأبراج والحصون بثغرى طنجة والرباط، ومن آثاره أيضا بالرباط بناؤه مرساها وتجديد ديوانتيها والزيادة في رصيفها قبل إصلاحها الحادث بعد، وكذلك بنى قصبه الحاجب بحبوحة برابرة بنى مطير وقصبه تيزنيت، ومن تأسيساته باب قبيبة السمن كما يدل لذلك ما هو مكتوب بأعلى الباب المذكور فى نقش زليج أسود بخط بارع ولفظه:

باب السعادة أشرقت أنوارها	لما ارتقت أوج العلا أسوارها
أضحى على الفتح المبين بناؤها	فلذاك جلت جملة أخطارها
قامت بسعد مليكنا الحسن الرضى	فعلا به فوق السهى مقدارها
لازال نصر الله منها داخلا	لجناب من عزت به أنصارها
والعز والتمكين يغشاه بها	حتى تتم لنفسه أوطارها
ما قال سعد تمامها تاريخها	«كملت مبان بابها آثارها»

١٢٩٣

ما خلفه من الأولاد رحمه الله

مولانا محمد - فتحا - الخليفة بمراكش سابقا، وهو أكبر الذكور وشقيقاه مولاي زين العابدين الخليفة السلطاني بتزيت حينه، ولال أمينة أمهم الشريفة المصونة مولاتنا زينب بنت العلامة مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام.

مولای عبد الحفیظ السلطان السابق، وشقیقاه مولای بو بکر خلیفته بمراکش سابقا، ولال حبیبیة أمهم الحرة المكنونة السيدة العالیة بنت صالح بن الغازی الشاوی الشهیر .

مولای إسماعیل وشقیقته لال خدیجة المدعوه لال سیدی أمهما الشریفه لال هنیة بنت ابن عمنا النقیب مولای أحمد بن زیدان .

مولای المصطفی وشقیقته السيدة نزهة أمهما الشریفه لال أم الغیث بنت مولای الأمين بن عبد الرحمن بن هشام .

مولای الكبير وشقیقته لال شریف أمهما میمونه .

مولای عبد العزیز السلطان من بعده وشقیقه سیدی محمد المهدی أمهما المولاة رقیة تركیة .

السلطان مولانا یوسف والسيدة زینب أمهما الصینة المولاة آمنه تركیة توفیت فی عهد ولدها سنة ۱۳۳۶ وقال الشعراء فی رثائها .

مولای المأمون الخلیفة السلطانی حینه بفاس . أمه المولاة الیاسمین صرغینیة .

مولای عثمان وشقیقته السيدة ربیعة أمهما المولاة طویمو .

مولای جعفر أمه المولاة عویشة .

مولای بلغیث وشقیقته السيدة أسماء أمهما المولاة زهراء بوزکری شاویة .

مولای الطاهر وأشقاؤه، مولای أحمد، ومولای التهامی وسمى جده سیدی محمد دعی المکناسی، والسيدة لبابة ولال ملیكة أمهما المولاة حسن الملك تركیة .

مولای موسی، وشقیقه مولای الأمين أمهما المولاة طویمو السید موسی .

مولای العباس وشقیقته السيدة سکینه أمهما المولاة کنزة .

مولاي إدريس أمه المولاة حبيقة .

مولاي الطيب أمه المولاة فائدة الشركية .

مولاي على أمه المولاة جمعة .

مولاي عبد الله وشقيقه المولى الحسن أمهما المولاة فتح الزهر مولاي عمر
الخليفة السلطاني بفاس سالفا وشقيقته لال أم الخير أمهما المولاة خويرة عبد
الكامل .

السيدة حفصة وشقيقتها السيدة أم هاني أمهما المولاة عبلة .

السيدة أم كلثوم أمها المولاة عائشة التركية .

السيدة كنزة أمها المولاة الدامي عبديّة .

السيدة فخيتة أمها لبيبة تركية .

السيدة الباتول والسيدة عائشة والسيدة فاطمة الزهراء أمهن الضاوية شلحة .

السيدة السعدية أمها زهرة شيطمية .

السيدة صفية والسيدة جمالة أمهما المولاة فتح الزهر الصغيرة .

السيدة فضيلة أمها المولاة بحر الزين .

السيدة زهور أمها المولاة نضار تركية .

السيدة فاطمة وهي أكبر أولاده ذكورا وإناثا أمها زهوة شيطمية .

السيدة مريم والسيدة عتيكة أمهن المولاة فتح الزهر عبد الكامل .

السيدة ستي أمها المولاة خديجة تركية .

الشريفات من نسائه

الشريفة السيدة زينب المذكورة، والشريفة السيدة هنية المذكورة، والشريفة السيدة حليلة بنت مولاي العباس بن عبد الرحمن، والشريفة السيدة مليكة، والشريفة السيدة أم الغيث بنت مولاي الأمين، والشريفة السيدة ستي بنت مولاي على بن عبد الرحمن بن هشام.

الحرائرمنهن

السيدة العالية المذكورة، والسيدة خديجة بنت الكبير بن المدني الشاويتين والمذكورات من الشريفات.

المطلقات منهن

١ الزيدانية، ٢ والسيدة زينب، ٣ والسيدة العالية، ٤ وبنت ابن المدني: والباقيات ٤ مات وهن في عصمته وما عداهن من المذكورات مستولدات.

وفاته: توفي أثناء طريقه لدا منقلبه من مراکش لمكناس وفاس عقب أوبته من الحركة الفيلاية المارة الذكر بالمحل المعروف بدار ولد زيدوح من قبيلة بنى موسى من الصقع التادلي في الساعة الحادية عشرة من ليلة يوم الخميس ثاني ذى الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، وكنم ذلك عن الخاصة والعامة داهية الحجاب والوزراء أحمد بن موسى مار الترجمة، ولم يفش الأمر لأحد وأمر الحرم بالتجلد والصبر، وإلا فإنهن يوقعن أنفسهن في الفضيحة والعار لعدم أمن غائلة تلك القبيلة، وصار يصدر الأوامر والنواهي للوزراء وغيرهم على لسان المترجم وأمر من يناديه كل آونة ليكلم السلطان ولم يزل يرتكب وجوه التدبير والسياسة حتى قطعت المحال المهامة المخوفة وخيمت بالمحل المعروف بالبروج من بلاد بنى مسكين، فعند ذلك باح للناس بما كنتم، وأبرز المقدور المحتم، فتسارع الناس لبيعة

ولى عهده المولى عبد العزيز وغسل المترجم وكفن وجعل فى تابوت، وحمل إلى
رباط الفتح حيث مضجه الآن بضريح جده السلطان سيدى محمد بن عبد الله،
وطير الإعلام بذلك للحواضر والبوادي، فوصل الخير لمكناس وفاس يوم الثلاثاء
سابع الشهر، وفى الساعة الحادية عشرة من يوم عرفة دفن حيث أشير، رحمه الله
رحمة واسعة آمين

